

السُّؤَالُ الْجَامِعُ

تَاجُ رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا وَخِلَانِ الْوَفَا

تأليفُ الإمامِ المَسْتَوْدِ

أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمد بنِ إسماعيل بنِ جعفر الصَّادِقِ

تَحْقِيقُ

الدَّكْتُورُ مُصْطَفَى غَالِبُ

دارُ الأَنْدَلُسِ

للطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

مقدمة الطبعة الثانية

رسالة الجامعة التي نقدم الطبعة الثانية منها اليوم ، لنا معها حكاية طويلة تمتد في جذورها إلى سنوات طويلة تزيد على الربع قرن بقليل . وذلك عندما وقعت بين أيدينا النسخة التي حققها الدكتور جميل صليبا ونسبها إلى المجريطي ظلماً وعدواناً ، ونشرها المجمع العلمي العربي في دمشق .

ولما تصفحت الرسالة المطبوعة وأمعت في مطابقة بعض نصوصها وعباراتها ومقارنتها مع رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا « الطبعة الهندية » لاحظت البون الشاسع ، والفرق الكبير بين النصوص والعبارات ، فقلت لنفسي : مما لا شك فيه أن المحقق قد تلاعب بالنصوص كما تلاعب باسم المؤلف ، دون أن أعلم الدوافع والأسباب ، لهذا العمل المخالف للعلم والأمانة العلمية . خاصة وأن المحقق أستاذ جامعي ومربي أجيال صاعدة كان من المفروض فيه أن يكون حريصاً على النصوص ، وأميناً على العبارات ، فيقدمها كاملة محققة مضبوطة بدون تغيير ، أو تبديل ، أو تحريف . وما زاد في تأكدي بأن التلاعب قد حصل وربما يكون مقصوداً ، لأن الدكتور صليبا بالذات قد حاول من طرف خفي أن يبرر موقفه في المقدمة التي عقدها للرسالة فزعم أنه يشك بأن المجريطي ضارباً بعرض الحائط بالقيم الأدبية والأمانة العلمية . إذ ما يضير الدكتور صليبا لو قال بصراحة أن هذه الرسالة ليست من تأليف المجريطي إنما هي تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا وهي من تأليف هذه الجماعة لا « العصابة » كما سبقه إلى القول التوحيدى !!؟

وما دام تراءات لي هذه الشكوك فلا بد لي من الحصول على عدة نسخ من هذه الرسالة النادرة التي لها شأن كبير في مجال الفلسفة الإسلامية ، ورحلت أجوب البلدان أبحث وأنقب خلال سنوات طويلة حتى عثرت على نسخة خطية في مدينة مصياف السورية عام ١٩٦٤ ميلادية عند أحد المشايخ من آل الرصيص ، كان قد ورثها عن أبيه عن جده ، ولكن مع مزيد الأسف الشديد رفض مالكها بيعها أو إعارتها ، إنما سمح لي بالإطلاع عليها في منزله فقط . وبالفعل بقيت عدة أيام أتردد عليه وأقارنها مع النسخة المطبوعة ، فوجدت الاختلاف الظاهر بين كلا النسختين ، في بعض السطور ، والعبارات ، والرموز ، والإشارات ، وحتى باسم المؤلف حيث

ورد اسم مؤلف المخطوطة كما يلي : رسالة الجامعة ذات الفوائد اللامعة من تأليف مولانا الإمام المستور أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليهم وآلهم الصلاة والسلام .

وفي عام ١٩٦٨ ميلادية قمت بزيارة استمرت عدة أشهر إلى اليمن ، والهند ، والباكستان ، وإيران لإلقاء بعض المحاضرات في الجامعة السيفية بمدينة سورت الهند ، وفي الجمعية الإسماعيلية في بومباي ، وفي الجمعية الإسماعيلية في كراتشي الباكستان ، وفي فرع الدراسات الإسلامية في جامعة طهران .

ومن الطبيعي أن أبحث وأتقّب خلال وجودي في الجامعة السيفية في سورت عن التراث الفاطمي ، في مكتبة الجامعة وفي بعض المكتبات الخاصة ، فوجدت العديد من المخطوطات الفاطمية النادرة الهامة ، ومن بين تلك المخطوطات نسخة كاملة في مجلدين من الرسالة الجامعة لمؤلفها الإمام المستور أحمد بن عبدالله بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ففرحت بها فرحاً لا يوصف وقررت بيني وبين نفسي أن أطابق هذه النسخة وأقارنها مع النسخة المشوهة التي نشرها الدكتور صليبا ونسبها للمجريطي .

ومرت الأيام بسرعة ، ولم تنقطع اتصالاتي مع المهتمين بالتراث الفاطمي في الشرق والغرب ، ولكنني لم أوفق في العثور على نسخة أخرى رغم حصولي على العديد من المخطوطات الفاطمية النادرة ، والتي تعتبر من حيث القيمة التاريخية أهم من الرسالة الجامعة .

وفي عام ١٩٧٢ دعيت لزيارة كينيا ، وأوغندا ، وتنزانيا ، والهند ، والباكستان ، وطهران ، فوجدت خلال هذه الزيارة نسخة ثانية كاملة في مجلدين من الرسالة الجامعة ، عند أحد المشايخ من طائفة البهرة السليمانية في بلدة برهان بور فأعارني إياها مشكوراً بشرط أن لا نأتي على ذكر اسمه عملاً بنظام التقية .

ولما عدت إلى بيروت عكفت على مقابلة ومطابقة كافة النسخ التي وجدتها ، وأخرجت منها هذه النسخة كاملة محققة حسب الأصول العلمية المتبعة في تحقيق المخطوطات ، وتفضل بنشرها صاحب دار صادر في بيروت جزاه الله عنا وعن العلم كل خير .

إخوان الصفا والتحريف والتزوير

يقودنا الحديث في هذه المناسبة ، أي مناسبة الطبعة الثانية من رسالة الجامعة إلى إخوان الصفا والتحريف والتزوير الذي حصل لبعض ما نشر من التراث الإسماعيلي الفاطمي بصورة خاصة ، فأصبح من الضرورة العلمية إعادة تحقيق وتعريف ذلك التراث ، حتى يخرج بتحقيق جديد ، وتقديم أدق تبحر فيه بعض الإشكالات التي تعرض لها ذلك التراث ، مع ضرورة التقيد بالنص ، وحتى نعطي فكرة واضحة عن هذه التحريفات نبدأ برسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، باعتبارها أول مخطوط من التراث الفاطمي نشر في الهند ، ثم في مصر ، ثم في بيروت ،

حيث عثرنا على بعض الإضافات والدس والتزوير بين السطور ، أمثال تحريض إخوان الصفا القراء على ارتكاب فعل اللواط باعتبار هذا الفعل محلاً علمياً ودينياً .

ومن الواضح أن هذا التحريض ليس سوى دس رخيص قصد به تشويه سمعة هذه الجماعة التي قدمت للفلسفة الإسلامية أعظم موسوعة علمية حتى الآن . ولا بد لنا من القول بأننا اطلعنا على نسخة مخطوطة من رسائل إخوان الصفا في مكتبة سلطان البهرة في بمباي وهي تختلف كثير الاختلاف عن الرسائل المطبوعة والمتداولة ، وليس فيها أمثال هذا التحريض الكاذب .

وما دمنا نتحدث عن إخوان الصفا فلا بد لنا من التعرض إلى ما قاله الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه «مذاهب الإسلاميين» حيث يقول^(١) : «... كثيراً ما نلاحظ أن إخوان الصفا كثيراً ما يسخرون من الإسماعيلية ويسموهم المسبعة فيقولون مثلاً : وقد توغلت المسبعة في الكشف عن الأشياء السباعية فظهر لهم منها أشياء عجيبة ... فإذا أضفنا إلى هذا الفوارق المذهبية العديدة جداً بين آراء الإسماعيلية وآراء إخوان الصفا أمكن أن نقرر بكل يقين أن إخوان الصفا ليسوا من الإسماعيلية في شيء . بل لكل منهما مذهب مستقل مباين لمذهب الأخرى ولهذا نعجب كل العجب من أولئك الباحثين الذين أصرروا مع ذلك على القول بأن إخوان الصفا من الإسماعيلية أو مذهب كلتا الطائفتين واحداً ، أو حتى متشابه . وإذا كان بين كلتا الطائفتين بعض التشابه في القول بالعقل والنفس الكلية ، فليس هذا التشابه أكبر من التشابه بين الفارابي وبين إخوان الصفا ، بل الأمر على العكس ، فالتشابه بين الفارابي وبين هؤلاء الآخرين أقوى ... » .

إن هذا الاكتشاف العقيم الذي يطلع به البدوي كنا نتمنى عليه وهو الباحث المحقق لو أنه رغم انحرافه عن الأسس الحقة مؤخراً ، ابتعد عن الخوض في غمار العقائد الباطنية التي هي أعمق من أن يستطيع أمثال ذلك المتسرع استيعابها ، وليس قوله بأن إخوان الصفا يسخرون من الإسماعيلية ويسموهم المسبعة سوى جهل مطبق ، وتاريخياً ، وهذا معروف ، الإسماعيلية هم غير المسبعة ولا يمتنون إليهم بأية صلة مطلقاً ، لأن هؤلاء يقفون في عقائدهم عند الإمام السابع المتحدر من آل البيت بينما الإسماعيلية مستمرون في الإمامة حتى عصرنا الحاضر حيث تجاوز عدد أئمتهم الـ ٤٩ إماماً .

وهنا لا بد لنا من أن نتساءل إذا كان البدوي بالفعل يرغب في كشف الحقيقة فلماذا يغض الطرف دائماً عن الاكتشافات الحديثة التي تظهر من خلال المخطوطات الإسماعيلية المنشورة ؟ علماً بأنه نقل في كتابه مذاهب الإسلاميين صفحات وصفحات من كتاب راحة العقل ، وكتاب الينابيع ، وغيرها من الكتب التي حققناها ونشرناها ، ولكنه على ما يبدو لم يستوعب ما في

(١) مذاهب الإسلاميين : الدكتور عبد الرحمن بدوي ج ٢ ص (٢٣٥ - ٢٣٦) .

هذه المصنفات من رموز وإشارات قد تغير تغيير جذرياً بعض الأفكار التي نقلت عن الأطراف المتناوثة المعادية .

ولا أدري أيضاً لماذا لم يتصد للدكتور جميل صليبا عندما حقق رسالة الجامعة ونسبها إلى المجريطي المغربي منذ أكثر من ربع قرن ونيف ، وهو يعلم أنه لم يكتب فيها حرفاً واحداً ، فقط وجدها في المشرق ونقلها معه إلى المغرب ؟!! .

وقبل أن نختم هذه المقدمة نرى لزماً علينا أن نتعرض لأستاذ جامعي آخر هو الدكتور سهيل زكار الذي أتحفنا بكتابه التافه عن « أخبار القرامطة » كما أتحفنا منذ سنوات بكتاب آخر ترجمه عن الإنكليزية لمؤلفه اليهودي الدساس المزور « برنارد لويس » بعنوان « الحشاشون » ففي كتابه عن أخبار القرامطة قال أنه اعتمد على ما ورد في الرسالة « المذهبة » للقاضي النعمان ، وأنه يملك نسخة مخطوطة من هذه الرسالة .!!

ونحن نقول لهذا المربي الفاضل : في الكتاب الذي ترجمته عن الإنكليزية شوهت الكثير من الحقائق والعبارات كما شوهها قبلك اليهودي « برنارد لويس » وليت المجال يتسع في هذه المعجالة لكنا بينا كل حرف وفقرة أضفتها من تخيلتك إلى الكتاب المذكور ، ولكننا نترك ذلك لمناسبة أخرى . أما قولك بأن الرسالة المذهبة هي من تأليف القاضي النعمان ، فغير صحيح لأن النعمان الفقيه الفاطمي المعروف صاحب أسلوب لا يخفى على كل ذي عينين ، وأمامك فهرست المجدوع ، وفهرست ايفانوف ، وفهرست بروكلين ، وكل الفهارس الإسلامية ، فتش ونقب فإن عثرت على أي ذكر لهذه الرسالة فنحن على استعداد للإعتذار ، أما أن تأخذ وأنت الأستاذ الجامعي بما قاله من حقق هذه الرسالة ونسبها إلى القاضي النعمان ونشرها منذ سنوات في لبنان فهذا ليس من العلم في شيء ، لدينا نسخ عديدة من هذه الرسالة ، نضعها تحت تصرفك وتصرف من تختار لتعرف الحقيقة كاملة .

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلا أن أقدم الشكر لصاحبة دار الأندلس الأنسة سميرة عاصي لما تقدمه من خدمات في سبيل رفع المستوى الفكري والعلمي في العالم أجمع ، وفقها الله وسدد خطاها لما فيه الخير والفلاح .

بيروت في ٢٠/١/١٩٨١
الدكتور مصطفى غالب .

منه وعلاننا وياياك على طاعتك وجبتا وياك ذممت
 اخواننا معدية وفتح ولو بنا وشرح للذكر صدونا
 بنوع ورفقا القوتين للانا به اليه والاكال عليه انزولى
 اجابة الخنيين بفصله ورافته وجوده ومقته بانا -
 قدنا اليك من انوار الحكم والملائكة النعم وفكر الشورى
 ورياحين الخولى ونزهة الارواح وزينة الملائكة والى
 ومن مكنون العلم مخزون الحكم مقدمات ذوات فضائل
 جمة: فتح عدة ابواب يفتح في باب منها ابواب كثيرة
 وهي ابواب الجنان ذات الروح والريحان جمعت الخفا
 والنتهى وعكلمات سائق الناموس مما تلتهم الانبياء و
 المرسلون من الملائكة المخططة المعتر بين وفنائهم الاكثر
 المهيون والظلمات والارشدون الى المؤمنين العارفين
 المستبصرين بنور اليقين بهداه عاظم العلم العظيم
 فى الروح الكسرى وقراءة من الصمد سبجانه قروا نوره
 على حكم آياته من الملائكة الحالين الذين هم حملة الحشر

الضعف الاول من الرسالة الى المصطفى ذات الغواشى
 النافذة لولا صاحب الرسا لم يجمع الضمائل الامام لهم
 المستقر عليه صلوات الله الضمى - وبه استحسن
 فى جميع بسط هذه الحقول الرحيم الامور -
 الحمد لله الذى خلق ضوى والذى قدر فهدى والذى
 والذى اخرج المرمى فجعل غشاها حوى سقوتها فلا
 تسقى الاما نأ الله انه يحلم الجبر وما يجنى ويفسر لك لمرى
 فذكر ان ففحت الذكرى سبى كرم من جيشى وبتجها
 الاشقى الذى يصل النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يلى
 قد اطلع من ثوركى وذكر اسم ربه فصل على بل قر ترون -
 الميرة الدنيا والاخرة جيتا بقى ان هذه فى الصحف
 الاولى صحف ابولهيوم وموسى المجد ص على ما ولى من
 نعمه وامدى ولالاه صوب الاخرة واللاولى والمجد
 صدر الذى هدانا لهدى وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا
 الله وعلم اهل الاخ الباطن والرحيم ايرك الله وياينا بوجه

الرحيم ايديك لدم وانيان بروج منه وامننا وياك على
 طاعتنا وجنتنا وياك وجميع اخواننا معصيته وفتح
 قلوبنا وشرح للذكر صد وزيابنور وورزقنا التوفيق
 للانابة اليه والاسكال عليه انه ولي اجابة الحسين
 مفضل ورافقه وحده ونسته بانا قد ضا اليك
 صحت انوار الحك ولبه انتم ونواكر النفوس ورياحين
 العقول ونزهره الارواح وزيينة للاراد المع وكنون
 العلم وخنزون الحك تنقيات ذوات فضائل جمعة تجمع
 عند ابواب شفتي في باب منها ابواب كثيرة وهي
 ابواب الجباب ذات الروح والرياح جمعت الفاظه
 التنزيلا ووليات معاني التوكل بالعلقة الانبياء
 والرسول من الملائكة المفضلة للتربين وفضله
 الائمة المهديون والنفاء الراشدون والارستين
 العارفين المستطيرين بنور اليقين مبداء عما
 خط القلم العظم في اللوح الكرم وقرأه من الحوامد

النصف الاول من الرسالة انما هي خذات الفوائد
 النافعة لمر الانصاف خبر الرسائل يجمع النفا نافع
 الامام احمد المستور عليه صلوات الله المظفور
 الحمد لله الذي خلف فسوك والذي قد فقهدي
 والذي اخرج الرمي فجله غشا احدى سنقر وك
 فلا تنسى الامانة انتم انتم بطل البهر وما يغف وول
 ينسرك لليسر فذكر ان ففقت الذكر يسف كر
 من ففقتي وبعثتها الاشع الذي يصل النار للكر
 ثم لا يبرق فيها ولا يحس قد ففقت من نوني وذكر اسم
 ففقت بل تنزرون الحيرة الدنيا والاخرى خير واتبى
 انه ففقت لي الصفة الاول صفتها بر ابراهيم موسى
 الحمد لله على ما اول من من واسباب وآثار الاصول
 الاخرى والاولى والى يد يد الذي ههنا الفقه وما كنا
 لمعت يد لمر الانصاف ههنا انتم اعلم ايها الازن البار
 الرحيم

منه وإعانتنا وإياك على طاعتهم وجنبنا وإياك ذمهم
 أخواننا محصية ونفع قلوبنا وشرح للذكر صدورنا
 بنوره وورقنا التوفيق للأنبياء المير والائكال عليه انزولي
 إجابة الحنين بفضلهم ورافتهم وجوده ومقتهم باننا -
 قدما اليلد من انوار الحكم والمطائف النعم وفواكه الثمر
 ورياحين الخول ونزهة الارواح وزينة الملا والملا
 ومن مكشوف العلم ومخزون الحكم مقتحات ذوات فضائل
 جمة فتح عنه ابواب ينفتح في باب منها ابواب كثيرة
 وهي ابواب الجنان ذات الروح والروحان تحت النظم
 والنتيجه وحكمات محافل الثاويل وما تلتهم الانبياء و
 المرسلون من الملائكة الممغنظم المعتر بين وفكنته الاثر
 المبرور والمطلنا والارشادون الى المؤمنين العارفين
 المستبصرين بنور اليقين بهداه عاظم العلم العظيم
 في الوجود الكريم وقراءه من الصبر سبجانه قراءته و
 علم حكم آياته من الملائكة الحاليين الذين هم حملة الوحي

المنعم الاول من الرسال الى المصير ذات الخواص
 النافعة لولا تاجها حب لرسائل مجمع النفاة الى الامام محمد
 المستقر عليه صلوات الله الخفي - وبه استحسن
 في جميع بسط المله الرحمن الرحيم الامور -
 الحمد لله الذي خلقت فسي والذى قدر فسي والذى
 والذى اخرج الميرى فجعلهم غنا ما احوى سننهم وادع غلا
 تسعي الامام شأهم انه يعلم الجبر وما يجنى فيفسرك المير
 فذكر ان نفحت الذكرى سبكر من جيشي ويتبعها
 الاشتى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يلى
 قد اطلع من نورك وذكر اسم ربه فعلى بل توثرون -
 الميرة الدنيا والآخرة جبر والقي ان هذه لى الصحف
 الاولى صحف ابوالهيم وموسى المجد لهم على ما ولى من
 نعمهم واسدى وللال الاهورب الآخرة والاولى ومحمد
 لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا
 الله فاعلم ان هذا الاصح الى ربهم ايرك الله وإيانا بروك

الذكر ثم ايدك الله وانا ببروح منتهى القدر على
 بيان ما قد ذكر في هذه الرسالة فزيادات
 خبر من الغرض قصدنا اليه فيها لتبين تلك
 معناه ونكتفى لكن غنم غناه وعساك تنفوز
 مع الفائزين ببرجته ان ارحم الراحمين فحصل
 في الغرض المطلب منها وكان غاية الطلب في هذا
 البحث هو البيان عن كيفية بلوغ الانسان بدوام
 انتقالاته وتغير احواله لا حد له ولا اخر معاد
 باله وكيف يصير لارتبة الملائكة الاخير ويصل
 لادارته ورومل الانوار والانتها لاذلك ان
 بعد خلق العاكة وبلوغ الارادة ونهاية
 السعادة فتعد ذلك تنهياً لانتظار الاربعة
 تنبيه الظاهر ونوره التام ويعرف سماه
 معرفته وعبارته بأحسن الجزاء وينقل الازدواج
 الصواب قبل الموت او بعد ببره الصور

النصف الثاني من الرسالة الثانية ذات باب
 انقضاء النفقة لمولانا صاحب الرسالة بل جمع
 انقضاء مثل زناه احد عشر عليه علويات اليه فغز
 ورأسه عليه لـ بسبب ربح العدم في جميع الامور
 فصل في الرسالة الثالثة عشر في نشوء النفس
 الالهية . . . البشرية والاحياء الطبيعية
 الحزينة في الاجساد
 وكيف انبثقت منها
 الحقيرة بين دوائر الروحانيين
 اعلى عليهن بان عمال السالكين
 واستغاثها لارتبة الشياطين ودخولها في جملة
 ابدن اللعين وحسب الشيطان الرجيم بالماله
 البقية السيئة وما دأبها الردية واخطاها الى
 الهاوية وخلودها في نيران جهنم المظلمة اثارة
 الموقدة التي تطلع على الاقدار انها يدهم ههنا
 في عدد مدرك واذ قد انتهى بنا القول بها الاربعة
 المكر

من شهر جولائي من سنة ١٩٥٨-

كتبنا الاقل الراجي رحمة رب الاجل سلام حسين ابن
المحرم الماجد سلام محمد علي الموروث بالبرهان بوري
بنتهم الله فتح على طاعتهم وعلى طاعة جميع حرمهم

العلويين والسفليين الروحانيين والجسمانيين
بحق سيدنا محمد وآله الطاهرين آيين بارئ العالمين
في بلدة برهان بوري للاخت الشريفة المسماة كلثوم
باني الزوجية الرئيسة على طاهرهائي الموروث بالخير والبر
في بلدة سورت حرمها الله فتح بحق محمد وآله الطاهرين

صلوات الله عليهم أجمعين

آمين

م

المستقيم الذين هم لا مغضوب عليهم ولا ضالون

هم الذين اتبعوا الانبياء على سننهم وتعلموا عن
معلمهم من بعدهم فهم مؤمنون واليه منتقون
والامرهم تابعون يحملون من النوازل ما لا مخرج
ويقيمون ما افادوه لهم منها ويتحققون من العلم
ما اتقوه اليهم من حقائقها فهم بذلك آمنون يوم
الفرع الاكبر لا خوف عليهم ولا هم يحزنون - فتدبر
هذا الفصل ايها الاخ وتفكر فيه وترشد ان شاء
الله تعالى -

تم النصف الاول من الرسالة الجامعة ذات النوائد

النافعة بحمد الله ومنه وصلواته على محمد وآله و

عليه النصف الثاني منها -

قد وقع الفراغ من زبدة هذا النصف الاول من الرسالة
الجامعة يوم الخميس الاطمن شهر الحرام المحرم اول
شهر من سنة ١٣٤٢ هجرية المظانق للآية الخيرية
الاستاذية

مقدمة

من الواضح أن المدرسة الفكرية التي أوجدها جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا ، قد ساهمت مساهمة فعالة في خلق أكبر نهضة علمية عرفها تاريخ الفكر الإسلامي ، بالإضافة إلى تأثيرها على الآداب ، والفلسفة ، وحياة المجتمع ، والنضوج العرفاني للحياة الروحية ، وما انبثق عنها من إشعاعات وإشراقات ، وما ابتدعت من مناهج في التفكير ، والتأمل ، الذي نما وتطور ، وواكب سير الحياة التصاعدي .

ومما لا جدال فيه بأن الفلسفة بصورة عامة ، مدينة بأول دائرة للعلوم والمعارف ظهرت في العالم ، وهي « رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا » التي مهدت السبيل لفلسفة الإسلام الكبار الذين لعبوا دوراً هاماً في تاريخ الفلسفة الإسلامية .

ومن المؤكد بأن الحركات الباطنية التي ظهرت في الإسلام على أسس دينية جعلوا من (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا) المدماك الأساسي لمعتقداتهم الفلسفية التوحيدية التي أصبحت صدى لما يتفاعل في الحياة الإسلامية في كافة مراحلها ، من المعرفة ، والأخلاق ، والسلوك الاجتماعي ، والاخاء الواعي ، المؤمن الموحد ، السالك في معارج الحقيقة .

ولا نذهب بعيداً إذا قلنا بأن رسائل « إخوان الصفا وخلان الوفا » قد شغلت حيزاً كبيراً من تفكير العلماء والباحثين خلال حقبة طويلة من الزمن ، ولا تزال حتى هذا اليوم مثاراً للجدل ، والتخمين والاستنتاج الذي قلما يكشف الستار عن الحقائق العرفانية الباطنية ، والرموز العويصة ، والإشارات

السرية ، لما أسدل حولها من ستائر كثيفة أضفت عليها التعقيد والغموض الذي حير الناس وملأ الدنيا بالاستفسارات والتساؤلات ، مما أدى إلى تضارب الآراء ، وتنوع الأبحاث والدراسات ، التي زادت الموضوع تعقيداً حتى أصبح مع مرور الزمن من الألغاز المستعصية ، المبهمة ، التي أغلقت الأبواب والمنافذ دونها .

ولا يخفى بأن جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا عمدوا عند وضع رسائلهم موضع التداول إلى إحاطة أنفسهم بهالة من الكتمان والتقية ، وتعمدوا عن قصد إلى إخفاء أسمائهم عن عامة الناس ، زهداً في الشهرة ، وحرصاً على حياتهم المهددة بالخطر في كل لحظة ، من قبل أصحاب السلطة والصوبلحان . ولقد نتج عن هذه السرية التامة الرواج الكبير لرسائلهم التي أنارت الطريق لأصحاب الأفكار الحرة في العالم الإسلامي ، وشجعت الناس على المجاهرة بها علناً ، بدون خوف أو وجل ، وبذلك مهدت السبيل لثورة فكرية عارمة تمخض عنها تكوين الجماعات السرية في الإسلام .

ولا يسعنا ونحن نقدم للقارئ الكريم « الرسالة الجامعة » وهي تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، إلا أن نقول بأن الواجب العلمي يفرض علينا عندما نعالج أمثال هذه المواضيع العقلانية ، أن نضع نصب أعيننا التجرد والتزاهة عن كل المؤثرات لنقدم الحقائق الخالية من الشوائب ، البعيدة عن الشك والاستنتاج ، معتمدين على الأدلة الدامغة ، والحجج المنطقية المقنعة .

ولا يجوز لنا أو لغيرنا من العلماء والباحثين القطع في المعارف العقلانية معتمدين على انتحالات الوراقين ، وأهل الأهواء ، دون أن نكلف أنفسنا مشقة البحث والتنقيب عن تراث هذه الجماعة السرية ، لتلمس خيط الحقيقة الدقيق .

الإمام المستور أحمد بن عبد الله

يعتبر الإمام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق من ألع أئمة دور السر الأول ، وأكثرهم علماً ، ساهم في الحركة الفكرية التي ظهرت في العصر العباسي ، مساهمة فعالة فوضع كتابه المعروف باسم (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا) رغبة منه في المحافظة على شريعة جده الرسول (صلعم) ، وحتى لا تطفئ البدع الفلسفية التي راجت في عهد الخليفة العباسي المأمون على التفكير الإسلامي الصحيح .

أقوال المؤرخين مختلفة حول تاريخ ومكان ولادته ، لأن عهده كان من عهود السر والتقية ، لذلك جاءت الأقوال متضاربة وغير واضحة ، إذ يقول البعض : إن ولادته كانت في بلدة (محمود آباد) سنة ١٧٩ هجرية . ويذهب آخرون إلى أنه ولد في (عسكر مكرم) سنة ١٦٩ هجرية . ويرى غيرهم أن ولادته كانت في البصرة بين (سنة ١٦٠ - ١٦٥) هجرية .

أما النصوص التاريخية الإسماعيلية ، فإنها تذكر بأن ولادته كانت في (عسكر مكرم) سنة ١٧٩ هجرية . ثم انتقل مع أبيه سرّاً إلى سلمية في سورية حيث استقر به المقام وعاش بزي التجار . وقام بأمر الإمامة بعد أن نص عليه والده الإمام عبد الله ، وبثّ دعائه في الآفاق من سلمية . واتصل به الدعاة ودعوا إليه ، وهم مخفون لمقامه كاتمون لاسمه . ويقال بأنه اتخذ حجة له عبد الله بن ميمون القداح وازداد في السر والحفاء ، ثم خرج سرّاً إلى الديلم ، حيث تزوج بامرأة من الأسرة العلوية والدها الأمير علي الهمداني ، فرزق منها ولداً سماه (الحسين بن أحمد) ، ويقال بأن الزواج حصل في سلمية .

ويظهر بأن دعوته انتشرت انتشاراً واسعاً في بلاد العرب ، وفارس ،

واستجاب له خلق كثير ، وكثر عدد دعائه ، الذين نظموا تنظيماً دقيقاً
حير عقول الناس ، وأذهل أصحاب السلطة من العباسيين .

ولما تسربت أخباره ونشاطات دعائه ومستجيبه إلى الخليفة العباسي المأمون
حاول أن يتقرب إلى العلويين ، عله يتمكن من الإيقاع بالإمام الذي تروج
الدعوة باسمه ، كما فعل بعلي بن موسى الرضي بن جعفر الصادق ، وقصته
مع المأمون معروفة مشهورة .

ويحدثنا التاريخ بأن الكثيرين من الدعوة قد قتلوا في هذه الفترة لاعتقاد
المأمون بأنهم من الأئمة ، أما الإمام أحمد بن عبد الله فقد غادر الديلم سراً
بزي التجار قاصداً معرة النعمان في سورية ، فأقام فيها بعض الوقت ، ثم
ارتحل عنها إلى سلمية ، حيث التف حوله نخبة من كبار الدعوة والعلماء ،
فوضع لهم الأنظمة الخاصة بترتيبات الدعوة ، وأمرهم بتأليف (رسائل اخوان
الصفاء وخلان الوفا) .

وتقول النصوص الاسماعيلية أن السبب في تأليف هذه الرسائل هو :
« أن المأمون العباسي أراد أن يظهر علم الهيئة ويجعل معرفتها الدين ، وأن
الهيئة المبدأ والمعاد ، وعلى معرفتها الحساب والثواب والعقاب ، ليرى الخلق أن
الذي جاء به محمد (ص) لا أصل له ، وأن الصحابة لما لم يتيقنوا ذلك
عملوا بعلي ما عملوا ، وإنهم في ذلك مصيبون ، وأن لا ذنب عليهم ولا
عيب ينسب إليهم في قتل ذرية النبوة قضاء بباطل من قريش ، فلما علم ولي
الحق ذلك صنف الرسائل . . »^١ .

ويذهب إدريس عماد الدين في كتاب آخر إلى القول : « . . فحين
شاع ذلك منه وظهر عنه ، وخشي الإمام عليه السلام أن يميل الناس إلى ما

١ كتاب زهر المماني للداعي المطلق إدريس عماد الدين ورقة (٦٠ - ٦١) مخطوطة في مكتبي
الخاصة .

زخرف المأمون عن شريعة جده المختار ، ويزيغوا عن سنته إلى سنة الفجار ،
فألف (رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا) وجمع فيها من العلوم والحكم
والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية ، وأبان فيها الفضائل النبوية ، ودل
على فضل نبينا محمد (ص) وعالي شرفه ، وما خصه الله من المنزلة الرفيعة به ،
وجعل ذلك مضمناً في رسائله وأوضح براهينه ودلائله ، وأبان المنهج وفتح
كل باب من الحكمة مرتج ، وذلك ما يعجز عن الإتيان بمثله كل الخلق ،
إلا من اصطفاه الله تعالى من رسله ، وأمدّه بوحيه ، أو من كان من شجرة
النبوة ، وأخذ الكتاب بقوة ، فاستخرج دقائمه ، واستثار كوائمه ، وأخذ
علمه عن آبائه الطاهرين الآخذين له عن الوصي الذي تعلم من رسول الله
(ص) ألف باب ، وانفتح له من كل باب ألف باب ، مما أنزله الروح
الأمين على قلبه ، ليكون من المنذرين . فمن نظر في هذه الرسائل الموصوفة
نظراً عقلياً ، وكان يتصفح ما فيها ملياً ، عرف أن تلك الثمرات الطيبة لا
تخرج إلا من شجرة النبوة ، وأغصان الإمامة ، ولا يكون إلا ممن خصه
الله بالتأييد والكرامة . . .^١ .

ويبدو أن الذين اشتركوا بتأليف هذه الرسائل كانوا من العلماء ، فإمامهم
عالم كبير ومؤلف ذائع الصيت ، وحجته عبد الله بن ميمون القداح كان
من أبرز علماء عصره . ولقد نلخص الإمام أحمد بن عبد الله هذه الرسائل
برسالة واحدة سماها (الرسالة الجامعة) ، واعتبرها تاج هذه الرسائل لما
تضمنته من علوم ومعارف .

وفي الفصل الذي اختتم فيه (الرسالة الجامعة) يشير إلى الرسائل والمصنفات
التي ألفها والتي لا تزال مفقودة لم يعثر عليها حتى الآن قال : « . . . بشرح

١ كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار ج ٤ ص ٣٦٧-٣٦٨ تحقيق مصطفى غالب . منشورات
دار الأندلس بيروت - لبنان .

ما في هذه الرسالة الجامعة ، وما في غيرها من الكتب التي ألقيناها إليك ، وأودعناها عندك لحياة من قبلك ، وهي المدارس الأربع ، والكتب السبعة ، والجفران ، والرسائل الخمس والعشرون ، والرسائل الاثنتان والخمسون ، والرسالة الجامعة . . . » .

ولقد أصبحت سلمية في عهد الإمام أحمد بن عبد الله قاعدة رئيسية للإسماعيلية ، ودار هجرة للأئمة المستورين ، يرسلون منها الدعاة إلى مختلف البلدان والأقاليم بعد تدريبهم لنشر الدعوة باسم الإمام المستور الذي ازداد في السر والاختفاء بعد أن ظهرت عنه الرسائل وعرفت في كافة أنحاء العالم الإسلامي بعد أن بثها الدعاة في كافة الأوساط الإسلامية .

وكان الدعاة في عهد الأئمة المستورين يخفون أسماءهم الحقيقية ويتسمون بأسماء سرية سترأ على الأئمة لتغلب الأضداد ، وقوة أهل العناد ، ولذلك وقع الالتباس في أسماء الأئمة المستورين ، وكثر النقاش حولهم ، ولكن أهل الحق ، يعلمون ما خفي عن أعين الناس .

وكان الإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (ع) لا يستقر في مكان بل كان ينتقل متخفياً تارة إلى الكوفة والديلم ، وتارة إلى سلمية ، وتارة إلى عسكر مكرم ، يظهر تارة في زي التجار ، وأخرى في زي الشيوخ والمرشدين ، يخفي رتبته وفضله فلا يعرفه إلاّ الأخيار من دعائه الحرم^١ .

وبعد أن تزوج الإمام أحمد كما أسلفنا رزق ولداً سماه الحسين ، وأمه علوية ، وهو أول أولاده ، ولما بلغ رشده زوجه ابنة عم له ، ولم يزل يرفعه في المراتب العلمية ، ويعلمه من علمه الذي تعلمه عن آبائه ، حتى إذا بلغ

١ عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين ج ٤ ص ٣٩٤ . منشورات دار الأندلس

بيروت .

سعيه ، وعرف بأنه أصبح أهلاً ليكون خليفته ، سلم الأمر إليه ، ونص بالإمامة عليه ، على مشهد من رجال دعوته . وانتقل الإمام أحمد إلى مدينة مصياف حيث توفي ودفن بأعلى قمة جبل (مشهد) وذلك سنة ٢١٢ هجرية . ولا يزال قبره فيها ويزار .

الرسالة الجامعة

تعتبر الرسالة الجامعة تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا لما تضمنته من علوم ومعارف عقلانية ، وفلسفة توحيدية ، ونظريات تأويلية باطنية ، مليئة بالرموز والإشارات ، الهادفة إلى تبيان بعض الأمور الخفية ، والحكم والأسرار الإبداعية .

ومن الطبيعي أن يكون هذا التاج مرصعاً بالجواهر النادرة ، ملئاً بالكنوز الثمينة من الدرر الغالية ، حتى إذا وقع عليه طالب نجيب ، أو مستجيب مرتاض ، أو مؤمن مخلص امتحنه الله في إيمانه ، وفنائه في الذات الأحدية ، استنارت بصيرته بشمس البرهان ، فأدرك العيان ، والتتره المطلق ، في عين الجمع والوجود ، فيظهر له الحق في ذاته ، وتتفجر له أنهار العلوم ، والمعارف ، والحكم والأسرار ، ويشرب من نهر الديمومة ، الذي يشع نوره الشعشعاني ، فيضيء وجوده الحقاني ، حيث يشعر بالسعادة القصوى ، ويرتشف من رحيق العشق الإلهي ، حتى تذوب نفسه بالنور العقلاني ، وتستمد من إمدادات القبس الرباني ، الذي يعرفه من صفت نفسه ، وذابت ذاته بالتجريد الوجداني ، والبهاء العرفاني .

وتغمر نفسه الثقة والاطمئنان ، وتلقى الإشراقات الروحية الإبداعية ، فتشعر بأنها سمت نحو الأفضل والأكل ، واجتازت المعارج والمسالك ، فاطلعت على مكنون خفيات غيبه ، ولحقت بالنفس الكلية ، وهي مرتاضة

بالعلوم العرفانية ، والتجليات الصفاتية ، تشرق في أرجائها أشعة الحقيقة ،
بحللها الكمالية الذاتية ، الناهدة إلى المثالية الأحدية .

من هذه القبسات النورانية صاغ الإمام المستور أحمد بن عبد الله المعاني
التوحيدية للرسالة الجامعة ، وجعلها دستوراً عرفانياً مثالياً لأصحاب البصائر
الناهدة في مسالكها الروحية إلى الكمال الأمثل ، والهدف الأكمل ، والإخاء
الروحي المبني على المحبة والوفاء والإخلاص ، والمساواة بين كافة الناس
في الحقوق والواجبات .

ولقد ملئت الرسالة الجامعة بالأفكار الفلسفية الإبداعية التي تنسجم مع
المطابقات العلوية والسفلية وترتيب الحدود الروحية والدينية ، التي طبقها
في المدينة الفاضلة ، مدينة الإخاء والصفاء والمحبة ، قدوة ذوي المعارج الربانية
التوحيدية ، الذين يذرعون الحكمة في النفوس التواقية إلى الخروج من حد
القوة إلى حد الفعل ، إلى حيث السعادة والخلود السرمدي .

ومن لبان هذه المنطلقات العرفانية التي حشدت في رسائل إخوان الصفا
وخلان الوفا والرسالة الجامعة رضع علماء وفلاسفة الدعوة الإسماعيلية
علومهم ، وصاغوا على أسسها عقائدهم ، فحملوا لواء فلسفة التوحيد العرفاني
في الإسلام ، وخاضوا في ضوئها أكبر صراع توحيدي عرفه الإسلام في
تاريخه القديم والحديث .

وسيلمس القارئ القيمة الفكرية للرسالة الجامعة عندما يغوص في فصولها ،
حيث تتجلى له الأفكار الرائعة والآراء القيمة ، التي تضيء على النفس آية
ناصعة من الحكم والمعارف ، والآداب الصحيحة ، التي تهز الجواهر وتصفى
العنصر .

تحقيق الرسالة الجامعة

وجدنا أثناء تنقيباتنا عن التراث الفاطمي في الهند ، والباكستان ، وإيران عام ١٩٦٨ ثلاث نسخ خطية من الرسالة الجامعة اعتمدنا على اثنتين منها : الأولى وضعها تحت تصرفنا الملا يونس الملا رحمت علي من مدينة سورت في الهند وهي في مجلدين وقد رمزنا إليها بالحرف (ب) . كتبت هذه النسخة على ورق عادي بالحبر الصيني الأسود ، وعناوين الفصول بالحبر الأحمر . المجلد الأول يحتوي على ٣٢١ صفحة ، ومقاس الصفحة ٢١ × ١٣ سم . وتشتمل كل صفحة على ١٥ سطراً ، وكل سطر على ١٠ كلمات . ويقع المجلد الثاني في ٣٧١ صفحة ، مقاس الصفحة ٢١ × ١٣ سم . وفيها ١٥ سطراً وكل سطر ٨ كلمات .

جاء في نهاية المجلد الثاني ما يلي : « قد وقع الفراغ من زبر المجلد الثاني من الرسالة الجامعة يوم الخميس الأول من شهر المحرم أول شهر من سنة ١٣٢٨ هجرية . كتبه الأقل الراجي رحمة ربه الأجل سلام حسين بن المرحوم الماجد ملا محمد علي المعروف بالبرهان بوري ثبته الله تعالى على طاعته وعلى طاعة جميع حدوده العلويين والسفليين الروحانيين والجسمانيين بحق سيدنا محمد وآله الطاهرين آمين يا رب العالمين في بلدة برهان بور للأخت الشريفة المسماة كلثوم بائي .

وبالرغم من حداثة هذه النسخة فقد جاءت قليلة الأخطاء استفدنا منها كثيراً في المطابقة والتحقيق .

أما النسخة الثانية التي رمزنا إليها بالحرف (س) فهي في مجلدين ، كتبت بخط جيد ليس فيها أخطاء تذكر ولا تقديم أو تأخير ، وجدناها عند أحد الدعاة في برهان بور في الهند فأعارنا إياها مشكوراً بشرط أن لا نأتي

على ذكر اسمه عملاً بنظام التقية .

المجلد الأول من هذه النسخة يشتمل على ٤٢٠ صفحة ، مقاس الصفحة

١٩ × ١١ سم . وفي كل صفحة ١٥ سطراً وفي كل سطر ٧ كلمات .

جاء في نهاية المجلد الأول بأنه وقع الفراغ من زبره سنة ١٢٣٨ هجرية

كتبه الأقل أمين بن علي الكاتيباوارى وطناً الكادكاروي مسكناً ثبته الله على

طاعته وطاعة جميع حدوده العلويين والسفليين الروحانيين والجسمانيين بحق

سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين آمين يارب العالمين . أما المجلد الثاني فتبلغ

عدد صفحاته ٣٨٧ صفحة ، قياس الصفحة ٢١ × ١٤ سم . وفي كل صفحة

١٥ سطراً ، وفي كل سطر ٧ كلمات . جاء في نهايتها أنه انتهى من نسخها

سنة ١٢٣٧ هجرية كتبها أمين بن علي الكاتيباوارى ثبته الله على طاعته وعلى

طاعة جميع حدوده .

ومن الطبيعي أن نعتمد بالإضافة إلى هاتين النسختين على النسخة التي

نسبت للمجريطي وقد رمزنا إليها بالحرف (ص) لنبين مقدار الاختلاف

بين هذه النسخ . مع العلم بأننا لاحظنا وجود أخطاء ورموز وإشارات كثيرة

في النسخة (ص) فأشرنا إليها في الهامش .

وفي نهاية المطاف نقدم جزيل الشكر والامتنان للسادة الذين تكرموا علينا

بالنسخ التي أشرنا إليها ، قدرنا الله على رد المعروف بمثله والله من وراء القصد .

مصطفى غالب

بيروت في ٢٦ - ١٠ - ١٩٧٣

[١] [النصف الأول من الرسالة الجامعة ذات الفوائد النافعة لمولانا صاحب الرسائل ، ومجمع الفضائل ، الإمام أحمد المستور عليه صلوات الله الغفور] ^١ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق فسوًى . والذي قدرَ فهدى ؛ والذي أخرج المرعى . فجعله غثاءً أحوى . سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى . ونيسرُكَ لليسرى . فذكر إن نفعت الذكري . سيذكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى . الذي يصلى النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحى . قد أفلح من تذكى . وذكر اسمَ ربه فصلّى . بل تؤثرونَ الحياةَ الدنيا . والآخرةُ خيرٌ وأبقى . إنَّ هذا لفي الصحفِ الأولى . صحف إبراهيم وموسى ^٢ . الحمد لله على ما أولى ^٣ من نعمه وأسدى ، ولا إله إلا هو رب الآخرة والأولى . الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ^٤ .

١ سقطت الكلمات المحصورة من النسخة من .

٢ سورة ٨٧ : ٢ - ١٩ .

٣ أولى : أولانا في س .

٤ سورة ٧ : ٤٢ .

اعلم أيها الأخ البار [٢] الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه ، وأعاننا وإياك على طاعته ^١ ، وجنبنا وإياك وجميع إخواننا معصيته ، وفتح قلوبنا ، وشرح للذكرى صدورنا بنوره ، ورزقنا التوفيق للإجابة إليه ، والاتكال عليه ، إنه ولي إجابة المحسنين بفضلته ورأفته وجوده ومنّه ، إنا قدمنا إليك من أنوار الحكم ، ولطائف النعم ، وفواكه النفوس ، ورياحين العقول ، ونزهة الأرواح ، وزينة الملا الأعلى ، ومكنون العلم ومخزون الحكم ، مقدمات ذوات فضائل جمة ، تجمع [عدة أبواب] ^٢ يفتح من كل باب منها أبواب كثيرة ^٣ ، هي أبواب الجنان ذوات الروح والريحان جمعت ألفاظ التنزيل ^٤ ، ومحكمات معاني التأويل ، مما تلقته الانبياء والمرسلون من الملائكة الحفظة المقربين ، ونقلته الأئمة المهديون والخلفاء الراشدون إلى المؤمنين العارفين ، المستبصرين بنور اليقين ، فبدؤه منها ما خطه القلم العظيم في اللوح الكريم ، وقرأه من ألهمه [الله] ^٥ سبحانه قرأته ^٥ وعلمه محكم آياته من الملائكة العالين الذين هم حملة العرش المقربون المسبحون ، وأمرهم بإلقائه إلى من دونهم من الملائكة الذين هم بهم لاحقون ، حتى وصل إلى من اصطفاه الله من عالمه السفلي وخلقته البشري فكان أولهم الذي هو بدء الحلقة الجسمانية [وأول الفطرة الإنسانية] ^٦ آدم الأول فقال الله سبحانه ، ولا إله إلاّ هو ، إعلاماً منه للملائكة وسكان

١ وإياك على طاعته : وإياك وجميع إخواننا على طاعته في ص .

٢ عدة أبواب : أبواباً عدة في ص .

٣ كثيرة : سقطت في ص .

٤ ألفاظ التنزيل : لآلي التنزيل في ص .

٥ الله سبحانه قرأته : سقطت في ص .

٦ وأول الفطرة الإنسانية : والفطرة الآدمية في ص .

سماواته : ﴿إني جاعلٌ في الأرضِ خَلِيفَةً﴾^١ وأعلمهم بما يكون منه ، وأمرهم بالسجود له ، فاعترضوا ثم تابوا وأنابوا ، وكان اعتراضهم خطأ بغير عمد ولا إصرار ، وسجدوا له بلا استكبار ، ونزه الله سبحانه من الملائكة عن السجود لآدم ، الذين هم العالون المقربون وهم الأشباح النورانية [الربانية الزاكية]^٢ اللاهوتية المشرقة بنور الجلالة ، وأصحاب المقامات الربانية الذين جعلهم الله أهلاً لعالمه العلوي ، وسكان ملكوته [٤] السماوي ، بمنزلة الملوك والرؤساء في عالمه الجسماني وملكه الأرضي ، فظن إبليس وكذب ظنه ، وقاس فأخطأ قياسه ، إنه من الملائكة العالين ، فعند ذلك قال الله سبحانه له يعلمه أن الأمر بخلاف ظنه ، وأن قياسه خطأ ﴿استكبرتَ أم كنتَ مِنّ العالين﴾^٣ فأخرجه الله من جملة الذين ظن أنه منهم ، وتوهم أن منزلته منزلتهم .

وقد قدمنا إليك أيدك الله تعالى من القول ما فيه ذكرى لمن تذكر وعبرة لمن اعتبر ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾^٤ . ﴿وما يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^٥ . وشرطنا في كتبنا المحكمة ورسائلنا المتقنة أنه يجب على الناظر فيها ان يبدأ بأولها [مرتقياً فيها إلى آخرها]^٦ وجعلناها سلباً للنجاة . وكترأ للعفاة . وهي بمنزلة السبب الذي هو متصل بالعالم الأعلى ، ومؤدّ إلى النجاة في الآخرة والأولى . فكان

١ سورة ٢ : ٣٠ .

٢ الربانية الزاكية : سقطت في ص .

٣ سورة ٣٨ : ٧٥ .

٤ سورة ١١ : ١١٥ .

٥ سورة ٤١ : ٣٥ .

٦ مرتقياً فيها إلى آخرها : فيستوفى فيها إلى آخرها في ص .

أول ما ألقيناه إليك وشرحنا ذلك وبيّناه في رسالة [٥] جعلناها مقدمة ومدخلاً إلى علم العدد ، وهي الأرتماطيتي ، وذكرنا فيها كميته وماهيته وكيفيته وخواصه . وقلنا في فهرست الرسائل وثبت أسمائها إن الغرض والمراد^١ من هذه الرسالة رياضة المتعلمين للفلسفة ، المؤثرين للحكمة ، الناظرين في حقائق الأشياء ، الباحثين عن علل الموجودات بأسرها . وفيها بيان أن صور العدد في النفوس مطابقة لصور الموجودات في الهيولى ، وهي النموذج من العالم الأعلى ، وبمعرفته يتدرج المرتاض إلى سائر الرياضيات والطبيعات وما فوق الطبيعات وإن علم العدد هو جذر العلوم ، وعنصر الحكمة ، ومبدأ المعارف وأسطقس المعاني ، والإكسير الأول ، والكيمياء الأكبر . وهذا الموضع يا أخي هو أصل القول ومعمد الكلام في الرسالة كلها من أولها إلى آخرها .

فصل

[في بيان ذلك]^٢ . وذلك أن الإكسير هو الكيمياء ، والكيمياء هو الغنى ، [٦] والغنى هو السعادة ، والسعادة هي البقاء على أفضل الأحوال ، والبقاء على أفضل الأحوال هو التشبه بالإله . ولذلك جاء^٣ في بعض الكتب أن الله سبحانه قال : « يا ابن آدم خلقتك للبقاء وأنا حي لا أموت . أطعني فيما أمرتك ، وانه عما نهيتك ، أجعلك مثلي حياً لا تموت أبداً » . ولما كان الباري سبحانه هو الباقي^٤ بمعنى خالق البقاء ، والدائم

١ المراد : المقصود في ص .

٢ في بيان ذلك : سقطت في ص .

٣ جاء : سقطت في ب .

٤ الباقي : الباقي لذاته في ص .

بمعنى خالق الدوام ، وجب أن تكون أفعاله متقنة وصنائه محكمة . والإحكام والإتقان هو أن يبقى المخلوق على أفضل الأحوال ، وكان في موجب الحكمة انه لا يوصل إلى ذلك الفضل العظيم والحظ الجسيم والمقام الكريم الذي هو البقاء والدوام على أفضل الأحوال إلا بعد بلوغ المخلوق إلى أجل الأعمال وأعظم الأحوال ، ولما كان هذا العلم يوجب البقاء والدوام لمن علمه وعمل به ، تركنا ذكره بالتصريح لهذا الموضع في هذه الرسالة التي جعلنا لها ما بين [٧] يديها مما قدمناه من الرسائل الشريفة والكتب الطريفة مقدمات وأبواباً تهدي إليها وتدل عليها ، وان كنا لم نخل كتاباً من الكتب ولا رسالة من الرسائل من علم عظيم ومعنى كريم . وجعلناها مقدمات^١ يقوم عندها من أهل العلم طبقات يأخذ كل أحد^٢ منها بحظه وقسطه . وهذه الرسالة أيها الأخ الفاضل [أيديك الله]^٣ يجب لك وعليك أن تصونها الصيانة فإنها أمانة مؤداة إليك وأنت المطالب بحفظها وصيانتها إلا عن أهلها . وأنا آخذ عليك فيها عهد الله المأخوذ على أول مبدع أبدعه ، وجعله أصلاً لخلقه بما أفاض عليه من جوده ، وجعله محراباً يصلى فيه إليه ويتوكل المخلوقون عليه ، ووجهه الذي لا يبلى ولا يبيد ، وهو الحد الذي لا يحول ولا يزول ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^٤ وكان العهد الذي عهده إليه اطلاعه له على ما أطلعه عليه من علمه المكنون ، وسره المخزون ، [٨] علم ما كان وما يكون ، من خلقه إياه من نوره وجلاله الذي لا يطلق عليه صفة تبدو بآلة الحدث ، إذ كان المحدث لا يصف

١ مقدمات : مقامات في ص .

٢ أحد : سقطت في ص .

٣ أيديك الله : أدام الله تأييدك في ص .

٤ الحد : الجديد في ص .

٥ سورة ٢٨ : ٨٨ .

إلا مثله ، والباري جل جلاله منزّه عن صفات الواصفين من الروحانيين
والجسمانيين ، وإنما يقال ما يقال من ذلك ليقرب من أفهام المخلوقين ،
ويتقرر وجوده في عقول الجسمانيين بأنه واحد لا ثاني له ، [ولا كفو
له في الشبه والمثال]^١ . وذلك أن الواحد لا يتوهم متوهم أن قبله شيئاً
من العدد تقدمه ، إذ هو أول موجود فاض منه الجود ، وكان الموجود
الذي لم يتقدمه وجود شيء الواحد ، وفاض منه الثاني . فهذا الذي هو
بمنزلة واحد العدد هو الإبداع الأول ، والآخر بإثبات الألف هو المبدع
سبحانه ، إذ كانت الألف متقدمة^٢ الحروف ، وثبتت الألف في الأحد
مرتين بصورتين مختلفتين ، فالأولى^٣ مفردة بذاتها ، والثانية مخالفة لصورة
[٩] الأولى ، لأنها ألف منعطف بعضها على بعض ، فالألف الأولى
من الأحد هي الأحدية ، والألف الثانية هي الواحدية ، فواحديته في
أحديته ، ولا حدّ له يوصف به ولا يشار إليه إشارة^٤ أيّية ، فهو الأحد
وأول [مبدع أبدعه هو الواحد]^٥ المنبعثة منه الآحاد ، ومبدأ^٦ أصل ينبوع
يتابع الأزواج والأفراد .

ولما كان الإكسير الأول والكيمياء الأفضل هو أن صفته^٧ وجلالته
أن يكون منه مبدأ كل كثرة ، وهو قليل المثل وفيه أصل الكثرة مكمّنة

١ ولا كفو له في الشبه والمثال : كفو في الشبه والمثال في ص .

٢ متقدمة : مقدمة في ب .

٣ فالأول : والأولة في ب .

٤ إشارة : سقطت في ص .

٥ مبدع أبدعه هو الواحد : وأول من أبدعه الواحد في ص .

٦ ومبدأ : سقطت في ص .

٧ صفته : موضعه في ب .

بالقوة ، ولذلك قيل له كيمياء ، لأن الكمية^١ مكمنة فيه ، ومبدأها منه . وهو أصل السعادة ، ومنه يكون الافادة وتضاعف الاعداد ومبدأ الآحاد . والكيمياء هو دواء شريف وجوهر لطيف قيل إنه ينقل الاشياء المعدنية من أدونها إلى أجلها واعلاها وأكملها ، كما قيل إنه ينقل الأسرب الذي هو أقل المعادن قيمة وأزراها منظراً واسمجها مخبراً ، وأقلها ثمناً [١٠] وقدرأ ، إلى أفضل الغايات وأتم النهايات . وهو الذهب الذي هو أشرف المعادن كلها وأكملها وأعظمها وأفضلها ، ومنه ما قيل^٢ انه ينقل البلور إلى الياقوت ، والياقوت من الأحجار الجوهريية الصافية الشفافة ، ولذلك ضرب به المثل في أصل الحلقة وأول الفطرة ، وقيل له الإكسير والكيمياء الأفضل .

فصل

والعهد الذي نأخذه عليك أيها الأخ الفاضل البار الرحيم هو العهد الذي أخذه الواحد المنبعث من الأحاد ، الفرد الصمد ، المنزه عن الوالد والولد ، لا إله إلا هو ، على ثانيه ، المنبعث عنه المتبكر بالثلاثة المفردة ، وكذلك حتى ينتهي إلى حدّ التسعة التي هي نهاية الآحاد . وفي هذا العهد الكريم قد ألقينا إليك معرفة العلم الذي من أجله يستوجب من علمه وعمله به البقاء الدائم ، والسعادة في الحياة إلى الأبد في الدنيا والآخرة . فافهمه ، وكن به سعيداً ، [١١] ولا تلقه إلا إلى أهله . [وأولي العمل]^٣ والزهد

١ الكمية : الكثرة في ص .

٢ ما قيل : سقطت في ص .

٣ وأولي العمل : والعمل به سقطت في ص .

في الدنيا . إذ كانت معرفة الله سبحانه أجل العلوم ، والزهد في الدنيا^١
رأس الأعمال ، وهو التقوى ، وإلا سلبك الله العلم والحكمة ، وجعلك
في العالم مثله . وأنت من ابدائه وبذله لأهل العلم [وكشفه لهم]^٢ والطلابين
له ، والباذلين فيه سعيهم واجتهادهم وصالح اعمالهم ، الراغبين في
الدار الآخرة ونعيمها ، الزاهدين في الدنيا وأحكامها في حل وفي سعة .
إذ كنا إنما بسطنا هذا الكتاب ليهدي الله به من يشاء من عباده ، وكنا
نحن بمنزلة من سهل طريقاً وعرة ، وأزال منها الشوك والصخر والحجارة ،
وسهل حزونها ، ثم جعل فيها احواضاً وآباراً ، وملاًها ماءً حلواً طيباً
لذيذاً ، وغرس فيها أشجاراً ذات فواكه لذيذة ، وروائح طيبة ، وجعل
على رأس كل فرسخ منها بستاناً ، فيه مواضع للراحة ومتكآت للاستراحة ،
وخدماً وغلماناً وجواري حساناً لمن نزل به ، فيزول عنه [١٢] ما وجده
من ألم السير وصعوبة وعك السفر ، فيريح ويستريح ، ويقوم للمشي
إلى الفرسخ^٣ الذي بين يديه بنفس طيبة ساكنة . فهو يمر في كل يوم
في طريقه بمنزل هنيء ، وماء روي^٤ ، وفاكهة طيبة ، وزهرة حسنة .
وكلما تمادى به السير وجدَّ به السعي قدم على منزل هو أحسن من الأوّل
وأبهى وأكمل ، فلا يزال كذلك حتى يقطع^٥ في سفره ، ويمر في مسيره
بائنين وخمسين فرسخاً على رأس كل فرسخ منها بستان ، وكلها مختلفة
الألوان والأزهار ، مفضنة الفواكه والأشجار ، ثم ينتهي حينئذٍ إلى المنزل

١ الدنيا : الدين في ب .

٢ وكشفه لهم : سقطت في ص .

٣ إلى الفرسخ : الفرسخ الآخر في ص .

٤ روي : مريء في ص .

٥ يقطع : يقع في ب .

الأكرم ، ويتهي بسيره ويطمئن به المكان فلا طريق بعده إلا الارتقاء إلى ملكوت السماء ، والدخول في زمرة الملايكة^١ ، والخلود في الجنان ومجاورة الرحمن ذي الجلال والإكرام ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^٢ .

بلغك الله أيها الأخ منازل الأبرار المصطفين الأخيار من عباده المؤمنين الصالحين ، [١٣] فخذ هذا العهد الشريف^٣ على من القيت هذه الرسالة إليه ، ومننت بها عليه ، ومره بأخذه على من بهم بإلقائها إليه . كذلك السلف على الخلف ، والأول على الثاني ، حتى تصل إلى من أراد الله . ويظهر عليها من يشاء من عباده . ولربما وقعت في يد غير أهلها ، فيغلق الله قلبه ويجعله ضيقاً حرجاً ، فلا يفهم معناها ولا يدري ما هي فتكون حجة عليه يدحض الله بها باطله يوم القيامة . ولربما كفر واضعها وسب طالبها [وظن أنها كلام فارغ] ؛ ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^٤ وان الله سبحانه أكرم وأشرف من أن يسوق الماء الطيب النازل من السماء إلى الأرض الزكية ليخرج به الزرع والشجر من النخيل والأعناب ﴿صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتَفْضُلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾^٥ وانما يقع الماء على السباخ اليابسة ، والصخور القاسية ، والبحار المالحة [١٤] لسعة رحمته وفضل جوده ، وكرمه وعدله ، إذ كان لا يحبس خيره عن جميع خلقه ،

١ الامع : الأعلى في ص .

٢ سورة ٥٧ : ٢١ .

٣ الشريف : سقطت في ص .

٤ وظن أنها كلام فارغ : سقطت في ص .

٥ سورة ٢ : ١٦٧ .

٦ سورة ١٣ : ٤ .

قبله من قبله ودفعه من دفعه . وكذلك لما بعث أنبياءه ورسله [الذين بعثهم]^١ بالهدى إلى العالم كله مبشرين ومنذرين قبلهم من قبلهم ممن فهم وعقل ، وضل^٢ عن تذكّارهم من ضل^٣ وجهل ، [وهذا مكان العدل تابع]^٤ للقول في التوحيد بالبرهان الشافي الكافي ، بالمختصر من القول والوجيز من الكلام ليسهل حفظه ويقرب مأخذه ، وكانت هذه الرسالة كمثل البحر^٥ الذي هو مكان للجواهر النفيسة والفوائد اللطيفة ، فخذ الزينة الحسنة الشريفة ، واخلع لباس أهل النار ، وزل عن مكان الأشرار فقد آن لك أن تدخل باب حطته ساجداً ، وتحط اثقال السفر^٦ فلا تكون متعباً أبداً إذا وصلت إلى المنهل الروي الذي هو سدرة المنتهى والملا الأعلى ، وقل كما قال عباد الله الصالحون [١٥] وأولياؤه المؤمنون : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾^٧ .

فصل

[في الإبداع الأول والقول بأن علم العدد فيض العقل على النفس]^٨ .

١ الذين بعثهم : بعثهم في ص .

٢ وضل : وصل في ص .

٣ ضل : ظن في ص .

٤ وهذا مكان العدل تابع : فبدأ ما كان من العدل نافع في ص .

٥ البحر : الحق في ص .

٦ أضاف بحقق النسخة ص وصعوبته ووعكته إلى الأصل وهي غير موجودة في الأصل وفي النسخة ب .

٧ سورة ٣٥ : ٣٤ ، ٣٥ .

٨ جاءت الكلمات المحصورة في ص هكذا : في القول على الإبداع الأول وإن علم العدد هو أول فيض العقل على النفس .

الحمد لله مبدع الوجود ، الذي لم يكن من قبله موجود يقبل منه فيض الجود ، فسبحان من موجوده قابل لجوده مقرر بوجوده معترف بتوحيده . فهو موجد الموجود ، ومفيض الجود على الموجود ، مبدأ كل موجود يقبل فيض الجود ، مرتب الحد الذي هو مرتب الحدود ، وكل حد ينتهي إلى حد له محدود وأجل معدود ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾^١ . والحمد لله جاعل أول ما أبدعه عرشه المحيط ، وثانيه كرسيه الذي وسع السموات والأرض ، فعرشه^٢ هو القلم الجاري بأمره ، فخط في اللوح الكريم سطور المشيئة ، [١٦] وأحرف الإرادة ، وقول الحق ، ووعد الصدق ، وكلمات التمام ، والأسماء العظام . ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^٣ وعلمه الاسماء كلها .

فصل

[في نعت الله خلق الصورة الإنسانية وانه خليفة الله في أرضه]^٤ . اعلم [أيها الأخ]^٥ أيدك الله وإيانا بروح منه ان البارئ عز اسمه لما خلق هذا العالم على هذه الهيئة الشريفة والبنية العجيبة ، وجعل صورة الإنسان خليفته في أرضه لتدبير خلقه في العالم السفلي ليصير عند نقلته زينة للعالم العلوي ، وجعل نفسه علامة بالقوة فعالة بالطبع ، ولم يخله

١ سورة ٣٧ : ١٦٤ - ١٦٦ .

٢ فعرشه : سقطت في ص .

٣ سورة ٢ : ٣٧ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ أيها الأخ : يا أخي في ص .

من الفوائد العقلية والتأييدات الإلهية ، ليتوصل بذلك إلى معرفة جميع ما في هذا العالم . وكان من الفضل الذي جاد به عليه والإحسان الذي أسداه إليه ما أفاضه العقل على النفس أولاً من الفكر في الإقرار بالمبدع الحق الأول ، ومعرفة [١٧] العقل الذي هو أصل لها وآب^١ ، وأنه ليس هو المستحق للعبادة المحضة وإن له خالقاً ومبدعاً ، وكان هذا من العقل اقراراً بخالقه ومبدعه ، وتعريفاً لمن هو دونه أنه لا يعرف إلا هو ، [ان ليس هو إلا هو]^٢ فعند ذلك شهد الله أنه لا إله إلا هو . وقال : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٣ يعني الملائكة الذين هم عالم العقل وعالم النفس بشهادة عامة من كلا الفريقين : الأول فالأول والأفضل فالأفضل . وكملت الوجدانية لله بمحض العبودية وخالص الألوهية للبارئ سبحانه ، وكان الواحد مشيراً بوجوده إلى موجوده ، وبما أفاضه من الجود على من دونه مشيراً إلى إفاضة الجود عليه من الذي جوده لا يغني المتصل به على الدوام ، المؤيد له بآثار الحكمة الإلهية . ولذلك قيل أن في المعلول توجد آثار العلة ، كذلك توجد في النفوس آثار العقل . ومبدع العقل جل جلاله [١٨] قد تقدم القول بأنه ليس بموصوف بآلة الحدث ، ولا منفي عنه وجود فيض الجود . فوجوده وجود جوده ، وإثباته وجود موجوده . فكان علم العدد تأييداً من العقل للنفس ، وكان أول جود فاض من العقل على النفس فلذلك صارت مركزة^٤ في قوة النفس الجزئية

١ راب : سقطت في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص وأورد المحقق مكانها ما يلي : قوله شهد الله شهادة

العقل لبارئه إنه لا إله إلا هو .

٣ سورة ٤٣ : ٨٦ .

٤ صارت مركزة : صار مركزاً في ب .

معرفته : وكانت معرفتها به متقدمة بالقوة ، وتعلمها اياه بالفعل^١ كمثل رجل سلك في طريق مع أبيه في أيام صباه ، وطال عليه العهد ففسي معالم تلك الطريق ومنازلها وقربها وبعدها ، إلا انها مصورة في نفسه بالتخيل بغير تحقيق . فلما ذكر بها ذكرها وقاده بعضها إلى بعض . وكذلك العدد ، علم أوله يؤدي إلى ثانيه ، وثانيه إلى ثالثه ، وكذلك إلى ما بعده ، حتى ينتهي إلى ما يقف عنده العاد عند استنفاد قوته ، ويحتاج إلى التعليم بما يتفرع منه ويتركب عنه ، فلذلك صار^٢ مبدأ المعارف وأول [١٩] العلوم ، وبه [يسهل طريق التعلم]^٣ على المتعلمين . ولذلك قال الحكماء الفيشاغوريون إن صور الأشياء مطابقة لصور العدد ، وان الأشياء كلها تركبت بحسب طبيعة العدد . وقد ذكرنا ذلك في رسالة المبادئ العقلية^٤ على رأي ، الفيشاغوريين . وقد بيناه في هذا الموضع بالبرهان الصادق والقضية العادلة . إن معرفة التوحيد^٥ هو العلم الحق والقول الصادق ، وان علم العدد هو لسان ينطق بالتوحيد والتثنية ، وينفي التعطيل والتشبيه ، ويرد على من أنكر الوجدانية وقال بالثنوية^٦ ، وذلك ان العدد متى بطل منه الواحد فسد نظامه وتعطلت أقسامه كذلك من أنكر الواحد الحق فلا ثبات له في حال من الأحوال ، ولا عمل من الأعمال ، ولا يكون شيئاً مذكوراً ، وكان سواء هو والعدم ، إذ كانت حقيقة الوجود هي الإشارة إلى الواحد

١ بالفعل : سقطت في ص .

٢ صار : كان في ص .

٣ يسهل طريق التعلم : تسهل طرق التعاليم في ص .

٤ العقلية : سقطت في ص .

٥ التوحيد : سقطت في ص .

٦ الثنوية : الثنوية في ص وهذا خطأ من المحقق حيث أبدل الثنوية أي الذين يقولون بالاثنتين ، بالثنوية .

والثاني يتلوه ، كذلك سائر [٢٠] الأشياء من البسائط الروحانية والمركبات الجسمانية . والذي يقول باثنين من الثنوية ، فالبرهان الصادق والقضية العادلة يوجب أن لفظة الواحد متقدمة على لفظة الاثنين ، فصار السبق بالواحد أليق ، ولما تقدم أحد الاثنين على صاحبه حاز فضيلة السبق ، وتأخر الثاني عن الكون في موضعه باللفظ . فصح بذلك التوحيد وفضل الواحد ، وأما من قال إن الثلاثة واحد^١ فمحال أن يكون ذلك بالبرهان الصادق ، إذ كان حد^٢ انتهاء القول في آخر حد الواحد ، ثم الابتداء بالاثنين والقول بالثلاثة بعد الاثنين يوجب الثنوية^٣ والانفصال ، والشيء الواحد المحض لا يتجزأ ، ومتى تجزأ صارت له أقسام ، ومتى تقسم الشيء صارت له أسماء عدة وصفات مختلفة ، والبارئ سبحانه يحل عن ذلك [جلالاً] يفوق عن وصف الواصفين سبحانه وتعالى [٢١] عما يصفون]^٤ وأما الواحد الموصوف بالجلالة والنعظمة المشار إليه بالوجود ، وأنه مبدأ كل موجود يقبل فيض الجود ، وإليه ينتهي الحدود ، فهو العقل الأول ، ومبدعه يحل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين . وإنما يقال هو لا إله إلا هو إيماناً وتسليماً .

فهذا القول إثبات التوحيد. ولذلك صار الأصل المعتمد عليه في كل شريعة ودين . وذلك أن العقل نفى عن ذاته الالهوية واثبتها لمبدعه . فقال : لا إله إلا هو ، فوحد مبدعه ، فهو عقل بمعنى اثبات الوحدة المحضة وذلك لاتصال التأييد به متواتراً لا يفتر ولا ينقطع بل متصلاً دائماً أبداً .

١ واحد : إله واحد في ص .

٢ حد : سقطت في ص .

٣ الثنوية : البينونة في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

ولذلك قال : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يُنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^١ فالبرهان صار علم العدد أصل العلوم ومبدأ المعارف ، وهو العلم^٢ الذي نتيجه صادقة وقضيته عادلة . وهو بمنزلة الحاكم الأعظم الذي يجتمع إليه الفقهاء في المسائل ، [٢٢] إذا وقعت عليهم عند العضلات والعظام ، فيرجعون إلى قضيته ، ولا يعدلون عن محجته ، فهو صراط مستقيم ، وبناء عظيم ، وعلم واضح ، وصبح لائح ، وقول صادق ، ولسان بالحق ناطق ، فلذلك جعلناه مفتاح العلوم ، وقدمناه على سائرها ، وختمنا بذكره آخرها .

فصل^٣

في تقدم وجود العدد على جميع العلوم كتقدم العقل على جميع الأشياء .

وكما أن الأشياء موجودة في العقل بالقوة ، كذلك سائر العلوم موجودة في علم العدد ، وصورته مطابقة لصورة الموجودات ، فكمال الحالين له ، وهو صورة البسائط بالقوة وصورة التراكيب بالفعل ، فأما كونه صورة البسائط بالقوة^٤ ، فالقول بالالفاظ المؤلفة من الحروف ووضع كل مرتبة منه في مكانه بالقول في النفس^٥ غير محتاج إلى مكان بالحس ، ولا معرفة باللمس ، لتصوره في النفس . وأما كونه صورة المركبات المحسوسة

١ سورة ١٦ : ٩٦ .

٢ العلم : سقطت في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

٤ بالقوة : سقطت في ص .

٥ في النفس : سقطت في ص .

والأشياء المركبة [٢٣] الموضوع في الأمكنة ، الكائنة في الأزمنة ، المشار إليها بالأسماء التي هي الواحد والاثنان ، والثلاثة ، والأربعة ، والخمسة ، والستة ، والسبعة ، والثمانية ، والتسعة ، والعشرة ، وما زاد بالغاً ما بلغ ، فهو بالقوة مصور في نفس العاد ، وهو بالفعل صورة المعدود ، وتكون صورة العدد في نفس العاد ، كمثل النقش في الهيولى ، فتكون النفس هيولى لصورة العدد فيها ، فيكون حينئذٍ اللطف^١ منها بمنزلة الريح ، وتكون هي بمنزلة الجسد . فلذلك قلنا ان علم العدد من الإفاضات العقلية ، والتأييدات الإلهية ، وانه القائد للنفس إلى معرفة التوحيد ، والإقرار بالمبدع الأول سبحانه ، ولذلك صارت العلوم تابعة له ، وهو أصل لها كلها ، وهي فروع له ، وهو القول الذي تفرعت منه المقولات ، وشجرة اليقين ، ومبدأ الشرع والدين ، والذي عليه بنيت الصلوات ، وبه عرفت العبادات ، وبه يعرف الزمان ، وما يمضي من [٢٤] أدوار الكواكب والأفلاك^٢ ، وما يحدث من حوادث الأيام ، فهو هلال العارفين ، ومصباح المتفلسفين ، فهو مبدأ كل مقال ، وإليه مآل كل حال ، أوله مطابق لآخره ، وآخره متصل بأوله ، فأوله الواحد الذي لا مخلوق موجود قبله ، وآخره متصل^٣ بالواحد الذي لا شيء بعده . كذلك الواحد القديم الأزلي^٤ لا بداية [له فيه فيوصف]^٥ بها ، ولا نهاية له فيعرف بها ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ

١ اللطف : سقطت في ص .

٢ الأفلاك : سقطت في ص .

٣ متصل : سقطت في ص .

٤ الأزلي : سقطت في ص .

٥ له فيه فيوصف : له فتوصف في ص .

عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

فصل

[في معرفة شكر المنعم بالعلم]^٢ .

اعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، إنا قد ألقينا إليك في هذا الكتاب ما فيه ذكرى وهدى وموعظة للمتقين ، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَنْهَمُ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنْهَمُ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^٣ فخذ ما آتيناك من رحمة الله سبحانه التي تفضل بها علينا ، وكن من الشاكرين وقل رب زدني علماً وإنا لقائلون ، [٢٥] وما أوتينا من العلم إلا قليلاً ، وفوق كل ذي علم عليم .

فصل

في معرفة العقل الغريزي .

قال الحكيم : العقل الغريزي هو الذي لا يخلو منه كل إنسان ، ويجده كل أحد في طباعه بغير واسطة [ولا بالتعليم والتعلم لا يجده إلا بتوسطه]^٤ لأنهما يختصان بالنوع الثاني من العلم^٥ الذي [هو تبين الشيء

١ سورة ٣٧ : ١٨٠ - ١٨٢ أضاف المحقق ف للآية .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سورة ٢ : ٤٦ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ العلم : العقل في ص .

بتوسطه^١ فأما المدرك [أولاً بالعقل]^٢ فلا يحتاج فيه إلى تعليم ولا تعلم ، ولا يسمى علماً على الحقيقة بل هو مبدأ العلم وسبب التعليم ، وهو القوة الموجودة في النفس سابقة لجميع العلوم بأول الوهلة وأول نظر يقع من الإنسان بأول جنس يراه من سائر الأجناس والأشياء المركبة ، إذا رأى واحداً لا يرى^٣ في نفسه زيادة عليه ، ولا نقصاناً^٤ فيضطره إلى الإيماء إليه بالوحدة بالقوة الموجودة في ذاته . فإذا لحق به آخر مثله ، أو مخالف له في الصورة ، فإن صورة الثاني تابعة لصورة الأول الواحد، فترتبت في النفس دون صورة الواحد [٢٦] السابق ، إذ كان الواحد قد شغل من النفس وبها صار له مكاناً ، وكذلك الآحاد ترتبت في النفس على توالي بعضها بعضاً وما زاد بالغاً ما بلغ . وجميع العلوم تكون مغيبة عن المتعلم في نفس العالم حتى يديها ويلقيها في طريق العدد ، فعند ذلك يتصور في نفس المتعلم فيكون ذلك سبباً للتعليم ، والعلم المستفاد المكتسب من طريق التعليم والتعلم ، قد يسمى المعارف والعلوم . والمعارف المشهور عن الكافة من [هذا العلم ، أن العلم المستفاد ينقسم قسمين]^٥ : أحدهما نظري يستنبطه الإنسان بإجالة فكره ، وأعمال رويته ، وتقدمته مقدمات من المعارف الحسية والبداية العقلية الغريزية ، حتى يخرج من القوة إلى الفعل ، ومن الخفاء إلى الظهور ، ومن العدم إلى الوجود ، بحركة النفس

١ هو تبين الشيء بتوسطه : شيء يدرك بتوسط في ص .

٢ أولاً بالعقل : بالعقل الأول في ص .

٣ لا يرى : لا يجد في ص .

٤ نقصاناً : سقطت في ص .

٥ أبدل المحقق هذه الجملة في (ص) كونه على ما يبدو لم يفهم المقصود منها فوضع مكانها ما

يلي : إن العلم هو المستفاد . وهذا العلم ينقسم قسمين : وبذلك أضاع المعنى المقصود بها .

النادقة ، كعلم العدد والهندسة والهيئة والتأليف وغير ذلك^١ . وأما القسم الآخر الخبري فهو ما [٢٧] يستفيده الإنسان بقراءة الكتب^٢ ، ورواية الأخبار ونقل الرجال عن الرجال ، فما كان منه حقاً وصدقه البرهان كان علماً ، وما كان لا يقبله العقل ولا يصدقه البرهان كان كذباً ، وخرج عن حد العلم ، وهو الافتعال والتزوير ، والإنخبار عن الشيء بغير ما هو به . وهذا العلم الخبري ، أما يكون خبراً قد وقع تحت الحس والعيان في وقت من الأوقات وزمان^٣ من الأزمان إلا أنه الآن غائب عن الحواس لنأي مكانه ، أو لتقدم^٤ زمانه كأخبار القرون التي خلت والأدوار التي مضت ، والأكوار التي انقضت أو ما لم يقع تحت الحواس كالأخبار التي يخبر بكونها في المستقبل ، ومجيئها في المستقبل ، وخروجها عن مجاري عادات الناس . وهذا هو الذي أتت به الأنبياء عليهم السلام ، ما كان منه بقضية صادقة مرتباً في موضعه وكائناً في مكانه ، ومعلوماً في زمانه ، تؤيده شواهد الامتحان وتحققه قضايا البرهان ، وهو [٢٨] ما تضمنته الكتب [النبوية ، والأوامر السماوية]^٥ ، ونطقت به التأييدات العلوية من أخبار ابتداء الخلق ، وبدء النشوء وتأليف المركبات ، وخلق الأمهات ، وإبداع الباري سبحانه عالم العلو والسفل ، واختراع ما فيهما من أصناف الخلق ، من أنواع البرية ، ومن الجواهر الروحانية والجسمانية ، وكيفية فنائها ووصف الحشر والنشر والمعاد ، والجزاء

١ وغير ذلك : وغيرها في ص .

٢ الكتب : سقطت في ص .

٣ وزمان : سقطت في ص .

٤ لتقدم : تقدم في ب .

٥ النبوية والأوامر السماوية : السماوية في ص .

من الثواب والعقاب والنعيم والعذاب^١ ، فهذه وأمثالها خارجة عن اعتبار البشر بمشاهدتها بالحواس ، واستنباطها بطريق القياس . والعلم بها من طريق التصديق لقول الأنبياء صلوات الله عليهم ، الذين لا شك في صدقهم مع ما أتوا به من البراهين الباهرة ، والآيات الزاهرة ، والمعجزات الخارجة عن وسع البشرية ، وكافة الإنسانية ، [ولما كان هذا خارجاً عن وسع البشرية وطاقة الإنسانية]^٢ دعا ذلك الدهرية [٢٩] وأصحاب الطوائع إلى الانكار والجحود والخروج عن طاعة الأنبياء والمرسلين . والرد عليهم يا أخي فقد تركنا ذكره ، وذخرناه لهذا الموضع الجليل قدره ، لما قدمناه من الشرط أن إثبات القول بالبراهين القاطعة يكون موجوداً في هذه الرسالة الجامعة .

فصل

ولما كان علم العدد موجوداً في قوة النفس ، وإن كانت صورته البسيطة معدومة باللمس ، فإن المخبر بأن الواحد يتلوه الثاني ، والثاني يتلوه الثالث ، وهكذا ما يأتي من مراتب الأعداد يتلو بعضها بعضاً حتى تكون مئين وألوفاً وألوف ألوف ، حتى تنتهي قوة العاد ، ويفنى الكلام ، ويخرج عن الوسع والطاقة ، فلا يجوز لمن أخبر بهذا أن ينكره أو يجحده ولا يكذب القائل به ، لأنه إذا تصوره بقوة نفسه ، وجده في قوة النفس كوجوده إياه في الحس . فلذلك وجب التصديق [٣٠] بقول المخبرين من الأنبياء والمرسلين (ص) ، بما كان من بدء الخلق ، وكونه بعد أن لم يكن ، وانبعث الأشياء بعضها من بعض ، وحدث ثانيها عن أولها ،

١ العذاب : الكتاب في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

واختراع الباري سبحانه لها ، وخلقه إياها وترتيبه [إياها في] ^١ مراتبها ،
 ووضعها لها في مواضعها ومقاماتها ^٢ ، فإذا وزن الإنسان العاقل بهذا الميزان
 الذي هو الموضوع بالقسط ، ما يأتيه من الأخبار الكائنة ، والحاضرة
 والغائبة بالمكان ، والمتقدمة بالزمان ، والمستقبل في الكيان ، عرف صحتها ،
 واتضح له محجتها ، وقويت عنده حجتها ، فعرف صدق الصادقين ^٣ .
 وأما معرفة كذب الكاذبين ^٤ ، فهو كقول من يقول إن مرتبة الثاني فوق
 مرتبة الأول ، وإن الواحد مرتب تحت مرتبة الاثنين ، وكذلك الثلاثة ،
 وإن أجزاء التسعة تنعكس ، فتكون على غير ما هي عليه ، وإن من
 الأشياء ما لا يحتاج إلى العدد فعند ذلك يقع [٣١] حجة ^٥ الإنكار لقوله ،
 والدفع لما أتى به لخروجه عن محجة الحق ، وتعطيل ما اتفق عليه في العقل
 بالصدق . وهذا يا أخي موضع يتبين لك به قول القائلين ، وتعرف به
 صدق الصادقين ، وكذب الكاذبين ، فكن به ضئيلاً وعليه قوياً أميناً ،
 [والحمد لله رب العالمين] ^٦ .

فصل

[في البيان عن العلم النظري] ^٧ .
 وقد ذكرنا من العلم الخبري ما ذكرنا ، فلنرجع إلى العلوم النظرية ،

١ إياها في : سقطت في ص .

٢ مقاماتها : مقاماته في ص .

٣ الصادقين : الصادق في ص .

٤ الكاذبين : الكاذب في ص .

٥ حجة : سقطت في ص .

٦ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٧ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فنقول : قد قسم العلماء العلم النظري أيضاً قسمين : على علم الألفاظ ، وعلى علم المعاني^١ إلا أن هذه القسمة داخلة في القسمة الأولى والإمكان . فأما علم الألفاظ ، فقد أكثر العلماء والقدماء [من الحكماء]^٢ تصنيفها ، وطولوا في شرحها ، وبالغوا في معانيها إلى غاية الاستقصاء ودقيق النظر . فأما علم المعاني التي هي موضوعة للسياسات ، النبوية والتكليفات الشرعية ، فهي علوم الملة والقول على ظواهرها ، وقد صنف قوم من الفقهاء ، [٣٢] وجلة من العلماء بها ، والقائمين بأمرها ، والعاملين بظواهرها ، كتباً كثيرة مستغنية بشهرتها عن ذكرها . واتفقوا في أشياء كثيرة منها ووقع الخلاف^٣ بينهم في ذلك .

فصل^٤

وعلم الحكمة هو الاخبار بأسرار الكتب النبوية والإشارات الإلهية ، والرموزات الحكيمة ، المكمنة^٥ في الأمور الظاهرة ، وقد صنف فيها العلماء الإلهيون كتباً فتحوا بعض أبوابها للطالبيين ، وسهلوا الطريق للقاصدين إليها ، والراغبين فيها . [وأما العلوم الحكيمة المتقنة ، التي هي موضوعات حقائق موجبات الحكمة]^٦ الإلهية التي تكلم بها ، واعتمد عليها الحكماء الإلهيون ، فإننا نريد أن نذكر منها في هذه الرسالة طرفاً من معانيها على

١ المعاني : المعاني في ب .

٢ من الحكماء : سقطت في ص .

٣ الخلاف : الخلف في ب .

٤ فصل : سقطت في ص .

٥ المكمنة : سقطت في ص .

٦ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

طريق الإشارة ، بأوضح دلالة^١ وعبارة ، مما تقدم القول به في رسائلنا المؤلفة ، وكتبنا المصنفة^٢ ، لما قدمنا فيها من الشرط لهذه الرسالة أنها مفتاح ما انغلق، وفتح ما [٣٣] رتق، [وأكملنا لك ما لا بد لك منه]^٣ ولعلمنا بأنك لا بد لك من علمه ، ولا غنى لك عنه ، ولا يسعك جهله ، وينبغي لك علمه ، [بما أفدناه]^٤ من علم الحكماء ، والجللة من العلماء ، بقدر وسعنا وبلوغ جهلنا وما أقدرنا الله سبحانه بفضله عليه ، واوصلنا بحميل السعي والتوفيق منه إليه ، فألقينا إليك النصيحة ، وإلى اخواننا الكرام ، أيدك الله وإياهم وإيانا ، وأرشدنا إلى السعادة الدائمة بمنه وجوده^٥ ، واعلم أنا لا نحيط بكلية العلوم إحاطة الكل إذ كان ذلك صفة من له الخلق والأمر [تعالى الله علواً كبيراً]^٦ .

فصل

[في كثرة افتتان العلم]^٧ .

اعلم يا أخي أن العلوم كثيرة ، والأقاويل مفسنة ، كثيرة الأوصاف ، مختلفة الأوضاع ، ولكل أمة من الأمم ، وطبقات البشر ، خاصية نوع من الأعمال ينفردون بها دون غيرهم بحسب طباعهم ، وترب بقاعهم ،

١ دلالة : سقطت في ص .

٢ المصنفة : المؤلفة في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ بما أفدناه : سقطت في ص .

٥ وجوده : وكرمه في ص .

٦ تعالى الله علواً كبيراً : لا إله إلا هو في ص .

٧ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وأهوية بلادهم ، ومزاج أغذيتهم ، [٣٤] وتركيب أجسادهم ^١ ، [بموجبات
احكام مواليدهم] ^٢ والدليل على ذلك ، بالبرهان الصادق ، انه لما كانت
كل تربة لا تخرج من النبات إلا ما في طبيعتها إخراجها ، وكل شجرة لا
تثمر إلا ما ركبت عليه وقادها طبيعتها إلى إبرازها ، ما بين مر وحلو ،
وضار ونافع ، من حار مفرط في حره وييسه ، وبارد مفرط في برودته
ورطوبته ، ومعتدل بين ذلك مزاجه ، متساوية أقسامه ، ولما صارت
البقاع أمكنة للبشر والنبات والشجر ، وما تبرزه من الحب والثمر أغذية
لأبدان الحيوان والإنسان ، وجب أن تكون طبائعهم مماثلة لطبائع أمكتهم
ومادة أغذيتهم . فهذا بالبرهان قول صادق وقضية عادلة مستقيمة .
فإن قال قائل ، وجد موضع الاعتراض من هذا القول لجهله بمعرفته .
فإذا كان ذلك كذلك ، فمن ظهر منه الخير ، فلا محمود عليه ، ولا
ممدوح به ، ومن ظهر منه الشر ، فغير معاقب عليه ، ولا مذموم [٣٥]
بفعله ؛ فليعلم هذا القائل أن الخير والشر الموجبين للحمد والذم يختصان بطبع
النفس لا بطبع الجسم ، وإن المعلم والمرشد والمنبه لكل أمة من الأمم
لا يكون إلا منهم ، ولا يدعوهم إلا بلسانهم ، ولا يأمرهم إلا بقدر
ما في وسعهم وطاقتهم ؛ وذلك من عدل الباري سبحانه ، لا إله إلا
هو ، الرؤوف بخلقته ، فجعل لكل قوم هادياً منهم [وقال عز من قائل] ^٣ :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ^٤ . ولما كان من طبائع
العجم ما هو موجود في جبلتهم ، مركز في خلقتهم كالحتراس من البرد ،

١ أجسادهم : أجسامهم في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ وقال عز من قائل : فقال تعالى في ص .

٤ سورة ١٤ : ٤ .

والتوقي له لما يجدونه من ألمه ، وسوء عاقبته ، لبرد بلادهم ، وما اعتادوه من الدثار ، والغطاء ، والوطاء ، وأكل الحار^١ ، مثل الثوم والفلفل والعسل ؛ صاروا غير ممنوعين من استعمال ذلك في الحجاز ، إذا حجوا إلى البيت الحرام ، ولا مأمورين بإزالة ذلك ، وكشف أبدانهم ، والخروج عما اعتادوه وألفوه من لباسهم وطعامهم وشرابهم ، [وأن يكونوا] [٣٦] مثل أهل الحجاز فيما هم عليه]^٢ من زيهم لشدة حر بلد^٣ هؤلاء . فلا يقال إن مخالفة أهل خراسان لأهل الحجاز في اللبس^٤ والمطعم والمشرب ، إذا قضوا ما يجب عليهم [من فرض الحج]^٥ ، شر يوجب لهم الدم والخروج من الدين بسببه ، ولا خير يوجب لهم الحمد في مثل ذلك ، إذ كان هذا وأمثاله مركزاً في جبلتهم^٦ ، وعلى هذا المثال وجب أن يكون كل رسول بلسان قومه ؛ وإن كان بخلاف لسانهم ، وفي بلد دون بلادهم فإنه لا يتولى تأديبهم وتهذيبهم وتعليمهم إلا بقوم منهم يدعونهم إليه ويدلونهم عليه ، كما قال الله : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^٧ لطفاً بهم ، ولئلا يحملهم ما ليس في وسعهم ، وما يخرجهم عما هم مجبولون عليه ، في طباعهم فيجدوا الحجة إلى إنكاره

١ الحار : الحرارة في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ب وجاء مكانها ما يلي : ويكونون كذلك عند أهل الحجاز بخلاف ما هم عليه .

٣ بلد : سقطت في ص .

٤ اللبس : اللبس في ص .

٥ من فرض الحج : سقطت في ب .

٦ جبلتهم : طباعهم في ص .

٧ سورة ٩ : ١٢٢ .

وتكذيبه، ولا يفهمون، عندما يقولون، فتكون لهم الحجة، ويكونون معذورين في دفعه وإنكاره. فقد خرجنا [٣٧] بهذا البرهان من اعتراض من عساه أن يعترض بما ذكرناه، فإن قال قائل أن المحروري الطباع الذين تكون الحرارة غالبية على طباعهم بحسب تربة بلادهم واهويتهم وأغذيتهم، فإنهم، إلى تصور العلوم أسرع، وإلى قبول الحق أسبق، وذلك موجود، لأننا رأينا أهل الحجاز أسرع قبولاً لما جاء به الرسول من غيرهم من الأمم، وعلى هذا المثال فإن الباردي الطباع يكونون على أكثر الأمر أقل رغبة في العلم، ولا يكادون يبلغون منه ما يبلغه غيرهم من أهل البلدان الذين يكون الغالب عليهم الحرارة والاعتدال. فليعلم هذا القائل إنه إذا اتفق أن يكون الزمان قد أوجب [كون العالم] ^١ والعالم قد تهيأ لقبول الفوائد الإلهية، فإن الحكمة الربانية والعناية العلوية توجب السعادة لأهل ذلك الزمان، بكون ذلك الرسول في ذلك الوقت، فيأخذ كل بحظه، وكل ينال قسطه من فضل الله ورحمته، و [٣٨] ينبث العلم في كل الأمم من المعلمين ^٢ والمتعلمين. وليس إذا أقر ^٣ الإنسان بظاهر الدين، واجتهد بوسعه وطاقته فيما بلغه وناله، ووقف عما وصل إليه غيره، يخرج من جملة أهل الشريعة ويذم. وإنما يقع الذم بمن يقدر على السعي، ويقصر عنه، ويرى المعلم الرشيد فلا يتبعه، ويصرف قوله إلى غير ذلك من التماذي في الباطل، والعكوف على الأكل والشرب واللهو، فهذا هو المذموم من جهة النفس، والمحمود من ذلك ما كان ^٤ بالضد مما

١ كون العالم : سقطت في ص .

٢ من المعلمين : سقطت في ب .

٣ أقر : أخذ في ص .

٤ ما كان : سقطت في ص .

ذكرناه . فبالبرهان الصادق قد زال هذا القول ، عن هذا^١ الاعتراض .
فإن قال قائل : أن الزمان لا يوجب ذلك ، والعالم لا يتهياً لقبول السعادة ،
فليعلم هذا القائل أنه ممن قد أنكر الرسالة ، وتعدى الواجب ، وخرج
من جملة أهل العلم ، فلا جواب له إلا السكوت والانفصال منه والتنحي
عن مكان هو فيه ، والتواري عنه بغيره ، فإنه عدو لله ولرسوله وأنبيائه .
ويا عجباً [٣٩] أن يكون ذلك موجوداً في نبات الأرض من الزرع والشجر
وأن يكون متهاً لقبول المطر في الوقت الموجب نزوله عليه ووصوله
إليه ، ويكون معدوماً في العالم الناطق القابل للحياة .

فصل

^١ وأما ما هم عليه من الاختلاف في الصنائع والأعمال بحسب اختلاف
أهويتهم وبقاعهم ، مثل أهل أرمينية وغيرهم يعملون الصوف ويبدعون
في عمله ونقشه^٢ وصبغه وألوانه ، ويتخذون منه الغطاء والوطاء والفرش
والدثار ، ولا يعدلون عن عمله ، [ونقشه وصبغه وألوانه]^٣ ولا يبطلون
اتخاذهم ، وإنهم لا يحسنون عمل الشرب والديقي من الكتان ، فليس
ذلك شيئاً يوجب لهم الذم على ترك عمله والاستعمال له ، ولا الذين
يعملون الشرب^٤ والديقي من الكتان ولا يحسنون الصوف ، يذمون
على ذلك وينسبون إلى العجز والتقصير ، ولكن تحمل صناعة [٤٠] هؤلاء

١ عن هذا : وانفصلنا عن هذا في ص .

٢ ونقشه : ونقشه في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ الشرب : الشوب في ب .

وينتفع بعضهم بصناعة بعضهم ، [ويحمل ما عند هؤلاء فيكون بذلك]^١
سبب عمارة الدنيا ، وصلاح أهلها ودوام حالها [كوضع المرجان واللؤلؤ
حتى يذهب طالب اللؤلؤ بالمرجان إلى مكان اللؤلؤ وطالب المرجان باللؤلؤ
إلى مكان المرجان ، كذلك سائر الأشياء الموجودة في مكان دون مكان ،
فهذه الحركة لصلاح أحوال البشر فقد بان بالبرهان بأن وجود الشيء
بمكان دون مكان حكمة جليلة ، ومنفعة عامة ، وصلاح الكل ، ذلك
تقدير العزيز العليم فبالبرهان قد بان الدليل]^٢ واتضح بأد الواجب في
الحكمة اختلاف الترب ، والأهوية ، والأغذية ، والصنائع ، والحرف
وما شاكل ذلك ، وأن اختلافها فيه الحكمة العظيمة والنعمة الجسيمة ،
والبصالح الكلي ، والنفع العام . وإنما ينسب العجز ويقع الذم بمن يعجز
عن عمل ما هو عارف به من [٤١] الأعمال ، ومعتاد له من الأفعال ، ويعدل
عنه إلى غيره مما ليس هو من طبعه ، ولو كان العالم كله [بنوع واحد
لا اختلاف فيه]^٣ مستغنياً عن الحركة والانبعاث من مكان إلى مكان لطلب
الفائدة ، لوجب أن يكون مخالفاً للأصل الذي بدأ منه ، لأن الحركة مبدأ
الكون . ولما كانت النفس متحركة بالشوق إلى العقل وجب أن يكون
الفلك المحيط متحركاً بإدارة ما دونه من الأفلاك ، فلذلك وجب أن يكون
العالم متحركاً واختلاف الأشياء ، ووجود بعضها في مكان دون مكان^٤ ،
وجبت الحركة لنقل ذلك الشيء من مكان هو به إلى مكان هو معدوم
فيه ، وكان في ذلك صلاح عام ونفع شامل بموجب الحكمة ، وكانت

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سقطت الأسطر المحصورة في ص .

٣ بنوع واحد لا اختلاف فيه : نوعاً واحداً .

٤ مكان : آخر في ص .

الفوائد بالعالم متصلة غير منقطعة . وان في مضي المسافر من بلاد المغرب بالمرجان إلى بلاد المشرق منفعة لمن يغوص في قعور البحار ، يستخرج اللؤلؤ ، ولو كان اللؤلؤ [٤٢] بموضع المرجان لم يذهب طالب اللؤلؤ بالمرجان إلى مكان اللؤلؤ . وكذلك سائر الأشياء الموجودة في مكان دون مكان . فبهذه الحركة صلحت أحوال البشر .

فقد بان بالبرهان أن في وجود الشيء في مكان دون مكان حكمة جليلة ، ومنفعة جسيمة^١ عامة ، وصالحاً كلياً^٢ . ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^٣ .

فصل

[في بيان ذلك]^٤ والنتيجة الصادقة من هذه المقدمات التي تجب للعالم إذا أخبره المخبر بالشيء الغائب عنه ، أن يعلم هل هو صادق أم كاذب ، كقول القائل إنه يوجد اللؤلؤ في مغاص المرجان وفي موضعه يتكون^٥ ، وإن المرجان يوجد في صدف اللؤلؤ ، فبالبرهان قد بان كذبه وبطلان قوله ، لا يخفى إلا على من لا يعرف اللؤلؤ والمرجان ولا موضعهما ، ولا يدري كيف كونهما ، فإنه يقول صدقت ويتعجب من قوله . فلذلك صار الجاهل يقر بالكذب و [٤٣] يصدقه ، وذلك أنه ينتقش في طبعه ، فإذا جاءه العالم المبين له بالبرهان الصادق فقال : إن هذا الاعتقاد الذي قد

١ جسيمة : سقطت في ص .

٢ كلياً : سقطت في ب .

٣ سورة ٦ : ٩٦ .

٤ في بيان ذلك : سقطت في ص .

٥ يتكون : يكون في ص .

نشأت عليه ، واستندت إليه ، ليس بحق ولا بقول صدق ، لأن المرجان لا يكون بحيث يكون اللؤلؤ ، ولا اللؤلؤ بحيث يكون المرجان ، وإن بين مكانيهما مسافة بعيدة ، إلا أن كونهما جميعاً في البحر ، فإن الجاهل يقرب عليه التصديق بكونهما معاً في موضع واحد ، ويبعد عليه تصديق الحق لبعد ما بين مكانيهما ، ويكون مثله في ذلك كمثل من أنكر النشأة الآخرة ، والخروج من القبور يوم القيامة ، ونشور الأشخاص البالية ، وإعادتها إلى حالتها الأولى ، وينكر بدء خلق آدم من التراب ، ويقر بكون العالم الإنساني^٢ ووجوده بعد أن لم يكن من ماء مهين في رحم مظلم ، وذلك [لما قدر هذا وألفه]^٣ وطال نظره إليه وسماعه به ، [و [٤٤] مشاهدته له]^٤ فهذا حكم حال الجاهل يحملون على القدرة ما يسهل مأخذه عليهم . وذلك إنهم يقولون أن [قدرة الله]^٥ تحول الحجر ذهباً ، [والخشب فضة]^٦ ، ولا يتفكرون في أن كون الذهب من لا شيء ، ووجوده بعد العدم [المظهر من كون الحجر ذهب والخشب فضة]^٧ ويهون عليهم نسبة ما هو أسهل وأقرب إلى القدرة ، ودفع ما هو أعجب وأصعب ، فخطأهم في ذلك من حيث يظنون أنهم مصيبون ، وكذلك حالهم في جميع العلوم ، وهم كالأنعام كما قال الله تعالى جل ذكره : ﴿ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ لأن من شأن العالم إذا

١ خلق : خلقة في ب .

٢ الإنساني : سقطت في ص .

٣ لما قدر هذا وألفه : لما قد عهده وألفه في ص .

٤ ومشاهدته له : سقطت في ص .

٥ قدرة الله : القدرة في ص .

٦ والخشب فضة : سقطت في ص .

٧ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وصف بالدون من علمه ألا يعبأ بمن وصفه بذلك ، وأهمل ذكر العظيم من علمه ، لأنه لا يعرفه حق معرفته مثل من وصف رجلاً حكيماً انه يعرف دواء أقرب العلل العارضة ، فحمده وفخمه بذلك ، وأثنى عليه ، وأطنب في ذكره ، وأهمل أنه يعرف دواء العلل المزمنة التي قد [٤٥] طال بها الزمان ، وهو لا يعلم ذلك منه . فإن ذلك الحكيم لا يعتد ذلك القول من ذلك القائل فضيلة ، ولا يحمده عليه ، ولا يبالي بذلك قاله أو سكت عنه . فلذلك قال الله سبحانه في صفة الجاهل : ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾^١ ولم يقل سبحانه ذلك فيهم إلا بعدما اعلّموا فلم يعلموا ، وعلموا فلم يتعلموا ، فكانوا أشر من البهائم ، لأن من البهائم من يقبل التعليم ، وينقاد للعمل كما لا خفاء به . فالبرهان الصادق قد صح أن الجاهل من عالم الإنسان دون مرتبة الحيوان الغير الناطق إذا أنف من التعليم ، وتكبر على المعلم ، ولزم ما قد اعتاده من عادة السوء والطبع الرديء والوقوف على اعتقاد الكذب [والقول الكاذب]^٢ وقد نصب قبلة ومحراباً ، فهو معتكف عليه ومشغول به ، قد لهج بذكر القضاء والقدر وهو لا يعرف ما القضاء والقدر [٤٦] .

فصل

[في معرفة القضاء والقدر :]^٣ فإن قال قائل وما القضاء والقدر اللذان جهل هذا المتخلف^٤ عن معرفتهما ، وحاد عن محجتهما ، وما

١ سورة ٢٥ : ٤٤ .

٢ والقول الكاذب : سقطت في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ المتخلف : القائل في ص .

معنى هذين الاسمين ؟ فليعلم هذا القائل أن القدر هو تقدير الباري سبحانه الأشياء على الصورة التي هي بها ، أشياء^١ خارجة من العدم إلى الوجود ، مرتبة في أماكنها ، لا يعدو بعضها بعضا ، منتظمة انتظام الحكمة على صحة التأليف ، ونظام التركيب لا يسبق بعضها بعضاً ، فالأول لا يكون متأخراً ، والمتأخر لا يكون أولاً ، فقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^٢ والقدر هو وضع الشيء في موضعه اللائق به ، وكونه في مكان يحس كونه فيه . والقضاء هو ما أوجب في الحكمة من العناية بالالم من تكليف الاستطاعة الموجودة فيهم . ومن ذلك قوله : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^٣ لأن ذلك جعله في قواهم^٤ وفطرهم عليه ، [وكان تكليفهم لعباده [٤٧] ما سواه من خلقه أشد وأعظم لأنه ليس في طباعهم]^٥ ولذلك عذبهم لما عدلوا عما في طباعهم ، وما هو مجبول^٦ في أصل فطرته إلى تكليف ما ليس في طباعهم ، ولذلك وجب الحد على من عدل عما هيء له إلى تكليف عالم مهيا له ، ومن ذلك برجم الزاني^٧ إذا زنى لأن الشهوة التي ينالها من امرأة غيره وحليلة سواه قد كان ينالها ممن عنده ، ويستغني عن الخروج في ظلمة الليل ، وتسلق الحيطان ، والهتكة والفضيحة ، ثم الرجم بعد ذلك ، والموت الذي هو أشد الأشياء ، وخسارة الدنيا والآخرة ، فقد بان بهذا البرهان أن القضاء هو ما قضاه

١ أشياء : سقطت في ص .

٢ سورة ٥٤ : ٤٩ .

٣ سورة ١٧ : ٢٣ .

٤ قواهم : قلوبهم في ص .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٦ مجبول : مجبول في ص .

٧ الزاني : المحصن في ص .

الله في سابق علمه لأنه لا يكلف خلقه إلا ما يجعله في وسعهم وطاقاتهم فقال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^١ فمتى تكلفوا في غير ما في طباعهم عما نهاهم عنه عذبهم ، لأنهم قد خرجوا من قضائه وحكمه ، وعدلوا عن وصيته فقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ [٤٨] إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^٢ فلما عبدوه رضي عنهم بما جعله فيهم إذ كان هو الجاعل ذلك فيهم ، وهو الخير الكلي والجود العلوي ، والخير الكلي^٣ لا يصنع إلا الخير ، ولا يجود المعروف بالجود إلا بالجود ، وهو القضاء الحق . فلما عبدوا غيره خرجوا من قضائه ، فعذبهم ليردهم إلى خيره ، فوعدهم ومناهم بلزوم طاعته ، وأنها توصلهم إلى جنته ، وتجذبهم إلى دار كرامته ، وإن الخروج من قضائه هو معصيته ، وبه يستوجبون سخطه وعقوبته ، وكان المثل في ذلك كمثل رجل اتخذ مكاناً نزهاً في رأس جبل جعل في أعلى قمته بستاناً حسناً ، فيه أشجار مثمرة ، وأزهار نيرة ، وفواكه طيبة ، وماء طيب ، وجواري ، وغلمان ، وأطيار حسنة ، وجمع فيه أنواع الطيبات ومجامع اللذات ، وأسفل ذلك الجبل هاوية مظلمة ، ووحوش مفترسة ، ومياه كدرة ، وغيلان وحشة ، ثم قضى أنه يسكن ذلك الموضع [٤٩] الطيب المرفوع^٥ النير قوم من عبيده وخاصته ، ولأنهم ما داموا فيه [طائعين لأمره]^٦ كان أصلح لهم وأطيب لعيشهم ، وأدوم لسلامتهم ، فإن أحداً منهم إن خالف أمره وارتكب نهيهِ وسام نعمته ،

١ سورة ٢ : ٢٨٦ .

٢ سورة ١٧ : ٢٣ .

٣ الكلي : سقطت في ص .

٤ حان : سقطت في ص .

٥ المرفوع : سقطت في ص .

٦ طائعين لأمره : سقطت في ص .

وبطراً^١ رحمته ، هوى في ذلك الموضع الوعر باختبار منه ، أليس واجب في الحكمة أن يدعه في مكانه ، ويزيده من هوانه ، كذلك من أثر عبادة الأصنام والأوثان والنيران على عبادة الرحمان ، وخالف الأنبياء والمرسلين ، وأطاع الشياطين ، أليس من فعل ذلك قد خرج من قضاء الله سبحانه وصار في قضاء نفسه ، وآثر شهواته ، فكان مستوجباً للعقوبة من ربه .

فبالبرهان الصادق قد بان ما القضاء والقدر ، والرد على أهل الجبر^٢ القائلين بأن أصل الشر من صاحب الخير ، وأنه يريد أن يكون الشر شراً كما أراد أن يكون الخير خيراً ، فيقال لهم : فبأيهما بدأ ، وإلى أيهما دعا ، وعن أيهما نهي ؟ فلا بد لهم أن يقولوا بالخير ، فإن قالوا ذلك [٥٠] فقد أوجبوا له أنه غير مرید الشر ، لإهماله الدعاء إليه والحث عليه ، فبالبرهان الصادق بطل قولهم واندحضت حججهم . فإن قالت الثنوية : ان الخير والشر فعلا متضادان غير متفقين وان لهما خالقين متضادين ، غير متفقين ، فليعلم هؤلاء المتخلفون عن اتباع الحق بالبرهان الصادق إن فاعل الخير خير كله وإن فاعل الشر شر كله ، وان من الخير إبطال الشر . وان الشرير ربما ينتقل طبعه ويكون خيراً متناهِياً في الخيرية حتى لا يبقى للشر أثر عنده البتة ، وينتقل [طبعه عنه]^٣ ، وأيضاً فإن الخير يدعو إلى البقاء ، والشر يدعو إلى الفناء ، ولما كان البقاء من صفات الأزل القديم ، والفناء من صفات العدم المتلاشي وجب أن يكون صاحب البقاء رب صاحب الفناء ، ومتقدم^٤ الوجود عليه فوجبت له الوجدانية ،

١ ويطرد في ب .

٢ الجبر : الخير في ب .

٣ طبعه عنه : طباعه في ب .

٤ متقدم : مقدم في ب .

وزالت الثنوية ، وصار الثاني تابعاً له ^١ ولذلك قيل إن الشر لا أصل له في الإبداع من جهة [٥١] المبدع سبحانه ، وإن القضاء والقدر ليسا بشر ، وإن المخلوق ليس معاناً على فعل الشر .

فصل

في أن الشر لا أصل له في الإبداع الأول ^٢ من جهة المبدع الحق سبحانه : فإن قال قائل فإذا لم يكن للشر أصل في الإبداع فمن أين كان وكيف يكون ولم كان ؟ فليعلم هذا القائل أن الخير الكلي والحدود المحض أفاضه الباري سبحانه على العقل بجوده فكان له السبق والتمام ، والكمال ، والتقدم بالوجود على الأشياء ، ثم كانت النفس مُنبِعثَة منه تالية له فكان ما بينهما من التفاضل مرتبة منحة بالنفس عن اللوح بالعقل ونقصاناً ^٣ عن درجته فقصرت عن الكمال ، فصار ذلك التقصير عجزاً ، فحدث عن ذلك العجز نقص عن البلوغ إلى الفضل الكلي ، ثم حدثت الطبيعة عن النفس ، [وكانت النفس] ^٤ أفضل منها لكونها أصلاً لها فكان ما بينهما من التفاضل عجزاً هو أكثر عن عجز النفس عن بلوغ درجة العقل ومرتبته ، ثم كانت الأشياء من [٥٢] المركبات بحدوث بعضها من بعض ، لها وجود التفاضل ، وبوجود التفاضل وجود العجز وبوجود العجز وجود النقص وبوجود النقص معرفة التفاضل والمفضول فعند ذلك عطف العقل على النفس

١ ورد في النسخة ص ما يلي (والواحد متقدم الوجود على الثاني ، والثاني تابع له) .

٢ الأول : سقطت في ص .

٣ ونقصاناً : وناقصة في ب .

٤ وكانت النفس : سقطت في ب .

بغيراته وفضائله ليرقيها^١ إليه ، ويبلغها إلى درجته ، [ويزيل عنها النقص ويرفعها إلى درجة الكمال]^٢ ولم يرض لها بالتخلف عن البلوغ إلى درجته ، واللاحق بمنزلته ، لأنه ليس من شأنه الحسد ، ولا الكبر ، وإن أحب الأشياء إليه كونها مثله لأنه خير كله ، وعطفت النفس عند ذلك على الطبيعة ، [وعطفت طبيعته على المولدات منها]^٣ وعطفت الأشياء كلها بعضها على بعض ، فالفاضل أبداً إنما يجتهد ليرقي المفضول إلى درجته ويبلغه منزلته ، دائماً في ذلك مجتهداً فيه ، [فقد بان]^٤ بالبرهان وصح أن الشر لا أصل له في الإبداع ، وسمي عجز الأشياء ، لحدوث بعضها من بعض شراً بمعنى التخلف عن اللّحوق بالخير [٥٣] الأفضل المتقدم عليه ، فمتى غفل المفضول عن اللّحوق بدرجة الفاضل ، ورضي لنفسه بالمكان الخسيس الرذل فهو الشر المحض البعيد عن الخير وهو النّحس البعيد من السعد ، فإذا العالم إذا قبل الفيض والجود ، وارتقى إلى الفاضل^٥ صار خيراً كله ، وسعداً كله ، فزال الشر ، وعاد الخلق إلى أوله فصار خيراً كله ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِنْدَ عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾^٦ .

١ ليرقيها : ليرفعها في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ فقد بان : سقطت في ص .

٥ الفاضل : العقل في ص .

٦ سورة ٢١ : ١٠٤ .

فصل

[في البيان عن الغرض في إدارة الأفلاك وما يليها]^١ : واعلم يا أخي أن الغرض الأقصى في إدارة الأفلاك وتسيير الكواكب ومجيء الأنبياء والرسل ، والحكماء ، ونزول الملائكة من السماء إلى الأنبياء بالوحي والإنباء هو أن يصير العالم خيراً كله ويزول منه العجز والنقص ، والشر ، ويعود إلى ما بدأ منه فيصير لاحقاً به ، فتم الحكمة وتكمل الحلقة ، ويرتفع عالم الكون والفساد ، ويعتق أهل النار وتبطل جهنم الدنيا ، ويصير العالم خيراً كله^٢ وسعادة كله ، وتقوم القيامة الكبرى ، ويمحق الشر وأهله ، وينقرض حزبه ويتلاشى فهذا هو الغرض الأقصى ، والمعرفة العظمى ، فاحفظ ما ألقيناه إليك من هذا العلم المصون ، [٥٤] والسر المخزون الذي لا يمسه إلا المطهرون . فإذا صح بالبرهان الصحيح أن إدارة الأفلاك وجريان العالم على ما هو به إنما الغرض فيه أن يكون العالم خيراً كله ، ونوراً كله ، سعادة كله ، وأن أصل الإبداع جود الباري سبحانه وفيضه ، فإنه عند بلوغ النفس إلى درجة العقل يكون سكونها وبطلان الحركة والبلوغ إلى النهاية ، وعند ذلك تكون الراحة الدائمة ، والطمأنينة الكاملة ، والمثل في ذلك كمثل من اشتاقت نفسه إلى منزلة ملك من ملوك البلاد فلم يزل يدقق النظر ويترفق في الظفر [ويتحرك ويسعى ويهتم به ويدب السعي]^٣

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ ويزول منه العجز والنقص ، والشر ، ويعود إلى ما بدأ منه فيصير لاحقاً به ، فتم الحكمة وتكمل الحلقة ، ويرتفع عالم الكون والفساد ، ويعتق أهل النار ، وتبطل جهنم الدنيا ، ويصير العالم خيراً كله : سقطت في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

ويتلطف في اصابة الفرصة إلى أن يرقى إلى درجة الملك ، فيوشك إذا بلغ درجة الملك وسرير الملك [أن يزول]^١ عنه ذلك السعي الذي وصل به إلى ذلك الموضع ، فيستأنف سعياً آخر هو أجل من ذلك السعي وألطف ، وهو النظر فيما يدوم به ملكه ، [٥٥] ويتسع له سلطانه ، كذلك النفس إذا بلغت إلى درجة العقل سكنت عن الحركة الطبيعية ، واستعمال الطبيعة وعادت إلى استعمال ذاتها الروحانية في عبادة بارئها سبحانه ، حتى تقوم بما يجب عليها من الشكر له ، إذ أوصلها إلى درجة الكمال . فهذا يا أخي هو معرفة حقيقة الجنة ، ومعرفة القيامة بالبرهان في هذا الوجه بغير رمز ولا إشارة ، وإنما رمزت الأنبياء في كتبهم أن الجنة هي أهلها بنوع غير ما نشاهده في هذا العالم من أنهم يأكلون ويشربون ولا يبولون ، ولا يتغوطون ، وأن فيها ما تشتهي الأنفس ، وتلد الأعين ، وهي أن النفس هي موضع اللذات الطبيعية ، وإنما صار للطبيعة اللذات ، والأنوار ، والروائح الزكية ، مما أودعتها وبما أورثتها^٢ النفس من آثارها ، وإن أصل تلك الأشياء الفاضلة كلها الموجودة في الطبيعة من الزينة واللذة الطيبة ، من إفاضة [٥٦] النفس عليها ، وأن في الطبيعة شوائب^٣ قد كدرتها لما مازجها ، واختلطت بها ، إذ كانت دونها في المرتبة ، وغير لاحقة بها في المنزلة ، فسميت تلك الشوائب الكدرة لما عطلت عن الفضائل ، ونقصت عن حسناتها وبهجتها ، وستررت بغلظها عن نورها ، سميت^٤ شراً ، لما كانت معوقة للخيرات إلى أن ترد بما هي عليه من الصفاء ،

١ أن يزول : إذا زال عنه في ب .

٢ أورثتها : سقطت في ص .

٣ شوائب : سقطت في ص .

٤ سميت : سقطت في ص .

فكان من ذلك الأشياء المضادة ، المخالفة بعضها لبعض من المحن ، والبلاء ،
والأمور العارضة المكدرة للعيش ، المنغصة للحياة مما هو موجود في عالم
الكون والفساد ، وإذا كانت هذه اللذات من الطيبات على هذه الحال
من المحبة لها والشوق إليها ، والحرص عليها ، [وهي غير معراة من
شوائب الكون] ^١ فكيف لا تشتاق إليها ، وتحرص عليها إذا صفت
وتخلصت ؟ وكيف يتوهم المتوهم الجاهل أنها موجودة على الحالة الناقصة
في المحل الناقص ، ومعدومة على الحالة الفاضلة في المكان [٥٧] الفاضل ،
فلذلك قال الله سبحانه : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ﴾ ^٢ فهذه معرفة الجنة ونعيمها ، ووصفها في هذا الوجه بالبرهان
الشافي ، والقول الكافي ، وبلوغ النفس الجزئية إلى سعادة النفس الكلية
إذا بلغت إلى درجة العقل الكلي ، واستأنفت العمل الروحاني ، وفارقت
عمل التكليف والعنف ، عند مفارقة [عالم الأجسام] ^٣ وزوال دور
الستر بظهور دور الكشف ، والخلود في الجنان ، ومجاورة الرحمان ذي
الجلال والإكرام ، والترقي في الدرجات ، والبلوغ إلى أتم السعادات .

فصل

[في تلاشي الطبيعة] ^٤ : فإن قال قائل فين لي بالبرهان أن الطبيعة
تتلاشى وتضمحل حتى تصير النفس غير محتاجة إليها ، ومستغنية عنها

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ سورة ٢٩ : ٦٤ .

٣ عالم الأجسام : الجسم في ص .

٤ في تلاشي الطبيعة : في القول على بطلان الطبيعة في ص .

غير راغبة في الكون معها ، ولا مشتاقة إلى الرجوع إليها ، [والكون معها]^١ قبل له ما يوجد في النفس من محبة البقاء ، والتفاخر في الدنيا ومرادها ، الكون على أشهر [٥٨] الأحوال ، فإن في نفس كل إنسان أنه يشتهي أن يكون موضع أمير بلده وسلطان مصره ، ورئيس أهله ، وهكذا يحب التفاضل في طلب العز ، والسلطان ، والثراء ، والشرف ، كل بحسب قوته ، وما في وسع طاقته ، حتى ربما طلب وزير الملك سرير المملكة ودبر على قتله ، وكذلك أخو الملك ، وابن عمه ، والذي وسع عليه من المال ما يعلم أنه يقدر به على الملك ، وذو الشجاعة والشاطرة والإقدام ، ويحمل نفسه على التلف كل ذلك رجاء أن يبلغ أجلّ المنازل ، وأعظم المراتب ، وهذا برهان لا يجد الخروج عنه ، إذ كانت هذه قضية موجودة يشهد بصدقها وعدلها وقسطها كل إنسان له عقل^٢ ، ولا تكون قضية لها من البيئة أكثر مما لهذه القضية ما لا تدفع ولا تنكر. فإذا بان أن النفس شوقها إلى مرتبة العقل أكثر من شوقها إلى الطبيعة ، إذ كانت معالي الأمور ، ورفيع الدرجات ، [٥٩] وأعظم المنازل بالعقل أشبه ، والردائل والنقص عن الفضائل بالطبيعة أشبه ، وأن النفس مجتهدة دائماً في طلب البقاء ، والبقاء ليس من صفات الطبيعة ، وهو من صفات العقل ، فهذا الاجتهاد وبهذا الشوق إذا وصلت إلى مرادها تخلت عن الطبيعة ، فإذا تخلت عن الطبيعة بطلت الطبيعة .

[ولما كان العقل الكلي يختص بالبقاء صار يدعو النفس ويجذبها إليه ، ويحول بينها وبين الشهوات لتحوز البقاء مثله]^٣ ، ولما كانت الطبيعة

١ والكون معها : سقطت في ص .

٢ عقل : نفس في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

تخص بالفناء والاضمحلال صارت تجذب النفس إليها ، [وتردها عن
غيها وتروق في عينيها]^١ وتحول بينها وبين معالي الأمور مخافة أن تبطل
وتضمحل إذا فارقتها وزالت عنها .

فصل^٢

[وفي بيان ذلك]^٣ فإن قال قائل : فلم وجب للطبيعة الفناء^٤ ،
وإنها لا تلحق بمنزلة النفس كما تلحق النفس بمنزلة العقل ، قيل له من
أجل إنها لاهية عن الأمور العقلية ، غير عارفة بها ، ولا مشتاقة إليها
لبعدها عنها ، ولأنها ليست هي المراد ، لأنها محنة للنفس و [٦٠] عذاب
لها ، وإنما أهبطت النفوس إليها وبليت بها لخطيئة كانت منها استوجبت
ذلك ، وموضع المحنة ، ومكان البلية لا يبقى عند خروج المذنب من
ذنبه ، كما أن السجن إذا خرج المسجون منه ، فليس كل بيت يغلق
عليه بابه هو ذلك السجن ، ولا حاجة إلى السجن بعد خروج المسجون
منه ، فلذلك وجب في الحكمة زوال الطبيعة وتلاشيها على صفة ما ، وكان
ذلك حكمة وبالبرهان ، الصحيح إذ كانت النفس متقدمة الوجود على
الطبيعة وقتاً ما ، غير محتاجة إلى الطبيعة ، فإنها إذا فارقتها رجعت إلى
حالتها الأولى التي كانت عليها قبل الخطيئة وبعد التوبة ، وبالبرهان أن
كونها على حالتها الأولى هو بنوع لا يصل إليها به الفناء ، وإن كونها
مع الطبيعة يوصل إليها الفناء ، لأنه فناء لا يذهب بوجود جوهرها ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ فصل : سقطت في ب .

٣ وفي بيان ذلك : سقطت في ص .

٤ الفناء : سقطت في ب .

بل يدخل على أشخاصها التي بليت بها وسجنت فيها ، [٦١] وإنما تخاف من ذلك ولا تأنس إلى الخروج من هذا الحبس ، لأنها مستوحشة مخافة أن تنتقل إلى ما هو أشد منه وأضيق ، وأشد بلاء ، والمثل في ذلك أن المحبوس في مكان هو فيه مطلق^١ الدين ، أحب إليه من مكان آخر يكون فيه مغلول الدين ، وإنما يطلب^٢ الموت ويسهل على العارفين [بدار السعادة]^٣ الذين قد استقاموا على طريق النجاة [الذين علموا]^٤ وتحققوا أنهم ملاقو ربهم ، فعند ذلك يتمنون الموت واللحوق بدار السعادة ، ومفارقة دار البلاء والهوان ، نجانا الله وإياك وجميع إخواننا من درك النيران وجوار الشيطان . فبالبرهان الصادق أن ذهاب الطبيعة ممكن واجب في الحكمة ، ومن قضية العدل والإنصاف أن السيد إذا رضي عن عبده المذنب أذهب عنه آلة البلاء من السلاسل والأغلال ، ولا شك أن المذنب إذا فارق مكان العذاب^٥ وآلة العقاب ، لا يشتهي الرجوع [٦٢] إلى ذلك المكان ، ولا يطبق النظر إلى تلك الآلة من القيود والأغلال والسلاسل والسياط ، وما كان يصل إليه به العقاب ، فلذلك قلنا إن النفس إذا فارقت الطبيعة لا تشتاق إليها ، ولا تريد الرجوع إلى محلها ، ويصير أحب^٦ شيء تجده فيها أبغضه إليها ، والمثل في ذلك أن العليل من الصفراء لا يشتهي أكل العسل وهو ألد ما يأكل أهل الدنيا . وأن المريض بعلة الحمى

١ مطلق : مطلق في ب .

٢ يطلب : يطيب في ص .

٣ بدار السعادة : سقطت في ب .

٤ الذين علموا : سقطت في ص .

٥ العذاب : العقاب في ب .

٦ أحب : أجل في ص .

لا يؤثر لباس الحرير الذي هو [ألد ما يلبس أهل الدنيا على الثوب الخلق]^١ لما يرجوه من العافية وزوال السقم ، وكذلك إذا تخلصت النفس من عالم الكون والفساد لا تحن إليه ولا تشتاق إلى أجل ما فيه ، مخافة أن يفوتها النعيم الذي صارت إليه ، والنعمة التي أسبغت عليها . ولذلك قيل إن فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فخذ ما [٦٣] آتيناك وكن من الشاكرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

في فضيلة العلم : ولذلك قال الحكيم إنه من كان للعلم أُلزم ، وعليه أحرص وأدوم ، عليه وفيه أرغب ، فهو إلى كمال الإنسانية أقرب ، وكذلك كل نفس كانت أعقل فعقلها يؤدي إلى حسن الاعتبار ، وجودة الاختيار ، ومجانبة الأشرار ، ومرافقة الأخيار . ومن كان إلى ذلك أميل كان في استكمال فضائله أعدل . ومن كان أعدل فهو أفضل وأكمل وأحسن وأجمل^٢ . ومن كرمته عليه نفسه علت همته فهو أبداً يسمو بها إلى معالي الأمور [ونفيس المراتب]^٣ وحيازة [فضل العلم بكمالها]^٤ والتحلي [بأشرف حلالها]^٥ ، ولم يرض لنفسه بالانحطاط إلى أسفل سافلين . فإذا علت همته وزكت نفسه استوجب أن يشار إليه بالعقل ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ وضع في النسخة ص عنوان (فصل) هنا ، وهو غير موجود ببقية النسخ .

٣ ونفيس المراتب : سقطت في ص .

٤ فضل العلم بكمالها : سقطت في ص .

٥ بأشرف حلالها : بأشرف حلالها في ص .

ويقال فلان عاقل ، فإذن بالبرهان أن معالي الأمور ونفيس المراتب بالعقل أليق ، وإليه ينسب ، [٦٤] وإذا كان الرجل وضيع الهمة ، ساقط النفس ، قانعاً بالحمول ، متحملاً للذل ، راضياً بالهوان ، قانعاً بالأكل والشرب ، منهمكاً في الشهوات الدنيئة ، مجانباً لأهل العلم ، موافقاً لأهل الشر والفسق والفجور ، فهو بالجهل يوصف ، وإلى الشر وأهله ينسب ، وبه يعرف .

فإذن بالبرهان^١ أن الشر لا أصل له في الإبداع ، وأنه زائل منقطع ، وأن ذلك الرجل لا يوصف بصفة العقل ، ولا ينسب إليه لأنه لا يليق به . وبالبرهان أن من وصف العاقل بصفات الجاهل والجاهل بصفات العاقل فقد أخطأ وكذب ، ولا يحتاج في كذبه وإبطاله^٢ إلى دليل ، فهذا البرهان الذي نشاهده منه عليه ، ولذلك قال الله في تصحيح برهان رسول الله (ص) : ﴿ وَيَتْلَوْهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾^٣ والعاقل يقوده عقله إلى محل البقاء والدوام ، والجاهل يقوده جهله إلى محل الفناء والبوار ، فإذا [قد صح] ^٤ أن عالم الشر [٦٥] منقطع زائل وأن الباري سبحانه لم يقدره تقدير البقاء ، ولا قضاء قضاء الدوام ، ولا أبدعه في خلقة التمام ؛ وإنما هو عارض عرض من غير قصد لتخلف الأشياء عن اللحوق بعضها ببعض من جهة العجز والنقص ، والتقصير . وهو مخالفة الحق واتباع الهوى ، والعدول عن الواجب ، والتخطي إلى المحذور ، وقول الزور ، وأخذ ما ليس الأخذ له بحق . فهذه الأشياء وأمثالها كلها إذا تأملتها وجدتها عجزاً وتوانياً ونقصاناً^٥ عن البلوغ إلى الكمال ، واللحوق

١ فإذن بالبرهان : فقد صح بالبرهان في ص .

٢ وإبطاله : وإبطال مذهبه في ص .

٣ سورة ١١ : ١٧ .

٤ قد صح : سقطت في ص .

٥ ونقصاناً : ونقصاً في ص .

بدرجة التمام . مثال ذلك أن السارق لولا عجزه ونقص رأيه وكسل نفسه عن الذهاب في طلب^١ المعيشة وطلب الحلال ، حتى طمع في نفسه أنه إذا فشق القفل وكسر الباب ، وتسور الحائط ، وأخذ ما وجد فإنه أقل لتعبه ، وأروح لبدنه ، وأخف لمؤنته ، وأسرع لمنفعته ، وغاب عنه لشدة هواه ، وعجز رأيه ، أنه [٦٦] أن ظفر به قطعت يده ورجله ، وذلك أطول لشقائه ، وأدوم لبلائه ، وأعظم بنحسرانه وأدوم لهوانه ، فلذلك قلنا إن الشر هو العجز والنقص عن البلوغ إلى التمام ، وبوجود الترقى والحرص في الخير^٢ وذهاب العجز والبلوغ إلى التمام زوال الشر وارتفاعه ، وبارتفاعه ارتفاع خالقه ، على [ما ذهب إليه]^٣ أهل المذهب السخيف القائلون بالثنوية . وإذا ارتفع الشر وخالقه ، فليس إلا الخير وخالقه سبحانه فثبت التوحيد لله ، وذهب التشبيه والتعطيل والشرك ، وصح أن الشر لا أصل له في الإبداع بالبرهان . فاعرف يا أخي هذا المكان ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، وقف عليه ، واعلم أنه نهاية في الرد على من زعم أن الشر من قضاء الله وقدره ، وأنه مريد له ، وكيف يكون ذلك كذلك وهو ينهى عنه ويقول في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ [٦٧] وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾^٤ فسمى جميع الشرور والخطايا^٥ منكراً وبغياً فكيف ينكر ما خلق ، ويتبرأ مما قدر ، ويعاقب على ما قضى^٦ جل الله عن ذلك جلالات

١ طلب : سقطت في ص .

٢ الخير : سقطت في ص .

٣ ما ذهب إليه : على ما زعم في ص .

٤ سورة ١٦ : ٩٠ .

٥ والخطايا : فعل الخطايا والذنوب في ص .

٦ ما قضى : ما قضى وقدر في ص .

يفوق^١ وصف الواصفين ، وعز اسمه ، لا إله إلا هو رب الخير وفاعله ،
ومبلغ من اتقى واجتنب الهوى إلى جنته ودار كرامته .
ولما كان الشر هو العجز والتخلف والنقص والتواني عن البلوغ إلى
درجة الكمال . صار الفاره في صناعته محبوباً عند الناس . وقيل في بعض
الأنخبار إن الله يحب من الصنّاع الفره . وقال حكاية عن موسى ﷺ وَعَجَلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِيَرْضَى^٢ وضد الرضى السخط . والعجلة إلى الله سبحانه
بما يرضيه تستوجب الرضى ، والتخلف عن طاعته يوجب سخطه وعذابه .
وكيف يأمر الله سبحانه عباده بالتخلف عن طاعته ، وارتكاب معصيته ،
وهو يتوعدهم بالعقاب العظيم ، والعذاب الأليم ، [٦٨] ولو كان مريراً
لم يعاقبهم عليه ولا نهاهم عنه .

فصل

في ذكر الفلسفة ومنفعتيها : وهي العلم^٣ الكلي ، ومعرفة حقائق
الأشياء بعلمها ومعلولاتها وماهية طبائعها التي جبلت عليها ولبائتها التي
خلقت لأجلها ، والاحاطة بجميع ذلك علماً كلياً بقدر طاقة الإنسان ،
فبهذا تنال الفضيلة الكلية .

١ يفوق : يفوت في ص .

٢ سورة ٢٠ : ٨٤ .

٣ وهي العلم : وهو القول في ب .

فصل

في معرفة^١ دين [الفلسفة وخصالها]^٢ . وأما دين الفلسفة^٣ فأثباته الربوبية ، واعتقاد الوحدانية للباري جل جلاله ، والتدين بالشرائع [الحميدة الحسنة]^٤ المقربة إليه المزدلفة لديه ، والارتسام بالأخلاق الحميدة ، وتنزيه النفس عن تعاطي الاوزار والفواحش والمآثم ، ولزوم العدل والإنصاف .

فصل

[في معرفة خصال الفلسفة]^٥ : وأما خصال^٦ الفلسفة والمنفعة منها في العاجل ، لمفارقة العالم الدنيء الرذل ، والتخلق بأخلاق [٦٩] الكرام ، وإعطاء الجود ، وبذل المعروف ، والنهي عن المنكر ، فيقبل في عيون الناظرين ، ويجله الملوك ويهابه السلاطين ، وتكف عنه أيدي الظالمين ، ويصير إماماً في قبيلته ، ومحرباً في عشيرته . ومنها المتكامل الإنسان ذاته باكتساب الفضيلة الإنسانية ، لأن استكمال الإنسانية لا يكون إلا بإخراج ما في قرته من قبول العلم الذي هو صورة النطق له . إذ النطق الغريزي صورة العقل التمييزي الذي لأجله وجد الإنسان وبه

١ معرفة : ذكر في ص .

٢ الفلسفة وخصالها : الفلسفة في ص .

٣ الفلسفة : الفلسفة في ص .

٤ الحميدة الحسنة : سقطت في ص .

٥ في معرفة خصال الفلسفة : في ذكر كمال الفلسفة في ص .

٦ خصال : كمال في ص .

فضل على سائر الحيوان ، وذلك أن كل واحد من موجودات العالم له فعل^١ يخصه لسببه وجد ولأجله خلق ، ولما كان الفعل^٢ الخاص بالإنسان استكمال النطق الغريزي باستعماله الفكر والروية واستخراج ما فيه بالقوة إلى الفعل ، وما في حكم العدم إلى حكم الوجود من اكتساب الفضائل [٧٠] الإنسانية ، والأخلاق الملكوتية ، والمعلومات^٣ العلوية الربانية ليصير بوجود ذلك موجوداً^٤ بما هو إنسان ، بعد أن كان موجوداً^٥ بما هو حيوان ، لأن نفسه علامة بالقوة فعالة بالطبع ، والشئ بوجوده بالقوة ، معدوم بالفعل ، فإذا صار موجوداً بالفعل حاز الوجود والتمام . ومتى سقط الإنسان عن فعله الخاص به ، إذا لم يكن مجتهداً^٥ على أفضل أحواله وعاملاً^٦ بأنفع أعماله ، لم يكن إنساناً موجوداً [بما هو إنسان]^٦ فإذا بالحكمة ، وتعلم العلم ، وإخراج ما في القوة إلى الفعل ، تكمل الصورة الإنسانية والأخلاق الآدمية ، ويصير على صراط مستقيم ، وطريق قويم ، ينتقل من أدون المنازل إلى أشرفها ، ومن أسفلها إلى أعلاها ، حتى تصير نفسه ملكاً كريماً ، فيرقى إلى درجات سلم المعارج فيخرج به مع الملائكة ، وروح القدس ، إلى مكان الكرام ، في دار الحيوان ، ومجاورة [٧١] الرحمن في الجنان ، ذات الروح والريحان ، فإذا بالبرهان الفلسفة هي الحكمة النافعة ، والحجة البالغة ، واليد الباسطة إلى الهدى ، والرجل الساعية إلى دار المقامة في المحل الأعلى ، ولذلك قيل إنها علم

١ فعل : فضل في ص .

٢ الفعل : العقل في ص .

٣ والمعلومات : والمقامات في ص .

٤ موجوداً : سقطت في ب .

٥ مجتهداً : سقطت في ص .

٦ بما هو إنسان : بالفعل ، إنما هو إنسان بالقوة .

كل نافع ولزوم كل عدل جامع ، وقالوا : الفلسفة علم اعتقاد الحقائق^١ والقول بالصدق ، والعمل بالخير على التحقيق ، وقالوا : الفلسفة علم الأشياء بحقائقها من غير خطأ ولا زلل . فإذا بالبرهان^٢ أن الفلسفة هي سلم النجاة ، وكثر العفاة ، وسراج الهدى ، ومفتاح باب الرشاد وحياة العباد^٣ ، وصلاح البلاد ، وقالوا : إن الفلسفة تنقسم قسمين : علمي وعملي ، فالفلسفة العلمية غرضها معرفة حقائق الأشياء الموجودات بما هي موجودة ، ومعانيها ودلائل ظواهرها المشاهدة بالحواس وما تحتها من المعاني الدقيقة ، والإشارات الخفية ، والرموزات اللطيفة ، كما قال جل ثناؤه^٤ [٧٢] : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^٥ . وإنما المراد من هذا القول إن القائلين ما حكاه الله عنهم ، ومدحهم به ، وأثنى عليهم في كتابه بأنه جل ثناؤه أعلم وأخبر عنهم أنهم عرفوا الآيات البينات ، والدلالات الشاهدة على آيات الله وأنه لم يخلقها عبثاً ولا باطلاً وإنما قائمة بالحق والحكمة ، ولم يكونوا كالذين قال فيهم ربهم : ﴿ وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٦ فلو كان مراده سبحانه منهم أنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله . لم يكن ليخرجهم من العلم بذلك ؛ ولكنه سبحانه أخبر أنهم لا يعرفون حقيقة خلقه^٧ السموات

١ الحقائق : الحق في ص .

٢ بالبرهان : سقطت في ص .

٣ العباد : البلاد .

٤ جل ثناؤه : الله تعالى في ص .

٥ سورة ٣ : ١٩١ .

٦ سورة ٣١ : ٢٥ . ٧ خلقه : سقطت في ب .

والأرض ، والآيات التي فيها الدلالات^١ على توحيده سبحانه ، [٧٣] كما قال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾^٢ وقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^٣ وقال : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾^٤ . وما ضلوا إلاّ بعد أن جهلوا وعدلوا عن التعجب ، واتباع العارفين لهم بحقائق الأمور ، وأنكروا ، وتكبروا ، ﴿ وَجَعَدْنَا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعَعْلُوا ﴾^٥ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وما كان الله سبحانه ليتخذ المضلين عضداً في ابطالهم الحقائق بالشبهات ، وخروجهم عن لوازم الواجبات ، وإنكارهم مرموزات النبوات ، وما تضمنته الكتب المنزلات من الآيات المحكمات ، التي هي أم الكتاب وأخر متشابهات . فإذا بالبرهان أن الفلسفة هي الحكمة ومحبة النفس اياها ، وبها تكون سعادتها وتعلمها يكون كمالها ، وبكمالها جمالها ، وبجمالها انتقالها إلى دار المحاسن العلوية ، والأخلاق الملكية ، والمقامات العالية ، والدرجات [٧٤] السامية ، وبذلك تنال درجات البقاء الدائم ، والملك المقيم ، والنجاة من العذاب الأليم .

١ الدلالات : الدالة في ص .

٢ سورة ١٢ : ١٠٥ .

٣ سورة ٤١ : ٥٣ .

٤ سورة ١٨ : ٥١ .

٥ سورة ٢٧ : ١٤ .

فصل

[في ذكر قصة آدم وحواء والشجرة المنهي عنها والخطيئة التي من أجلها أهبط آدم من الجنة]^١ . الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى من خلقه ، الذين جعلهم^٢ دعاة إليه بالدلالة على وحدانيته والتوجه إليه بعبادته . والمعرفة به أجل العلوم ، وأكبر النعم ، وأعظم المواهب وأنفس المراتب ، ورأس الحسنات^٣ ، ومنجاة من الذنوب والسيئات .

اعلم أيها الأخ الفاضل الخير الدين العادل ، أعانك على طاعته وجنبك معصيته وألهمك التأييد بروح القدس ، ويهديك إلى جنته ، ويبعدك عن جهنم دار البوار ، ومحل الأشرار ، إنا لما شرطنا في كتبنا المؤلفة ورسائلنا المصنفة في فنون العلوم وغرائب الآداب^٤ ، وطرائف الحكم ، وجعلناها بساتين العقول ، ورياضاً تنزه فيها النفوس ، وتنسم بها الأرواح ، أن رسالتنا الجامعة [٧٥] هي الغرض الأقصى ، وإنا نبين فيها بالبراهين الشافية جميع ما شرحنا بعضه^٥ في رسائلنا بطريق الإقناع ، وكان هذا الفصل [الذي نذكره]^٦ من العلم غامضاً دقيقاً ظاهره علم جليل ، وباطنه سر نبيل مستور خفي لا يصل إليه إلا أهل البصائر المرتاضون بالعلوم العقلية المؤيدة^٧

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ جعلهم : خلقهم في ص .

٣ الحسنات : الحسن في ب .

٤ الآداب : سقطت في ب .

٥ بعضه : نصه في ص .

٦ الذي نذكره : سقطت في ص .

٧ المؤيدة : المؤيدون في ص .

بالتأييدات الربانية مما القته^١ إليهم الملائكة وما أيدوا به من روح القدس وما جاء به في الكتب المنزلة ، فإذا أنت أيها الأخ البار الرحيم وقفت على هذا العلم العظيم والنبأ الكريم فكن عليه قوياً أميناً وكن به ضئيلاً ، ولا تكن من المبذرين الذين هم إخوان الشياطين ، ومع هذا فإنه لا يحل لنا ولا يسعنا في شرط حكمتنا أن نجعله بغير حجاب يحجبه ، ولا باب يغلق عليه فيستره ، ولكننا فتحنا لك فرد باباً وسهلنا عليك كشف^٢ حجابيه لتطلع عليه وتقف إن وفقك الله وهداك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

[٧٦] [في ذكر آدم وحواء والشجرة المنهي عنها وحيلة إبليس عليهما ووصوله بالمكر إليهما]^٣ . قال الحكيم : ان الله سبحانه لما خلق آدم وأسكنه الجنة التي هي دار كرامته ومحل نعمته في جواره الأمين ، وقراره المكين ، ومقر عباده المصطفين ، من الملائكة المقربين . وعهد إليه أن لا يقرب شجرة عرّفه بها ونهاه عن أكلها وأعلمه أنها مذخورة إلى وقت معلوم ، وأن بها يكون العود إلى البداية وأنها لا تبدو ثمريتها ، ولا يحل أكلها إلا عند النهاية ، وأنها بقية دور الكشف الأول فتكون مدة دور السر الذي قدر الله سبحانه أن آدم أول المستخلفين فيه ، وان ثمر تلك الشجرة يكون مستوراً في أكمامها ، مخبوءاً تحت ورقها ، مكمناً

١ القته : لقته في ص .

٢ كشف : بعض في ص .

٣ جاء هذا العنوان في النسخة ص هكذا : في قصة آدم وحواء والشجرة المنهي عنها وحيلة إبليس عليهما ووصوله بالمكر إليهما وكيف كان هبوطهما من الجنة جميعاً .

في أغصانها ، مستوراً^١ مخفياً لا يكاد مخلوق في دور الستر يقف عليها ولا يصل إليه ، ولا يتناول شيئاً منه إلا في الوقت الذي قدره والزمان الذي يسره ، إذا بدا [٧٧] دور السعادة بظهور النفس الزكية في يوم العرض الثاني إذا تجلّت النفس الكلية لفصل القضاء فعند ذلك تبدو شجرة سدرة المنتهى وبها تكون النشأة الأخرى وعهد الله إلى آدم وأطلعته على ذلك وأعلمه^٢ أنه لا يكون في وقته ولا يتهيأ له في زمانه وأباحه ما سوى ذلك من أكل الشجر والتناول من أصناف الثمر ما يكون غذاء له ولمن هو معلم له ، فلما زين له الشيطان سوء عمله ، وحمله على ارتكاب ما نهى عنه ، وأخذ ما لا يحل له ، وتناول ما حظر^٣ عليه ، ولم يمكنه ذلك منه إلا بالحيلة عليه ، والملاطفة له ولزوجته . فكان من حاله أنه جاءه في صورة الناصح الأمين الشفيق ، يطلب منه الفائدة بالسؤال والتذلل ، فقال له : إنك قد أتاك الله من العلم والحكمة والمعرفة ما لم يعرفه^٤ أحداً قبلك ، وقد فضلك الله على [جميع الملائكة]^٥ الذين أمرهم بالسجود لك ، والخضوع بين يديك ، و[٧٨] جعلك معلماً لهم تعلمهم أسماء ما يكون ، ولم يبق عليك إلا معرفة شيء واحد لو عرفته لكنت من الملائكة العالين الذين لم يؤمروا بالسجود لك ، ولم يدخلوا في طاعتك ، ولهم المقامات العالية ، والدرجات السامية عند الله . فقال له آدم : وما هذا العلم الذي أخفاه الله عني ، ولم يطلعني عليه ، وقد علم اني محتاج إليه وغير مستغن

١ مستوراً : سقطت في ص .

٢ وأعلمه : سقطت في ب .

٣ حظر : خطر في ب .

٤ يعرفه : يؤته في ص .

٥ جميع الملائكة : ملائكته في ص .

عنه ؟ فقال له عدوه ، يريه أنه له من الناصحين : هو علم القيامة ،
وكون النشأة الآخرة ، والبروز لفصل القضاء ، وكيفية بروز الصور
الروحانية المعراة من الأشخاص الهولانية في دار البقاء ، ولو علمت
هذا العلم أنت وزوجتك ، لكنتما ملكين وكنتما^١ من الخالدين ، على^٢
أنهما لو كانا من أهل دور الكشف لكنت خلقتكما روحانية ولم تكن
جسمانية ، إذ كان البقاء والخلود على الحال الأفضل بالنفس أشبه من
الجسم . فعند ذلك اشتاقت نفس آدم إلى ذلك ، وأراد الاطلاع عليه
بالإظهار له من حد القوة [٧٩] إلى حد الفعل ، ليرى كيف يكون دور
الكشف وكيف يكون قبول أهل ذلك الزمان واستجابتهم إليه وكيف
تكون منزلة النفس الزكية في ذلك الوقت ، فأبدى شيئاً مما نهي عنه إلى
غير أهله ، واطلع عليه غير مستحقه ، ووضع منه شيئاً في غير موضعه
فكان بمنزلة الأكل الذي نهي عنه ، فلما بدا ذلك منه اضطربت عليه
أحواله واستوحشت منه عماله ، [وقبحت أعماله]^٣ ونفرت منه الوحوش
التي كانت قد أنست به وتباعدت عنه الطيور التي كانت قد ألقت صورته
ونزع عنه لباسه ، وبدت عنه سوءاته ، وانكشفت عورته ، وظفر به
عدوه ، وأقبل يفرق عنه جموعه ، ويبعد أهل الجنة عنه ويدعوهم إلى
نفسه ، فعند ذلك ناداهما ربهما : ﴿ أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ .
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾^٤ بوضعنا ما
نهيتنا عنه في غير موضعه ودفعه إلى من لا يستحقه ، قال : ﴿ اهْبِطُوا

١ وكنتما : سقطت في ب .

٢ على : عني في ص .

٣ وقبحت أعماله : سقطت في ص .

٤ سورة ٧ : ٢٢ ، ٢٣ .

مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ [٨٠] عَدُوٌّ ١ فَأَهْبَطَ مِنْ دَارِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا وَأَخْرَجَ مِنْهَا إِذْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ قَدْ سَثَمُوا مَوَاضِعَهُ ، وَاسْتَوْحِشُوا مِنْ شَخْصِهِ ، لَمَّا بَدَتْ سَوَاتُهُ وَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ وَرَأَوْهُ بَعِينَ مِنْ جَاءِهِمْ بِمَا لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَبِمَا يَنْكُرُونَهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فَظَفَرَ بِهِ عَدُوهُ ، وَخَرَجَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ [مِنْ الْجَنَّةِ] ٢ سَاطِحِينَ فِي الْأَرْضِ لَا يَدْرِيَانِ أَيْنَ يَتَوَجَّهَانِ مِنْ بِلَادِ اللَّهِ ، وَبِهِمَا مِنَ النَّدَامَةِ مَا جَاوَزَ وَصْفَ الْوَاصِفِينَ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ زَالَتِ الرِّيَاسَةُ عَنْهُمَا وَتَدْبِيرُ السِّيَاسَةِ النَّبَوِيَّةُ مِنْهُمَا فَلَمَّا طَالَتِ الْمَحَنَةُ بِآدَمَ اسْتَرْجَعَ الْقَوْلَ ، وَنَاجَى رَبَّهُ وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِالْقَائِمِ فِي ذَلِكَ ٣ الْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ ظَهَرَ الْحَقَائِقُ ، وَبِأَصْحَابِ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِينَ هُمْ الْكَلِمَاتُ التَّامَاتُ ، وَالْآيَاتُ الْبَاهِرَاتُ ، وَانَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا اشْتَقَ إِلَى تِلْكَ الْمُنْزَلَةِ الْجَلِيلَةِ وَالدرَجَةِ الرَّفِيعَةِ بِغَيْرِ إِنْكَارٍ لَهَا وَلَا اسْتِكْبَارٍ [٨١] عَنْ الْإِقْرَارِ بِفَضْلِ صَاحِبِهَا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَابَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَيْهِمَا ، وَيسَّرَ لَهُمَا الْعَيْشَةَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمَا مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَعَلِمَهُمَا الْحَرْثَ ، وَالنَّسْلَ ، وَالزَّرْعَ ، وَالْبَذَرَ ، وَالْحَصَادَ ، وَالْغَرْسَ ، [وَاللِّبَاسَ وَالرِّيَاشَ] ٤ وَمَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِقَوَامِ الْأَجْسَادِ ٥ فِي مَحَلِّ الْكُونِ وَالْفَسَادِ ، وَتَلَقَّى آدَمُ ٦ التَّأْيِيدَ وَالْإِلْهَامَ وَالْوَحْيَ ، وَأَمَرَ بِإِقَامَةِ الشَّرِيعَةِ وَالسَّجُودِ لِلَّهِ ، وَالْعَمَلِ بِالْجِسْمِ ، وَإِظْهَارِ الصَّنَائِعِ ، وَكَثْرَ أَوْلَادِهِ ، وَانْتَشَرَ نَسْلُهُ ، وَاتَّسَعَتْ دَعْوَتُهُ ، وَعَمُرَتْ دَارُهُ ، وَقُرَّ

١ سورة ٢ : ٣٨ .

٢ من الجنة : سقطت في ص .

٣ ذلك : سقطت في ب .

٤ واللباس والرياش : سقطت في ص .

٥ الأجساد : الأجسام في ص .

٦ آدم : سقطت في ص .

في قراره ، وكان على ذلك مدة ما شاء الله تعالى سبحانه أن يبقى على تلك الحال إلى أن استكمل أجله فنقل إلى دار كرامته ودار البقاء ، وأراه ما عجل فيه ليراه وهو في محل الأجساد ، فلم يجيب سعيه ، ولا أحبط عمله لما تاب وأناب .

فخذ^١ ما آتيناك^٢ من هذا العلم الجليل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^٣
﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٤ واعبده كما أمرتك به [٨٢]
الأنبياء والمرسلون عليهم السلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإسباغ الطهارات ، والسعي إلى البقاء الطاهرة ، والمساجد العامرة التي ﴿أَذِنَ اللهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾^٥ إلى أن يأتيك اليقين الذي هو محض الدين إذا نفخ في الصور ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾^٦ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾^٧ ولا تكن ممن قال الله سبحانه فيهم : ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾^٨ وقال ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^٩ وقال :

١ جاء هنا في النسخة ص (فصل) وهي غير موجودة في بقية النسخ الموجودة لدينا .

٢ آتيناك : ألقينا في ص .

٣ سورة ٧ : ١٤٣ .

٤ سورة ١٥ : ٩٩ .

٥ سورة ٢٤ : ٣٦ ، ٣٧ .

٦ سورة ١٠٠ : ١٠ ، ١١ .

٧ سورة ٣١ : ٢٣ .

٨ سورة ٢٥ : ٢٣ .

٩ سورة ١٨ : ١٠٤ .

﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾^١
أعاذك الله وإيانا من أهل النار وجنبنا وإياك مرافقة الأشرار بمنه وكرمه .
[إنه ولي الإجابة برحمته]^٢ .

فصل

ولما كان هذا الفصل لم نكن نقصح [٨٣] القول به ولا أطلقنا الكلام فيه والدلالة عليه بالتصريح الشافي إلا بالتلويح والرمز والإشارة فيما قدمناه من الرسائل وذكرنا فيها أنها مقدمات إلى ما نريد أن نذكره ونشرحه بالبرهان في هذه الرسالة التي جعلناها مكان الأغراض وكمال القول ، إذ كان فيما تقدم بالقوة وفي هذا الموضع كالمخرج من القوة إلى الفعل ، وبذلك يكون التمام ، ولذلك قلنا إن هذه الرسالة رسالة البراهين وهي التمام وهي الخاتمة ، ولما كان الخاتم للشيء لا يكون إلا في آخره كذلك وجب أن تكون صورة التمام التي هي النهاية ، متقدمة على الأشياء بالقوة ، وتكون متأخرة بالفعل ، وكذلك قدر الله سبحانه أمر خلقه لما بدأه بالقوة دفعة واحدة ، ثم بالفعل على التدريج حتى تكون نهايته وكماله وبلوغه إلى الحال الأفضل ، والأمر الأكمل ، وقد قيل إن الحكمة الفلسفية هي التشبه [٨٤] بالإنسنة بحسب ما في الطاقة الإنسانية .

١ سورة ٨٨ : ٢ - ٤ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

في معرفة إبليس والشیطان^١ والأبالسة والشیاطین .

اعلم [أيها الأخ البار الرحيم]^٢ أيدك الله وإيانا بروح منه أن إبليس هو اسم مشتق من الحيرة والضلال ومن ذلك يقال أبلس^٣ الرجل إذا انقطع وتحير وأوقف عن الأمر الذي هو أصلح له لو فعله ، كذلك إبليس لما أمر بالسجود لآدم أبلس بمعنى تحير ووقف ، وكان تحيره ووقوفه عن السجود لآدم استصغاراً له واستكباراً عليه لما ظنه في نفسه من الجلالة ، وإنه بقياسه قد بلغ^٤ إلى حد الكمال ، فأبى واستكبر وأخلد إلى المعصية والخروج عن الطاعة ، وقيل له : إنك لست من العالين ، فأبى^٥ واستكبر وراجع القول وكرر الخطاب ، ثم أصر وأظهر ما كان يخبئه^٦ ويخفيه من المعصية من حد القوة إلى حد الفعل ، وهو بالحقيقة شخص من بقايا أشخاص آخر دور الكشف الأول [٨٥] ممن كان قد لحق ببعض شرائطه ووقف على شيء من معلوماته ، فلذلك قيل إنه كان من الجن وإنه فسق عن أمر ربه ، فلذلك كان يقال لمن لحق دور السر ، [من بقايا دور الكشف الجن إذ كانوا بنوع مخالف لنوع دور أهل السر]^٧ وقد جاء في الخبر أن إبليس لما خلق الله آدم كان يمر به وهو ملقى على باب الجنة ، [وهو جسم لا

١ والشیطان : سقطت في ص .

٢ أيها الأخ البار الرحيم : يا أخي في ص .

٣ أبلس : سقطت في ب .

٤ قد بلغ : سقطت في ب .

٥ فأبى : فكابر في ص .

٦ يخبئه : يكنه في ص .

٧ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

روح فيه ^١ وإنه كان ينقره ويركله برجله فيدوي ، فيقول : سأظفر به ، فإنه أجوف ، ومنه قوله : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ^٢ فلما جهل أمر دور الستر أبى أن يسجد للذي هو أول خليفة قام بأمر الله ، وأراد إبليس أن يكون هو القائم بذلك بأمر الله ، فأخلف الله ظنه وجعله تابعاً لا متبوعاً . فلما استكبر وأبى وفسق وأنكر وخرج عن الطاعة وخدع آدم وغرّه واستفزه وعارضه بمذاكرة ^٣ علم دور الكشف وما [٨٦] فيه من الفوائد العقلية ، [الباقية الخالدة] ^٤ . وقد كان إبليس بفسقه ونفاقه وما أضمره من المعصية والعداوة لآدم قال لرؤساء الوحوش والطيور وأصناف المخلوقات الذين كانوا في الجنة مثل الحية والطاووس وغيرهما : ان آدم هو بنوع خلاف ما أنتم عليه وليس هو موافقاً لكم في الحلقة ولا في القوة وان سوائته ستبدو ولباسه سيتزع عنه وينهتك بينكم فلا تأنسوا به ولا تقربوه ، ولذلك كان يقول سأظفر به فلم يقبلوا منه ولا عبأوا به وبقوله ، ولم يزل يستفزه بغروره إلى أن أجابه بعضهم وقالوا له : فما الدليل على قولك حتى نعلم صحته ونعرف حقيقته ، قال لهم : إنه سيظهر لكم ما لا تعرفونه من القول والفعل والعمل ، وعلمهم مسائل مما كان يعرفه من علم دور الكشف . وقال للحية سلي آدم عن هذه المسائل ، وانظري في ماذا يجيبك به ، [٨٧] وأعلميني حتى أدلك من قوله على ما ذكرته لكم من أمره ففعلت . ولذلك قيل إن الحية حملت إبليس في جوفها وكانت أول المساعدين له على آدم ثم أتاه بعد ذلك كمثل الناصح له والمشفق فكان

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سورة ٧ : ١١ .

٣ بمذاكرة : بهذا كره في ص .

٤ الباقية الخالدة : سقطت في ص .

ما كان ، وقد لوح صاحب كتاب كلية ودمنة بهذا الأمر ، ودل على هذه القضية بما ضربه من المثل بالثور والسبع وابن آوى ، وإنه لم يزل يدبر الحيلة ويضممر العداوة والحديعة ويزخرف الكلام وينمق بالقول إلى أن أوقع بين الأسد والثور حتى افترسه فكان سبباً لبوار الكل ، وتفريق الجمع ، وتشيت الشمل ، كذلك فعل إبليس بآدم لم يزل به حتى أخرجه من الجنة ، وفرق بينه وبين زوجته ، ونفرت منه الوحوش التي كانت قد أنست به واطمأنت إليه ، وعلم الله سبحانه ذلك من إبليس فلعنه وأهبطه من الجنة ، فقال : اخرج منها ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ ﴾ [٨٨] إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ^١ .

فصل^٢

فإذا بالبرهان أن إبليس هو شخص تكبر عن قبول الحق ، وخرج من جملة أهل الصدق وأصر على عداوة من أمره الله بطاعته ونهاه عن معصيته ، وكان ذلك اختياراً منه غير مضطر إليه ، ولا مجبر عليه ، والشيطان هو أول الأشخاص التابعين له على ذلك الأمر ، المساعدين له فيه ، القائمين بالمعاونة له في مقام النائين في الضلالة منابه . وكذلك الأبالسة والشياطين أجمعون ، وهم موجودون في كل زمان مع كل من أقامه الله سبحانه^٣ من أنبيائه ، ورسله ، وأئمة ، وخلفائه ، حتى يكون انقراضهم وفناؤهم بزوال دور السر ، وظهور دور الكشف . فعند ذلك يذبح إبليس اللعين ،

١ سورة ٧ : ١٢ .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ سبحانه : تعالى في ص .

وترسل الشهب المحرقة على الشياطين ، فلا يبقى منهم أحد ، عجل الله ذلك بمنه وقدرته^١ حتى يكون العالم سعادة كله .

فصل^٢

[في معرفة إبليس الروحاني]^٣ : وأما إبليس الروحاني الذي يجري مجرى الدم من [٨٩] ابن آدم فهو ، كما قلنا في رسالة الأخلاق ، إنه بمنزلة النفس الغضبية الشهوانية ، الحائدة عن التقوى ، المعتكفة على شهوات الدنيا . فإنها أيضاً في أوان دور الكشف تضعف قوتها ، وتقل شهوتها وتقهرها النفس الناطقة ، إذا أيدتها النفس الكلية بظهور النفس الزكية ، والإفاضات العقلية ، وتلاشي الأمور الطبيعية ، وخراب المحاسن الدنيوية ، وحدث أمر الآخرة ، والنشأة الثانية ، والبعث الجديد ، والقيامة الكبرى ، فلا يكون حينئذ نفس حيوانية ، فذلك أن الحيوان لا يكون في مثل ذلك الزمان ، لأن الفلك يتشكل بشكله التام ، ولما كان الشكل التام وهو صورة الإنسان بالتمام ، وجب أن يكون في ذلك الزمان ظهور الأشياء كلها بالتمام ، ولما كانت صور الحيوانات كلها ناقصة عن التمام ، وجب أن لا يكون في ذلك الزمان شيء بحال النقص ، فلذلك وجب [٩٠] بالبرهان أن الحيوان الصامت المكبوب لا يكون في مثل ذلك الزمان ، وانه يفنى ويضمحل ويبعد حتى لا يرى ، ويكون العالم كله صورة الإنسانية ، التي هي أحسن الصور كما قال سبحانه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

١ وقدرته : وكرمه وقدرته في ص .

٢ فصل : مقطعت في ص .

٣ في معرفة إبليس الروحاني : سقطت في ص .

أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ^١ وعند ذلك يكون الإنسان بنفسه الشريفة الروحانية اللطيفة ملكاً مستغنياً عن الحيوان الصامت ، وغير محتاج إليه . وبالبرهان إذا استغنى الإنسان عن الآلة التي كان محتاجاً إليها في وقت من الأوقات لا يبالي بفقدائها ، ولا يتألم بزوالها وعدمها . فإذا لا بقاء للحيوان في يوم القيامة ، ولا وجود له بالنوع الذي هو عليه الآن ، وانه يترقى على التدرج حتى يلحق بصورة التمام في منازلها ، وعند بلوغ الأشياء إلى تمامها وكونها على أفضل حالاتها وأتم نهاياتها^٢ في الفضائل تتخلى النفس عن الطبيعة دفعة واحدة ، وترجع إلى التعلق بالعقل لا يشوبها كدر ولا [٩١] يعلق بها علق من الطبيعة ولا [عائق يعوقها]^٣ فتقبل منه الفيض الكلي ، والجود المحض فيكون عند ذلك لها من اللذة والنعمة والبهجة والسرور ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . فإذا البرهان قد قام ، وقضية العقل الحق^٤ قد شهدت بزوال الأشخاص الأبالسة والشياطين من الجن والانس ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^٥ . وشيطان الجسم وشيطان النفس بالجسم الخالي من نور الحكمة الذي غلبت نفسه الغضبية على نفسه الناطقة ، فجذبتها إلى ذاتها ، وتابعتها إلى إرادتها ، فصارت مثلها ، وأقبلت تجذب إليها من^٦ اغتر بزخرفها ، وراقه منظرها . ألا ترى إلى قوله حكاية عن إبليس لما قال : ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ

١ سورة ٩٥ : ٤ .

٢ نهاياتها : غاياتها في ص .

٣ عائق يعوقها : سقطت في ب .

٤ فإذا : سقطت في ص .

٥ الحق : سقطت في ص .

٦ سورة ٦ : ١١٢ .

٧ من : سقطت في ب .

أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ^١ عَنِ الَّذِينَ تَخَلَّصْتَ
 أَنْفُسَهُم النَّاطِقَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْغَضَبِيَّةِ وَقَهَرُوهَا [٩٢] وَلَمْ يَعْبَأُوا بِهَا ، فَلَا
 يَمِيلُونَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيَنسَلِكَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^٢ .
 وَكُلٌّ مِنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَلَى عَقْلِهِ فَهُوَ إِبْلِيسُ ، كُلٌّ مِنْ أَطَاعَ نَفْسَهُ الْغَضَبِيَّةَ
 وَدَاخِلَتَهُ^٣ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَالْعَصِيَّةَ لِلْبَاطِلِ فَهُوَ شَيْطَانٌ . فَإِنْ كَانَ مِنْ
 أَهْلِ الْقَوْلِ بظَاهِرِ التَّكْلِيفِ مِنْ أُمُورِ التَّنْزِيلِ يَرَائِي بِهِ النَّاسُ لِأَكْلِ أُمُورِهِمْ
 وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَحَالِ ، وَيَنْمُقُ لَهُمْ زَخْرَفَ الْمَقَالِ ، وَيُظْهِرُ الْعِبَادَةَ ، وَيَجْنُ^٤
 الْمَكْرَ وَالْحَيَاةَ فَهُوَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يَتَعَلَّقُ بِالْأُمُورِ
 التَّأْوِيلِيَّةِ ، وَالْأَسْرَارِ الْمَكْنُونَةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ^٥ فِي الْكُتُبِ النَّبَوِيَّةِ الْمُنْزَلَةِ ، فَهُوَ
 يَنْمُقُ لَهُمْ زَخَارِفَ الْمَحَالِ ، وَيُشِيرُ بِالْمَنَازِلِ إِلَى رِجَالٍ لَيْسُوا هُمْ الرِّجَالُ ،
 وَيَضَعُ السَّاقِطَ الْوَضِيعَ فِي مَنْزِلَةِ الْجَلِيلِ الرَّفِيعِ ، فَهُوَ يَعْبُدُ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ
 بِعِبَادَتِهِ ، وَيَدْعُو مَنْ اسْتَجَابَ لِبَاطِلِهِ إِلَى طَاعَتِهِ ، فَهُوَ بَيْنَ حَدٍّ^٦ سَفْلِي
 يَرْفَعُهُ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ وَيُعْطِيهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ ، وَبَيْنَ حَدٍّ^٧ عَلَوِيٍّ يَحْطُهُ عَنْ
 مَنْزِلَتِهِ وَيَضَعُهُ [٩٣] فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، فَهُوَ شَيْطَانٌ مِنْ شَيَاطِينِ الْجَنِّ ، حَمَالٌ
 خَطَايَا غَيْرِهِ ، مَرْتَكِبٌ أَوْزَارَهُ ، يَأْكُلُ السَّحْتَ وَيَطْلُبُ الْحَرَامَ ، يَأْكُلُ
 الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ وَيَتَّبِعُ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ، يَتَأَوَّلُ كِتَابَ اللَّهِ بِغَيْرِ تَأْوِيلِهِ ،
 وَيَحْلُلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَيَحْرِمُ مَا حَلَّلَهُ اللَّهُ ، وَيَزْعُمُ أَنَّ بَاطِنَ الْقُبُحِ حَسَنٌ

١ سورة ٣٨ : ٨٢ ، ٨٣ .

٢ سورة ١٥ : ٤٣ .

٣ وداخلته : سقطت في ب .

٤ ويجن : وينخفض في ص .

٥ الملكوتية : سقطت في ص .

٦ حد : رجل في ص .

٧ حد : آخر في ص .

جميل ، وأن ظاهر الحميل فاحش^١ قبيح ، يدعي أن المحمود مذموم ، وأن المذموم محمود ، وهو مذبذب في حيرته متردد في جهالته ، غرق في بلهنيته ، سكران في رقدته ، مجنون في نومته ، لا يدري كيف يذهب وإلى أين يتوجه ، ويقصد ويجهتد في الاقسام ومؤكدات الايمان ، أن الباطل حق صحيح ، وأن الحق باطل قبيح ، يستحسن ما سولت له نفسه ، وصدقه ظنه ، وحققه قياسه ، ونمقه وسواسه ، كل ذلك ليأكل أموال الناس بالباطل وبقول الزور ، وأماني الغرور . فاعرف يا أخي هؤلاء الشياطين من الجن والإنس وانفر منهم ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٢ [٩٤] الواضعين الأشياء في غير مواضعها ، فهذه معرفة إبليس والشيطان والأبالسة والشياطين من الجن والإنس بالبرهان ما لا خفاء به عن كل عاقل مميز منصف ﴿لَمِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^٣ ومن حاد عن الحق كاد أن يقع في الباطل ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ومن حاد عن طريق الجنة سلك طريق النار ، ومن فارق الأخيار لا بد له من صحبة الأشرار ، ويكون حشو النار ، فتفقد [يا أخي]^٤ هذا الباب وانظر كيف تغلقه عن استوجب إغلاقه دونه ، وتفتح له لمن استحق دخوله ، فهو بيت من البيوت المعمورة ، وكتاب من الكتب المسطورة ، والعلوم المكنونة المستورة ، فاستأثر به لنفسك الشريفة وروحك اللطيفة ، ولا تكشفه إلا لأهله ، ولا تظهره إلا لمستحقه ، بعد

١ فاحش : وحش في ص .

٢ سورة ٦ : ٦٨ .

٣ سورة ٥٠ : ٣٧ .

٤ يا أخي : سقطت في ص .

مؤكدات العهود ، [ومعقدات المواثيق] ^١ وإلا هلكت وأهلك ^٢ . ولا
إثم عليّ بعد إلقاء النصيحة [٩٥] إليك ، والشفقة منا عليك . فإن الجاهل
عدو للعلم ، ومن جهل شيئاً عاداه .

فصل ۲

أَعَاذُكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْبَارَّةُ الرَّحِيمَةُ مِنَ التَّبَذِيرِ وَالتَّفْرِيطِ وَالْإِنْكَارِ وَالْإِسْتِكْبَارِ
وَالْحَسَدِ ، وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، وَالْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ ، وَارْتِكَابِ
الْمَنْهِيِّ ، فَهَذِهِ أَمْهَاتُ الْمَعَاصِي . وَرُؤُوسُ الذُّنُوبِ ، وَكِبَائِرُ الْخَطَايَا ،
وَالْخُرُوجِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، إِلَى مَعْصِيَتِهِ بِطَاعَةِ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِطَاعَتِهِ ، وَمُخَالَفَةِ
مَنْ أَمَرَ بِاتِّبَاعِهِ ، وَالظُّلْمِ وَضَعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَالْمُشْرِكِ مِنَ
عِبَادَةِ [مَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِعِبَادَتِهِ] ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ ۝

وقد حذرتك أيها الأخ من كشف سرك وظهور أمرك إلا لمن يتفق لك من تثق به من إخوانك المؤمنين وأقرانك البالغين من إخوان الصفا وخلان الوفا ، أهل المجد ، وأبناء الحمد الذين هذبتهم الحكمة وأسبغت عليهم النعمة ، وكملت لهم صورة التمام ، وعرفوا شريعة [٩٦] الإسلام ، ودخلوا مدينة السلام ، ووقفوا على جبال الأعراف وانتهى بهم السير ، ووصلوا منزلة السلامة ، واستوطنوا دار المقامة وقالوا : الحمد لله الذي

١ ومعقات الموائيق : وموائيق الإيمان في ص .

٢ وأهلك : سقطت في ص .

۳ فصل : سقطت فی ص

٤ من لم يؤمر بعبادته : ما لم ينزل الله به سلطاناً في ص .

٥ سورة ٥٢ : ٢٣ .

أحلنا دار المقامة ، من فضله لا يحسنا فيها نصب ولا يحسنا فيها لعوب ،
فلمثل عملهم فليعمل العاملون وفي مثل سعيهم فليجتهد المجتهدون ،
وفي مثل ما رغبوا فليرغب الراغبون ، فهم الأحباب ، وهم الأصحاب ،
عاشوا في الدنيا بأبدان عابرة^١ ، وأرواح طاهرة ، وعيون إلى ملكوت
ربها ناظرة ، شاهدوا في الحق بعد اليقين ، وعرفوا منازل الإيمان والمؤمنين .
وعرجوا إلى ملكوت السماء مع الملائكة المقربين ، فاجتهد يا أخي لعلك
أن تظفر بواحد منهم فتلجأ إليه ، وتستغني به عن سواه فيكون خليلك
في وحدتك ، وأنيسك في غربتك ، ومفتاح باب الخيرات ، وقائداً لك
إلى السعادات ، فتفوز بمرافقته وتسعد بمصاحبته ، وتكون عديله [٩٧]
في محل التقوى ، على مطية الهدى إلى دار السعادة الكبرى ، فيزول عنك ،
ألم السهر ، ووعك السفر وتفوز بالنظر إلى ربك ويجازيك بما عملت ،
وتشاهد الأنبياء والمرسلين كل في مقامه وكل له عابدون . ﴿ وَتَرَى
الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾^٢
ويقضي لك بما عملت وتجازي بما كسبت يداك ، فعليك يا أخي بأداء
الأمانة إلى أهلها ووضع الصنيعة في موضعها ، ودفع الوديعة إلى مستحقها ،
لتكون من الذين أثنى عليهم الله في كتابه ومدحهم على لسان رسوله ،
صلى الله عليه وآله في القرآن بقوله تعالى : ﴿ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا
بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ
فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾^٣ ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

١ عابرة : عامرة في ص .

٢ سورة ٣٩ : ٧٥ .

٣ سورة ٢٤ : ٣٧ .

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ ١ .

فصل

فإن قال قائل ممن ليس له علم ولا فهم ، ممن عساه يظفر برسالتنا [٩٨] هذه ، إذا سمع ما قدمنا ذكره من خبر آدم والحية والجنة ، وما كان من حال الملائكة ، وقصة إبليس وما شرحناه بمختصر من القول ، ووجيز من الكلام ، وبلغ من الحكمة باستقصاء المعاني في التأويل مما تضمنته محكمات آيات التنزيل ، إن الأمر بخلاف ما ذكرناه ، وإن القصة كانت غير ما وصفناه ، فإن الشجرة هي ما ذكرته علماء العامة من أنها شجرة البر أو غيرها من الشجر ، لا يراد بهذا القول غير ذلك المعنى ، وإن الله سبحانه وعظم شأنه منعهما من أكل شيء منها من أجل أنها تفسد في الجوف ، ويتولد منها القدر^٢ ، ويحدث منها الأذى ، فليعلم هذا القائل أن كل شجرة تنبت في التراب ، وتغذي بالماء بالطبائع التي هي مركبة منها ، فإن حكمها إذا صارت في المعى^٣ كحكم هذه الشجرة ، فإن قال قائل من سخافة عقله ، وقلة تمييزه ، وعمى بصيرته ، إن ثمار الجنة وأشجارها هي بنوع خلاف ما [٩٩] نشاهده في الدنيا ، قلنا^٤ : فكيف خصص هذه الشجرة بالقدر^٥ والأذى من بين أشجار الجنة وجعلها مشاكلة

١ سورة ٢٢ : ٢٣ .

٢ القدر : القذى في ص .

٣ المعى : الماء في ب .

٤ قلنا : سقطت في ص .

٥ القدر : القذى في ص .

لأشجار الدنيا ، ولم يكن [حكمها حكم]^١ غيرها من أشجار الجنة ، فإذا كان ذلك كذلك فما معنى قول إبليس لآدم وحواء ، لما حثهما على أكلها ، وقال : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾^٢ وكيف [اشتاقت نفس]^٣ آدم إلى تناولها ، وهي على الحالة الناقصة الرذلة ، وهو يعاينها ، وينظر إليها ، ويتأملها كتأمل غيرها من الشجر ، هو صفوة الله من خلقه الذي خلقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، وجعله أول فطرته ، وعلمه الأشياء كلها^٤ ، ومضار الأشياء ومنافعها ، وجعله معلماً للملائكة وخاصته من عباده ، وجمع له علم الجسمانيين والروحانيين كما ينبغي له في حده ، وجعله الواسطة بين العالمين وأكمل له السعادتين ، وقدر له أن يكون أبا البشر ، الذين قدر أن سيكون [١٠٠] من أحبائه وأصفيائه ، وأهل طاعته من الأنبياء والمرسلين والصالحين . فكيف اشتاق إلى أكل شجرة خبيثة غير طيبة الطعم ، ولا زكية الرائحة ، وربّه قد نهاه عن أكلها وعن التعرض لها ، وحماها منه ، وحظرها عليه ؟ وكيف يطلق هؤلاء الجهال من الكلام في هذا المعنى والافتراء على الله سبحانه ، وانه جعل من أشجار الجنة وثمارها ما هو خبيث المأكّل ، غير محمود العاقبة ، مجموع فيه القدر والأذى ، وانه ستكون سبباً لفتنة أخص خلقه عنده وأحبهم إليه ؟ ومع هذا كله فيحل له ما هو على قولهم أجل منها وأعظم وأطيب وأزكى ، ويحرمها عليه ،

١ حكمها حكم : حكم باحكم في ب .

٢ سورة ٧ : ١٩ .

٣ اشتاقت نفس : إشتاق في ص .

٤ الأشياء كلها : الأسماء في ص .

[ويحميها منه] ^١ ، ويحظرها عليه ^٢ ، ويمنعها منه ، ويتوعدده بالعقوبة إن قربها ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ولكنهم لما ألفوا الاعتقاد الفاسد ، واعتادوا عادة السوء من القول بأن الشر من فعل الله سبحانه وخلقه ، وإنه يريد له ، [١٠١] تنزه الله عن ذلك وتعالى علواً كبيراً ، دعاهم ذلك إلى هذا التأويل ، واستشهدوا عليه بأسواً دليل ولم يتفكروا ، ولم يتدبروا هذا القرآن ، الذي فيه ضربت الأمثال الدالة على المعاني الخفية والأسرار اللطيفة ، والأمور ^٣ الغامضة التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم ، من ذلك الشجرة الطيبة ، التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا . وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ^٤ والشجرة الخبيثة ﴿اجْتَنُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ^٥ ﴿شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُئُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَا كَيْلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ^٦ وضرب الله مثلاً فقال: ﴿كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ ^٧ وبالنعاج [في اللين] ^٨ حيث يقول: ﴿هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ^٩ وبالحجارة والحديد في قساوة [١٠٢] القلوب، وغير ذلك من الأمثال المضروبة،

١ ويحميها منه : سقطت في ب .

٢ ويحظرها عليه : سقطت في ص .

٣ الأمور : وعلوم في ص .

٤ سورة ١٤ : ٢٤ ، ٢٥ .

٥ سورة ١٤ : ٢٦ .

٦ سورة ٣٧ : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .

٧ سورة ٢٩ : ٤١ .

٨ في اللين : سقطت في ب .

٩ سورة ٢٨ : ٢٣ .

والدلالات المنصوبة ، والآيات المكتوبة في الآفاق والأنفس والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والحيوان والشجر ، وما في البر والبحر ، وما لم يوجد السبيل إلى وصفه والتعداد له ، مما لو وصفناه لخرج عن حد هذا الكتاب ، يعلم صحة ما قلناه وحقيقة ما ذكرناه العارفون باللغة العربية ، المرتاضون بالعلوم الرياضية والفلسفية العقلية ، الذين هذبتهم العلوم الإلهية والكتب النبوية المنزلة وأما الذين هم قريبا العهد بالعلوم الشرعية فإنهم لا يفهمون ما ذكرناه ، ولا يتصورون ما وصفناه ، ولا يبلغون ما قصدنا إليه ، وعولنا في القول عليه ، ولذلك شرطنا في كتبنا وقدمنا في رسائلنا الأولى أنه لا يحل لأحد من أهل الأديان أي دين كان أن يتهم على هذه الرسالة ، والنظر فيها والاطلاع [١٠٣] عليها ، إلاّ بعدما يرتاض بقراءة ما بين يديها من الرسائل المتقدمة لها لتتهذب نفسه ، وتنبه من رقدة الغفلة ونومة الجهالة ، وتدب فيها روح الحياة ، إن كان له قلب مضيء وعقل مرضي ونفس زكية ، وأخلاق جميلة . وعادات صالحة [فإن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد]^١ فإن قراءته للرسائل المتقدمة تكون معينة له على قراءة هذه الرسالة ، إذا وصل إليها ، وقدر عليها . ولما شرطنا في القول وأوجبنا على أنفسنا من الحجة في المبالغة في إتقان القول وإقامة البرهان على ما نورده فيها ، لم نخل قولاً من أقوالها ، ولا فصلاً من فصولها ، [ولا باباً من أبوابها]^٢ من إقامة الحجة ، وإيضاح المحجة ، [لتكون الحجة]^٣ لنا لا علينا فنقول للذي عساه يقول : وما هذا القول أعني الذي تقدم ذكره من دور الكشف ودور السر ؟ وكيف جاز أن يكون [١٠٤] إبليس شخصاً من

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ ولا باباً من أبوابها : أبوابها في ص .

٣ لتكون الحجة : سقطت في ب .

بقايا أشخاص دور الكشف ، وأن آدم أول شخص استخلف على دور السر ؟ فليعلم أن الحكماء الإلهيين ، الذين تكلموا على حقائق الأشياء بالبراهين اللامعة ، والحجج القاطعة قالوا : إن الملائكة ، الذين كانوا في الأرض خلفاء الله^١ وسكانها وقطانها ، إنما كانوا بنوع هو غير ما عليه البشر ، في هذا الوقت ، ومنذ خلق الله آدم . وذلك أنهم كانوا أشخاصاً روحانيين وكانت عبادتهم لله تعالى التسبيح ، والتقديس ، والتهليل ، والتكبير ، بنفوس زكية ، وأرواح طاهرة . ولم تكن عبادتهم جسمانية وتكليفاتهم طبيعية . فلما انقضى دور الكشف ، الذي هو كشف الحقائق بنور العقل ، حتى لا يخفى على النفس شيء من الإفاضات والجود المتصل بها على الدوام من العقل ، وان وقت دور السر الذي هو شوق النفوس الجزئية إلى الاتحاد بالأشخاص الطبيعية ، لما في ذلك من الحكمة البالغة ، وتقدير العزيز العليم ، إذ كان سبحانه ، جعل الأشياء مزدوجة ، [١٠٥] يتلو بعضها على بعض ، ليكون ذلك دالاً على وحدانيته وألوهيته ، وإنه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، قال الله سبحانه للملائكة مخاطباً ، ومعلماً لهم بما يكون : ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفةً﴾^٢ ، وما كان منهم من القول ما هو مذكور في كتابه العظيم ، المنزل على لسان رسوله الكريم ، ولما آن دور السر ، وظهور شخصه ، وبدأ وقته ، وحدث عالمه ، وأنزل الله حكمه ، وأقام سنته ، وشرع شرعه ، [وعلم آدم الأسماء]^٣ وأمره أن يعلم الملائكة ، الذين أمرهم بالسجود له ، وأمده بهم ، وجعلهم بين يديه ، معينين له على تدبير حاله لم يجب في الحكمة

١ خلفاء الله : خلفاء الله في أرضه في ص .

٢ سورة ٢ : ٣٦ .

٣ وعلم آدم الأسماء : وعلمه لآدم في ص .

الإلهية والعناية الربانية . إذ كان الواجب في قدره وقضائه أنه سيعيد الخلق الأول ، وينشئ النشأة الآخرة^١ ، أن يمحو آثار دور [الكشف الأول]^٢ ويرفعه من الوجود إلى العدم ، وكانت الشجرة التي نهى آدم عن أكلها والتعرض لها ، هي البقية المذخورة ، والوديعة المستورة، [١٠٦] وتابوت السكينة ، الذي فيه بقية مما ترك إلى موسى وآل هارون ، لم يقربوها ولم ينالوا منه شيئاً ، تحمله الملائكة حتى توصله إلى مستحقه من ولد إسماعيل [إلى خاتم الرسل]^٣ وهي الشجرة ، التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، [تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها]^٤ الطيبة الزكية ، الطاهرة المطهرة ، سدرة المنتهى ، لا كما قال أصحاب الكبائر من الخطايا والذنوب ، وإن كان المفسر الأول قد صدق وأجمل وقال : إنها شجرة البر ، لأن شجرة البر هي أصل قوام العالم ومادة غذائهم ، وأكثر المنافع ، وأجل النبات ، وبها عمارة الأرض ومن عليها وهي أجل غذاء يكون وأطيبه وهي ثلاثم الجسد وتشد القوة ، وتنبت اللحم ، وتغزر الدم ، وهي مادة^٥ الحياة ، ولنعم ما قال ، وذكر المفسر الذي حمل معنى القول على ظاهر التفسير بهذا التأويل لأن ذلك هو الحقيقة المطلوبة من معاني الأمثال المضروبة ، وإن كان قد ستر بذلك هذا المعنى الجليل ، [١٠٧] وحماه عن التبديل لئلا يطلع عليه حزب إبليس اللعين ، ولذلك جعلنا بين يديه مقدمات هي أسوار^٦ عليه ، وأبواب مغلقة لئلا يصل إليه إلا من يشاء الله ، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ

١ الآخرة : الثانية في ص .

٢ الكشف الأول : السّر في ص .

٣ إلى خاتم الرسل : سقطت في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ مادة : سقطت في ص .

٦ أسوار : أستار في ص .

إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ^١ ومن وفق للصواب لأن [ذلك هو الحقيقة المطلوبة من معاني الأمثال المضروبة]^٢ ولما كان إبليس بقية من أهل دور الكشف ، قد أمر بالسجود لآدم في جملة من أمر له بالسجود من الملائكة ، فكان من تكبره وظنه وقياسه [ما قدمنا ذكره]^٣ وما تمادى عليه من غيه واستكباره ونفاقه وإصراره وما أضمره من العداوة لآدم ولولده لم يقدر على ذلك إلا بما عمله من الخديعة والمكر والحيلة حتى أوقع آدم في الخطيئة وبلغ أمنيته ، وأصاب فرصته ، وصار ذلك سنة في ولده [من بعده في عصر كل نبي ظهر]^٤ وكل رسول بعث لا بد له من شيطان غوي وإبليس مغوي ، يحيل الناس عنه ، ويحذرهم منه ، ويؤلب عليه الجهال ، ويجلب عليه بخيله ورجله من السفهاء والعوام حتى يكونوا كما قال الله [١٠٨] ﴿ فَفَرِّقْ بَيْنَهُمَا كَذِبَ بَيْنِهِمْ وَقَرِّيبَهُمَا يَقْتُلُونَ ﴾^٥ . ولا يزال الأمر كذلك حتى ينشئ الله النشأة الآخرة ، ويعود الخلق إلى أوله ، ويرجع الحق إلى أهله ، وتهلك الشجرة الخبيثة ، وتجف عروقها ، وتتكسر أغصانها ، وتساقط أوراقها ، وينزل الله عليها ناراً من السماء تحرقها ، فلا يبقى لها أثر على وجه الأرض ، لقوله : ﴿ اجْتُنِثْتُ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾^٦ . فعند ذلك تظهر شجرة اليقين ، ويجتمع إليها أهل الدين من المؤمنين العالين العارفين وعباد الله الصالحين ، وتبتدي دولة

١ سورة ٢ : ٢٦٩ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ ما قدمنا ذكره : قد ذكره في ص .

٤ من بعده في عصر كل نبي ظهر : من أن كل نبي ظهر في ص .

٥ سورة ٢ : ٨٧ .

٦ سورة ١٤ : ٢٦ .

أهل الخير ، وتزول دولة أهل الشر ، ويستأنف القرآن المحمود حين تمام سني الأجل المعداد ، فتطلع الشمس من مغربها بيضاء صافية من بعد كسفها ، ويصير عند ذلك المغرب مشرقاً ، والمشرق مغرباً ، وتطلع الكواكب السعيدة الدلالة ، وتزول النحوس ، ويصير المريخ كالمشتري في سعادته ، ويستقيم أمر الفلك ، ولا يبقى فيه كوكب يعادي صاحبه ، وينظر بعضها إلى بعض نظر [١٠٩] المحبة والشوق ، وترمي بأنوارها إلى الأرض المشرقة ، وذلك إذا بدلت الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزت النفس الكلية وتخلت النفوس الجزئية من الأجسام البشرية ، وذلك بعد النفخ في الصور ، وبعثرة القبور ، وتحصل ما في الصدور ، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^١ وجاء ربك ﴿فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾^٢ وحضرت الملائكة الكرام ، لفصل القضاء ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾^٣ وأحضر الناس ليروا أعمالهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^٤ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^٥ ولما أبدى آدم شيئاً من هذا الأمر لأهل دوره ، ورمز به لأهل عصره

١ سورة ٢٩ : ٦٨ - ٧٠ .

٢ سورة ٢ : ٢١٠ .

٣ سورة ٩٩ : ١ .

٤ سورة ٩٩ : ٧ ، ٨ .

٥ سورة ٤١ : ٤٦ .

٦ ورمز : زمر في ص .

واضطرب عليه أمره وبدأت [١١٠] سوءته وانكشفت عورته وتعدى ما رسم له وخالف وصية ربه ، وارتكب نهيه ، ونفرت منه الوحوش ، وفارقت الملائكة الذين أمروا بالطاعة والانقياد لأمره ، فلما تاب وأناب واستغفر ربه ، وتاب الله عليه ، وغفر له ، وملكه الأرض يتبوا منها حيث يشاء ، وعلمه الحرث والنسل والزرع والغرس ، وصارت وراثته في ولده من بعده .

وهذا الفصل قد تبين لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وهو ما ذكرناه ووصفناه من هذا القول الحق . فاعلم أنا لا نقول إلاّ الصدق الذي هو من سنة الحكماء وعادة العلماء ، وإنا لا نقول الكذب ، ولا نستحسن الافتراء على المخلوقين فكيف على رب العالمين ، ولا نقول بقول من يطلب بقوله حطام الدنيا وعاجلها ، وما أردنا بما أوردناه إلاّ وجه الله والدار الآخرة ، وحكاية ما قاله العلماء وترجمه الحكماء ، ورمزوا به وبيته الأنبياء ، وسنته الأئمة الأتقياء ، ودفعوه [١١١] إلى خلفائهم النجباء ليكون ذلك ذكرى للذاكرين ، ولما كانت هذه القصة هي العلم الجليل ، إذ كانت بيان البداية والنهاية ، أشبعنا القول فيها بما لا يخفاء به إلاّ على الذين قال الله سبحانه فيهم : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^١ ومن الدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا قول إبليس لربه سبحانه وتعالى : ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^٢ يعني زوال دور السر الذي هو مدة ما يمتد فيه ذكر آدم وحواء ، وحقيقة^٣

١ سورة ٢٥ : ٤٤ .

٢ سورة ١٥ : ٢٦ .

٣ وحقيقة : سقطت في ص .

البعث هو انبعاث^١ العلوم بغير خفاء ولا ستر ، وخروجهم من دور
الستر إلى دور الكشف ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ .
إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾^٢ ، وقول آدم وحواء : ﴿ رَبُّنَا ظَلَمَنَا
أَنفُسَنَا ﴾^٣ لما خالفا الوصية ، ووقعا في الخطيئة ، وان لباسهما زال
عنهما ، وانكشفت عورتهم ﴿ وَطَفِيقَا بَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
الْجَنَّةِ ﴾^٤ لما كشفنا ما أمرا بستره وصيانته وحفظه ، وإنها أمانة مستورة
وهي الأمانة التي لم تحملها [١١٢] السموات والأرض ، ولا الجبال ،
﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ
ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^٥ وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾^٦ ومن العجلة الندامة . فتأمل يا أخي لهذه المواضع
العجيبة التي قد تعب العلماء في استنباط معانيها ، واستخراج ما فيها من
لطائف علومها وكثائف تركيباتها وقوالبها ، واعتصروا أدهانها من جنوبها
ولبها ، وتنسموا بروحها وريحانها ، وخرجوا من عالم الكون والفساد ،
ودخلوا في الهياكل المضيئة ، والصوامع المرتفعة ، والبيع الطاهرة ،
والمساجد العامرة ، وخروا لله ساجدين : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ
فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾^٧ ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^٨ .

١ انبعاث : إنبثات في ص .

٢ سورة ١٥ : ٣٧ ، ٣٨ .

٣ سورة ٩ : ٢٢ .

٤ سورة ٧ : ٢١ .

٥ سورة ٣٣ : ٧٢ .

٦ سورة ٢١ : ٣٧ .

٨ سورة ٢٤ : ٣٦ .

٧ سورة ٣٧ : ٢٧ .

فصل

[في تسمية الجامعة]^١ : ولما سمينا هذه الرسالة بالجامعة ، وجب علينا أن نجتمع فيها معاني القول [١١٣] بوجيز الكلام واختصار الوصف ، ونبين فيها ما أعجمناه في غيرها من الرسائل المتقدمة بين يديها . ولما أودعنا كل رسالة صنفناها في معنى يختص بها من العلوم الشريفة والحكم اللطيفة ، جعلنا فيها فصلاً هو الغرض والمراد من الرسالة كلها ، وهي مبنية عليه وهو الأساس لها ، وجعلناه مرموزاً لا يكاد يطلع عليه ولا يهتدي إليه إلا من تهذبت نفسه ، وتخلقت بأخلاق الحكماء ، ويمر بذلك صفحاً على آذان السامعين^٢ المتخلفين عن اتباع الهدى ، ونريد أن نبين في هذه الرسالة بواضح الدلالة ما أشرنا إليه من الأغراض المطلوبة ، ودلنا عليه [بواضح الدلالة]^٣ ولوّحنا به في رسائلنا كلها ، لتكون هذه الرسالة موازنة لما تقدم عليها ، وسبق بين يديها من الرسائل ، وزائدة عليها بالبراهين الصادقة ، والقضايا العادلة التي تشهد بصحتها وتقوم بحجتها ، وتوضح محجتها الآيات المكتوبة في [١١٤] الآفاق والأنفس ، بما خطه القلم الكريم في اللوح المبين مسطراً ، وأثبتته في العالم الكبير مخبراً ، بالآيات للناظرين في ملكوت السماء والأرض ، من كتاب الله ، الذي كتبه بيده وجمع فيه الأشياء كلها مختصرة كلها من العالم الأعلى ، فقال سبحانه ﴿وَكُلُّ

١ في تسمية الجامعة : سقطت في ص .

٢ السامعين : سقطت في ص .

٣ بواضح الدلالة : سقطت في ص .

٤ مخبراً : عبراً في ص .

شيء أحصيناهُ في إمامٍ مُبين ﴿١﴾ وقال سبحانه وعظم شأنه : ﴿إقرأ كتابك كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ٢ وقال : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلَيْنَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ . كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٣ وقال ، حكاية عن الغافلين عن النظر في كتابه المبين ، والقراءة فيه ، والتصفح لمعانيه ، إذا انتبهوا من نوم الغفلة واستيقظوا من رقدة الجهالة ، ولا ينفعهم ذلك الانتباه ، لأنهم لم ينتبهوا طائعين ، حتى نبهوا كارهين وأزعجوا ٤ من مرقدهم خائفين ، لا يدرون أين يتوجهون ، ولا أين يقصد بهم : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ [١١٥] ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥ وقالوا : ﴿ما لهذا الكتاب لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٦ فتأمل يا أخي أيدك الله وأيانا بروح منه ما ألقيناه إليك في هذه الرسالة ، تأمل من يطلب النجاة لنفسه ، ولمن اتبعه من أهله ، لعلك تسعد في الدنيا والآخرة ، وترشد وتكون رشيداً ، مرشداً ، ومعلماً ، وهادياً ، وتعيش عيش السعداء ، وتموت موت الشهداء ، وتصير إلى روح وربحان وجنة نعيم .

١ سورة ٣٦ : ١٢ .

٢ سورة ١٧ : ١٤ .

٣ سورة ٨٣ : ١٨ - ٢١ .

٤ وأزعجوا : ونبهوا في ص .

٥ سورة ٣٦ : ٥٢ .

٦ سورة ١٨ : ٥٠ .

فصل

[في ذكر رسالة العدد]^١ : ولما قدمنا الرسالة المعروفة بالأرثماطقي ، وهي رسالة العدد على الرسائل فهي لأجل ما قدمنا ذكره في أولها من فضل العدد ، ولما قالته الحكماء الفيناغوريون من أنه مطابق لصور الموجودات وأنه أول ما أتت به النفس من المعلومات ، وأنه الطريق إلى التوحيد ، فلذلك قدمناه على جميع العلوم التي ذكرناها ، ووصفناها ، وأفردنا لكل علم [١١٦] منها رسالة لخصنا فيها ما طوّلت الحكماء من الشرح فيه ، وما خفي من المعنى بطول القول عليه ، ليسهل حفظه ، ويقرب على المبتدئين الطالبين للعلوم ، ثم جعلنا التي تتلوها من الرسائل الرياضية [رسالة في الهندسة شبه المدخل والمقدمة إلى جملة علمها]^٢ .

فصل

[في بيان ذلك]^٣ : وكان الغرض المطلوب فيها والمقصود إليه فيها ، كما بينا ماهيتها ، وعددنا كمية أنواعها ، ووصفنا كيفية موضوعاتها [وإن أكثر أغراضنا في وضعها كان]^٤ أن يعرف الناظر فيها والمطلع عليها بنفسه الزكية وروحه الطاهرة المهذبة بالعلوم الرياضية أن الغرض منها هو الاهتداء من المحسوسات إلى المعقولات ، ومن الجسمانيات

١ . في ذكر رسالة العدد : سقطت في ص .

٢ . سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ . في بيان ذلك : سقطت في ص .

٤ . سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الطبيعيات المركبات إلى الروحانيات ، ومن ذوات الهيولى إلى المجردات ،
وكيفية ذوات^١ البسائط والاتحاد بها ، وكيفية المعراج إليها ، والارتقاء
نحوها ، والالحوق بعالمها الذي [١١٧] لا يتكرر ولا يزداد ، وينفرد بالفضائل
التي لا توجد في العالم الجسماني ، وانه لا يتقدر بمقدار جرماني ، ولا
ينحصر بانحصار مكاني ، ولا يتكون في أوان زماني ، ولا تحويه الأقطار
كالصور المجردة المعراة من المواد ، المبرأة من الهيولى ، والجواهر المخصصة
الروحانية العالية ، والدرجات الزكية التي لا تدرك بالعيان ولا يحويها
المكان ، ولا توصف بما يدخل تحت حركات الزمان . وكيف توصف
بذلك وهي المكان للمكان وسبب حركات مبدأ الزمان ، وتكوين الكيان ،
ولما كان الفلك هو سبب وجود المكان ، وعدد حركاته هو الزمان ،
علمنا أن الصور النفسانية ، المبرأة من الجواهر الجسمانية ، هي سبب
وجود الفلك وحركاته . فقد صح بالبرهان أن هذه الجواهر العالية الخارجة
عن المكان وحركات الزمان لا توصف بالمكان والزمان . ولما كان كذلك ،
فبالبرهان أن العقل يجب أن يتزه بصفات هي أعلى من صفات النفس ،
[١١٨] وأجل ، لعلو منزلته وعظم رتبته ، فبالبرهان وجب كذلك تنزيه
الباري سبحانه عما يوصف به العقل والنفس ، لكونهما من مخلوقاته ومخترعاته
وانه سبحانه علتها وسبب وجودهما لا إله إلا هو كل له عابدون .
فبالبرهان يجب ان العقل لا تدركه النفس ، ولا تدرك صفته ، وأن العقل
لا يدرك الباري ولا يدرك صفته ، وإنما يقال بالتقريب ما يتقرر في
العقول ، وتسكن إليه النفوس لا لخفائه استر ، ولا لظهوره كظهور
مخلوقاته ظهر ، فهو مستور بنوره ظاهر لظهوره وإشراقه ، لأن نوره

١ ذوات : رؤية في ص .

بهر الأنوار وانحسرت عن رؤيته الأبصار ، وحارت عن صفة كنهه الأفكار . كل ذلك لجلالته وعظمته ، وإشراقه وإحاطته بمخلوقاته ، وقدرته عليها وإنها كلها في قبضته ، وغير خارجة عن قدرته ، وكيف تجدد المخلوقات السبيل إلى وصف خالقها إلاّ بما دلها عليه ودعاها بما علمها من العبادة له إليه ، لا [١١٩] إله إلاّ هو رب العالمين .

فصل

[في رسالة الهندسة والإبانة عنها]^١ : وكانت هذه الرسالة بما فيها من العلم الجليل تابعة لرسالة العدد ، ولاحقة بها في فضيلتها ، وذلك ان علم الهندسة هو ميزان تعرف به الأبعاد كلها ، وأقطار السموات والأرض ومساحتها ، وأبعادها وكواكبها ، وكل موجود من الأجسام فيها ، وعليها ذوات الطول والعرض والعمق والجهات ، وان بهذا العلم تستخرج المجهولات ، وفيه حكمة بالغة ، وهو صناعة متقنة ، لا غنى لأحد عنها ، والحاجة داعية إليها ، والأمم كلها تستعملها في معرفة الأشياء كلها ، وما يحتاجون إليه منها فيما يعلمون به ويحدثونه ، من جميع ما يتخذونه من أعمال الحرث والعمارات^٢ ، وغير ذلك ، ثم تتبعها الرسالة الثالثة من الرسائل الرياضية ، وهي رسالة في النجوم شبه المدخل والمقدمات^٣ ، ذكرنا فيها من علم النجوم ، وما جعلناه دلالة على ما أشرنا [١٢٠] إليه ، وعولنا في القول عليه ، من الآيات المكتوبة ، والدلالات المنصوبة في

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ العمارات : العمران في ب .

٣ والمقدمات : سقطت في ص .

الآفاق ، والأنفس ، والسماوات والأرض ، من تركيب الأفلاك ،
وصفة البروج ، وسير^١ الكواكب ، ومعرفة تأثيراتها في هذا العالم ،
وكيفية انفعال الأمهات والمواليد منها بالنشوء والبلى والكون والفساد .

فصل

[في بيان الغرض منها]^٢ : وكان الغرض المقصود منها هو تشويق
النفوس الزكية ، الصافية ، الطاهرة ، النيرة ، المستضيئة^٣ بنور الحكمة ،
ودلائل المعرفة إلى الصعود إلى عالم الأفلاك ، واطباق السماوات ، والوصول
إلى درجة الكمال التي هي درجة الملائكة [ليهون عليها]^٤ الموت ،
وتتمناه ، ويكون ربحانة لها ولا تخاف منه ، ولا تحزن على مفارقة مألوف
الدنيا ونعيمها ، وملكها ، ولتعلم وتستيقن أن الذي تصل إليه ، وتقدم
عليه أعظم جلالة لها وأكبر منزلة ، وأنها تعان ما لا عين رأت ولا أذن
[١٢١] سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأنها ترتقي إلى منازل الروحانيين ،
وترافق الملائكة المقربين ، والملا الأعلى ، والجواهر العلى ، وتلحق
بمن تقدمها من الأنبياء ، والمرسلين ، والمؤمنين العارفين ، والشهداء ،
والصالحين ، والوصول إلى ساحة القدس والروح الأمين ، ومجاورة
رب العالمين في روح وريحان وجنة نعيم .

١ وسير : وتسير في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ المستضيئة : المضيئة في ب .

٤ ليهون عليها : ليهون عليها مفارقة الأمكنة الطبيعية ، واللذات الجسدية ، والشهوات

الدنيوية ، ويهون عليها . في ص .

فصل

[في الرسالة الرابعة من الرياضيات التابعة لهذه الرسائل]^١ : هي رسالة الموسيقى ، والبيان بأن في النغم والألحان الموزونة التي استخرجها الحكماء ووضعتها الفلاسفة والعلماء ، من القدماء ، ممن ذكرناهم وسميئناهم ووصفناهم بما وجدوه وفي نفوسهم الزكية ، وأرواحهم الطاهرة المضيئة ، مما استدلوا عليه بالعقول الصحيحة ، والأذهان اللطيفة ، وان لهذه الألحان إذا كانت على النسبة الفاضلة ، والقسمة المعتدلة ، تأثيرات في نفوس المستمعين ، كتأثيرات الأدوية [١٢٢] والأشربة والترياقات التي جعلت لمصالح الأجسام الحيوانية [والتركيبات الطبيعية ، من الجواهر الجسمانية]^٢ والصور الحسية .

[فصل]^٣

ولما عرفوا بما ألهموا وأوقفوا عليه من أمر الملإ الأعلى واتصلت أرواحهم بمراقى درجات العلى ، علموا أن الأفلاك العالية ، والكواكب السامية ، والجواهر اللطيفة في حركاتها ودورانها واحتكاك بعضها ببعض ، تسمع لها نغمات مطربة عجيبة ، وألحاناً لذيدة حسنة كنغمات العيدان ، واصطخاب الأوتار ، ومجاوبة المزامير ، ونقر الطنابير ، وأنها نزهة النفوس ، ولذة الأرواح ، وأن عالم السموات وفضاء الأفلاك هي منازل

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

الروحانيين ، ومساكن الملائكة المقربين ، وانه عالم الحيوان ، ومكان^١ الروح والريحان ، وان أهله لا يذوقون الموت الذي يذوقه الإنسان ، ولا يقبلونه كقبول الأنفس المتعلقة بالأجسام ، الحالة [١٢٣] في محل الهوان ، وانها جنات^٢ النعيم ، التي من وصل إليها نال السعادة الكبرى ، والمنزلة العظمى ، وبلغ سدره المنتهى ، وكان الغرض من هذه الرسالة تشويق النفوس الناطقة الإنسانية الملكية ، المهذبة بالعلوم التعليمية الرياضية ، والجسمانية الطبيعية ، والعقلية النفسانية ، والناموسية الإلهية ، التي قد بلغت حد النهاية ، وصلاح لها الارتقاء إلى الغاية ، بعد مفارقة الأجساد البالية ، والأجسام الفانية ، والهياكل الهاوية ، والصعود إلى هناك ، يعرج بأرواح أهل البصائر وذوي السرائر ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والمؤمنين العارفين المستبصرين أهل اليقين .

[فصل]^٣

بلغك الله أيها الأخ هذه الدرجة الرفيعة والمنزلة الجليلة وإيانا وجميع إخواننا بمنه ورحمته ، فهذا كان الغرض في وضعنا هذه الرسالة التي ألقينا إليك فيها ما ألقيناه من معرفة الألحان [١٢٤] المطربة والآلات المتخذة لذلك ، والسبب الداعي للحكماء إلى اتخاذها وإتقان صناعتها ، بحسب^٤ ما لاح لهم وعرفوه بغرائز عقولهم الصحيحة ، بما ساعدتهم عليه العقول

١ ومكان : سقطت في ب .

٢ جنات : جنة في ب .

٣ فصل : سقطت في ص وجاء مكانها الآية التالية « وحسن أولئك رفيقاً » .

٤ بحسب : سقطت في ص وجاء مكانها : وانها مبنية .

المكتسبة ، وبما هداهم إليه المعلم الرشيد من إتقان الصنعة ، وإحكام ما عملوه في الآلة من شد الأوتار والنقرات والتحريكات [وما بين الحركات من السكون والأوقاف وترجييع النغمات]^١ وفي ذلك دلالة على أن إتقان الصنعة [وإحكام الآلة]^٢ يدل على حكمة الصانع ، وإن المخلوق إذا تهيأ له أن تكون أفعاله محكمة وصنائه متقنة ، وجب أن يسمى باسم الحكيم ، واستحق أن يسمى بالفيلسوف ، إذ كانت الفلسفة هي التشبه بالإله بحسب الطاقة الإنسانية ، وفي صناعة الموسيقى والآلة المتخذة بما استخرجوه من دقائق المصنوعات وغرائب المخترعات بأفكارهم الشريفة وأذهانهم اللطيفة [١٢٥] دلالة على أن للعالم صانعاً قد أحكم صنعته وأتقن حكمته ، وأنه موجود^٣ محدث مبدع مخترع ، كائن بعد أن لم يكن ، وأن له نهاية ينتهي إليها ، وأنها هي الغرض ، وأن الصانع سبحانه مراده في عالمه أن يبلغه إلى درجة الكمال ، وأن يبقيه على أتم الحال وأحسن الأشكال ، وأنه متى قبل الفيض الكلي ، والجلود الإلهي ، وتبرأ من الشوائب الكدرة ، رقاها إلى حالة الدوام ، والبقاء على أفضل الأحوال ، فهذا هو الغرض المقصود في إدارة الأفلاك الدوارة ، وسير الكواكب السيارة ، والنجوم الطالعة ، والأنوار الساطعة ، وتعاقب الليل والنهار ، وممر الأدوار والأكوار . فافهم يا أخي هذا المعنى وتدبره وتفكر فيه ، فالرسالة كلها مبنية عليه ، [وإلى هذا المعنى أشرنا فيها]^٤ وكما أن الموسيقى إنما غرضه في كلامه ، وما يبيده من ألفاظه وحركاته بصنعته ، هو أن

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ وإحكام الآلة : سقطت في ص .

٣ موجود : سقطت في ص .

٤ وإلى هذا المعنى أشرنا فيها : سقطت في ص .

تلتذ به النفوس ، وتفرح به الأرواح ، ويسر به الحاضرون ، وأن النفوس متى سمعت ما كان [١٢٦] منه مستوي التأليف ، صحيح التركيب ، موزوناً على ميزان مستقيم ، التذته وفرحت به ، وطربت له ، واشتقت إلى محبوبها ، وتمنت الخلود والوصول إلى معشوقها وطلبت الزيادة على ما عندها ، وتشوقت إلى معالي الأمور ، وجادت بما تجده ، وسهلت عليها المصائب وهانت عليه الدنيا ، وتخلت عنها ، وطلبت^١ العالم الأعلى ، وشاهدت الجواهر العلى . فلهذه الحال صنعت الحكماء من هذه الآلة ما صنعت ، واستخرجت من هذه النغمات ما استخرجت ، وركبت من الأوتار ما ركبت ، وألفت من الألحان المطربة بالحكمة الفلسفية الداعية إلى معالي الأمور ما ألفت ، فلذلك أوردناها نحن وذكرناها ونبها عليها النفوس الغافلة ، والأرواح الساهية ، التي اتخذوها للفرح واللهو واللعب والطرب ، وانقادوا بها إلى الشهوات الجسمانية ، والذات الطبيعية ، وطلبوا باستعمالها [١٢٧] غير الله والدار الآخرة . فلعلهم إذا سمعوا التذكرة وبلغتهم الموعظة ، أن يتبها من نوم الغفلة ، ويستيقظوا من رقدة الجهالة ، ويفيقوا من سكرة الضلالة . وهذا هو الغرض في وضع الرسالة ، وفيها مواضع مرموزة كثيرة ذكرنا فيها علوماً جليلة نافعة تجمع من العلم ما لا خفاء به على من ارتاضت نفسه بالعلوم الحقيقية .

فصل

[في الخامسة من الرياضيات في جغرافيا]^٢ : [وهذه كلمة معربة

١ وطلبت : ولحظت في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وإنما هي جغرافي يعني الدولاب والقصد منها^١ صورة الأرض ، وما عليها من الجبال ، والأقاليم ، والمدن ، والقرى ، والعمران ، والحراب . والبيان بأنها كروية الشكل بجميع ما عليها ، وذكرنا ما قالت الحكماء وأهل العلم من وقوفها في وسط الهواء بجميع ما عليها ، وكيفية مكانها ومستقرها ، وكانت أقاويل مختلفة . والذي اتفق عليه أهل العلم ووافق رأي إخواننا، أيدهم الله ، هو قول الذي قال : إنها واقفة [١٢٨] في الهواء^٢ في الموضع اللائق بها ، المجعل لكونها بتقدير العزيز العليم ، كتقدير كون الأفلاك العالية والسموات السامكة ، كل فلك في موضعه المخصوص به اللائق به أن يكون فيه ، وكذلك مواضع الكواكب من الفلك في أفلاك تدويرها . فهذا القول هو أصح ما يعتمد عليه الإنسان من هذا الباب ، فإنها أعني الأرض حية ، متحركة بما عليها ، تشبه بحملتها صورة حيوان واحد تام الحلقة عجيب البنية^٣ ، عابدة لله جل ذكره ، بجميع أعضائها وأجزائها وظاهرها وباطنها وكيفية تخطيطها وتقديرها ومسالكتها وممالكها وكان قصدنا في هذه الرسالة الذي قصدنا إليه ، والغرض الذي أشرنا نحوه ، ونبهنا عليه ، هو التنبيه ، والتوقيف على ورود النفس إلى هذا العالم ، وكيف اتحاد النفوس الجزئية بالأجسام البشرية ، وكونها بجثة^٤ [١٢٩] الأشخاص الطبيعية ، وعلة ارتباطها ، وكونها مع عالم النشوء والبلى تحت فلك القمر ، في عالم الكون والفساد ، واستعمال الخواص ، والتنبيه على خلاصها مما وقعت فيه من قيد الهوى ، وأسر الطبيعة ، وهواية

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ في الهواء : سقطت في ص .

٣ البنية : النبتة في ب .

٤ بجثة : سقطت في ص .

الأجسام ، ومحل الأسقام والآلام ، وإنها ما دامت غافلة في ضلالتها ،
لاهية في جهالتها ، مترددة في عمايتها ، نائمة في سكرتها ، لا تشاق إلى
عالمها الروحاني ، ودارها الحيواني ، تبقى كما هي في دار البلاء ومحل الشقاء
في الكون والفساد ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ^٢ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^١ وإن الأرض بما عليها من المدن والقرى والجزائر
التي في البحار ، وما فيها من المساكن كلها حبوس ، ومطامير ، وسجون ،
ومضائق للنفوس الجزئية ، وكذلك جميع أشخاصها من النبات والحيوان ،
[ذوات النفوس كلها]^٢ قيود وأغلال وكبول [١٣٠] للنفوس المتعلقة بما
يجذبها إلى أسر الطبيعة ، وإنها كلها برازخ ، ولكنها متفاوتة الصفات
متغايرة الدرجات ، متباينة الصور من الضيق والاتساع والاتضاع والارتفاع ،
والآلام واللذات ، وإن منها ما هو في العذاب الهين ، والذل المقيم ،
مثل البهائم المستعملة ، والحيوان المذبوحة في الهياكل والبيع ، والنبات
الذي هو في غاية الذل والهوان ، وإن من أكملها صورة وأتمها بنية وأعلاها
منزلة الصورة الإنسانية ، وإنها صراط مستقيم ، وكتاب مبين وطريق
قويم ، وهي المطية التي من سار عليها قاصداً ، وكان في سيره على الحق
معتمداً ، فلا شك أنه يصل بها إلى دار السعادة ، ويفارق دار الهوان ،
ومن خلى زمام مطيته ، وتاه في محجته ، يوشك أن تعدل به المطية [إذا
خلى زمامها]^٣ إلى طريق الهلكة . فإذا [١٣١] تمادى في جهالته ، تمادت
به مطيته في طريق ضلالته . وإنما أوردنا ما أوردناه في هذه الرسالة ليكون
حثاً للنفوس الإنسانية على النظر والتفكير فيها نصب به الدلائل ، وأراها

١ سورة ٤ : ٥٦ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الأجسام ، ومحل الأسقام والآلام ، وإنها ما دامت غافلة في ضلالتها ،
 لاهية في جهالتها ، مترددة في عمايتها ، نائمة في سكرتها ، لا تشاق إلى
 عالمها الروحاني ، ودارها الحيواني ، تبقى كما هي في دار البلاء ومحل الشقاء
 في الكون والفساد ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
 لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^١ وإن الأرض بما عليها من المدن والقرى والجزائر
 التي في البحار ، وما فيها من المساكن كلها حبوس ، ومطامير ، وسجون ،
 ومضائق للنفوس الجزئية ، وكذلك جميع أشخاصها من النبات والحيوان ،
 [ذوات النفوس كلها]^٢ قيود وأغلال وكبول [١٣٠] للنفوس المتعلقة بما
 يجذبها إلى أسر الطبيعة ، وإنها كلها برازخ ، ولكنها متفاوتة الصفات
 متغايرة الدرجات ، متباينة الصور من الضيق والاتساع والاتضاع والارتفاع ،
 والآلام واللذات ، وإن منها ما هو في العذاب الهين ، والذل المقيم ،
 مثل البهائم المستعملة ، والحيوان المذبوحة في الهياكل والبيع ، والنبات
 الذي هو في غاية الذل والهوان ، وإن من أكملها صورة وأتمها بنية وأعلاها
 منزلة الصورة الإنسانية ، وإنها صراط مستقيم ، وكتاب مبين وطريق
 قويم ، وهي المطية التي من سار عليها قاصداً ، وكان في سيره على الحق
 معتمداً ، فلا شك أنه يصل بها إلى دار السعادة ، ويفارق دار الهوان ،
 ومن خلى زمام مطيته ، وتاه في محبته ، يوشك أن تعدل به المطية [إذا
 خلى زمامها]^٣ إلى طريق الهلكة . فإذا [١٣١] تمادى في جهالته ، تبادت
 به مطيته في طريق ضلالاته . وإنما أوردنا ما أوردناه في هذه الرسالة ليكون
 حثاً للنفوس الإنسانية على النظر والتفكير فيها نصب به الدلائل ، وأراها

١ سورة ٤ : ٥٦ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

ربها من الآيات المحكمات في الآفاق والأنفس ، حتى يتبين للناظرين أنه الحق ، فيتمسك به من نظر في ذلك ، ويتقرب إلى ربه ، [ويهرب إليه]^١ ويتكل عليه في جميع أموره ، ويقول كما قال السعداء والنجباء ، من إخوان الصفا وخلان الوفا ، وأهل البصائر من ذوي السرائر : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^٢ وليسعد من نظر في ذلك ويعتبر فتنفعه الذكرى للرحلة من دار الفناء إلى دار البقاء ، ويتزود من دار الدنيا إلى دار الآخرة ، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^٣ قبل فناء العمر ، وقرب الأجل ، وفوت الأمل ، قبل أن يقولوا كما قال الأشقياء : يَا لَيْتَنَا ﴿نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ﴾ [١٣٢] الذي كُنَّا نَعْمَلُ^٤ ، ويغتم السلامة قبل الحسرة والندامة ، فقد قيل في الخبر المأثور إنه لا غبطة كغبطة أهل الجنة ، ولا ندامة كندامة أهل النار .

[فصل]^٥

والرسالة السادسة رسالة في النسب العددية ، والهندسية ، والتأليفية ، وكيفية أنواعها ، وكيفية ترتيبها ، والغرض منها والمقصود بها التهدي ، لنفوس العقلاء ، إلى سرائر العلوم وحقائقها وبواطن الحكم ومعانيها ، والوقوف على أن الموجودات المختلفة القوى ، والأفعال المتباينة الصور ، المتنافرة الطباع ، إذا جمع بينها على نسبة معوجة ، وألفت تأليفاً على غير

١ ويهرب إليه : ويزدان إليه في ص .

٢ سورة ٣ : ١٩١ .

٣ سورة ٢ : ١٩٧ .

٤ سورة ٧ : ٥٣ .

٥ فصل : سقطت في ص .

استقامة ، اضطربت وتنافرت ، ودام تنافرها واضطرابها [ولم تعتدل]^١ حتى اضمحلت وفنيت وهلكت وتلاشت [وما اعتدلت ، وبمعرفة وضع الأشياء في مواضعها واعتدال أقسامها]^٢ واستواء نظامها [١٣٣] واتفاق ميزانها وسلامتها من الزيادة والنقصان ، ووضع الأشياء في مواضعها اللائقة [بكونها فيها ، ووزنها عليها]^٣ يكون صلاح أحوالها ، وبقاء أشخاصها ، وسلامة نتائجها . وفي هذه الرسالة رمز خفي وسر دقيق لا يعلمه إلا من وفقه الله لفهمه ، وهو رمز يدل على الصنعة الكبيرة التي هي أجل الصنائع البشرية من الأعمال الجليلة العملية ، وهي صنعة الحكماء وأهل الفضل من العلماء ، استعانوا بها على أمر صلاح المعيشة الدنيوية ، واستغنوا بها عن التدلل ، ورفعوا بها نفوسهم عن الأشياء الدنية ، واستعبدوا بها من دونهم ، فكانوا بين أيديهم في خدمتهم كالبهائم ، إذ كان العالم عنده في منزلتين ، لأنهم قومان^٤ : فقوم للدنيا يطلبون ، وعليها يتكالبون ، وفي حطامها يرغبون ، ولغناها يجمعون ، لما في ذلك من الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية لعمارة الدنيا ، ولولا [١٣٤] ذلك لهلك الحرث والنسل . وقوم يرغبون في الآخرة ويسعون لها سعيها ، فالحكيم من عمل للدارين ، واستعبد الطائفتين ، وقدر له اجتماع الحالين فعند ذلك يستحق اسم الحكمة ، وتجتمع له السعادة في الدنيا والآخرة ، فيكون العالم طوع يديه ، وتكون القدرة عليه ، يتصرف فيه بأمر ربه كيف يشاء . فمن وقف على هذا السر الدقيق ، والعلم العميق ، والروض الأنيق ، الذي هو الغنى الأكبر ،

١ ولم تعتدل : سقطت في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ قومان : قسان في ص .

والعز الأفخر ، فقد وفق لمعالي الأمور . ولما شرطنا أن نبين في هذه الرسالة ما لوحنا به في غيرها ، وإذا جعلناها رسالة البراهين ، وجب علينا أن نذكر طرفاً من هذا العلم الجليل ، وإنما جلالته لأنه يستعان به على معيشة الدنيا ، لطلب النجاة والفوز ، والوصول إلى السعادة الدائمة في الدار الباقية ، لا للتمتع بشهوات الدنيا ولذاتها ، والانهماك فيها كالبهائم في نهماتها ، فمن فعل ذلك [١٣٥] فهو بالجهل أشبه ، ومحل الهوان به أولى ، والذي وصل إليه وقدر عليه من حكام الدنيا فما هو إلا كظل زال مع شمس ، وذكر ذهب بأمسه ، إذا حصل الإنسان في رمسه ، وفارقتة نفسه ، وخلا منه حسه ، فقير عائد إلى سعادته ، ولا راجع إلى مألوف عادته ، قد ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾^١ . ولما كان هذا العلم من بين العلوم متعذراً الوصول إليه والوقوف عليه ، وانه مستعاص الغلق ، ضيق الباب ، لا يتسع لأحد من الحكماء أن يطلق فيه من القول إلا ما كان منه مرموزاً بالتلويح الخفي ، حتى لا يصل إليه ولا يقدر عليه ، إلا من كان له قلب ذكي ، وذهن صاف ومن أراد الله به السعادة في الدنيا والآخرة ، فنقول له : إن الله سبحانه [لا إله إلا هو رب كل شيء وخالقه]^٢ أتقن الأشياء كلها بحكمته ، ووضع كل شيء منها في موضعه من المعادن والنبات ، وجميع [١٣٦] أصناف الحيوانات ، على اعتدال الحلقة ، واستواء الفطرة ، وانتظام التأليف ، وكان من ذلك المعادن المختلفة الجواهر ، وكان الزئبق والكبريت أصلان لجميعها بتركيب أجسامها .

١ سورة ٢٢ : ١١ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

[فصل] ١

وقد قيل : إنه متى كان الزئبق والكبريت نقياً صافياً ، والزمان معتدلاً ، والتدبير على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، من اعتدال الزمان ، واستقامته [الأشكال الفلكية] ٢ وكون الشمس في سعادتها ، وكان التدبير موافقاً لها ، بمساعدتها ، فرقي إلى العلو بالتصعيد بالنار اللينة على النسبة الفاضلة أولاً ، ثم أهبط إلى أسفل ، فجعل ذلك مثل الماء بالرفق في الحل مثل ما كان أول مرة في الأصل ، ثم أجمد ثم رقي بالطف تدبير من الأول ، وأحسن تقويم وقدر في علوه أحسن تقدير على النسبة الفاضلة ، والقسمة المعتدلة ، والمعرفة الكاملة ، ثم أهبط ، [١٣٧] ثم أعيد إلى حالته الأولى بالحل ، يفعل به كذلك ما دامت الشمس في سعادتها ، [وحسن مساعدتها] ٣ فإن بلغ به التدبير إلى نهايته وتمام غايته ، كان شمساً طالعة [وأنواراً ساطعة] ٤ ونعمة سابغة وبركة نافعة يدب نورها في الأجسام ، إذا أشرقت على الكواكب سرى نورها فيها ، وصبغتها فجعلتها شمساً طالعة ، وأنواراً ساطعة . وإن قصر التدبير بفساد التقدير عن درجته الأولى ، بدرجة كان دون الغاية ، لأنه لم يبلغ إلى النهاية ، فيكون ما يتولد منه إذا كان القمر في امتلاء نوره وسعادته في ظهوره واستقامته في مسيره ، فيكون نتيجة ذلك التدبير قمراً ، فإذا نزل بها تستمد الكواكب من نوره ، ويسري فيها ، ويتزل بها ، فإذا نزل بها

١ فصل : سقطت في ص .

٢ الأشكال الفلكية : أشكال الفلك في ص .

٣ وحسن مساعدتها : سقطت في ص .

٤ وأنواراً ساطعة : سقطت في ص .

صارت هي كهو في المثال . فهذا القول يدل على معنى الحق في هذا الباب ، لا يطلق من القول فيه أكثر من هذا ^١ **﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾** [١٣٨] ذو القوة المتين ^٢ وما أوتينا من العلم إلا قليلا .

فقد صح بالبرهان أن بالنسبة الفاضلة ، والقسمة العادلة صلاح الأشياء واستقامتها ، وبذلك يكون البلوغ ^٣ إلى نهايات السعادات ومنتهى الدرجات ، والله الموفق لمن يشاء إلى ذلك بقدرته . بلغك الله أيها الأخ إلى السعادة والرشاد ، وجميع إخواننا حيث كانوا في البلاد ، بمنته وكرمه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وفي هذا المعنى كلام ليس هذا موضعه ، وسنذكره إذا وصلنا إليه عند ذكر رسالة المعادن ، فإننا قد لوحنا فيها أيضاً بشيء من هذا العلم ، وأشرنا إليه ونبهنا عليه ، وسنذكر منه طرفاً في موضعه [زيادة على ما ذكرنا في هذه الرسالة] ^٤ إن شاء الله تعالى .

فصل

[في ذكر الرسالة السابقة رسالة] ^٥ في الصنائع العلمية النظرية : [وهي السابعة من الرياضية] ^٦ وكية أقسامها ، وكيفية مراتبها ، [بمعانيها ومقدماتها] ^٧ [١٣٩] وإيضاح طرائقها ، ومسالكها ، ومقاصدها ، ومذاهبها والغرض المقصود إليه فيها هو تقدير أجناس العلوم ، وأنواع الحكم ،

١ سورة ٥١ : ٥٨ .

٢ البارغ : البلا في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٦ بمعانيها ومقدماتها : سقطت في ص .

والتوقيف عليها ، وكيفية الوصول إليها ، والاطلاع عليها .
وهذا العلم من غاية السرائر ، وآيات البصائر ، وبالوقوف عليه ،
والوصول إليه ، يكون الوصول إلى السعادة الكاملة ، والنعمة الشاملة ،
والترقي في درجات سلم النجاة ، والدخول في زمرة السعداء ، الذين
﴿يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَقُولُونَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ
هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^١ وبالنظر في هذه الرسالة
والوقوف على معانيها يكون تهذيب النفس وصلاح أحوالها ومعرفتها
بالمعلومات ومقدماتها ومعين لها على الوصول والبلوغ إلى درجات العلماء
ومنازل السعداء .

فصل

[في شرح ذلك^٢] : وقد ذكرنا أن أصل السؤالات الفلسفية تسعة
أنواع ، مثل تسعة آحاد ، أولها هل هو ، والثاني ما هو ، و[١٤٠] الثالث كم هو ،
والرابع كيف هو ، والخامس أي شيء هو ، والسادس أين هو ، والسابع متى
هو ، والثامن من هو ، والتاسع لم هو ، فأما تفسير^٣ هل هو فهو سؤال
يبحث عن وجدان الشيء أو عن عدمه . والجواب عنه نعم أو لا ، وقد
بيننا معنى الوجود والعدم في رسالة العقل والمعقول . وما هو فيبحث عن
حقيقة الشيء دون الشيء بالحد والرسم . وذلك أن الأشياء كلها نوعان :
مركب وبسيط . فالمركب مثل الجسم ، والبسيط مثل الهوى والصورة .

١ سورة ٣ : ١٩١ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ تفسير : سقطت في ص .

والأشياء المركبة تعرف حقيقتها إذا عرفت الأشياء التي هي مركبة منها .
مثال ذلك إذا قيل : ما حقيقة الطين ؟ فيقال : ماء وتراب مختلطان . ومثل
ذلك : السكنجيين خل وعسل ممزوجان . وكل مركب ، إذا سئل عنه ،
فيحتاج أن يذكر الأشياء التي هو مركب منها ، وموصوف بها . والحكماء
يسمون مثل هذا [١٤١] الوصف الحد . ومن أجل ذلك قالوا في حد الجسم :
إنه الشيء الطويل العريض العميق . يعنون بقولهم الشيء إشارة إلى الهيولى ،
وبقولهم الطويل العريض العميق إشارة إلى الصورة ، لأن حقيقة الجسم
ليس شيئاً من هذه الأشياء التي ذكرت في حده ، وهكذا قولهم في حد
الإنسان إنه حي ناطق ميت فقولهم حي ناطق يعنون به النفس ، وميت
يعنون به الجسد ، لأن الإنسان هو جملة مجموعة منها ، أعني الجسد
الجسماني ، والنفس الروحانية ، كما شاء الباري جل اسمه ، وتعالى
ذكره . وكذلك توجد العلوم إذا اعتبرتها كلها : منها قشور وقوالب
مركبة ظاهرة ، ومنها ما هي كالأرواح الخفية المستجنة الباطنة ، كبطون
أفعال النفوس في الأجساد ، وما يبدو عنها ، ويكون منها ، من الأفعال
المحكمة والصنائع المتقنة ، وإنها إذا فارقت النفوس الأجساد كانت
الأجساد ميتة ، [١٤٢] فانية ، مضمحلة لا ينتفع بها . كذلك العلوم إذا
عرف الإنسان ظواهرها ، وتخلّى عن معرفة بواطنها وحقائقها ، ومعاني
إشاراتها ، ومرامي رموزاتها فإنه إنما تعلق بما لا ينفعه ، وما هو مفارق
له ، إذا فارقت نفسه جسده ، لأن ظواهر العلوم تتعلق بظواهر الأجسام^١ .
وهي حصنها ، وعليها وضع ، ومن أجلها نصب ، وعلى تركيبها ركب .
وبواطن العلوم وحقائقها موضوع للنفس الناطقة الحية القابلة للحكم

الربانية والعلوم الإلهية . وظواهر العلوم هيولاها الأجسام ، تقوم عليها ، وتركب منها . والعلوم الباطنة الحقيقية هيولاها الأرواح اللطيفة والأنفس الشريفة ، تتصور فيها صورة ملكية ، تنال بها رتبة سماوية . وكذلك ما نصب من علامات العلوم الباطلة المزخرفة ، فيها أيضاً ظواهر وبواطن ، فظواهرها تقوم بحملها وتنوء [١٤٣] بثقلها أجسام أصحاب الحشو والمحال ، ومن يتبعهم من الجهال . وأتباع كل ناعق ينشق بغير الحق ، ويقول بغير الصدق . وأما أصحاب بواطنها فألطف منها ، وهم الشياطين والأبالسة الذين ضلوا عن علم ويقين . فهم يفتنون الناس ، ويضلونهم بالباطل ، ليأكلوا أموالهم ، منهم دائبون في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحله الله وأحاله^١ الناس على أوليائه ، وأهل طاعته . أولئك شياطين الأمم ، وهم خيل إبليس ، والتابعون لهم رجله ، وهو المجلب بهم على من استفواه ، واستغواه ، فأضله عن هداه ، وعدل به عن طريق النجاة ، نجاك الله أيها الأخ ، وجميع إخواننا من الوقوع في هذه الحبائل المنصوبة والمخاريق المكذوبة .

فصل

[في بيان ذلك]^٢ : واعلم يا أخي أن العلوم التي يتعاطاها الناس فيها أربعة^٣ أجناس : منها الرياضية ، ومنها الشرعية ، ومنها الوضعية ، و[١٤٤] منها الفلسفية الحقيقية . ولكل واحد منها أهل فهم فيها متفاوتون

١ وأحاله : أحاده في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ أربعة : ثلاثة في ص .

متفاضلون ، ما بين فاضل ومفضول ، وتابع ومتبوع ، ولكل واحد منها ضد موضوع له أيضاً أهل وأصحاب ، متفاضلون فيه ومنهم تابعون ومتبوعون .

فصل

[في شرح ذلك وبيانه]^١ : فأما الرياضية فهي علوم الآداب^٢ التي وضع أكثرها لطالبي المعاش ، ولها أهل ، [وأصحاب متفاضلون تابعون فيه ومتبوعون]^٣ وهم أفاضل من الناس ، ومن يتبعهم ويتعلم منهم ، ويأخذ عنهم ، وهم بين متعلمين ومعلمين وأضدادهم من الناس من كان بالضد مما هم بسبيله ، ومنهم تابعون ومتبوعون . وأصناف الآداب تسعة : القراءة والكتابة ، وعلم النحو واللغة ، وعلم الحساب والمعاملات ومنها علم الشعر والعروض ، ومنها علم الزجر والقال وما شاكله ، [ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما شاكلها]^٤ ومنها علم الحرف والصنائع ، ومنها علم البيع والشراء [١٤٥] والتجارة ، والحرث والنسل ، ومنها علم السير والأخبار .

[فصل]^٥

والعلوم الشرعية وضعت لطلب الآخرة وجاء الوعد عليها بالثواب

١ في شرح ذلك وبيانه : سقطت في ص .

٢ علوم الآداب : علم الآداب في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ فصل : سقطت في ص .

لمن عملها ، والوعيد بالعقاب لمن تخلف عن أحكامها . وهي ستة أنواع :
أولها علم التنزيل ، وثانيها التأويل ، وثالثها علم الروايات والأخبار ،
ورابعها علم الفقه والسنن والأحكام ، ومنها علم التذكار والموعظة
والتصوف ، ومنها علم تأويل المنامات . ولكل صنف من هذه الأصناف
أهل وأصحاب وهم بها قائمون ، وعليها داثبون ، فالكل منهم في مقام
معلوم ، وله منها جزء مقسوم . وهم كالبدن القائم بأعضائه ، الدائم
بصلاح نسبه واستواء نصبه ، فأما أصحاب التنزيل فهم الأنبياء والمرسلون
الذين تلقوه من الملائكة المقربين ، بنفوسهم الزكية وعقولهم المضيئة .
وهم أصحاب الأحكام ، والأوامر والنواهي ، و [١٤٦] العزم والقطع .
ولكل واحد منهم كتاب هو مخصوص به وأمته ، الذي بعث فيهم وأرسل
إليهم .

[فصل] ١

وأما أصحاب التأويل فهم خلفاء الأنبياء ، وعلماء ، الروايات هم
أصحاب الحديث . وعلماء الأحكام والسنن فهم الفقهاء . وعلماء التذكار ،
فهم العباد والزهاد والرهبان .

[فصل] ٢

والعلوم الفلسفية : منها الرياضيات ، ومنها المنطقيات ، ومنها الطبيعيات
ومنها الإلهيات . والرياضيات أربعة أنواع : أولها الأثرثماطيسي ، وهو

١ فصل : سقطت في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

معرفة ماهية العدد وكيفية أنواعه ، وخواص تلك الأنواع ، وكيفية نشوئها من الواحد ، الذي قبل الاثنين ، وما يعرض لها من المعاني ، إذا أضيف بعضها إلى بعض . والثاني علم الهندسة وهو الجيومطريا ، وهو معرفة ماهية المقادير ذوات الأبعاد ، وكمية أنواعها ، وخواص تلك الأنواع ، وما يعرف فيها من المعاني ، إذا [١٤٧] أضيف بعضها إلى بعض ، وكيفية مبدئها من النقطة التي هي رأس الخط ، وهي في صناعة الهندسة كالواحد في صناعة العدد ، والثالث الأسطرنوميا وهي علم النجوم ، وهو معرفة الأفلاك والكواكب ، والبروج وكمية الأبعاد ، ومقادير أجرامها ، وكيفية تركيبها ، وسرعة حركاتها ، وكيفية دورانها ، وماهية طبائعها ، وكيفية دلائلها على الكائنات قبل كونها ، والرابع الموسيقى الذي هو علم التأليف ومعرفة النسبة وكيفية تأليف الأشياء المختلفة الجواهر ، المتباينة الصور المتضادة القوى ، المتنافرة الطباع ، وكيف تجتمع وتؤلف بينها ويتحد بعضها ببعض ، وتصير شيئاً واحداً ، ويفعل فعلاً واحداً ، أو عدة أفعال ، وقد عملنا في كل صناعة من هذه رسالة^١ تشبه المدخل والمقدمة ، ذكرنا شرحها ومعانيها ، ومعاني مرموزاتها في هذه الرسالة .

والعلوم المنطقيات خمسة أنواع أولها بوطيقا^١ وهو معرفة صناعة الشعر ، والثاني ريطوريقا وهو معرفة صناعة الخطب . والثالث [١٤٨] طوبيقا وهو معرفة صناعة الجدل ، والرابع أنولوطيقا^٢ وهو معرفة صناعة البرهان . والخامس سوفسطيقا ، وهو معرفة صناعة المغالطين في المناظرة والجدل .

١ بوطيقا : فوروطيقا في ب .

٢ أنولوطيقا : بوليطيقا في ص .

معرفة ماهية العدد وكيفية أنواعه ، وخواص تلك الأنواع ، وكيفية نشوئها من الواحد ، الذي قبل الاثنين ، وما يعرض لها من المعاني ، إذا أضيف بعضها إلى بعض . والثاني علم الهندسة وهو الجيومطريا ، وهو معرفة ماهية المقادير ذوات الأبعاد ، وكمية أنواعها ، وخواص تلك الأنواع ، وما يعرف فيها من المعاني ، إذا [١٤٧] أضيف بعضها إلى بعض ، وكيفية مبدئها من النقطة التي هي رأس الخط ، وهي في صناعة الهندسة كالواحد في صناعة العدد ، والثالث الأسطرنوميا وهي علم النجوم ، وهو معرفة الأفلاك والكواكب ، والبروج وكمية الأبعاد ، ومقادير أجرامها ، وكيفية تركيبها ، وسرعة حركاتها ، وكيفية دورانها ، وماهية طبائعها ، وكيفية دلائلها على الكائنات قبل كونها ، والرابع الموسيقى الذي هو علم التأليف ومعرفة النسبة وكيفية تأليف الأشياء المختلفة الجواهر ، المتباينة الصور المتضادة القوى ، المتنافرة الطباع ، وكيف تجتمع وتؤلف بينها ويتحد بعضها ببعض ، وتصير شيئاً واحداً ، ويفعل فعلاً واحداً ، أو عدة أفعال ، وقد عملنا في كل صناعة من هذه رسالة^١ تشبه المدخل والمقدمة ، ذكرنا شرحها ومعانيها ، ومعاني مرموزاتها في هذه الرسالة .

والعلوم المنطقيات خمسة أنواع أولها بوطيقا^١ وهو معرفة صناعة الشعر ، والثاني ريطوريقا وهو معرفة صناعة الخطب . والثالث [١٤٨] طوبيقا وهو معرفة صناعة الجدل ، والرابع أنولوطيقا^٢ وهو معرفة صناعة البرهان . والخامس سوفسطيقا ، وهو معرفة صناعة المغالطين في المناظرة والجدل .

١ بوطيقا : فوروطيقا في ب .

٢ أنولوطيقا : بوليطيقا في ص .

وقد تكلم العلماء الأولون والمتأخرون في هذه الصنائع ، ووضعوا فيها كتباً كثيرة^١ وهي موجودة في أيدي الناس ، وإنما كان غرضنا في تعديد هذه العلوم وذكر الصنائع ليعلم الناظر فيها والمتأمل لها أنها كلها دالة على توحيد خالق الأشياء ومبدئها لا إله إلا هو ، وأنها كلها ألسنة ناطقة تنطق بالتوحيد ، فما كان منها حقاً وصدقه البرهان ، وأوجده حد العيان ، فهو متقن بالصناعة ، قائم بالحكمة ، وما كان بخلاف ذلك ، مما يدعو إلى التعطيل ، والتشبيه ، والتمثيل ، والشرك ، والإلحاد ، فهو الباطل المخالف للحق ، الذي يجب^٢ على العقلاء رفضه ، والبعد منه ، والتحول عنه . وقد عمل أرسطوطاليس ثلاثة كتب وجعلها مقدمات لكتاب البرهان ، أولها قاطيغورياس ، والثاني [١٤٩] باري أرمنياس والثالث أنولوطيقا . وإنما جعل عنايته أكثرها بكتاب البرهان ؛ لأن البرهان ميزان الحكماء ، يعرفون به الصدق من الكذب في الأقوال ، والصواب من الخطأ في الآراء ، والحق من الباطل في الاعتقادات ، والخير من الشر في الأفعال ، كما يعرف جمهور الناس الأشياء الموزونة ، والمكيولة ، والمذروعة إذا اختلفوا في قسم حزرها وتخمينها . وهكذا العلماء العارفون بصناعة البرهان ، وضعوا البراهين ليعرفوا بها حقائق الأشياء ، إذا اختلف العقلاء في حزرها وتخمين الرأي فيها ، فهذا كان غرض أرسطوطاليس ومن تبعه من الحكماء في نصب البراهين ، وقد أتينا على ذكر أكثر ما يحتاج إليه فيما قدمناه من الرسائل المنطقية .

وقد ألقينا إليك في هذا الفصل من هذه الرسالة معرفة أصحاب الحق والباطل . فكل ما كان قائماً في العقل ، بالبرهان الصادق ، يدعو

١ كثيرة : سقطت في ص .

٢ يجب : سقطت في ب .

إلى الخير ويأمر به ، فهو مراد الله [١٥٠] في خلقه ، ومشيبته في عباده ،
وقدره الذي قدره ، وقضاؤه الذي حكم به ، وأمره الذي يسره ، وكل
ما كان بالضد من ذلك ، فهو من أفعال الأبالسة ، وما صنعت^١ الكفرة
من الفلاسفة ، الذين حادوا عن الحكمة العقلية ، والآراء البرهانية ،
واتخذوا ما أحدثوه من أقوالهم السخيفة أدیاناً واعتقادات ، واتبعهم
عليها قوم من ضعفاء العقول ، الذين لم يتهدبوا ، ولم يتأدبوا ، فضلوا ،
وأضلوا [بأقوالهم السخيفة]^٢ فاجتنبهم يا أخي وكن عنهم بمعزل ،
وكذلك قوم ممن تعلق بأصحاب الشرائع ، دخلوا في شرائع الأنبياء ،
طلباً للحيلة فيها ، والخديعة لأهلها ، لتفريق الكلمة ، وإغواء الأمة وتشيت
الشملى ، وتفريق الجمع ، كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا
نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^٣ . وكذلك
أصحاب الآداب السيئة ، والعادات الرديئة ، والأخلاق الوحشة ، والمناظر
السمجة . وهم أصحاب الصنائع الخسيسة ، [١٥١] والمهن القبيحة ، هم أبدأ
يضعون من أقدار أصحاب الصنائع المرتفعة ، ويرون أنهم أفضل منهم وأزكى ،
وأحسن ، وأبهى ، وأجمل وأتم ، وأكمل ، وفي هذا التباين والاختلاف ،
ومحبة كل قوم ما هم عليه قائمون ، وفيه دائبون ، كقوله تعالى : ﴿كُلُّ
حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^٤ . حكمة عظيمة . وذلك أن بهذه الأمور
المختلفة يميز الله الخبيث من الطيب ، ويكون لكل قوم سمة^٥ يعرفون

١ صنته : صنته في ب .

٢ بأقوالهم السخيفة : سقطت في ص .

٣ سورة ٦١ : ٨ .

٤ سورة ٢٣ : ٥٤ و ٣٠ : ٢٢ .

٥ سمة : سمة في ب .

بها لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾^١
وبمعرفة هذه المنازل والصناعات ، وما بين أهلها من التفاوت في الدرجات
تكون الإحاطة بالمعلومات ، وماهيات الموجودات ، ومعرفة الحق والباطل
والمفضول ، والفاضل ، ويكون ذلك معيناً لك على البلوغ إلى درجات
العلماء ، ومنازل السعداء ، [إن شاء الله تعالى]^٢ .

فصل

[في الرسالة الثامنة : الثامنة من الرياضيات رسالة]^٣ في الصنائع العلمية
المهنية ، وكيفية أقسامها ، وكيفية مراتبها ، وإيضاح ما استوعر من [١٥٢]
طرائقها ، ومذاهبها . والمقصود إليه منها ، الذي أشرنا إليه فيها [وكان
الغرض في وضعها]^٤ تعديد أجناس العلوم المهنية ، وأنواع الحكم العملية
ومبادي الصنائع الكيانية ، واستخراجها بالأذهان الصافية ، والقرائح
الزكية والنفوس المضيئة ، وليعلم كل إنسان له عقل راجح ، وعمل
صالح أن إتقان الصنعة ، وإحكام الشيء ، ووضعها في موضعه اللائق
به ، هو أحق أن يسمى صاحبها والواضع له في موضعه اللائق به باسم
الخلق في صناعته ، وأنه قد تشبه بخالقه وباريه ، بحسب طاقته ، ووسع
قوته ، ويتنبه المتأمل لهذه الرسالة والناظر فيها من نوم غفلته ، ورقدة
جهالته ، ويكون له حثاً على معرفة جواهر الموجودات ، والصنائع المعلومات

١ سورة ٧ : ٤٥ .

٢ إن شاء الله تعالى : سقطت في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وان انبعث مبادئها كلها فيها ، والفاعلة لها ، على الحقيقة المستنبطة للصنائع كلها ، المستعملة لأجسام البشر كلها فيها ، المستخدمة لأبدانهم في إظهارها هي القوة [١٥٣] الطبيعية المؤيدة بتأثير النفس الكلية الفلكية ، إذ هي كالآلات للنفوس الجزئية المتحدة بالأجسام البشرية وأن الطبيعة هيولى لها وأن الأفلاك والكواكب والأركان كالأدوات^١ لها وأن القوة السارية منها في جميعها هي المبرزة لجواهرها، المظهرة لما في قوتها إلى الفعل والانفعال ، والاستحالة ، والانتقال من حال إلى حال ، لتبلغ بها غرضها على اختلاف مقاصدها ، وفنون حاجاتها ، فتنتبه نفس المفكر في ذلك [إذا علمه^٢] وتحققه ، ويعلم علماً يقيناً ، أن إتقان الصنعة يدل على أن للصانع الحكيم غرضاً في إظهارها ، هو أن يكون جوده دائماً [بوجوده]^٣ غير منقطع ، وأن نهاية الجود هو أن يبلغ خلقه إلى أكمل الحالات ، وأرفع الدرجات ، وأتم السعادات ، وذلك من فضله [تعالى علواً كبيراً]^٤ إذ كان لا يليق به إلاّ الإحسان إلى خلقه ، والرأفة بعباده ، والرحمة ، والجود ، وأن ملاحظته لعالمه متصلة منه به على الدوام ، ولو أهمله لتلاشى دفعة واحدة وذهب حتى لا يوجد ، ف سبحانه من [١٥٤] خلق الأشياء وقدرها ، ما بين مستقر ومستودع ، ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^٥ .

١ كالأدوات : كالأب في ص .

٢ إذا علمه : سقطت في ب .

٣ بوجوده : سقطت في ص .

٤ تعالى علواً كبيراً : سقطت في ص .

٥ سورة ١١ : ٦ .

فصل

[في الرسالة التاسعة من الرياضيات : رسالة ^١ في بيان اختلاف الأخلاق ، وتباين اختلافها بحسب اختلاف الأهوية [وتباين الأغذية] ^٢ في حرها ، وبردها ، ورطوبتها ، ويبسها وأنواع عللها ، وما يوجب لها ذلك ، لما فيه من الحكمة الربانية ، والعناية الإلهية ، وأن الأفعال تظهر من الأنفس بحسب قواها ، وما جعل في غرائزها وجبلتها ، واتحادها بأشخاصها ، وارتباطها بأجسامها ، وفي هذه الرسالة قد بينا لك ما لا غنى لك عنه ، فأكثر التأمل لها كلها ، والنظر فيها فإننا قد ألقينا إليك فيها من العلم والحكمة ما فيه ذكرى للذاكرين ، وفيها من آداب الأنبياء ، وأتباعهم وخلفائهم ، والأئمة القائمين بأمر الأمة من بعدهم ، نكت هي جواهر الحكم ، ورياض تنزه فيها العقول ، ونحيا بنسيمها الأرواح وفيها معرفة الملائكة [١٥٥] الروحانيين المتزّلين بالأنبياء على الأنبياء والمرسلين ، ومعرفة الشياطين ، وإبليس اللعين ، وحزبه المنافقين ، وأن أمثال ^٣ ذلك موجودة في الجسم القائم به صورة الإنسان التي قالت الحكماء إنه عالم صغير ، وإنه أنموذج ومثال لما في العالم الكبير ، وإن فيه طبقات ومنازل [ومساكن فيه طيبين ، وغير ذلك] ^٤ وإنه كمدينة مبنية وفيها ملك كريم يملكها ويدبرها على أحسن النظام ، وأكمل التمام ، وإنه متى أهمل أمر سكانها ، وتغافل عن أهلها أفسدوا فيها ، وأكثروا الجور والفساد ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ وتباين الأغذية : سقطت في ص .

٣ أمثال : جميع في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وقد أكثرنا في مثل هذا الفن في رسائلنا ولكن لما شرطنا أن نشرح في رسالتنا هذه ما سترناه في غيرها ، وجب علينا أن نبين هذا المثال ونشبع القول في هذا المعنى ، إذ كانت هذه الرسالة الجامعة للأغراض التي قصدنا إليها ، وكان أكثر الغرض منا في وضعها إيضاح^١ ما قاله الحكماء وترجمه العلماء من كتب الفلاسفة الإلهيين [١٥٦] والقدماء من أن الإنسان عالم صغير ، وأن في بنيته وعجيب خلقته مجموع فيه جميع ما في العالم الكبير ، وأنه مبني بالحكمة ، متقن بالصنعة ، وأنه كتاب الله الذي كتبه بيده ، وأشهد النفس الجزئية إياه ، ليتبين لها بما فيه جميع آثار صنعته ، وإتقان حكمته ، وأشهد النفس الكلية على الأنفس الجزئية بقوله تعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى﴾^٢ وقال : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^٣ .

ولما أهبطت النفس الجزئية وقرنت بالهياكل الجسمية ، ففرقت من حال إلى حال ، حتى بلغت إلى آخر باب في جهنم عالم الكون والفساد ، وهي الصورة الإنسانية ، وهي صورة الملكوت ، وفيها مثالات قائمة بالبراهين ، تدل على الصانع الحكيم سبحانه وتعالى ، [لا إله إلا هو]^٤ فإن صورة الإنسان أجل الأشكال وأتم الصور ، وذلك أنه منتصب ، وهو الصراط الممدود بين الجنة والنار . وهو سيد الصور ، وذلك [١٥٧] أنه منتصب وجميع الصور التي دونه ساجدة له وراكعة ، وهو ربها وسيدها . وهو يسوسها سياسة ربانية ، ويتصرف فيها كتصرف ملكة اختيارية ، وهي مكلفة طاعته والسجود له ، كما هو مكلف طاعة ربه ،

١ إيضاح : أوردنا في ص .

٢ سورة ٧ : ١٧١ .

٣ سورة ٤١ : ٥٣ .

٤ لا إله إلا هو : سقطت في ص .

والخضوع له ، والتضرع إليه ، والاجتهاد في القرب منه ، والمعرفة به حق معرفته ، ولزوم طاعته ، وعبادته سبحانه وتعالى حق عبادته ، ولذلك وجب عليه الطاعة والانقياد لباريه ، وسقط ذلك عن غيره من الحيوانات . ولما كان هذا الجسم الذي هو الصورة الإنسانية المختصة بهذه البنية العجيبة المحكمة القائمة بهذه الحكمة الفاضلة ، على جميع أشخاص الحيوان وأنه مالكها يتحكم فيها وعليها كحكم الأرباب ، كان في جملة أيضاً موجوداً مثل ما هو موجود في جملة العالم من الفاضل والمفضول ، والرئيس والمرؤوس ، والسائس والمسوس ، ليكون موافقاً بخلقه الصغير ، لما [١٥٨] كان في هذا العالم الكبير . [وطاعة الكبير واجب على الصغير ما دام مطيعاً لباريه فإن عصى فلا طاعة له عليه وإن تعدى جار عليه في تعديه] ^١ ولما شبهناه بالمدينة العامرة ، وكأن في تلك المدينة رئيسها يدبرها ويرمى حالها ، ويضع أهلها كلاً منهم في موضعه ، ويعطيه ما لا غنى له عنه مما يستحقه ، وكان له خواص من أشرافها وأجلائها ، وكان فيها عقلاء وأخيار ، وسفهاء وأشرار ، وأنهم كلهم واقفون تحت أمر الملك ، وأنه متحكم فيهم ، وأنهم مؤتمرون لأمره ، قابلون منه ما دام ينظر في أمورهم ، ويتفقد أحوالهم من غير اشتغال عنهم ، فهم منه خائفون ، وإلى طاعته منقادون ، وأنه متى غفل عنهم واشتغل بنهمته ، وأخذ لذته ، هان عليهم أمره وخرجوا من طاعته ، وارتكبوا كسعه ^٢ ، وتملكوه بعد أن كان يملكهم ، ويصير هو العبد وهم السادة والموالي . فكذلك النفس الناطقة [١٥٩] هي رئيسة الجسد وملكته ، وكلما كان فيها آلة لها تظهر بها ومنها أفعالها ، وصنائعها ، وعجائبها ، بما هو فيها بالقوة إلى

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ كسه : كتفه في ب .

الفعل من المواد المتعلقة^١ بها من النفس الكلية ، وأن معها مقارناً لها يغويها ، ويخدعها ، ويجذبها إلى شهوات الطبيعة ولذاتها ، ويدعوها إلى كل ما نهيت عنه ، وتناول ما حذرت منه ، وحظر عليها تناوله ، وأمرها ربها بالبعد عنه ، [والتخلي منه]^٢ وأن لا تقربه ولا تدنو إليه إلا بقدر الحاجة إليه ، وما لا غناء لها عنه ، وكانت الطبيعة ولذاتها الحسية والانهماك في رقدة الجهالة ، ونومة الغفلة هي الشجرة المنهي عن قربها ، والممنوع من أكلها ، [الذي حذر عنها في بدء الأمر وزجر عنها بتبليغ الذكر]^٣ وكانت النفس الناطقة في هذا الموضع مثل آدم ، وكانت النفس الشهوانية مثل إبليس الغوي ، المغوي . ولذلك أنه متى انخفضت النفس الناطقة للنفس الغضبية [١٦٠] وقبلت منها ، وسارعت إلى شهواتها ، وانهمكت في لذاتها وقعت في الخطيئة ، وفارقتها الأنوار العقلية ، وانكشفت عورتها ، ونزع عنها لباس التقوى ، واستوجبت العقوبة والهوان . كما قيل إن إبليس كان أكثر همه وأشد عزمه ، لما أضمره لآدم ، هو أن يوقعه في الخطيئة ليزول عنه لباسه ، وتنقطع عنه مواد إفاداته ، ويسخط عليه ربه ، وكذلك حال النفس الشهوانية مع النفس الناطقة ، ولذلك قال الحكيم الناطق ، والنبي الصادق : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ؛ عني بالأصغر جهاد السيف للعدو والمخالف ، وبالجهاد الأكبر مجاهدة النفوس الناطقة للنفوس الشهوانية الغضبية . فتأمل يا أخي هذا القول فإنه يؤيد ما ذكرناه ، فالنفس الناطقة متى عطفت على فوائد العقل ،

١ المتعلقة : المتصلة في ص .

٢ والتخلي منه : سقطت في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وقبلت فيضه ومواده وتخلت عن الطبيعة ، إلا بقدر ما تحتاج إليه منها ،
 [١٦١] إذ كانت مبتلاة فيها ، محتاجة إليها لما كان منها من الخطيئة
 والزلة . وكان الأصل في ذلك أن النفس الجزئية كان منها فتور عن قبول
 فوائد النفس الكلية ، والمواد العقلية ، فأهبطت إلى عالم الجسم ، وجعل لها واسطة
 لتناول العلوم بالحوس واللمس ، لتتصور بتأمل المحسوسات المركبات صور
 الأشياء المعقولات الروحانيات المجردات من الهولانيات ، فإذا فارقت
 المحسوسات ، وبقيت آثارها فيها ، وشاهدت الصور العقلية المجردة من
 الهولي ، كان ذلك معيناً لها على طلب الاتحاد بها ، والكون بحيث هي ،
 في جنة المأوى ، والفردوس الأعلى ، فلذلك قال سبحانه : ﴿ وَأَتُوا بِهِ
 مَتَشَابِهًا ۚ ۱ ﴾ وقولهم : ﴿ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ۚ ۲ ﴾ يعنون وهم في
 محل الأجسام ، في دار الدنيا ، وهي الصورة الباقية ، واللذات الدائمة ،
 الموجودة في عالم العقل ۳ وجوداً تاماً ، لا تشوبه شوائب التغير ، والزوال ،
 والانتقال [١٦٢] من حال إلى حال . وإنما تنال النفس ذلك ما دامت مجتهدة
 في التعلم ، والترقي من حال إلى حال ، وقد كانت الفوائد بها متصلة بنوع هو
 أشرف من هذا النوع قبل الخطيئة ، وإليه تعود ، إذا تخلصت مما وقعت
 فيه إذا انتبهت من نوم غفلتها ، ورقدة جهالتها ، أو تابت كما تاب آدم على
 معصيته بعد وقوعه في خطيئته ، وكما أنه لما تاب آدم ، وغفر له ربه ، وتاب
 عليه ورده إلى كرامته ، وما عوده من رحمته ، حزن إبليس ، وازداد
 حسده وإصراره فأقبل يغوي ولده ، ويطرح العداوة والشر بينهم ، ويعلمهم
 المكر والخديعة وقول الزور ، وينصب لهم الحيل ، وكل نبي ظهر ورسول

١ سورة ٢ : ٢٥ .

٢ سورة ٢ : ٢٥ .

٣ العقل : الأرواح في ص .

بعث ، إنما هو رحمة من الله سبحانه بعثه إلى خلقه ليحذرهم وينذرهم ، ألا ترى أن كل نبي بعث ورسول نطق عن ربه ، عرفه الله سبحانه بقصة آدم وإبليس ، وأمره أن يحذر أمته من إبليس وعمله [١٦٣] ، ويعرفهم بخيله ورجله وحيله ، فهذا كان السبب في مجيء الأنبياء ، وتواتر الرسل ، وإقامة الشرائع ليزول نطمع إبليس ، وتنحسم مواد شره ، وأذيته ، وغوايته لبني آدم ، وكذلك أيضاً إذا عزفت^١ النفس الناطقة عن الشهوات الغضبية التي هي إبليسها وعدوها ، ويشتت النفس الغضبية من وقوع النفس الناطقة في حبالها ، حزنت وذلت وماتت ، وهو قتلها وموتها ، ألا ترى إلى قوله سبحانه : ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾^٢ ذلك إذا آن الوقت المعلوم الذي فيه كشف الحقائق ، وزوال السر ، بموت إبليس من شدة الحزن ، والأسف والحسرة ، والندامة ، ويكون قتله ، وقتل حزبه ، وانقراض خيله ورجله وهلاك قبيلته فلا يبقى له أثر . وكل نبي بعث ، وكل رسول نطق بالحكمة ، فلا بد له من إبليس يكون معه ، يظهر له النصيحة ، ويضممر له العداوة [١٦٤] ، ويدبر له على إفساد أمره ويؤلب الأمة عليه ، ويكون أكثر غرضه فساد أمره بالحيلة والخديعة ، إذ كان النبي في عصره والرسول في زمانه بمنزلة آدم في وقته ، وإن أهل ذلك العصر هم أولاده وبنوه وذريته كما قال (ص) لزوجته وقريته : أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة . وإن الرسول قد عصمه الله ، وحماه من إبليس ، وعرف به فلا تم حيلته عليه ، ولا على أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وهم الذين أشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي

١ عزفت : عطفت في ص .

٢ سورة ٢ : ٥٤ .

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ^١ وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^٢
وبالبرهان ان المحذر لغيره في الشيء الشر لا يكاد هو أن يقع فيه ، وإنما
كان وقوع آدم في الخطيئة وتمت عليه الحيلة لأنه كان البداية . وقد عهد
الله سبحانه إليه بذلك ، وأعلمه أن إبليس عدو له ولزوجه ، وحذره
منه [١٦٥] ، ونهاه عنه ، ففسي ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^٣ والذين
جاؤوا من بعده من ذريته ، فقد أعلمهم الله سبحانه ما كان من أمر آدم
وإبليس ، وقص عليهم قصته ، وحذره من عمله ، وسمى الأنبياء
والمرسلين من ذرية آدم ، أولي العزم ، لأنهم عزموا على قطع ما أسسه إبليس
من المعصية لله ، وإخراج ذرية آدم (ص) من الخطيئة التي أوقعهم إبليس
فيها ، ودعاهم إليها فسامهم الله سبحانه أولي العزم من الرسل ، ولم يكن
لآدم من العزم مثل ما لهم لأنه أول مخدوع خدعه عدوه ، حتى أوقعه
في الخطيئة لنسيانه وأكله من الشجرة المنهي عنها التي قدمنا ذكرها ، وما
كان من قصة آدم وإبليس فيما قد بيناه^٤ من هذه الرسالة .

فصل

[في نعت دعوة الطائعين]^٥ : وكل من أجاب الأنبياء (ص) ،
والمرسلين ، والأئمة الهادين ، والخلفاء الراشدين ، الذين هم قيام في الأمة .

١ سورة ١٥ : ٤٢ .

٢ سورة ١٥ : ٤٠ .

٣ سورة ٢٠ : ١١٥ .

٤ بيناه : قدمناه في ص .

٥ في نعت دعوة الطائعين : سقطت في ص .

مستحفظين للودائع [١٦٦] النبوية ، فهم توايت الحكمة ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾^١ ومعهم تابوت السكينة الذي تحمله الملائكة الموكلون بحفظه حتى يقوم مستحقه ، ويتوارثه الخلف عن السلف آية الله في أرضه وعلمه المحض ، فمن عرفهم ، واتبع سبيلهم ، واهتدى بهديهم فقد أخلص العبادة ونجا من الأبالسة ، من الجن والإنس ، الظاهرين بالعداوة والباطنين ، الذين معه في جسمه ، الذين يجرون منه مجرى الدم ، فإذا نجا منهم وتخلص من شباكهم كان ملكاً من الملائكة بالقوة^٢ ما دام مع الجسد ، فإذا فارقت نفسه الجسد كان ملكاً بالفعل ومن غفل عن دعوة الأنبياء ، ولم يستجب إليهم ، وتبع شياطين زمانه ، وفراغت وقته ، وانهك في شهوات نفسه الدنيئة الرذلة فاتته الفوائد العقلية ، وخرج من جملة الذرية الطاهرة ، وصار في حزب [إبليس والشياطين الجسمانيين]^٣ بالقوة ، فإذا [١٦٧] مات صار شيطاناً بالفعل^٤ روحانياً ، غوياً مغوياً ، رئيساً في ضلالته ، يغوي من قدر عليه بالوسوسة ، كما قال سبحانه : ﴿ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾^٥ [ولا يزال هذا الأمر كذلك]^٦ وكل من كان تهذبت نفسه ، وزكت أعماله ، وحسنت أفعاله صار ملكاً ، وارتقى إلى الحالة الفاضلة ، إلى دار الكرامة ومحل النعمة ، وكل من أخلد إلى الطبيعة وسكن إليها وانهك في شهواتها

١ سورة ٢٤ : ٣٦ .

٢ بالقوة : بالقوم في ب .

٣ إبليس والشياطين الجسمانيين : الشيطان بالقوة في ص .

٤ بالفعل : سقطت في ص .

٥ سورة ٦ : ١١٢ .

٦ ولا يزال هذا الأمر : سقطت في ص .

الحسيات ، واستحل المحرمات ، وعدل عن إفادة الأشخاص العالية ، فهو عند الموت عائد إلى دار الهوان ، ومحل الأسقام والآلام ، ويبقى في عالم الكون والفساد ﴿ كَلِمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾^١ .

فصل

[في ذكر كيفية آدم وإبليس]^٢ : ولما شرطنا أن نورد في هذه الرسالة ما لا بد لمن أراد الاطلاع على أسرار العلوم الحقيقية والمرموزات الشرعية منه ، ولا غنى لذوي الأبواب عنه ، كان من [١٦٨] أكبر ما قصدنا إليه ونبهنا عليه إجابة سائل سأل فقال : كيف حال إبليس في كونه على حالة البقاء والدوام من لدن آدم يغوي الأمم جيلاً بعد جيل ، وقبلاً بعد قبيل ، على ممر الدهور وتقلب الزمان ، وإنه لا يزال كذلك إلى يوم الوقت المعلوم ، وهل هو باق بذلك الجسد الذي استغوى به آدم أو غيره ، وكيف تركيبه ، وهل هو مشاكل لصورة الإنسان ، أم بصورة مخالفة ؟ فلما كان هذا السؤال يبحث عن علم جليل غامض ومعنى لطيف ، وسر دقيق ، فلا بد لكل من برّع في العلم ، وارتقى في درجات الحكم من البحث عن هذا السر ومعرفة هذا الأمر حتى يكون قد وصل إلى أصول الدين وحقائق المعرفة واليقين ، ولما كان أصول الدين وحقائق المعرفة التي اعتمد عليها العلماء ، ووقف عندها الحكماء ، معرفة الله سبحانه ، والإقرار بربوبيته ، ومعرفة ما أبدع ، وما انبعث [١٦٩] من إبداعه ، ومعرفة دور الكشف عند تجلي

١ سورة ٤ : ٥٥ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

العقل للنفس ، وقبولها منه الفيض والحدود ، ومعرفة دور السر ،
ووصول العلم إلى النفوس الجزئية بالآلات^١ الحسية ، والإشارات النظرية
والعبادات التكليفية ، ومعرفة آدم ، فالواجب على أهل العلم أيضاً معرفة
إبليس ، لأن^٢ بهم من الحاجة إلى معرفته ما لا يسعهم تركه والإهمال له ،
لئلا يقعوا في حباله ، ويتورطوا في شباكه ، فلا يكونوا عند ذلك من عباد الله
المخلصين ، الذين مدحهم وأثنى عليهم ، ومنع إبليس عنهم ، وحسم مادة
طمعه فيهم بقوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾^٣
فلما كان ذلك كذلك وجب علينا البيان بالبرهان ، فنقول : إن آدم كان
شخصاً من أشخاص العالم الجسماني وكان بداية الأمر المشاهد في وقتنا هذا
وما العالم عليه من العبادات ، والأعمال ، والصنائع وإن كانت قد تفرعت ،
وكرثت ، وانبسطت على طول الزمان ، وممر الأيام ، وبطول التجارب ،
ومجيء [١٧٠] الأنبياء والحكماء بالوحي والإنباء من الملائكة الأعلى .
ولما كان آدم جسماً ذا طبائع متضادة ، وجب له الفناء ، فكان
بقاؤه مدة مقدرة له لتمام الأمر ونفاذ الحكم ، ثم توفاه الله سبحانه إليه ،
وجعل منزلته باقية في ولده ، ومقامه محفوظاً ، تتوارثه^٤ الصفوة الطاهرة
من ولده ، كلما مضى منهم سلف ، أعقبه خلف . فالمنزلة باقية ، والمرتبة
محفوظة ، وهي مرتبة النبوة ، ومراقبة الرسالة ، وكل نبي ظهر ورسول
بعث ، ففني مقام آدم قام ، وعنه ناب في تأديب ذريته ، وبسط دعوته ،
فكلهم آدم بالنسبة إليه ، فهذه معرفة آدم .

١ بالآلات : بالآلام في ب .

٢ لأن : سقطت في ب .

٣ سورة ١٥ : ٤٢ .

٤ تتوارثه : بتوارث في ب .

فصل

في معرفة إبليس : وكذلك إبليس ، لما كان شخصاً من الأشخاص التركيبية بنوع ما ، كان إنسياً أو جنياً لكنه لم يأت آدم إلا^١ في الصورة الإنسانية ، وبذلك خدعه ، لأنه كلمه ، ففهم عنه ، كذلك جاء في الخبر فكان منه ما كان ، ثم قضي عليه ما قضي على المخلوقين ، من أنه لا يبقى على [١٧١] حالة الدوام شيء مما دون فلك القمر بالحملة ، ولا بد له من التغير والاستحالة ، وإنما كان السؤال منه النظرة أن تبقى منزلته محفوظة لمن يخلفه ، وينوب منابه ، ويقوم مقامه ، ويعمل عمله ، ويتم دعوته ، ويكمل معصيته ، فكل عدو قام بإزاء كل نبي بعث فهو إبليس ، إذ كان يعمل مثل عمله ، ويقوم بمثل ما قام به فكما أن كل نبي هو بمنزلة آدم ، كذلك كل عدو لله ولأوليائه هو بمنزلة إبليس ، ومنزلته محفوظة على ولده وذريته طول مدة دور السر ، فهذه معرفة دور^٢ آدم وإبليس وبقائهما في العالم بالبرهان الصادق^٣ فافهم يا أخي هذا العلم وثق بهذه المعرفة ، فهي الحق وأطلع على هذا السر من رضيت عقله وصح لك دينه ، إذا تهذبت نفسه ، وزكت أعماله ، ونجحت مساعيه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وبهذا العلم وأمثاله يكون الوصول إلى البقاء الدائم والسرور المقيم وكمال السعادة الباقية [١٧٢] في الدنيا والآخرة .

١ إلا : سقطت في ب .

٢ دور : سقطت في ص .

٣ الصادق : سقطت في ص .

فصل

[في ذكر]^١ الرسالة العاشرة : [العاشرة رسالة في]^٢ إيساغوجي ،
وهي الألفاظ الستة التي يستعملها الفلاسفة في المنطق ، في أقوالهم ، ومخاطباتهم ،
وكتبهم ، وحججهم ، وبراهينهم ، وهي الجنس ، والنوع ، والشخص ،
والفصل ، والخاصة ، والعرض ، وكان الغرض من هذه الرسالة الذي
قصدنا إليه ، ودعونا إخواننا إلى فهم معانيه ، والحث عليه ، هو التنبيه على ما
يقوم ذات الإنسان ، ويتممه ، ويعرضه لحصول البقاء الدائم ، ويعرفه
الفرق بين الكلام المنطقي ، واللغوي ، والفلسفي ، وما حقيقة كل واحد
منها ، وبيان ما يحتاج إليه [من ذلك]^٣ في تسديد العقل ، وتقويمه ،
وتثقيفه ، نحو الحقائق ورده عن الزلل ، والخطأ والغلط ، كما يحتاج إلى
النحو لتسديد اللسان وتقويمه نحو الصواب ، ورده عن اللحن ، [والغلط
إلى الاعتدال لأن نسبة صناعة النطق إلى العقل]^٤ والمعقولات مثل نسبة صناعة
[١٧٣] النحو إلى اللسان والألفاظ .

فصل

[في ذكر]^٥ الرسالة الحادية عشرة [الحادية عشرة] رسالة قاطيغورياس

١ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٢ العاشر رسالة في : سقطت في ص .

٣ من ذلك : سقطت في ب .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

آيات الأنفس والآفاق [١٧٦] ، وأسرار الخلق ، والقيامة ، وكون النشأة الثانية ، وعلم المعاد والمبدل ، والمنقلب ، وبه يتبين قصد الرشد واتباع المرشد ، والهدي في اتباع الهادي ، والانتقياد إلى الفاضل ، والعلم ، والتعليم ، وبه يقام الوزن بالقسط . ومثاقيله بداية العقول والمعارف الأول التي تستعملها الصيارفة [الإلهيون من] ^١ الحكماء ليعرفوا بها الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، ويوضح الحق ^٢ اليقين والعلم المبين والطريق القويم ، والصراط المستقيم بالحجج القاطعة ، والأنوار اللامعة ، والبراهين الواضحة ، فقف على جميعها وتدبرها ، ورض بها من استجاب إليك ، ورغب فيما لديك ، واجعل هذه الرسائل الرياضيات [التي هي] ^٣ ميادين المتعلمين ، وبساتين الطالبين ، وفوائد الراغبين ، فإنها مفاتيح أبواب العلوم العالية والمنازل السامية ، لعلهم يرتقون إذا تهذبوا بها ، واعتادوا [١٧٧] قراءتها ودرسها إلى منازل الأخيار ومرافقة الأبرار .

فصل

في معرفة الخلق الروحاني : وإنما قدمنا هذه الرسالة على غيرها ، وجعلناها ، مقدمات لما يأتي من بعدها اقتداء بحكمة الله تعالى ، واتباعاً لأمره ، وذلك انه سبحانه خلق الأشياء كلها دفعة واحدة ، بالقوة ، في إبداعه الأول وخلقها الأكمل ، ثم أخرجها من القوة إلى الفعل الشيء بعد الشيء ، فكانت البداية في العالم الروحاني العلوي ، العالي بأفضلها الذي هو أولها ، وسبب

١ الإلهيون من : سقطت في ب .

٢ الحق : سقطت في ص .

٣ التي هي : سقطت في ب .

وجودها بوجوده عن موجده ، فهو بدوامه يبقى فلذلك هو مبدأ الوجود ،
وقابل الجود ، مستكمل الفضائل والخيرات ، [تام الأنوار والبركات ،
بجميع الفضائل]^١ والسعادات ، معرى من الشوائب والتغيرات ، [مبرأ
من النقص الواقع من جهة الطبائع المختلفة ، والهياولات المركبات]^٢
والصور المختلفة ، فهو يرتب كل موجود في مرتبته ، وينزله في منزلته ،
ويوفيه قسطه ، ويعطيه بقدر سعته وطاقته في لزوم النظام ، والبلوغ إلى
درجة الكمال والتمام [١٧٨] ولذلك جعل فيه القوة الحافظة لسائر الموجودات
وجوداتها العاقلة ، لتم ذواتها الخاصة بواحد واحد منها مما تستحقه أو يليق بها ،
فلذلك يشار إلى ذاتها الخاصة باسم الفعل الصادر عنها بالفعل ، إذ فعله
ذاته وصورته تأثيراته . فهذا هو السابق البادي ، ثم يليه اللاحق التالي .
وهو النفس الكلية المنبعثة منه ، المخترعة بواسطته ، المبدعة بها الذوات ،
من سائر الموجودات ، وأفضل أحوالها الوجود الذي هو الحياة وهذه النفس
هي التي بها وصلت الأجسام إلى أفضل أحوالها ، وأجل أعمالها وأفضل
صورها ، وأتم وجودها ، ولما تصورت الأجسام ، وتركبت على ما تركبت
عليه منها ، وانطبعت فيها ، حصلت لها بها قوة تتعلق بها الأجسام الطبيعية ،
والآلات الحسية ، على قدر قواها المفعولة لها على اختلاف صور الأجسام ،
ومواد أغذيتها فجعلت صورة كل واحد^٣ [١٧٩] منها مخالفة لصورة الآخر ،
وهي الطبيعة الباقية في الأجسام ، فحصل بها التخلق ، والتعلق ، والتفكر ،
وبحصل التصور ، والتشكل بالصور الخاصة لواحد واحد منها ، كما شاء
باريها ومبدعها ، ومصورها لا إله إلا هو جل اسمه وتعالى ذكره .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٣ واحد : سقطت في ب .

وذلك أنه [جلت آلاؤه وتقدست أسماؤه]^١ وضعها في الجسم ، وجعل قوامه بوجودها فيه ، وصيره بقوتها يتحرك إلى تمام ما هو معدّ له ، وغاية قدر بلوغه إليها ، ووقوفه عندها ، إلا أن يعوقه بعض العوائق من خارجه فيمتنع من حركته إلى أن ينقطع ذلك العائق ، ويزول ذلك المانع ، فيعود إلى حركته الخاصة ، ثم الهيولى التي هي ذات بالقوة ، لا موجودة بالفعل ، تخرج إلى الوجود بقبول الصورة التي بها يصير الشيء هو ما هو ، ويفارقه كون العدم ، والعدم هو لا موجود بالفعل ولا موجود بالذات ، موجود بالعرض ، وسبحان خالق الوجود ، مفيض الجود على كل موجود ، فهو معدن [١٨٠] الجود ومنه بدأ وإليه يعود . فلذلك قلنا في ترتيب الحلقة الروحانية من الجواهر البسيطة العالية التي هي أصول العالم الجسماني ، والخلق التركيبي ، إن العقل الأول سابق ، والنفس الكلية المنبعثة منه لاحقة ، والهيولى مشتاقة ، والطبيعة سابقة ، فالهيولى مشتاقة إلى حصول الصورة فيها ، والطبيعة سابقة للنفس إلى طلب الوجود بها ، إذ نزلت عليها ، فافهم يا أخي أرشدك الله هذا القول الصحيح ، وتصفح هذا العلم الجليل ، فإنه يرشدك إلى الله تعالى وجنته بمنه ورحمته .

فصل

في معرفة الخلق الجسماني : وأما ترتيب الخلق الجسماني ، فإنه لما تركبت الأفلاك العالية ، ودارت بالقوة الحركة المحكمة المنبعثة من النفس الكلية ، وسرت في الجسم المطلق القوى الباعثة للأشياء من حال القوة إلى

١ سقطت الكلمات المحصورة في نص ص وأشير إليها في الهامش .

حال الفعل ، بالهيولى الأولى [١٨١] ، ابتدأت الأشياء تبدو من الطبيعة لما
تم المركز ، واستقرت عليه الطبائع المختلفة ، وامتزجت الأمهات بالحركة
الفلكية الدورية ، وأشرقت الكواكب النورانية ، ورمت بأنوارها إلى
المركز ، ودارت الأفلاك ، فكانت الدورة الأولى دورة نفسانية متحركة بحركة
إرادية تركيب^١ بها الفلك المحيط ، وهو أول ما تركيب من القوة النفسانية ،
فصار مبدأ الحركة الجسمية ، فارتبطت به النفس الكلية ، ودارت بالشوق
إلى باريها سبحانه ، تطلب الحقوق بدرجة الإبداع الأول الذي هو علتها ،
والوصول إلى درجة الكمال ، والبقاء على أشرف الأحوال ، ثم دار الفلك
المحيط وتركب ما دونه [كذلك فصار دونه في الحركة فصار المحيط
حائطاً بما تركيب منه ثم دار الفلك الذي دونه]^٢ فتركب منه ما دونه كذلك
حتى كان فلك القمر ، ثم وقف الدوران الفلكي عن أن يكون فلك دون
فلك القمر إلا ما دونه ، فكانت دائرة المركز وما هو [١٨٢] محيط بها وماسك
لأجزائها من الدوائر ، مثل الهواء ، والماء ، والأثير ، والزمهرير ، واتحدت
القوى الطبيعية بالمركز ، وامتزجت بالدوران ، وأشرق عليها النيران
الأعظمان الشمس والقمر ، ومطارح شعاعات الكواكب ، [فقبل المركز
التأثير العلوي]^٣ فكان أول شيء بدا من الأرض المعدن ، ثم صورة النبات
وكان صورة الأشياء الحيوانية كلها فيه بالقوة لما قدر الله سبحانه فيه من
أنه غذاء [لكل حيوان ، الكائن بعد كون النبات]^٤ وجعل النبات متقدماً

١ تركيب : ترتب في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الرجود على الحيوان لحاجة الحيوان إليه وانه لا غنى به عنه ، فكانت صورة النبات متقدم الوجود [على الحيوان لحاجة الحيوان إليه وانه لا غنى به عنه]^١ فكانت صورة النبات مجموعة فيها صورة الحيوان والإنسان^٢ ، ثم بدا الحيوان وتركب منه الأدون ، والأقل بما هو آلة مستخدمة لمن يأتي بعده ، وهو موهوب له ، فكانت البداية في الخلق الأول بالأفضل الأعلى [١٨٣] ، إذ كان عالم الجواهر النورانية التي لا تركيب فيها ، ولا مخالفة ، ولا تغاير ، ولا تباين إلاّ بشرف السبق في الرتبة ، والقرب من الباري جل جلاله ، وذلك لأنها خارجة عن الزمان ، ومستغنية عن المكان .

ولما كان الخلق الجسماني والعالم الطبيعي يقبل الكون ، والفساد ، والتغير والاستحالة ، ويتكون في الزمان ، ويحتاج إلى المكان ، ويغتذي ، كانت البداية في الأدون حتى تكون النهاية بالأفضل . فلذلك كان ظهور الإنسان بعد كون المعادن ، والنبات والحيوان ، لما له فيها من المنفعة والمصلحة : [بوجوده له على غاية قد بلغها وانتهى إليها]^٣ . ولو كانت البداية في الحلقة الجسمانية بالإنسان قبل المعادن ، والنبات والحيوان ، لكان خلقه عبثاً ، لأنه لم يكن يقدر على البقاء ، ولا يتيسر له العيش ، إذ كان لا يجد الغذاء ولا ما يترفق به ، [مما وجدته بكون النبات والحيوان قبله]^٤ فلذلك كان بالعناية الربانية والحكمة [١٨٤] الإلهية تقدم كون المعادن ، والنبات والحيوان على كون الإنسان ، إذ كان محتاجاً مضطراً إلى الغذاء والمادة التي بها قوام جسده ، وسبب حياته ، ودوامه . فلذلك كانت الحلقة الجسمانية

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ والإنسان : سقطت في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

بالعكس من حال الحلقة الروحانية ، إذ كانت البداية في تلك بالأفضل ، ثم بالأدون ، وفي هذه بالأدون ثم بالأفضل ، وكذلك فعلت الحكماء فيما وضعت من العلوم واستخرجته من الصنائع ، وبسطته من الكتب ، إنها ابتدأت بأشياء جعلتها مقدمات لما يأتي بعدها ، وان صورة المتقدم جامعة لما تقدمته بالقوة ، مشيرة إليه ودالة عليه وكذلك فعلت الأنبياء في موضوعات شرائعهم وأحكامهم ، وفرائضهم ، وستنهم ، وما نصبوه من أمر العبادات والطاعات ، فإن أمر الشريعة مبني في ظاهرها على ترتيب الحلقة الجسمانية ، وفي باطنها على ترتيب الحلقة الروحانية. وذلك أن واضع الناموس أول ما دعا الخلق إليه [١٨٥] ودلهم عليه ، وجاهد من خالفه فيه إلى الشهادتين : الأولى لله بالوحدانية ، والثانية بالرسالة فكانت بقية الشريعة موجودة في هذه الفريضة الأولى بالقوة ، مجموعة كلها فيها . ولذلك قال رسول الله (ص) : من قال شهادة^١ لا إله إلا الله [محمد رسول الله]^٢ حقن بها ماله ودمه ، وان الرسول (ص) كان يجاهد المشركين حتى يقولوها ، ثم قال : من قالها مخلصاً دخل الجنة ، فقليل له : ما إخلاصها يا رسول الله ؟ قال : معرفة حدودها ، [وأداء حقوقها]^٣ فأشار بذلك إلى أنه لا يستحق دخول الجنة إلا من كملت له المعرفة بحدود الشريعة ، وإقامة فروضها وأحكامها ، ولذلك كان الأمر في تنزيل الكتب النبوية والآيات العلوية ، الابتداء بالسور القصار^٤ المجموع فيها معاني ما جاء بعدها في السور الكبار والطوال ، وذلك لطف من الله سبحانه بخلقه ، وسعة رحمته ، وفضله لما علم أن الخلق يعجزون عن قبول العلوم الإلهية ،

١ شهادة : سقطت في ص .

٢ محمد رسول الله : سقطت في ب .

٣ وأداء حقوقها : سقطت في ص .

٤ القصار : الصغار في ب .

والحكمة [١٨٦] الربانية دفعة واحدة، بل على التدرج، بالشيء بعد الشيء وقبول القوة أولاً بما جعله في وسعهم وجبلهم عليه، فإذا جاءتهم الأشياء بالقوة، وتصوروها جاءتهم الأشياء التي توجب إظهار ما حصل في نفوسهم بالقوة إلى الفعل، من العبادة، والطاعة والأعمال: مثل الطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، وسائر مفروضات الشرائع، وسنن الديانات. فكل هذه الأفعال تقدمتها علومها، وسبققتها معرفتها فلما كملت لهم معرفتها، ووقفوا على عملها وقبلوا تعليمها، أمروا بفعلها والقيام بعملها، وكذلك ترتبت الأشياء كلها من الموجودات التي دون فلك القمر، ولما كان ذلك كذلك، قدمت الحكماء والفلاسفة العلماء العلم الرياضي التعليمي على غيره من العلوم أخرتها، وجعلتها في العلم الرياضي بالقوة. فمن ارتاض بالعلوم الرياضية التعليمية وتهذبت نفسه بها [١٨٧]، وداوم على قراءتها وجب للحكيم أن ينقله إلى غيرها، ولا يزال حتى يبلغه إلى نهاية ما تعلمه، فيوقفه عندما وقف عنده، ويأمره بالعمل عند استكمال حد العلم ومعرفته بالعمل، فمن علم ولم يعمل، لم ينفعه علمه، ومن عمل ولم يعلم، وكان كالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ. تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾^١ وقال: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^٢ ولا يقبل الله سبحانه العمل إلا من العالم العارف، فلما كانت هذه سنة الله سبحانه في خلقه، وسنة الحكماء من عباده، والمصطفين من أوليائه وأنبيائه وجب علينا أن نسير بسيرتهم، ونتخلق بأخلاقهم، ويكون لنا بهم أسوة حسنة، فجعلنا ما قدمناه من الرسائل الابتداء بالعلوم الرياضية التعليمية، ليرتاض بها الطالبون للعلوم الشريفة، والحكم الجليلة،

١ سورة ٨٨ : ٤٤٣ .

٢ سورة ١٨ : ١٠٥ .

فإذا تهذبت نفوسهم بها ، وتمهروا فيها ، وعرفوا معانيها ، ووقفوا على
 أسرارها ، لاحت لهم العلوم وصارت في نفوسهم [١٨٨] بالقوة ، فإذا
 جاءتهم عرفوها ، وأسرعوا إلى قبولها ، وترك الإنكار لها ، والجهل بشيء
 منها ، وكذلك يجب على من وقعت في يده^١ هذه الرسائل أن يبتدأ بما قدمناه
 منها لما ذكرناه في رسائلنا أن هذه الرسالة مجمع الأغراض ، والمعاني ،
 والبراهين ، والفوائد ، وأنها تقوم بذاتها مقام الرسائل كلها والعلوم التي
 فيها بأجمعها ، إذ كانت هي الخاتمة ، وفيها بيان ما تقدم مما ضمناه فيها ،
 وجعلناه بين يديها ، دلائل عليها ، ومنبهات لمن نظر فيها من رقدة الجهالة
 ونومة الغفلة ، ليرقى إلى العالم الأعلى ، ويشاهد ويرى ملكوت السموات ،
 وقد أثبتنا فيما قدمناه من هذه الرسالة الجامعة ، بالحجج القاطعة ، والبراهين
 اللامعة بيان ما قصدنا إليه ، وجعلناه مستودعاً في فصول الرسائل المتقدمة
 الرياضية التعليمية وفتحنا أبوابها ، وسهلنا على الراغبين فيها مطالبتها ،
 وبيننا أغراض الحكماء الأولين ، والعلماء [١٨٩] الربانيين في وصفها ونصبها ،
 وترتيبها على ما هي مرتبة عليه ، وبيننا أن الفلسفة هي التشبه بالإله بحسب
 الطاقة الإنسانية ، وأن تقدم الأشياء بالقوة أولاً^٢ يوجب إظهارها فيما تأخر
 بالفعل ، وفيما قدمنا ما قدمناه مما ذكرناه ووصفناه وبينناه ، بموجز
 من اللفظ بغير إسهاب ، ولا تطويل ، بمعنى يقرب حفظه ، ويسهل مأخذه ،
 ويقف المتعلمون عليه ، فإذا تصفحته وتبينته ، علمت أنا إنما قصدنا في
 وضعنا له التقرب إلى الله سبحانه بالدعاء إليه والدلالة على وحدانيته ،
 والزلفى لديه ومعرفة جل اسمه بما تعرف به إلى خلقه وأمرهم أن يعرفوه
 به من الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، فيزول الشك والتعطيل ، والتشبيه ،

١ في يده : سقطت في ب .

والإلحاد في أسمائه ، وليكون من وقف على ما ذكرناه مجانباً لصفة الذين قال الله فيهم ، وذمهم بما ارتكبه من الشرك [بالله والإلحاد]^١ فقال : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ [١٩٠] يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا ﴾^٢ . وذلك بما تعدوا معرفة الله سبحانه وكفروا وأشركوا به ، وألحدوا في أسمائه ، واتخذوا من دونه آلهة لا تضرهم ولا تنفعهم ، فقال جل اسمه : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾^٣ . فمن لم يتفكر في خلق السموات والأرض ، وما في الآفاق والأنفس من الآيات الباهرات ، والدلالات الشاهدات على توحيد الله سبحانه ووجوده بوجوده موجداته الدالة عليه ، الداعية إلى توحيده ، وبازدواجها على تفرده ، وعلى دوامه بانتقالها ، وعلى بقاءه بزوالها ، وعلى قدرته بعجزها ، وعلى قوته بضعفها ، وعلى إحاطته بإحاطة بعضها ببعض ، وما كتبه في كتابه المبين مسطراً ، وخطه في لوحه الكريم مخبراً ، فقال : ﴿ سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^٤ وقال : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾^٥ فكل العلوم [١٩١] الحقيقية ، والعبارات اللغوية ، على تباين اختلاف ألسنتها ، وتغاير أشخاصها ، وافتراق أبنياتها وأشكال كیفیاتها ، ناطقة بتوحيد مبدعها ، ومقرة بإثبات خالقها ، وذلك بوجوده في جبلتها فطرة الله التي فطر الناس^٦ عليها ، وإنما وقع الاختلاف والتباين بما اتحدت به النفوس

١ بالله والإلحاد : سقطت في ص .

٢ سورة ٤٠ : ١٢ .

٣ سورة ٥٣ : ٢٣ .

٤ سورة ٤١ : ٥٣ .

٥ سورة ٣٦ : ١٢ .

٦ الناس : سقطت في ب .

من شوائب التكدير ، وأوساخ التغيير ، وميل النفوس اللاهية ، والأرواح الساهية في الأمور المحسوسة والأشخاص المنكوسة ، فخرجت من التكليف الشرعي والمنهاج الناموسي إلى القول بقدوم العالم ، وإنكار الوجود ، والتخلي عن عبادة السيد المعبود ، والاستكبار على الحدود ، وشبه إبليس اللعين ومن اتبعه من الشياطين ، لتصح له الشركة فيما ينسب إليه من الولادة الحبيثة ، وهي النفوس النجسة ، والأرواح الرجسة ، المتخلفة عن الإجابة في وقت النداء، إذ قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [١٩٢] قالوا بلى ﴿ فوقفوا عن الإجابة ، والإذعان بالطاعة لمستوجبها ، والعبادة لمستحقها فشوه خلقهم ، وعكس صورهم ، ومسح أخصاصهم ، فهم في سكرتهم يعمهون ، فقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾^١ ومنهم من قيل لهم : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِثِينَ ﴾^٢ وقال : ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴾^٣ وكذلك قال لإبليس لما أباحه القدرة عليهم إذ كانوا من حزبه : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخِيلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِيدْهُمْ وَمَا يَبْعُدُكُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾^٤ ولم يبيحه ذلك منهم ، ويحثه على الاحتواء عليهم إلا لما انحرفوا عن الطاعة ، ووقفوا عن الإجابة كبراً وعلواً ، وهم أصحاب الفتن ، الموقدون نار الفتنة ، قتلة الأنبياء والمرسلين والأئمة ، أتباع الشيطان وذرية إبليس اللعين ، وهم الأشرار من الأمم الطاغية والأحزاب الباغية الذين لا يزدادون إلا ضلالة وعمى ، فهم في طغيانهم [١٩٣] يعمهون ، وفي جهالتهم يترددون ،

١ سورة ٥ : ٦٣ .

٢ سورة ٢ : ٦٥ .

٣ سورة ١٧ : ٥٠ .

٤ سورة ١٧ : ٦٤ .

لا يؤمنون ولا يذكرون ، فهم الذين قال الله سبحانه فيهم : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^١ وقال لما ضرب ابن مريم مثلاً للذين نهاهم عن مثل حالهم ، وأن يعملوا مثل أعمالهم : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . صُمُّكُمْ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^٢ إلى الذكرى إذا ذكروا ، ولا يتفكرون ، فلهم قلوب لا يعقلون بها ، وآذان لا يسمعون بها ، وأعين لا يبصرون بها ، أف لهم ولما يعبدون من دون الله ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾^٣ ﴿ لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ﴾^٤ ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾^٥ ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾^٦ بالكون والفساد ، في الأشخاص المظلمة ، والأجساد المشوهة . فلا يزال ذلك دأبهم وأنبياء الله تدمهم ، ورسله تلعنهم [١٩٤] ، وكتبهم المترلة بأقبح الصفات تصفهم ، ما دام دور السر جارياً على سنته ، متمادياً على عادته فإذا آن زواله وتغيره ، وانتقاله أذهب الله سبحانه بالصور المظلمة ، والنفوس الظالمة الحالية من نور الحكمة ، المفرطة في جحود باريها ، وهي النفوس العاصية التي بدت منها الزلة الأولى ، التي من أجلها كان هبوط آدم إلى الأرض ، وكون دور السر ، إلى جهنم الكبرى الخالدة .

١ سورة ٢٦ : ٩ .

٢ سورة ٢ : ١٧ ، ١٨ .

٣ سورة ١٠ : ٢٧ .

٤ سورة ٢ : ١٦٢ .

٥ سورة ١٥ : ٤٨ .

٦ سورة ٤ : ٥٥ .

فصل

ولما كان هذا العلم من العلوم الجامعة للفوائد الجلية لم نرد أن نخلي هذه الرسالة من ذكر طرف منه ليكون ذلك ذكرى للذاكرين ، وموعظة للمتقين ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^١ ونحن نذكره في موضعه إذا انتهى بنا القول إلى ذكره إن شاء الله تعالى .

فصل^٢

[في ختم الرسالة الرياضية والابتداء بما يليها من الرسائل الجسمانية الطبيعية]^٣ [١٩٥] وإذا كان البيان بواضح البرهان قد أتى على ما رمزنا به ، ولوحنا بذكره في الرسائل الرياضية التعليمية ، والأغراض التي قصدنا إليها ، وكانت هي السبب الداعي لنا ولغيرنا ممن تقدمنا إلى وضعها والحث على تعلمها ، فلنذكر الآن ما جعله الحكماء الإلهيون والعلماء الأقدمون من الفلاسفة تابعاً لها ، وتالياً لذكرها من العلوم الجسمانية الطبيعية ، إذ كان بمعرفتها ترناض النفوس ، وتهذب الأرواح ، وليطلع على الأسرار الطبيعية الموجودة في الأجسام الحية ، وكيف اتحدت بالأجسام الأرضية ، [النفوس الروحانية وربطت بها]^٤ وبمعرفتها يكون الاطلاع على ما خفي فيها ، وتستر بها من أسرار العلوم ، التي بمعرفتها يكون الخلاص من عالم الأجسام

١ سورة ٢ : ٤٦ .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

ومحل الآلام وإن الخلود فيها ، والوقوف عليها هو الكون في هاوية النار الموقدة ، التي هي ﴿مُؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾^١ وقد [١٩٦] وضعنا في هذا الفن من العلم سبع عشرة رسالة ، جمعنا فيها من أقاويل الحكماء ، ما اتفقوا في معناه ، ولم يختلفوا في مغزاه . فخذ نفسك يا أخي بقراءتها ، والوقوف عليها ، والتمهر فيها ، والرياضة بها .

فصل

[في ذكر الرسالة الأولى]^٢ : الأولى منها رسالة في الهيولى والصورة وماهيتها ، والزمان ، والمكان ، والحركة ، واختلاف أقاويل الحكماء في حقائقها وكيفياتها .

وكان الغرض في وضعها ، والسبب المطلوب من جمعها والسر المكنن في فصولها ، معرفة ماهية الجسم ، وحقيقته ، وما ينحصر من الأعراض الملازمة والمزايلة ، والصور المقومة والمتممة . وأن الهيولى مكان للصورة ، وأن الصورة مقدمة لذات الهيولى ومتممة للجسم ، وأن الصورة تتركب في الهيولى مدة ما ، ثم إن الهيولى تتجرد منها ، وترجع إلى ذاتها ، وتنفصل منها على طول الزمان وتغاير الأيام ، وإن الصورة تتخلى عنها وتزول ، وتحصل في حد عدم بعد الكون في [١٩٧] حد الوجود ، وإنها كذلك دائمة^٣ في حد الكون والفساد وإنها ترد مختلفة التراكيب ، متباينة الصور ، وإن كانت متفقة في كونها من الأمهات ، وإن النفس تتحد بالأشخاص ، وتبدو منها أفعالها

١ سورة ١٠٤ : ٩ .

٢ سقت الكلمات المحصورة في ص .

٣ دائمة : دائماً في ب .

تابعة لأشخاصها ، مجانسة لصورها ، حتى تكون هي متفقة في أفعالها .
ولذلك قال الحكيم كل إناء ينضح^١ بما فيه . وقال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ
يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾^٢ .

وكان من قصد الحكماء إليه في ذكرهم الهيولى والصورة أن يكون
تنبيهاً للنفوس اللاهية^٣ ، والأرواح الساهية الغافلة عن آيات الله ، وتذكيراً
لهم ، وأن الهيولى والصورة أعرف هم عليها واقفون ، وبرازخ لهم
إلى يوم يبعثون ، كلما بليت صورة بالفساد ، تكونت أخرى بالكون
وهم بين البلى والنشوء ، يترددون ما بين الهيولى الجسمانية والصور التركيبية ،
إلى كون النشأة الأخرى الروحانية كالبداية الأولى والنشأة الثانية .

فصل

[في ذكر الرسالة الثانية]^٤ [١٩٨] : الرسالة الثانية في السماء والعالم ، والغرض
في وضعها ، والداعي إلى تصنيفها ، والقول عليها ، والغرض المطلوب منها ،
والزبدة من جميعها معرفة الكرسي الواسع ، والعرش المحيط ، والبيان
عن كيفية تحريك الأفلاك ، وتسييرات الكواكب ، وإن المحرك لها ،
الحركة الأولى الإرادية بالشوق إلى مبدعها ، النفس الكلية الموكلة بها بإذن
باريها ، وإن الحركة متصلة بها حتى تكون سارية في جميعها ، فهي في
عالم الأفلاك قوى كلية ، وتأثيرات قدسية ، سارية فيها بحسب أشكالها

١ ينضح : يرشح في ص .

٢ سورة ١٧ : ٨٤ .

٣ اللاهية : الإلهية في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الفاضلة ، وصورها الكاملة ، التي هي عالم الجنان ، ودار الحيوان ، ذات الروح والريحان ، وإن قواها المنبعثة منها ، السارية فيما دونها ، في عالم الكون والفساد ، الذي هو دون فلك القمر ، آثار جزئية مرتبطة بعالم الكون والفساد ، كائنة في محل الأجساد ، وهي الأرواح الهابطة للزلة التي كانت منها والخطيئة التي [١٩٩] جنتها ، فأخرجت من الجنة ، وأبعدت عن دار الكرامة ، فبقيت معذبة ، مربوطة بالطبيعة الحسية والتكليفات اللازمة لها ، في الشرائع الناموسية ، جزاء لها بما أسلفت ، وليكون ذلك قرينة لها إذا قبلت أوامر الشرع ، [وتلقته بالقبول] ^١ وسارعت إلى طاعة ربها قرينة ، وإنابة ، وتنصلاً واستنفاراً ، بلا إصرار ولا استكبار ، فعند ذلك يكون رجوعها إلى محلها النوراني وقرارها الحيواني ، ومتى غفلت واستكبرت عن قبول أوامر الأنبياء والمرسلين ، وما أتوا به من الآيات والبراهين ، بقيت معكوسة في أشخاصها المنكوسة ، وقوالبها المنكوسة لا يخفف عنهم العذاب بما أسلفت ، وعن الإقرار لباريها تخلفت ، وعن اللجوء بعالمها وقفت في دار البلاء ، ومحل الشقاء ، وإن الوحي لا يزال يتزل من السماء إلى الأنبياء والمصطفين من الأولياء بالأنباء والذكرى ، والدعاء إلى الله سبحانه بالتذكرة ، [٢٠٠] والموعظة ^٢ الحسنة ، حتى يتذكر من يتذكر منها النداء ، فيبادر ^٣ إلى الإجابة والإنابة ، ويعرف الله حق معرفته ، فيتوب إليه من زلته ، ويتنصل من خطيئته ، فيرده الله سبحانه إلى دار الكرامة ، ومحل النعمة ، كما رد آدم لما تاب عليه إلى رحمته هو وزوجته ، ونخلد إبليس في عقابه ^٤ المهين ،

١ وتلقته بالقبول : سقطت في ص .

٢ الموعظة : النداء في ص .

٣ فيبادر : فيتبادر في ب .

٤ عقابه : عذابه في ص .

وعذابه الأليم ، لما أصر واستكبر ، ولم يتذكر حتى تقوم القيامة ، فعند ذلك يبلس المجرمون فينقطعون^١ عن اللحوق بالنفس الكلية ، وينفصلون عنها ، [وينقلبون عنها]^٢ فلا وجود لهم بعد ذلك ، حتى كانوا كأنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، [على بعض الصفات الخفية]^٣ وهذا الفصل من غوامض العلوم الشريفة ، والحكم الطريفة ، فكن به ضنيناً وعليه قوياً أميناً .

[تم الجزء الأول وهو ربع الكتاب ويتلوه الثاني من أربعة أجزاء]^٤ .

فصل

[من رسالة الكون والفساد : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله [٢٠١] سيدنا محمد وآله الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]^٥ .

فصل

[في ذكر الرسالة الثالثة من الطبيعيات]^٦ : الثالثة منها رسالة الكون والفساد ومعرفة الأشخاص ، والأجساد ، والنشر ، والبلى ، والبيان عن ماهية الصور المقدمة لكل واحد من الأركان الأربعة ، التي هي الأمهات :

-
- ١ فينقطعون : فيقطعون في ب .
 - ٢ وينقلبون عنها : سقطت في ص .
 - ٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .
 - ٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .
 - ٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .
 - ٦ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

النار ، والهواء ، والماء ، والأرض ، وإنها أمهات المواليد الكائنة منها جميع الموجودات من المعادن ، والنبات ، والحيوان وكيفية استحالة بعضها إلى بعض بدوران الأفلاك حوايلها ، ومطارح شعاعات الكواكب عليها والطبيعة المنفعلة ، والقوة المحركة لكل واحد منها إلى كمالها ، وإن الغرض المقصود منها ، والمطلوب من جميعها ، هو الوقوف على أن المحرك لها ، والمنبعث فيها ، هو قوة جزئية من قوى النفس الكلية الفلكية ، بالإرادة الإلهية ، والعناية الربانية ، وإن ذلك ملكاً من جملة [٢٠٢] الملائكة موكل بها ، وإن الرؤساء الظاهرين في الأوقات ، بالآيات ، والمعجزات هم أشخاص صورانية ، متحدة بها أرواح نورانية ، مؤيدة بتأييدات إلهية ، منبعثة من النفس الكلية القدسية ، القابلة لفيض العقل بلا واسطة نزلت ، لخلاص النفوس الجزئية من عالم الفناء ، وتذكرهم محل البقاء ، وتمحو عنهم آثار الخطيئة الكبرى ، وما حل بهم من المصيبة العظمى ، وتنقذهم من أسر الهيولى ، وتفكهم من قيود^١ الطبيعة ، وتردهم إلى عالم السموات ، والرجوع^٢ إلى دار الملكوت في عالم العقل ، وإن آخر المذكرين وخاتم المنذرين ، هو النفس الزكية ، التي به كون افتتاح أول دور الكشف ، وارتفاع دور السر ، وظهور الحقائق . وعند ذلك لا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً .

١ قيود : قبور في ب .

٢ الرجوع : سقطت في ص .

فصل

[في ذكر]^١ الرسالة الرابعة : منها رسالة في الآثار العلوية ، والغرض منها هو البيان [عن كيفية حوادث]^٢ الجو ، وتغيرات الهواء ، [٢٠٣] من النور والظلمة والحر والبرد وتصارييف الرياح والبخارات والدخانات الصاعدة في الهواء ، والبحار ، والأنهار ، وما يكون منها من الغيوم ، والضبباب ، والطل ، والإنداء ، والأمطار والرعود ، والبروق ، والثلوج ، والبرد ، والهالات ، وقوس قذح ، والشهب ، وذوات الأذنان ، وما شاكل ذلك]^٣ .

فصل

[في ذكر]^٤ الرسالة الخامسة : الخامسة منها رسالة في كيفية تكوين المعادن ، وكمية الجواهر المعدنية ، وعلة اختلاف جواهرها ، وكيفية تكوينها في باطن الأرض وبروزها كبروز النبات ، وظهورها كظهور الثمر من الشجر ، وان لها ألواناً مقننة وطعوماً مختلفة ، وروائح متباينة ، وإن لها حركة تشبه حركة الحيوان ، وان لها شوقاً ومحبة ، ومنافرة ، ومضادة كضادة الحيوان ، ومحبة كمحبة بعضه البعض ، وان لها تنفساً ، وكثرة بعد قلة ،

١ فصل في ذكر : سقطت في ص .

٢ عن كيفية حوادث : معرفة حقائق الجو في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص ووضع مكانها نص الرسالة الرابعة ، كما أشار المحقق إلى

سقوط هذه الرسالة من عدة نسخ أيضاً ولما تأكد لي عدم ورود النص الذي نقله المحقق

في كافة النسخ الموجودة لدي صرفت النظر عن إيرادها هنا .

٤ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

وإنها تبدو بالقوة في باطن الأرض ، وتظهر على سطحها بالفعل ، وإن
 أصلها من [٢٠٤] الأمهات تنبعث كانبعاث الحيوان من نطفة الذكران في
 الأرحام ، وكذلك تكون المعادن ، أصلها كلها الزئبق ، وهو بمنزلة المني
 المتولد من الذكر ، والكبريت ، وهو بمنزلة الماء المتولد من الأنثى ، وإن
 بامتزاجهما واختلاطهما على نسبة فاضلة ، وتبعة معتدلة ، يكون التاج من بينهما
 ولداً فاضلاً ، وذلك بحسب الزمان والاعتدال ، وشكل الفلك ، وإنه إذا كان
 الذكر أسود والأنثى بيضاء واختلط الماءان ، وامتزجت القوتان ، خرج من
 بينهما صورة مخالفة لصهورتيهما جميعاً ، فله بالقوة صورة البياض والسواد ،
 ولكن مخالفة لهما ، بالنسبة إلى كل واحد منهما ، وإذا كان الذكر والأنثى
 متفقين في اللون ، ويساعدهما الزمان ، وشكل الفلك ، فإن الولد من
 بينهما يكون مثلهما ، غير مخالف لهما في صورتها ، وعلى هذا القياس
 يتركب سائر ما يتركب من المعادن الترابية ، والجواهر الأرضية [٢٠٥] ،
 وإن الزئبق متى كان صافياً والكبريت نقياً ، والزمان معتدلاً ، والمعدن
 مستقيماً ، وشكل الفلك محموداً ، كان ما تبرزه الطبيعة منها جواهرأ ،
 هو أجل الجواهر قدراً وأعظمها خطراً ، وأحسنها منظرأ وأجملها مخبرأ ،
 كالذهب والفضة . ومتى كان الزئبق غير صافٍ ، والكبريت وسخاً ،
 كان النقص بحسب ذلك ، حتى يكون الولد من بينهما ، والنتيجة عنهما ،
 مثل الأبرص والمجدوم والمفلوج ، وما شاكل ذلك من المولودين بالعاهات
 وإن المعادن والنبات والحيوان كلها مرتبة بعضها ببعض ، مستحيلة بعضها
 إلى بعض ، والغرض من هذا القول ، والمطلوب من هذا الفن ، هو الوقوف
 على معرفة استخراج الحكماء ، وما استخرجوه من قرائنهم الزكية ،
 وأذهانهم الصافية ، مثل ما تخرجه الطبيعة من المعادن والمواليذ ، والتراكيب ،
 والتأليف . فإذا أنت يا أخي وقفت على ما ذكرناه [٢٠٦] وتبينت ما وضعناه ،

بنفس زكية ، وروح صافية ، وصلت إلى ما وصلوا إليه ، وقدرت بتوفيق الله سبحانه عليه . وكان الغرض أيضاً من هذه الرسالة ، أعني رسالة المعادن ، هو البيان بأن المعادن هي أول مفعولات الطبيعة ، التي هي دون فلك القمر ، التي هي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية ، بأذن باريها ، المصور للجميع ، الموجد لكل ، لا من موجود ، بل إبداعاً ، واختراعاً ، وخلقاً وتكويناً ، ومنها [تبتدىء الأنفس] ^١ الجزئية بالتهذب ، الباعث لها على الترقى ، من أسفل سافلين ، مركز الأرض ، إلى أعلى عليين ، عالم الأفلاك ، وفوق السموات ، موقف الأبرار ، ومحل الأخيار ، المقربين والمسيحين ، في أعلى عليين ، محل الأنبياء والمرسلين ، أو صراطه الذي تجوز عليه الأنفس الجزئية ، والأشباح البشرية ، ثم النبات بواسطة الكون والتنفس ، ثم الحيوان [القائم الساعي] ^٢ بواسطة الكون والنمو ، [٢٠٧] والحس ، والنفس والعقل ، ثم التجرد والتخلص ، والدخول في زمرة الملائكة ، الذين هم سكان الأفلاك ، والملا الأعلى ، أصحاب المحل الكريم ، والنبأ العظيم .

فصل

في الرسالة السادسة : [منها رسالة] ^٣ في ماهية الطبيعة ، وكيفية أفعالها ، في الأركان الأربعة التي هي الأمهات ، والمواليد التي هي المعادن ، والنبات ، والحيوان ، والفرق بين الانفعال الإرادي ، من الفكري والشوقي ، وبين الضروري ، من الطبيعي والقهري . والغرض المقصود إليه فيها ، والمطلوب

١ تبتدىء الأنفس : تبدأ النفس في ب .

٢ القائم الساعي : سقطت في ص .

٣ منها رسالة : سقطت في ص .

منها ، هو تنبيه الغافلين ، وإيقاظ الساهين ، من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، ليكون انبعاثاً لهم من عالم الفناء إلى عالم البقاء ، وليعرفوا أفعال النفس ، وليقفوا على سر الطبيعة الفاعلة والقوة السارية ، والإرادة الربانية ، والعناية الإلهية ، والحكمة البالغة ، والصنعة المتقنة ، والملائكة الموكلّة بإنشاء المواليد كلها ، وترقيتها من أدونها [٢٠٨] إلى أجلها ، حتى تبلغها إلى أقصى نهاياتها وتتمام غاياتها ، وإنها هي التي تسميها الفلاسفة روحانيات الكواكب ، الموكلّة بإنشاء المواليد ، وإنها المحركة لها بالنشوء والبلى ، والكون والفساد ، والنمو ، والنقطة لها من حال إلى حال ، حتى ترقيها وتبلغها إلى استكمال صورها ، وتتمام ما قدر لها . وبمعرفة ذلك يكون الاطلاع على أسرار الحلقة الحسية وخفيات الأمور الطبيعية ، وبه تفضل النفوس الإنسانية ، وتتميز ، بالفضيلة التأييدية ، بما وقفت عليه من العلوم النفسانية [الكلية ، والملائكة المؤيدة] ^١ بالتأييدات العقلية ، بالإفاضة الإلهية ، وبمعرفة ذلك تكون المعرفة بالملائكة الأرضية ، الموكلّة بعالم الكون والفساد وجميع الموجودات التي تحت فلك القمر ، الموكلين بالليل والنهار ، وما في دوائر مركز الأرض ، والماء ، والهواء [٢٠٩] ، والنار ، من أصناف المخلوقات ، وعجائب المركبات ، من الصور والأنواع ، والأجناس ، والأشكال ، من غرائب الحلقة ، وعجائب الفطرة ، من جواهر المعادن الأرضية ، واختلاف صور النبات وأشكال مواليد الأمهات ، وأجسام الحيوان ، وجسد الإنسان ، وما فيه من الآيات والشواهد ، والدلالات على أنه عالم صغير ، مجموع فيه ما هو موجود في العالم الكبير ، وإنه كتاب الله الذي كتبه بيده ، وأثبت فيه دلائل وحدانيته ، ودعا النفوس المتجسدة إلى عبادته ، والإقرار بالوحيته ^٢ .

١ الكلية ، والملائكة المؤيدة : الملكية المؤيدة في ص .

٢ بالوحيته : بربوبيته في ص .

فمن سارع منهم وانقاد إلى طاعته ، أحله محل كرامته ، وأسكنه جنته ،
 إذا تاب من خطيئته ، واعترف بزلته ، كما قال : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ
 بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ
 بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ۚ ١ . فمن أجاب النداء وسمع الدعاء ،
 خلص ونجا ، ومن تخلف ، هلك وغوى وهوى إلى أسفل [٢١٠] السافلين ،
 مع إبليس اللعين ، وحزبه من الشياطين والجن والإنس أجمعين .

فصل

[في ذكر] ٢ الرسالة السابعة : السابعة منها في أجناس النبات وأنواعها
 واختلاف أشكالها ، وكيفية نموها وتغير أحوالها ، وانتقالها من حال إلى
 حال ، حتى تنتهي إلى حالة الكمال في أفعالها ، والغرض المطلوب من هذه
 الرسالة ، هو الوقوف على كيفية سريان ٣ قوى النفس النامية فيها ، وتعدد أجناس
 النبات ، وبيان كيفية تكوينها ونشوتها ، واختلاف أنواعها وأشكال ثمارها ،
 وأوراقها ، وأشجارها ، وأزهارها ، وطعومها ، وروائحها ، وادهانها ، وصور
 حبوبها ، وبذورها ، ونصبها ، ونشوتها ونموها ، وجذبها العصارات بعروقها ،
 وإرسال عروقها نحو الرطوبات ، وإحساسها بموضع النداءات ، وذهاب
 قواها المنبعثة في عروقها ، في طلب غذائها ، وجذبها ذلك حتى توصله [٢١١]
 إلى أصولها ، وتدفعه القوة التي فيها إلى أطرافها ، وتمد به ثمارها ، وتقسمه
 على أوراقها ، وما فيها من المنافع والمضار ، واختلافها في ذلك ما بين حار

١ سورة ٧ : ١٧١ .

٢ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٣ سريان : تسري في ب .

وبارد ورطب ، ويابس ، ومر ، وحامض ، وحلو ، ودسم ، وغير ذلك .

فصل^١

ونهاية الغرض المقصود من معرفتها ، والمطلوب من الاطلاع على جميعها ، هو معرفة خواصها ، والقوى السارية فيها ، الناقلة لها من حال النقص إلى حال الكمال ، بحسب ما يليق بواحد واحد من أجناسها . وإن أول مرتبة النبات متصل بآخر مرتبة المعادن ، وآخر مرتبته متصل بأول مرتبة الحيوان ، وهذا يا أخي علم غامض وسر دقيق ، ظاهره روض أنيق ، وباطنه بحر عميق ، لا يكاد يقف على سره ، والإحاطة بخبره ، إلاّ العلماء الراسخون في العلم ، الواقفون على أسرار الحلقة ، بما راضوا نفوسهم الزكية ، بالعلوم الفلسفية الإلهية ، بمعاونة الأشخاص الفاضلة [٢١٢] ، المتلقية التأييدات العقلية ، بوساطة النفس القدسية ، كما قال سبحانه : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^٢ فتبين يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ما ألقينا إليك من هذا العلم المكنون والسر المخزون الذي لا يمسه إلا المطهرون واعلم أنك على صراط مستقيم بين الجنة والنار وأنت قد جاوزت الصراط المعدني والنباتي والحيواني وقد وصلت إلى آخر باب من أبواب الكون والفساد وما بقي عليك إلاّ الخروج من هذا الباب وطى هذا الكتاب الذي ﴿ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾^٣ كما قال ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ

١ فصل : سقطت في ص .

٢ سورة ٢٦ : ١٩٣ - ١٩٥ .

٣ سورة ١٨ : ٤٩ .

بالحق ﴿١﴾ وقال : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ وقال : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا
أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٣﴾ وقال : ﴿وَقَالُوا
لَئِنْ لُودِيتُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [٢١٣] قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ
كُلَّ شَيْءٍ ﴿٤﴾ وقال ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٥﴾ . فاحرص
يا أخي أن تتفكر في آيات السموات والأرض ، وما في الآفاق والأنفس ،
حتى يتبين لك أنه الحق ، فتكون من الفائزين ، الذين لا خوف عليهم ،
ولا هم يحزنون ، وأعينك ، بالله أيها الأخ ، ألا تغفل عما نبهتك عليه ،
وأرشدتك إليه ، فترد إلى أسفل سافلين ، وتعاود التكرار في العذاب
الآليم ، بعد ما نجاك الله ، أعاذك الله وإيانا وجميع إخواننا ، من العذاب
المهين برحمته ، إنه أرحم الراحمين .

فصل

[في ذكر]^٦ الرسالة الثامنة : منها رسالة في أصناف الحيوانات ،
وهياكلها ، وغرائب أشخاصها ، وعجائب صورها ، وتباين أحوالها ،
واختلاف تراكيبها ، وكيفية أعداد أنواعها ، وكيفية تكوينها والعلم بتوالدها ،

١ سورة ٤٥ : ٢٩ .

٢ سورة ٢٤ : ٢٤ .

٣ سورة ٣٦ : ٦٥ .

٤ سورة ٤١ : ٢١ .

٥ سورة ٣ : ٢٥ سقطت الآية في ص .

٦ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

وتناسلها ، وأوقات سفادها ، ونتاجها وتحتنها على أولادها [٢١٤] . وإن آخر مرتبة الحيوانية متصل بأول مرتبة الإنسانية وآخر مرتبة الإنسانية متصل بأول مرتبة الملائكة ، الذين هم سكان الهواء ، والأفلاك ، وأطباق السموات . وفيها بيان أن نفوس بعض الحيوانات ملائكة ساجدة لنفس الإنسان ، الذي هو خليفة الله في أرضه ، ونفوس بعضها راکعة ونفوس بعضها شياطين مغللة مقيدة ، وإن أجسادها حبوس ، ومطامير ، وسجون ، هم فيها لاثنون بما أجرموا واكتسبوا ﴿ وَمَا رَبَّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^١ .

فصل^٢

ولما كان آخر مرتبة الإنسان متصلاً بأول مرتبة الملائكة ، وآخر مرتبة الحيوان متصلاً بأول مرتبة الإنسان ، وجب أن يكون مجموعاً من العالمين متوسطاً بينهما ، فهو ، من جهة الملائكة ذو نفس ناطقة ، عاقلة ، مميزة ، مؤيدة بتأييد العقل الكلي ، إذا أقبلت جوده ، وأقبلت على الفكرة في وجوده ، وذو نفس غضبية ، شهوانية ، حيوانية^٣ [٢١٥] ، مائلة إلى اللذات الجسمانية والشهوات الطبيعية فهو بما فيه من القوى الملكية ، والنفس الروحانية ، المؤيدة بتأييد العقل ، بتلقي الفوائد العقلية ، والعلوم الإلهية ، والمعارف الربانية ، وبذلك يترقى إلى درجة الملائكة ، ويصير ملكاً بالفعل ، بعد أن كان ملكاً بالقوة ، وكذلك إذا غلبت عليه النفس الشهوانية الغضبية ، وجذبت به إلى الملاذ الطبيعية ، والشهوات الحسية ، صار^٤ شيطاناً بالفعل بعد أن كان شيطاناً بالقوة ،

١ سورة ٤١ : ٤٦ .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ حيوانية : سقطت في ص .

٤ صار : فتصير في ب .

وكذلك إذا غلب النفس الشهوانية وقهرها ارتقى إلى رتبة الملائكة ، واستحق اسم الإنسانية ، والصور الملكية ، وأن يكون خليفة الله في أرضه ومدبر عالمه ، ويصير في مقام الربوبية ، ويستحق العبادة والطاعة ممن دونه من النفوس الناقصة الرتبة ، المتخلفة عن درجة الكمال ، حتى يرقىها إلى أجل الأعمال وأنفس الأحوال . والنفس الزكية [٢١٦] دائبة مجتهدة في رفع درجة الوضع وهي الممنون^١ بها على النفوس العاصية ، والأرواح الساهية ، المنهمكة في جهالتها ، الغافلة عن عالمها الروحاني ، ومحملها النوراني ، حتى تنقذها من موت الخطيئة ، وتردها إلى الملأ الأعلى . والذين هذه منزلتهم هم صفوته من عباده ، وخالصته من بريته ، الذين أذهب الله عنهم رجس الخطيئة ، وطهرهم من ذنوب المعصية ، أهل بيت العصمة ، الذين جبلهم الله على الإقرار بتوحيده ، ولم يعدلوا عما جعل فيهم من إرادته وحكمته إلى ما لم يجعله فيهم ، وندبهم لتهديب نفوس خليقته ، العادلة عن المحجة الواضحة ، والطريق اللائحة ، بما سولت لهم أنفسهم الغضبية وشياطينهم المغوية ، الذين راقتهم الطبيعة بزخارفها ، وخدعتهم برونقها ، لما ذاقوا حلاوة عاجلها ، فأنهمكروا فيها أنهماك الضال في ضلالته ، والغوي الجاهل في [٢١٧] جهالته .

فصل^٢

ولما كان الإنسان عالماً صغيراً ، وجب أن يكون [موجوداً في بنيته ،

١ الممنون : المنزه في ب .

٢ فصل : سقطت في ص .

وموجود خلقتة^١ وعجيب فطرته مثالات لما في العالم الكبير ، الذي هو إنسان كبير . وكان ذلك دليلاً برهانياً ، وشاهداً عقلياً على أن الموجودات ترتبت كلها عن علة واحدة ومبدأ واحد ، وأنها كترتيب الأعداد عن الواحد الذي قبل الاثنين ، وتبين أيضاً أن نسبة الصورة الإنسانية إلى سائر صور الحيوانات كنسبة الرأس من الجسد ، ونفسه كالسائس ، وأنفسها كالمسوسة . ولذلك قالت الحكماء ، والأولون من العلماء القدماء ، أن صورة الإنسان هي خليفة الله في أرضه ، وبيننا عما ترجمه الحكماء الإلهيون ، والعلماء الربانيون ، كيف ينبغي أن تكون سيرة كل إنسان ، حتى يستأهل أن يكون من أولياء الله ، ويستحق الكرامة ، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من جملة ما قدمناه في غيرها ، وبيناه فيما قدمناه [٢١٨] عليها من الرسائل المسطورة ، والصحف المنشورة ، والكتب المذكورة ، مما هو مثبت في كتاب كريم ولوح مبين . ونبين^٢ أيضاً طرفاً يدل على ما ذكرناه في رسالة الحيوان ، مما يقتضي معناه الشرح ، والإبانة عنه إذ كان مرموزاً بالتلويح وغير مبين بالتصريح ، وأن الإنسان إذا كان شريد الطبع سيء الخلق ، قبيح الأفعال منهمكاً في الشهوات الحسية واللذات الطبيعية ، منحرفاً عن العلوم ، والحكمة ، وتاركاً لاتباع^٣ ما جاءت به الأنبياء والأئمة ، من الكتب المنزلة ، والآيات المفصلة ، غافلاً من أسرار الحكمة ، وما هو مكتوب في الآفاق والأنفس ، سكران في رقدته ، منهمكاً في غفلته ، فهو شيطان رجيم ، داخل في جملة الأبالسة الباقين في مطامير الشقاء ، ومحل البلاء

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ ونبين : وبين في ب .

٣ لاتباع : سقطت في ص .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾^١ في البرزخ المظلم ، المقفر ، من أنوار النفس الزكية [٢١٩] مأوى أهل الرجس ، وهي النفوس الغضبية ، الشريرة ، المخالفة لبني آدم البعيدة عنهم ، المنقطعة عن الإلمام بهم ، والقبول منهم ، المخالفة لربها ، الجاحدة لخالقها ، والمنبعثة من النفس الغضبية^٢ العاصية ، المتخلفة عن السجود لآدم الأول . إذ [كان السجود له]^٣ طاعة لله وعبادة له إذ كان قد نصب آدم محراباً يصلي إليه من عبده وأطاعه ، وهذه النفوس مترددة في عمايتها ، متحيرة في جهالتها ، تارة بالكون وتارة بالبلى ، لتذوق العذاب .

فصل

واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الوقوف على غوامض هذه العلوم والحكمة ، لا يناله إلا الراسخون في العلم ، الذين قد استقاموا على الطريقة^٤ ، وعرفوا ما يلقي إليهم من النبأ العظيم مما هو مكتوب في اللوح الكريم ، لأنه سر دقيق ، وبحر عميق ، ويوشك أنه من لم يحسن العوم إذا سقط في البحر العميق غرق ، ومن تخلف عن الحق زهق ، نجاك الله أيها الأخ من الحيرة والضلال ، ومن الكفر بعد الإيمان ، وهداك إلى الصراط المستقيم [٢٢٠] ، والطريق القويم ، الذي لا يضل من سلكه ، ولا ينجو من تخلف عنه .

١ سورة ٤٣ : ٧٧ .

٢ الغضبية : سقطت في ص .

٣ كان السجود له : كانت السجدة له في ب .

٤ على الطريقة : سقطت في ب .

فصل^١

[في بيان انعقاد الجواهر وماهيتها وانبعاث بعضها من بعض : واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه]^٢ أنه لما كانت الجواهر المعدنية هي في أدون المراتب من الكائنات وأقل تنفساً من سائر الموجودات ، المتولدات من الأمهات ، من النبات ، والحيوان ، والإنسان ، وجب أن نذكر العلة في ذلك بالبرهان . وهي أن كل جسم معدني منعقد من أجزاء الأركان الأربعة ، التي هي النار ، والهواء ، والماء ، والأرض ، فليس لها إلا البروز ، والتلون بحسب بقاعها ، وما فيها من الخصائص المفعولة فيها ، اللاتقة بجوهرها ، وبحسب القوى الغريزية الطبيعية ، وتكونها بحسب ذلك وما فيها من الشدة والرخاوة ، واللين ، والحشونة ، والثقيل ، والخفة ، والقبض ، والإمساك ، والقلة ، والكثرة ، والنبات يشاكلها في ذلك في حال كونه^٣ من الأركان [٢٢١] والبروز ، ويزيد عليها ، وينفصل عنها بأنه جسم يغتذي من الأركان ، وينمي ويزيد في أقطاره ، طولاً وعرضاً وعمقاً وتلوناً ، وتشكلاً بأشكال مختلفة ، ويغتذي به الحيوان ، ويزيد في قوته وينمي منه وبه أعضائه طولاً وعرضاً وعمقاً ، وليس للجواهر المعدنية مثل ذلك إلا أقل الأشياء منها ما كان مائعاً منحللاً غير منعقد ولا صامت كالحديد ، والنحاس ، والذهب ، والفضة ، والرصاص ، وغيرها من الكباريت والزرانيخ . ولما كان النبات مشاكلاً للمعادن في البروز والتنفس ، والكون ، والتلون ، ويزيد عليه بالنمو والغذاء ،

١ فصل : سقطت في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ كونه : سقطت في ب .

كان الحيوان مشاركاً له في مثل ذلك كله ، ويزيد عليه ، وينفصل عنه ،
بأنه متحرك حساس ، مغتذٍ منه ، قادر عليه ، وأن النبات موهوب له ،
ولما كان الحيوان كذلك ، كان الإنسان مشاركاً للمعادن في الكون ،
وللنبات في النمو ، وللحيوان [٢٢٢] في الحس ، وينفصل عن الحيوان ،
ويزيد عليه بما فيه من القوة الناطقة ، والفكرة المميزة ، ولذلك قيل
إن له اتصالاً بمرتبة الملائكة ، ولذلك قيل إن للحيوان اتصالاً بمرتبة
الإنسانية ، وإن للنبات اتصالاً بمرتبة الحيوانية ، وإن للجواهر المعدنية
اتصالاً بالأشياء النباتية [فوجب] ^١ بالبرهان الصادق ، والقضية العادلة
أن تكون الأشياء منبعثة بعضها من بعض ، مترقية من أدونها إلى أجعلها ،
وأن العناية الربانية ، والحكمة الإلهية ترقّيها ، حالاً بعد حال ، حتى
تبلغها إلى أفضل ^٢ أحوالها ، ومتهى ^٣ درجاتها المقدرة لها ، ذلك تقدير
العزير العليم .

فصل

واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن النبات متقدم الوجود
بالزمان على الحيوان ، لم يكن ذلك لفضيلة ينالها بالسبق ، وإنما كانت
فضيلة للحيوان ، وذلك أنه يمتص رطوبات الماء ، ولطائف أجزاء الأرض ،
بعروقه إلى أصولها ، ثم [٢٢٣] يجذبها إلى ذاته ، ويجعل من فضل تلك
المواد ورقاً وثماراً ، وحباً ، نصيجاً ^٤ ، يتناول منه الحيوان غذاءً صافياً ،

١ فوجب : فقد صح : في ص .

٢ أفضل : أقصى في ب .

٣ ومتهى : وتنتهى في ب .

٤ نصيجاً : نضجة في ب .

هنيئاً مريئاً ، كما تفعل الوالدة بولدها ، فإنها تأكل الطعام ، وتناول ولدها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . فلما كان ذلك كذلك قالت الحكماء : إن النبات واسطة بين الإنسان^١ ، وبين الأركان ، ليتناول بعروقه لطائف الأركان ، وعصاراتها ، ويمصها ويهضمها ، ويصفّيها ، وليتناول الحيوان من لطائف لبابها ، ما يكون سبباً لبقاء صورته ، وتتمام خلقته ، ويستعين بذلك على البلوغ إلى ما أعد له مما هو أعلى من ذلك وأجل ، إذا بلغ إلى ما قدر له من العناية الإلهية فيرقى به إلى العالم الأعلى ، فيكون غذاؤه من سدرة المنتهى وشجرة طوبى . فافهم يا أخي هذا الفصل فإنه غامض العلم ، وسر الحكمة .

فصل^٢

[في بيان تقدم الحيوان]^٣ : والحيوان متقدم الوجود على الإنسان بالزمان لأنه له ، ولأجله كان ، ولهذه الحكمة في أوليات [٢٢٤] العقل منه قضية عادلة ، وبرهان صادق ، لا يحتاج إلى دليل من المقدمات ونتائجها ، لأنه لو لم يتقدم وجود الحيوان على الإنسان لما كان للإنسان عيش هنيئ ، ولا مسرة كاملة ، ولا نعمة سابقة ، بل كان يعيش عيشاً نكدأ ، ويحيا حياة غير طيبة ، وقد بان ، بما في أوليات العقل هذا من البرهان ، تقدم الحيوان على الإنسان بالزمان . فالإنسان متقدم بالقوة ، وكان آخرأ بالفعل ، ولذلك قيل ما كان أولأً بالقوة ، كان آخرأً بالفعل .

١ الإنسان : الحيوان في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ في بيان تقدم الحيوان : سقطت في ص .

فصل

[في إيضاح ذلك : أن]^١ الجواهر المعدنية ترايبية ، صافية ، طبيعية ، متحركة حركة مركزية ، بلا انفصال ، ولا تباين ، منخفضة ، غير مرتفعة كارتفاع النبات ، وهي هيولى موضوع يقبل الصورة ، والصورة متممة لها لما ينتفع به منها ، وبالصورة نصير أشياء يقع عليها أسماء كثيرة مختلفة . والنبات أجسام منكوسة الانتصاب إلى أسفل ، لأن رؤوسها نحو مركز الأرض [٢٢٥] ، ومؤخرها نحو محيط الأفلاك ، وأن الإنسان بالعكس من ذلك ، لأن رأسه نحو المحيط ورجليه نحو المركز ، والحيوان متوسط بين ذلك ، لا منكوس كالنبات ، ولا منتصب كالإنسان .

فصل

[في شرحه]^٢ : والنبات أيضاً هيولى يقبل الصورة ، وبالصورة ينفصل بعضه من بعض ، ويمتزج بعضه ببعض ، ويدخل بعضه في بعض ، كما يجمع النجار الخشب من أجناس متنوعة شتى ، فيعمل منه السرير ، والكرسي ، والباب ، والمركب ، وغير ذلك ، لتصير أشياء ينتفع بها الإنسان في مآربه وحياته في الدنيا . والحيوان أيضاً هيولى يقبل الصورة ، لما يتخذ من إهابه ، وعصبه ، وشعره ، ووبره ، وصوفه غير ما ينتفع به من الغذاء الذي يتناوله الإنسان من لحمه ، وشحمه ، ولبنه كما قال

١ في إيضاح ذلك أن : سقطت في ص .

٢ في شرحه : سقطت في ص .

الله تعالى : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^١ . وقال : ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾^٢ . وقال : ﴿وَعَلَيْهَا﴾ [٢٢٦] ﴿وَعَلَى الْفَلَكَ تَحْمِلُونَ﴾^٣ .
 فبالبرهان [ترتيب المعادن قبل النبات ليكون له قرار وترتيب صور النبات قبل الحيوان ليكون له غذاء بموجب الحكمة]^٤ فبالبرهان أن الحيوان متقدم الوجود على الإنسان بالرتبة في القوة .

فصل

[في مرتبة ذلك بالأمر الإلهي]^٥ : وهذا الذي ذكرنا من أمر النبات ، والمعادن ، والحيوان ، والإنسان أمر إلهي ، بواجب الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية ، ليكون في ذلك دلالة وبيان لأولي الأبصار ، الناظرين في الآيات المكتوبة في الآفاق والأنفس ، من الآيات والعلامات والدلالات ، والبراهين والقضايا العادلات ، والنتائج الصادقات ، [واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه]^٦ بأن قوى النفس الكلية المنبعثة في العالم من أعلى فلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض بعضها منصبة نحو المركز ، وبعضها منصرفة عن المركز نحو المحيط ، وبعضها منبثة ،

١ سورة ١٦ : ٥ .

٢ سورة ١٦ : ٧ .

٣ سورة ٢٣ : ٢٢ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص وجاء مكانها ما يلي : على أن الحيوان متقدم الوجود على

الإنسان بالفعل ، والإنسان متقدم الوجود على الحيوان بالرتبة في القوة .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٦ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

متوجهة نحو الآفاق في كل فج عميق ، منها [٢٢٧] وفيها جنود الله قائمون بتدبيرها ونقلها بالكون والفساد ، من حال إلى حال ، وما رب أخرى ، لا يعلم كنه معرفتها إلا الله ، سبحانه ، والراسخون في العلم .

فصل

[في بيان ذلك]^١ : أما كونها منصرفة عن المركز فهي الخارجة من عالم الكون والفساد ، الداخلة في عالم الأفلاك ، وزمرة الأملاك ، وهي الأرواح الزكية ، والأنفس النورانية الطاهرة : المضيئة ، التي قد تخلصت من هاوية الطبيعة ، وقيد الهوى ، وبحر الظلمة ، فقد خلصت ، ونجت ، فهي منصرفة من محل البلاء ، ودار الشقاء إلى دار النعيم ، والملك المقيم ، ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾^٢ وهي النفوس المطمئنة ، الراجعة إلى ربها ، راضية مرضية . وأما المنبثة نحو المركز فهي الذاهبة نحو عالم الكون والفساد ، ولها في كل وقت معاد واتحاد بالأجساد . وأما المنبثة نحو الآفاق فهي الذاهبة في طلب [٢٢٨] النجاة ، والبحث عن سبب ما يكون لها من الارتقاء والكمال والسعادة ، وهي النفوس الطالبة ، المشتاقة ، بالتفكير في ملكوت السموات والأرض ، حتى تكون من الموقنين كما تفكر إبراهيم خليل الرحمن في ملكوت السموات والأرض لما رأى ، وكان من الموقنين بآيات الله لما رأى آثار حكمته ، ودلائل خلقته ، الداعية إلى توحيده ، الدالة على تنزيهه ، وتجريده ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون

١ فصل : في بيان ذلك : سقطت في ص .

٢ سورة ١٣ : ٢٩ .

علوا كبيراً ، فاعرف يا أخي ما ألقيناه إليك من هذا العلم ، وكن به سعيداً في الدنيا ، والآخرة .

فصل

في معرفة رتبة إبليس والشياطين ومواضعها من المعادن والنبات والحيوان والإنسان : واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما وقعت النفوس الجزئية في الخطيئة ، وتخلفت عن الإجابة ، واكتسبت الجناية المذكورة في القرآن ، بما ذكرنا طرفاً منه في الرسائل المتقدمة ، أهبطت من [٢٢٩] عالمها الروحاني ، ومحلها النوراني ، إلى المحل الجسماني ، وقيل لهم : ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ . انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴾^١ وقيل لهم : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولکم فی الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾^٢ فتقطعت وهوت وتشتتت واتحدت القوى منها بحسب ما يليق بها ، وتفرقت في البقاع المركزية ، تحت فلك القمر بالقوة ، لتظهر بالفعل إذا اتحدت بالأجسام الطبيعية والصور التركيبية ، وانقسمت قسمين [وهبطت فرقتين مختلفتين]^٣ ما بين عاصٍ مستكبر ، وتائب راجع مستقبل كتوبة آدم وحواء وإصرار إبليس ومن تبعه ، وانقسمت كل فرقة منها فرقتين ، ونزلت منزلتين .

١ سورة ٧٧ : ٢٩ - ٣١ .

٢ سورة ٧ : ٢٤ .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

[في بيان ذلك]^١ : فالتائبون إثنان : مسارع في توبته ، عارف بزلاته ، راجع إلى ربه عن قريب من مكانه ، وسرعة من زمانه [٢٣٠] ، يتذكر إذا ذكر ، ويقبل الموعدة ، ويتفكر في خلق السموات والأرض ، فيقر بتوحيد مبدعه ، ويرجع إلى طاعة خالقه ، وآخر متوانٍ في توبته ، متردد في جهالته ، فهو يذكر الشيء بعد الشيء لأنه متردد في كونه وفساده ، وانقلابه ، ومعاذه ، ليكمل به التوبة ، وتحصل له الإنابة ، ويتطهر بماء الطاعة ، من نجاسة المعصية ، فيرجع حينئذ إلى المكان الطاهر ، والمحل الفاخر .

فصل^٢

والمرتبة الإبلسية والرتبة الشيطانية أيضاً انقسمت قسمين ، وصارت نازلة منزلتين ، وصارت طائفتين : طائفة عالمة بزلاتها ، مصرة على خطيئتها ، مستكبرة عن طاعة باريها ، تزيد الفساد في الأرض ، وهي إبليس ومن تبعه من الأبالسة والشياطين المردة ، وطائفة لاحقة بهم ، متعلمة منهم ، قابلة من أوامرهم ونواهيهم ، فالطائفة الأولى الشياطين والأبالسة بالفعل ، والتابعون [٢٣١] لهم شياطين وأبالسة بالقوة .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

فصل

في تفصيل ذلك وبيانه بالبرهان: أعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن النفوس الخزئية لما أهبطت إلى عالم الهيولى الطبيعية ، للاتحاد بالأجساد البشرية ، ففرقت ، وسرت قواها في الأمهات ، وامتزجت بالاسطقسات ، وخالطت المعادن ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان بالقوة ، وظهرت بأشخاصها بالفعل ، وظهر من كل شخص فعله الذي كان فيه بالقوة ، ولما كانت فرقتين ، صارت الموجودات قسمين إثنين : محمود ومذموم . فالمحمود أيضاً ينقسم قسمين إثنين : محمود في غاية الحمد ، وآخر دونه ، لاحقاً به ، وربما صار يوماً ما مثله ، ومذموم في غاية الذم ، وآخر دونه لاحقاً به [و صار يوماً ما مثله]^١ وربما صارت العداوة بينهما بأمر إلهي لقوله سبحانه : ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^٢ فصارت الأرض مستقراً لهم ، إذ قال : ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾^٣ و صار لكونهم فيها نهاية ، لقوله سبحانه : ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^٤ والحين نهاية [٢٣٢] محدودة .

فصل

[في ذكر المعادن]^٣ : المعادن منها الرفيع قدره ، النفيس في قيمته ، العظيم في مرتبته ، المليح في لونه ، النير في إشراقه ، مثل الياقوت ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سورة ٧ : ٢٤ .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

والذهب ، وما شاكلهما من الجواهر المعدنية ، اللاتقة بذوي الرتب العالية من ملوك الإنسانية . ومنها ما هي دونها ، لاحقة بها في الشرف والمنزلة ، كالفضة ، والبلور ، وغيرهما ، ومنها أشياء رذلة دنيئة ، منتنة الرائحة والطعم ، سموم قاتلة ، وصور مشوهة ، ومناظر سمجة كالنفط ، والقبر ، والكبريت الأسود ، وما شاكلها من الأشياء المحرقة للجواهر المعادية لها ، بما فيها من الخبث والنجاسة ، مما لصق بها واتحد برتبها ، وحصل في بقعتها من نجاسة النفوس العاصية ، لما استقرت عليها ، وسرت فيها ، ودليل ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِيدًا ۝١ ﴾ ومنها ما هي دونها في العداوة والأذية [٢٣٣] ، كالقلعي ، والأسرب ، والنحاس . فإنها ربما مازجت الأجساد النقية ، إذ نقيت وطهرت ، وزال عنها الخبث والنجاسة ، وبالنار طهارتها ، إذا تكلست وتصعدت وسبكت ، ولذلك وعدهم ربهم ، فقال : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٢ ﴾ . فهذه مرتبة الأبالسة ، والشياطين من القوى المعدنية . ومن النبات كالأشجار القحلة ، المرة الطعم المنتنة الرائحة ، التي لا يتتفع بثمرها ولا بورقها ، وليس لها إلا النار ، منها خلقت ، وإليها تعود ، كالدفلي ، والشوك ، وغير ذلك ، فهي أمثال الأجساد ذوات الأنفس النجسة ، التي ليس لها إلا النار ، وهي مشوى المتكبرين ، وقيل : ﴿ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ۝٣ ﴾ ﴿ صُمْ بِكُمْ عُمِّي فَهَمْ لَا

١ سورة ٧ : ٥٧ .

٢ سورة ٣٨ : ٨٥ .

٣ سورة ٢٣ : ١٠٨ .

يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ قد حقت عليهم كلمة العذاب ﴿٢﴾ وما هم بخارجين من النار ﴿٣﴾ . ومن النبات ما هو دون هذه المنزلة في الذم ، وقلة الانتفاع به ، أمثال التابعين لأئمة الضلال [٢٣٤] ، الداعين إلى النار ، اللاحقين بهم ، [ومن النبات] ٣ الأشجار الطيبة ذوات الأثمار اللذيذة كالنخيل ، والأعناب والرمان ، وما هو غذاء للحيوان ، ومنافع للإنسان ، كما قال الله سبحانه : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ يُأْذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِيداً﴾ ٤ ومنه ما هو في غاية المنفعة ، ومنه ما هو لاحق به ، كأمثال من يدعو إلى الله سبحانه بالذكرى ، والموعظة ، من الأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين . وكذلك النبات القليل الثبات ، كالزروع من البر والشعير ، فمنه ما هو في غاية المنفعة في الغذاء به ، ودونه كأمثال الصحابة والتابعين بإحسان [إلى يوم الدين] ٥ ، المصدقين للأنبياء ، وكالزوان وما يجانسه الذي لا يصلح إلا للنار ، كما قال المسيح : أما الحنطة فتحمل إلى الأهراء ، وأما الزوان فيحرق بالنار . وهو مثل الرعاع ، والعوام ، وقتلة الأنبياء والمرسلين ، واتباع كل ناعق .

فصل

[في ذكر أصناف [٢٣٥] الحيوان] ٦ : والحيوان منه أيضاً المحمود في أفعاله

١ سورة ٢ : ١٨ .

٢ سورة ٢ : ١٦٧ .

٣ ومن النبات : سقطت في ص .

٤ سورة ٧ : ٥٧ . ٥ إلى يوم الدين : سقطت في ب .

٦ سقطت الكلمات المحصورة في ص . وورد مكانها ما يلي : ومنه ما هو في غاية الرداءة

كالمومات القاتلة ، وما يجري مجراها ، فهو كأمثال المفسدين والدعار من بني آدم .

وأعماله ، كالفرس ، والبقر ، والغنم ، وما هو لاحق بها في المنفعة كالجمل ،
وحملة الأثقال والمنافع الجلييلة ، ومنها ما هو دونها في ذلك ، ولاحقة بها ،
مما لا خفاء به على المتأمل ، إذا اعتبر ما ذكرناه ، وتبين ما وصفناه ، ومنها
الشريرة الطباع ، المذمومة الأفعال ، القبيحة الأحوال ، المتناهية في الشرية ،
كالسباع . والسنور ، والفهود ، وغيرها من أجناس السباع ، والوحوش
وما هو دونها : ولاحق بها ، في ذلك من هذه الأشخاص [مما لا خفاء به
على المتأمل إذا اعتبر ما ذكرناه وتبين ما وصفناه]^١ من الأشخاص المتحدة
بها النفوس الحيثة ، النجسة . وكذلك يوجد في دواب البحر ، وحشرات
الأرض ، وعالم الهواء من الطير ، ومن كل ذي حركة بجسم يغتذي وينمو ،
ويتكون في المركز ، وعلى المركز ، في البر ، والبحر ، والسهل [٢٣٦] ،
والجبل ، ﴿ وَمَا رَبَّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^٢ وكل شيء يتبل إلى مثله ويحن
إلى شكله ، وكل إناء ينضح بما فيه . فقد بانت بالبرهان معرفة الأبالسة والشياطين
في جميع الموجودات ، وفي جميع الكائنات من المعادن ، والنبات ، والحيوان ،
وكل ذلك بأمثال ودلالات ، بالحق شهادات ، وبالصدق ناطقات ، على
أن ذلك كله موجود في الحلقة الإنسانية ، والصورة المنتصبة بين الجنة والنار ،
فالجنة عن يمينها عالم لأفلاك ، ومحل السموات ، دار القرار ، ومحل
الأبرار ، والنار عن شمالها عالم الكون والفساد ، والغفلة والرقاد ،
والمنقلب والمعاد ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ . مَا أَصْحَابُ
الْيَمِينِ . فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ . وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ . وَمَاءٍ
مَّسْكُوبٍ . وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ . وَفُرُشٍ

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سورة ٤١ : ٤٦ .

مَرْفُوعَةً ﴿١﴾ . ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ﴾ . مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ [٢٣٧] مِنْ بِحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٢﴾ فَافْهَمْ يَا أَخِي مَعْنَى الْمُنْقَلَبِ ، وَالْمَعَادِ ، فَإِنْ فِيهِمَا سِرٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَمَكْنُونًا مِنَ الْعِلْمِ ، وَأَعَاذَكَ اللَّهُ وَإِيَانًا مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ ، وَقَبِيحِ الْمَعَادِ ، [وِخْلَصَكَ وَإِيَانًا مِنْ ذَلِكَ] ^٣ فَمِنْ اسْتِرَاحٍ مِنْ [قَبِيحِ الْمَعَادِ وَسُوءِ التَّرْدَادِ] ^٤ وَالْإِنْقِلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ مِنَ الْأَصْلَابِ ، فَقَدْ فَازَ وَصَارَ فِي جَمَلَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَفَارَقَ الْهَيُولَى الْجَسْمَانِيَّةَ ، وَالْوِلَادَةَ الطَّبِيعِيَّةَ ، فَلَا مَعَادَ لَهُ إِلَى مَحَلِّ الْبَلَاءِ ، وَدَارِ الشَّقَاءِ ، وَالْإِنْقِلَابِ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ ، مَعَ الشَّيَاطِينِ وَجُنُودِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ .

فصل

فِي رَتَبَةِ النُّفُوسِ الطَّاهِرَةِ ، وَأَثَارِهَا ، وَقَوَاهَا السَّارِيَّةِ فِي الْمَعَادِنِ ، وَالنَّبَاتِ ، وَالْحَيَوَانَ ، وَالْإِنْسَانِ : فَمَا كَانَ مِنَ الْمَعَادِنِ جَلِيلًا قَدْرَهُ ، حَسَنًا مَنْظَرَهُ ، حُلُوءًا طَعْمَهُ ، طَيِّبَةً رَائِحَتَهُ ، تَكْمِلُ بِهِ الْمُنْفَعَةَ النَّامَةَ ، وَالنِّعْمَةَ الْعَامَّةَ ، فَهُوَ مِنْ أَثَارِ النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ ، وَقَوَى الْأَرْوَاحِ الطَّاهِرَةِ [٢٣٨] ، النَّاجِيَةِ ، الَّتِي لَحِقَتْ بِالْعَالَمِ الْأَعْلَى ، وَبَقِيَتْ أَثَارُهَا وَبَرَكَاتُهَا فِي بَقَاعِهَا الَّتِي كَانَتْ تَسْبَحُ بَارِيهَا فِيهَا ، وَتَعْبُدُهُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ أَجْسَادُهَا وَهِيَ أَكْلُهَا الَّتِي تَطْهَرَتْ بِمَاءِ الْمَغْفَرَةِ ، وَلَحِقَتْهَا الرَّحْمَةُ . وَكَذَلِكَ مَا كَانَ حَكْمُهُ مِثْلَ

١ سورة ٥٦ : ٢٧ - ٣٤ .

٢ سورة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ قبيح المعاد وسوء الترداد : المعاد والترداد في ص .

ذلك من النبات ، والحيوان ، والإنسان ، وكل طيب زكي مفارق للخبيث والنجس ، فمن آثار النفوس الزكية والأرواح الطاهرة ، اللاحقة بعالمها الروحاني وقرارها النوراني ، التابعة لروح القدس ، النازلة بالرحمة والشفقة ، لخلاص النفوس التائبة ، لما اشتاقت إلى رجوعها إلى باريها ، فقال لها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾^١ بربها الواثقة برحمته لما تابت وأتت ﴿ ارجعي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۚ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾^٢ فافهم يا أخي هذه الإشارة وتدبر هذه العبارة فإنها من مكنون العلم وسره ، الذي لا يحسه إلا المطهرون .

فصل

[في انتقال [٢٣٩] القوة المعدنية إذا كملت في بقعتها ، وتمت في معدنها ، وظهرت صورتها ، وبرزت خاصيتها ، تحركت بالشوق والتنفس ، واتحدت بقوة معدنية أخرى ، أقوى من الأولى بطبيعة زائدة عليها ، ثم اتحدت بجسم نباتي ، فإن كانت محمودة اتحدت بما شاكلها من المحمودات كما تقدم ذكره ، وإن كانت خبيثة [اتحدت بما شاكلها من المذمومات]^٣ فكذلك ثم تصير^٤ غذاء للحيوان ومادة له وزيادة في جسمه طويلاً وعرضاً وعمقاً ، ثم تتحد بعد ذلك بما تتحد به بالقوة ، فتظهر منه بالفعل حيواناً ، حساساً ، مشاكلاً لما كان منها بالقوة أولاً ، المفعولة في جبلتها وطبعها ، ثم كذلك

١ سورة ٨٩ : ٢٧ .

٢ سورة ٨٩ : ٢٨ - ٣٠ .

٣ سقطت الاكلمات المحصورة في ص .

٤ تصير : تغير في ب .

حتى تلحق بمنزلتها ، متروية من أدونها إلى أكملها ، ومن أرذلها إلى أجلها .
فأما المحمود منها ، فلاحق بعالمه ، إلا كما قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ
كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلَيْتُونَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ [٢٤٠]
يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾^١ وأما من ظلم ، وتعدي واستكبر ، وعصى ،
فمحجوب عن ربه ، ﴿ لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونِ
الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاجِ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾^٢ مردودون في أسفل سافلين
كما قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينَ . وَمَا أَذْرَاكَ
مَا سَجِّينَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۖ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^٣ . فلا
يزال ذلك دأبهم ، في الكون والفساد ، إلى يوم العرض ، كما قال الله تعالى :
﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾^٤ . فهذه معرفة المنقلب
والمعاد ، والانتقال من حال إلى حال ، [وفي هذا الحد]^٥ بالبرهان الشافي ،
والقول الكافي ، قد تفتحت عنه الأبواب للطالين ، وانكشف^٦ عنه الحجاب
للراغبين . فأين يتاه بك ، فقد أعذر من أنذر ، وقد خاب من افترى ،
وفقك الله للصواب وهداك للرشاد ، [وإيانا وجميع]^٧ إخواننا ، حيث
كانوا من البلاد ، إنه رؤوف بالعباد .

١ سورة ٨٣ : ١٨ - ٢١ .

٢ سورة ٧ : ٤٠ .

٣ سورة ٨٣ : ٧ - ١٠ .

٤ سورة ٦٩ : ١٨ .

٥ وفي هذا الحد : سقطت في ص .

٦ وانكشف : وصرفت في ب .

٧ وإيانا وجميع : سقطت في ص .

فصل

[٢٤١] في نعت^١ الهبوط : [إعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن القوى السارية النفسانية]^٢ أول ما بدت وسرت لما أهبطت إلى الأجسام ، من أعلى سطح الفلك المحيط إلى نحو مركز الأرض ، مرت أولاً بالكواكب والأفلاك والأجرام ، [والأركان والأمهات]^٣ وبلغت إلى آخر مركز الأرض ، الذي هو أقصى مدى غاياتها في هبوطها ومنتهى نهاياتها في حقيقتها . فمنها ما تابت وأنابت ، وتذكرت ، فرجعت من قريب ، واتحدت بالكواكب النيرة ، والأجرام الصافية ، ولذلك قيل لها النفس المطمئنة الراجعة عن قريب ، ولم يطل بها الأمد في جهالتها وطغيانها ، ثم كانت كذلك تنفرق وتتحد بالشيء بعد الشيء على التدريج على قدر الصفاء والرجوع إلى الإقرار ، والاعتراف بالخطأ إلى أن بلغت إلى فلك القمر آخر أبواب العالم العلوي ، ثم هبطت المتخلفة عن الإجابة نحو المركز ، واتحدت بعالم الأمهات ، وسرت قواها في المعادن ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان [٢٤٢] ، وعظفت عليها النفوس الناجية المتحدة بالكواكب ، وحنّت عليها ورحمتها ، فلذلك أخبر الله سبحانه عن أهل السماوات ، الخافين من حول العرش ، أنهم يستغفرون لمن في الأرض : [فقد صح]^٤ بالبرهان الصادق أن كل شيء يحن إلى جنسه ، [ويرحم بعضه بعضاً]^٥ فدارت الأفلاك وسارت الكواكب

١ نعت : سقطت في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ والأركان والأمهات : سقطت في ص .

٤ فقد صح : سقطت في ب .

٥ ويرحم بعضه بعضاً : سقطت في ص .

النبات ، وترتبت الأمهات ، وظهرت الأشخاص من المعادن ، والنبات ، والحيوان ، وبرزت صورة الإنسان ، وامتأ العالم من الأشخاص ، ونزلت النفس القدسية بالروح من أمر ربها ، على من يشاء من عباده ، بالدعاء إليه والدلالة عليه ، فمن أجاب لحق بعالمه ، ومن أبى واستكبر ، وخالف وترك في دوانه ، فانظر الآن يا أخي كيف يكون انصرافك ، ورواحك من هذا العالم إلى هناك ، فإن نفسك هي إحدى تلك النفوس الهابطة المنبثة من النفس الكلية ، السارية في العالم ، وإنك قد [٢٤٣] بلغت إلى المركز ، وانصرفت ، ونجوت من الكون في المعادن ، والنبات ، والحيوان ، وقد جاوزت الصراط المنكوس ، والصراط المعوج ، والصراط المقدس ، وأنت الآن على صراط مستقيم ، منتصب بين الجنة والنار ، وهي صورة الإنسانية ، فإن جاوزت وسلمت من هذه دخلت الجنة من أحد أبوابها ، وهي الصورة الملكية التي تكتسبها بأعمالك الصالحة ، والمتاجر الراجعة ، وأخلاقك الحميلة ، وآرائك الصحيحة ، ومعارفك الحقيقية ، فاجتهد يا أخي قبل فوت الأمل ، وحلول الأجل ، واركب مع إخوانك في سفينة النجاة ، كما ركبوا لتصل إلى ما وصلوا ، وتنزل حيث نزلوا ، ولا تكن من المغرقين الذين هم إخوان الشياطين ، ولا تأو إلى جبل يعصمك من الماء ، فإنه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم .

فصل

في تكوين الحيوانات^١ : قال الحكيم : إن الحيوانات التامة الحلقة ، العظيمة [٢٤٤] الصورة ، التي لها الحواس الخمس ، كلها كونت في بدء الخلق ذكراً وأنثى من الطين ، لما اتحدت بها القوى السارية فيها ، كما قدمنا

١ الحيوانات : الحيوان في ص .

ذكرها وبرزت قابلة للتعليم ، وعارفة بمواضع منافعها ، ومضارها ، وماكلها ومشاربها ، وجميع مآربها ، وتناسلها ، ونتائجها ، وما جعل في طبعها ، وركبت في جبلتها من الحنوّ على أولادها ، ومعرفة ذكرائها وإناثها ، كل ذلك بالعناية الربانية ، والحكمة الإلهية . وذلك لما عطفت النفس الكلية على القوة التي تسميها الحكماء نفوساً جزئية منبعثة من النفس الكلية ، [وكانت متخلقة عن مرتبة النفس الكلية]^١ فلما نوديت تخلفت ، ولما أمرت استكبرت عن الخضوع والطاعة ، لما منها بدا ، فأهبطت ، وبالأجسام الطبيعية ربطت ، وبالرحمة والحنّة والشفقة عطفت عليها النفس الكلية ، المستفيدة من العقل ، فإذا [٢٤٥] تابت وأنابت ورجعت ، وإلاّ فدار الهوان والبلاء ، ومحل الشقاء ، والبوار ، بها أولى ، إذا جهلت ، وجحدت ، ولما عطفت عليها بالرحمة والشفقة تدلت^٢ إليها وتجلت لها ، ونادتها بالمجانسة لها لتأنس بها ، وتطمئن إليها : ارجعي ، واقلعي ، وتوبي مما جنيت ، ولا تستكبري ، منها أنا ذا أناديك ، أنا ربك ، كما قال الله تعالى لموسى : أدنُ مني ، واعرف قدري ، فأنا الله ، فعند ذلك لما صفت نفس موسى ، قال : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾^٣ . فاعرف يا أخي هذا الموضوع ، وتفكر فيه ، وألقه إلى من وثقت به من إخوانك ، الذين لا تأخذك فيهم لومة لائم ، وتفكر في هذا المعنى الجليل ، والنبأ العظيم ، وكذلك السيد إذا جنّى عبده عليه ، وخالف أمره ، وارتكب نهيه ، يناديه ، ويناجيه : إرجع يا عبدي عن معصيتك ، وتب إليّ من ذنبك ، وتطهر بعفوي [٢٤٦] عنك من معصيتك ، وبرحمتي من زلتك ، ولا تقم على معصيتك ، فأهينك ، وأخرجك

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ تدلت : نزلت في ص .

٣ سورة ٧ : ١٤٢ .

من داري ، وأبعدك من محلي ، وأطردك من جوارى ، ولا تفلح أبداً .
 فبالبرهان أن السيد لا يخاطب عبده ، إذا جنى عليه وأذنب ، إلاً بلسانه
 أو بلسان من يقوم مقامه ، وينوب منابه في الإبلاغ عنه ، والأداء إلى من
 أمر بالأداء إليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا
 وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءَ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾^١
 ولذلك قالت الحكماء ، وذكرت العلماء ، أن الأنبياء والمرسلين ، وعباد
 الله الصالحين ، مؤيدون بروح القدس الأمين ، ينزل إليهم بالوحي من
 رب العالمين ، بما فيه ذكرى للذاكرين^٢ ، كما قال لنبه الكريم ، ورسوله
 الصادق الأمين (ص) : ﴿ وَذَكَرُ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^٣
 فإذا علقت النفوس الجزئية ، الغريقة في الأجسام الحسية ، بالمنذرين [٢٤٧] ،
 واتبعت المرسلين ، وانتبهت من رقدة الجهالة ، ونوم الغفلة ، وسكرة
 المعصية ، وتطهرت بالتوبة والإنابة من نجاسة الخطيئة ، حلت إلى محلها
 النوراني ، وقرارها الروحاني ، وفقك الله أيها الأخ البار الرحيم للسعادة
 الدائمة ، والوصول إلى الجنة العالية [وإيانا وجميع إخواننا بمنه وكرمه]^٤ .

فصل

في فضل الحيوانات بعضها على بعض : اعلم يا أخي أيذك الله وإيانا
 بروح منه ، أن الحيوانات فيها التفاضل موجود ، كوجوده في بني آدم ،

١ سورة ٤٢ : ٥١ .

٢ للذاكرين : للمتقين في ص .

٣ سورة ٥١ : ٥٥ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وفيهما منهم رؤساء بارعة ، وقادة في كل جنس من أجناسها ، وجماعة من أشخاصها ، وهم أمم متفرقة ؛ ذوات لغات مختلفة ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ۚ ۱ .

ولما كان ذلك كذلك أخرنا الكلام فيه ، والقول عليه بالبرهان إلى هذا الموضع ، في هذه الرسالة ، في هذا الفصل المخصوص منها بشرح ما في رسالة الحيوان [٢٤٨] ، لجلال قدره وعظم خطره ، وأن فيه من العلم مرامي جلية ، وإشارات خفية ، يدق سرُّها ، ويصعب تأملها ، ونظرها ، إلا على المرتاضين بالعلوم الفلسفية ، والحكم العقلية ، والآداب الشرعية ، والتأويلات الحقيقية ، واتباع المرشدين ، والإصغاء إلى قول المنذرين ، وتأمل الآيات والتفكر في خلق السموات ، واتباع أصحاب المعجزات من الأنبياء والمرسلين ، والأئمة الراشدين ، والخلفاء الناصحين ، القائمين في الأمة مقام المنذرين وإنما أطلنا الخطاب ، وأشبعنا في القول والإسهاب في رسالة الحيوان . والقول على أجناسها ، وصفات أنواعها ، وما أوردناه من الخطب الجامعة للعلوم الجلية ، والمعاني النفسية ، وما أشرنا إليه ، ولوحنا به فيها مما نسبناه إلى الحيوانات من كلام بعضها لبعض [واحتجاج بعضها على بعض]^٢ وما ذكرناه على سبيل الموعظة والتذكيرة [٢٤٩] ، وألقيناه كالأمثال المضروبة^٣ في القرآن ، وكتب الحكماء المتقدمين من العلماء ، ليكون تنبيهاً على أن الحلقة الحيوانية محفوظة النظام ، مستقيمة الأقسام ، متفنة التأليف ، صحيحة التركيب ، موضوع كل جنس منها في موضعه اللائق به ، متحد بكل شخص منها من النفس الحيوانية بحسب قوته ، وأنها كلها لا تغرب عن الله سبحانه ،

١ سورة ٦ : ٢٨ .

٢ واحتجاج بعضها على بعض : سقطت في ص .

٣ المضروبة : الموجودة في ص .

منها صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، وأنه سبحانه خالقها ورازقها ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾^١ مجموع فيه جميع ما في الحلقة ، لا يغادر صغيرة ، ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، وهو أنموذج العالم الكبير المكتوب فيه كل موجود بالحس ، لتشهد النفوس ، وتكون شاهداً عليها ، ولتكون الحجة منها عليها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ۚ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۚ قَالُوا بَلَىٰ ۚ ﴾^٢ . وقال الله سبحانه : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾^٣ ولما كانت الحيوانات [٢٥٠] مختلفة في تركيبها ، متباينة في تأليفها ، ممتنة في مآربها ، مقتصدة في مآكلها ومشاربها ، محفوظة في جميع أحوالها ، كل شيء منها يحن إلى مثله ، ويستأنس بشكله ، ولا يرغب في صحبة غيره ، وكل طير يطير مع شكله ويأنس بمثله ، وجب أن يكون التفاضل موجوداً كوجوده في طوائف الأمم من بني آدم من الملوك والرؤساء . وذلك ؛ موجود لا يخفى على من تأمله وتفكر فيه ، وإنما أردنا أن نذكر العلة الموجبة لوجود التفاضل في الحيوانات كوجوده في الإنسان ، والسبب الموجب الذي من أجله كان ذلك ليكون تنبيهاً للغافلين ، وموعظة للذاكرين . وأما وجود تفاضلها ، وأنها ذوات رتب ومنازل في خلقها ، وأن فيها رؤساء وملوكاً ، موجودة ، فيقرب ذكره ، ولا يصعب القول في معرفته ، وخبره كوجود القوة والبطش ، والهيبة ، والشدة ، في الأسد دون غيره [٢٥١] من السباع والوحوش الآكلة للحمان ، وذوات الأنياب ، والمخالب ، وكقوة الإبل ، وحر

١ سورة ١١ : ٦ .

٢ سورة ٧ : ١٧٢ .

٣ سورة ٤٥ : ٢٨ .

٤ ذلك : سقطت في ب .

الوحش ، دون غيرها من الغزلان ، وما يأوي الصحاري والقفار والغيطان ،
وكالفيل ، والجواميس ، والبقر ، دون غيره من البهائم الآكلة العشب ،
وما ينبت من الأرض ، المستخدمة فيما ينتفع به الإنسان ، من أكل لحومها
وشرب ألبانها ، ما خلا الفيل فإنه لا ينتفع به كمنفعة^١ غيره وكالفرس ،
والبغل ، والحمار ، والجمال المركوبة المتعوبة المنصوبة ، في خدمة بني
آدم على تصاريفها لحمل أثقالهم ، وما يقطعون على ظهورها من الطرق
البعيدة ، والأسفار الشديدة والتفاضل أيضاً موجود فيها كلها ، لأن في
الفيلة ما هو أقوى وأشد احتمالاً وصبراً على ما يراد منه ، وكذلك في
الحيل والبغال والحمار موجود فيها ذلك كوجود الشجاع ، والجبان ،
والنشط ، والكسلان ، والعاقل ، والأحمق ، في عالم [٢٥٢] الإنسان . ولما
كان ذلك كذلك ، وجب بالبرهان أن النفوس المتحدة بالحيوان قريبة من
النفوس المتحدة بعالم الإنسان ، لا تفارقها في الأخلاق وما يقسم عليها من
الأرزاق^٢ ، فإن الغنى والفقر ، والعز ، والذل ، موجود فيها وواقع عليها ،
وشتان ما بين فرس الملك وفرس الحارس ، من حسن المنظر وجودة المخبر ،
وما بينهما من المباينة في الأكل والشرب ، فلما كان ذلك كذلك ، وجب
بالبرهان ، أنها عالم مخصوص به من التدبير ما خص به غيره ، مما هو
مخالف له بالصورة ، مشارك له فيما يكون له من العيش والبقاء ، وأن
التفاوت في الدرجات والمنازل غير مستحق له ومخصوص به نوع دون
غيره ، ولا شخص [من ذلك النوع]^٣ دون شخص ، فبالبرهان وجب

١ كمنفعة : كمنفع في ب .

٢ الأرزاق : الأوزان في ص .

٣ من ذلك النوع : سقطت في ص .

أن يكون ذلك لعله موجبة للعدل ، نافية للظلم ، والجور ، عن المبدع الحق [٢٥٣] سبحانه . وان هذا التفاضل والتباين ليس من جهة الأجساد الترابية ، ولا من الأجسام الطبيعية . وان كان قوم من الحكماء قد تكلموا في هذا المعنى ، وذكروا أن الأفعال تصدر عن الأنفس المتحدة بالأجساد ، بحسب قواها الحاصلة لها عن الأغذية والأهوية ، فيقال لهم صدقتم في ذلك ، فمن أين لها اكتساب ما هو موجود فيها من العز ، والذل ، والغنى ، والفقر ، ولم صار الفرس الأشقر من الخيل مركباً للملك ، ومثله في اللون مركباً للحارس ، ولو صار هذا محروساً جانبه من التبذل ، مستريحاً جسده من صعوبة الخدمة ، ومشقة السفر ، يخدمه من الصور أجلاً ، ومن الأشخاص أكملها ، وذلك أن المتولي بخدمته والقيام بما يحتاج إليه من أكله وشربه ، وإزالة ما يبدو عنه من أوساخه وإمالة الأسواء عنه من غسله ، وخدمته ، ومسحه ، وحسه^١ ، وما يحتاج إليه من [٢٥٤] ذلك ، هو إنسان مشارك للملك في صورته ، وهو القائم لخدمته المتولي لتربيته ، وغير حاصل بالبرهان ، لفرس الحارس ما هو حاصل لفرس الملك ، وكذلك سائر الحيوانات لها مثل ذلك من أن بعضها مرفه عن الخدمة ، وفي معزل عن التعب والمشقة ، مستريح في مرقده ، مطمئن في مقيله ، متوسع^٢ في مأكله ومشربه ، وغيرها بخلاف ذلك ، وغير منفصل عن هذه الصفة ، إلا ما كان مخفياً في قرار الماء ، وبعيداً عن الأبصار ، كالطير في الهواء ، ومخفياً في باطن الأرض من حشرات^٣ ، وما كان بعيد الدار ونائي المزار من وحوشها ، لكن الحكم يقضي عليه والبرهان الصادق يدعو إليه ، إن التفاضل موجود فيها كلها ، واختلاف الأحوال غير

١ رحسه : وحسنه في ب .

٢ متوسع : منعم في ص .

٣ حشرات : حشائشها في ب .

زائل منها ، وهذا ليس يصدر إلاّ عن مقتضى الحكمة ، ولطيف الصنعة ،
 ومحكم الحلقة . ولو كان ذلك على غير هذا القول ، لكانت مهمة التدبير ،
 [٢٥٥] وغير متقنة التقدير ، وكان يكون وجودها كلها بحد واحد في
 عيشها ، وموتها ، وعدمها ، ووجودها ، وكونها ، وفسادها .
 ولما كانت متواترة بالكون ، متخلفة عن الفساد كلها دفعة واحدة ،
 وأن السالف يقوم في مقامه من يخلفه^١ ويحفظ صورته ، ويرث منزلته ،
 ويستحق مرتبته لئلا تنقطع آثاره ، وتنسى أخباره ، ويعدم موضعه اللائق
 به ، ومكانه المعروف به ، ليكون كل مكان مملوءاً^٢ مما يجانس
 بالقرّة الموجودة فيه ، كالماء فإنه لا يخلو [من سكانه ما دام في مكانه ،
 والهواء لا يخلو]^٣ منه حيوانه ما دام في طيرانه ، والتراب لا يخلو من أهله
 ما دام في كونه ، والنار في مستقرها ، ذلك تقدير العزيز العليم .

فصل

[في بيان ذلك]^٤ : ولما كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون هذا القول
 دالاً على أن الاختلاف الموجود في الحيوان والإنسان هو من جهة النفس .
 وأنه ينقسم قسمين : قسم يشاركها فيه [٢٥٦] الأجسام بما يدخل عليها وبها
 ومنها ، من الآلام والأسقام ، والزيادة والنقصان . وقسم تناله النفس بمجرد
 ويكون ألبها وحسرتها عليها وبها ، والجسم صحيح في بنيته ، معتدل في

١ من يخلفه : سقطت في ب .

٢ مملوءاً : علواً في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٤ في بيان ذلك : سقطت في ص .

طبيعته . فإن بيان ذلك بالبرهان ما كان من الاختلاف الواقع عليها ، الموجود فيها من القوى الطبيعية ، والأهوية ، والأغذية ، فهو ما يظهر منها من الأخلاق المتنافرة ، والعادات الرديئة ، والطباع السيئة ، والآداب القبيحة ، كالأكل ولا حاجة إليه ، والشرب عند الاستغناء عنه ، والجماع والشهوة ساكنة ، والرقاد في غير وقته ، والنفس متحركة ، والخصومة لمن لا يرغب فيها ، والمحاربة لمن وادعها^١ ، والعداوة لمن سالمها وما شاكل ذلك . فكل هذه الحصال والأخلاق تظهر من الأشخاص بحسب طباعها ، وما تكتسب من بقاعها ، وسوء عاداتها ، والتباين [٢٥٧] موجود من اختلافهم فيها ، وأن منهم من هو في^٢ غاية ذلك ، ودونه ، وبين الطرفين ، في محمود الأخلاق ومذمومها ، وقبيح الأعمال وحسنها ، فالأجسام مشاركة للأنفس في هذه الأشياء ، إذ كانت الآلام تدخل عليها ، وبها ومنها ، إذا كان الأكل والشرب ، والنكاح في غير وقت الحاجة ، وعند الاستغناء عنه ، والزيادة والنقصان^٣ عند التشبع منه ، يدعو إلى تلف الأجساد وحلول الآلام . كذلك سوء الأدب وشراسة الخلق يدعوان إلى الأذى ، والضرب ، والحبس الواقع على الجسد . كذلك تصل الملاذ والنعم إليها بها إذا اعتدلت أقسامها واستوى نظامها . وأما ما كان يختص بالنفس أمله ، ويقترن بجوهرها عذابه ، والجسم بريء من ذلك كالحزن العارض للنفوس من ألم الفقر والذل ، فإن هذا الألم ربما وقع باللييب الحازم ، المستقيم الخلقة ، المعتدل البنية [٢٥٨] المليح الصورة ، التام في خلقته ، المليح في منظره ، النفيس في مخبره موسعاً عليه في رزقه ، رفيعاً في عزه ، عزيزاً في محله تأملت نفسه ألماً روحانياً ،

١ وادعها : وادعه في ب .

٢ في : سقطت في ب .

٣ والنقصان : سقطت في ص .

من الفقر ، والغنى والعز ، والذل ، فبحسب عمله الذي هو عامله ، وفعله الذي قدمه بين يديه ، ﴿ وَمَا [٢٦٠] رَبَّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾^١ .

فصل

[في بيان ذلك]^٢ : ولما كان هذا القول الذي ذكرناه ، والحال الذي وصفناه يحتاج إلى زيادة في بيانه ، وقوة في برهانه ، أوردنا جواباً لمن عساه يطلب العلة في ذلك . والوقوف على سره ، ومكنون علمه : كيف صار زيد الكافر غنياً وعمر المؤمن فقيراً ، وفلان اليهودي عزيزاً ، وفلان المسلم ذليلاً . وهذا الفصل يا أخي من غوامض العلوم ، ودقائق الأسرار ، وأنفس الذخائر ، ومخبآت الجواهر ، وبه يعرف العدل والتوحيد ، فاحتفظ به وكن به سعيداً .

فصل

في بيان ذلك والقول عليه بالتلويح دون التصريح : اعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الله سبحانه وعظم شأنه ، ربط العالم السفلي بالعالم العلوي ، وكان تدبير العالم الأرضي بجميع ما فيه من أقسامه ، وأركانه ، وأشخاصه ، والنفوس المتحدة بصوره ، وأجسامه ، مقدراً بواجب [٢٦١] الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية في الأشخاص العالية^٣ السماوية ، والأنوار

١ سورة ٤١ : ٤٦ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ المائة : سقطت في ص .

الفلكية ، فهي تقسم بما قدر له فيها ، وتعطي كل مستحق منها بحسب ما
ما قدر له واستوجبه ، من سائر الأشياء الكائنة ، الموجودة تحت فلك القمر
من العلو في المنازل ، وطيب^١ العيش في الدنيا : والذل ، والفقر فيها ، وأن
جميع ذلك ليس بمهمل ولا متروك ، ترك الغفلة عنه والسهو ، تعالى الله
عن ذلك ، بل بموجب الحكمة القائمة بالقسط^٢ في الخلقة والفطرة^٣ .

فصل

[في زيادة إيضاحه]^٤ : وإذا كان ذلك كذلك ، وانتهى بنا القول
إلى هذا الحد ، فلنرد في بيانه ونقول : إن العز ، والذل ، والغنى ، والفقر
لا يراها الإنسان ، ولا تيسر له إلا من جهة الشريعة ، والملك ، والصنعة .
والتفاوت في ذلك موجود [في جميع ذلك]^٥ كالملك في عزه وسلطانه ،
ومن هو دونه مكتسب ذلك منه ، إلى أن ينتهي إلى آخر من يتعلق به من
رجال شرطته [٢٦٢] ، ومتولي خدمة دوابه ، فهذا نوع يختص بالملك وأصحابه .
والنوع الشرعي كالنبي في زمانه بجلالة منزلته ، وعلو قدره ، وعظمة ذكره ،
ومن تبعه في حياته ، ويخلفه بعد مماته ، ممن يستحق الفضيلة المخصوصة
به ، الموجودة فيه بعد النبي ، مما كان موجوداً فيه [في حياته]^٦ ، فيقوم

١ وطيب : وطيبة في ب .

٢ بالقسط : بالقسط والعدل في ص .

٣ والفطرة : التامة في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ في جميع ذلك : سقطت في ب .

٦ في حياته : سقطت في ب .

بخلافته في أمته بعده مقامه ، وينوب منابه في تكميل دعوته واتساع^١ شريعته ، وكذلك من دونه ، حتى ينتهي إلى معلم الصبيان ، الذي يدرسهم الفقه والقرآن ، فكل^٢ له من العز والرفعة بحسب ما يظهر منه من أفعاله وأعماله .

فصل

[وأما]^٢ النوع الصناعي فما هو موجود في أيدي الناس من نفيس الصنائع وجيل الأعمال ، فالكامل في صناعته ، البارع^٣ في عمله ، يكتسب بذلك في حياته ما يقوم به عوده ، ويطيب عيشه وعزه وسلطانه ، يأتي بما يرغب فيه الملوك منه ، وتأخذه عنه . والصناعة [٢٦٣] أيضاً لاحقة بالشرعية ، لأن صناعة الكتابة موضوع شرعي ، وعمل إلهي بها سطرت الحكمة ، ونطقت الشريعة ، وهي أجل الصنائع كلها ، ثم الصنائع مما دونها ، يوجد التفاضل بين أهلها في مكاسبهم وعزهم ، وذلمهم ، حتى ينتهي ذلك إلى الكناسين ، والسمادين ، والمدلكين ، وغيرهم من ذوي الصنائع المهينة ، والأعمال الخسيسة . فبالبرهان أن كل إنسان إنما ينال من العز ، والذل ، والغنى والفقر ، بحسب ما يظهر منه ، ويصدر عنه من الأعمال والأفعال ، وأنه إنما يأخذ الأجرة من ذلك على ما يستحقه من عمله ، ويستوجبه بفعله ، فهذا بالتلويح من العبارة ، والرمز ، والإيماء ، والإشارة ، يبين ما قلناه ، ويوضح ما وصفناه .

١ واتساع : وإشاعة في ص .

٢ فصل : وأما : سقطت في ص .

٣ البارع : المارع في ص .

فصل

[في كشفه بالبرهان]^١ : ولما كان العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة في تفاوت الدرجات من الغنى ، والفقر ، والعز ، والذل ، قلنا إن ذلك بتقدير [٢٦٤] فلكي ، وأمر سماوي ، فبالبرهان إن علو الرتبة والعز ، والغنى بالملك ، من جهة الشمس واختصاصها بمواليد الملوك والرؤساء ، ومن يصحبهم إلى آخرهم . والمشتري يختص بمواليد الأنبياء ، وأصحاب النواميس والدين ، ومن يصحبهم إلى آخرهم . وعطارد يختص بمواليد الكتاب ، وأصحاب الصنائع إلى آخرهم ، وتشاركها^٢ بقية الكواكب في مثل ذلك . فبالبرهان قد صح أن جميع ما يوجد في العالم من التباين لما ذكرناه مقدر في أصل الحلقة ، بما جعل في العالم العلوي من تدبير العالم السفلي ، وأن عالم الأرض إنما هو مثال لعالم السماوات ، وأن ذلك هو النموذج الأول ، والأصل الأفضل ، وأن هذا العالم^٣ إذا قبل فيضه [يعني عالم الأرض إذا قبل فيض العلوي وجوده]^٤ وتخلص من كدر الطبيعة الأرضية صار يوماً إليه ، وقصد نحوه . فقد بان بهذا القول صحة العدل [٢٦٥] والتوحيد ، وأن جميع ما يوجد في الحلقة بتقدير إلهي ، وحكم رباني ، لا فساد في نظامه ، ولا خلل في أقسامه ، ما خلا الشر ، وفعل المعصية ، فإنما هو عارض عرض من جهة النفس الغضبية .

١ فصل : في كشفه بالبرهان : سقطت في ص .

٢ وتشاركها : وتشاركهم في ب .

٣ العالم : سقطت في ب .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

[في أن بعض ما يحدث من التفاوت في الحيوان من جهة الإنسان]^١ :
ولما كان الإنسان هو للحيوان بمنزلة العالم العلوي للعالم السفلي ، صار أكثر ما يحدث في الحيوان من جهة الإنسان ، وأنه متصرف فيه ، وحاكم عليه ، كتصرف عالم الأفلاك ، وسكان السماوات ، وحاكمها على من دونها من عالم الأشخاص الأرضية ، والجواهر الترابية . وكل ما كان لملك مخصوصاً من الحيوان لخدمته ، هو في غاية العز والترفيه ، وكذلك ما هو لمن هو دونه ، حتى ينتهي إلى السائس والحارس ، فإن دابته تكون لاحقة به في العيش ، والمنزلة بحسب حاله ، وكذلك حال العامل في [٢٦٦] الصناعة والشرعية ، فصار الإنسان واسطة بين الحيوان ، وبين عالم الأفلاك ، يفيض عليه بما يفاض عليه ، وصار الحيوان خادماً للإنسان بحسب حاجته إليه ، وصار النبات واسطة بين الأركان وبين^٢ الحيوان ، [بما يناله من العصارات]^٣ وبما يناول له للحيوان من الغذاء ، فصارت الخليقة مربوطة^٤ بعضها ببعض ، كالبنيان الذي يشد بعضه بعضاً . وبالبرهان أن جميع الحلقة ، وما هو موجود في الفطرة بدأ كله عن خالق واحد ، وعن مشيئة واحدة ، وأنها متقنة التأليف بحكمة التركيب ، وصح قوله حيث يقول : ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ

١ في أن بعض ما يحدث من التفاوت في الحيوان من جهة الإنسان : في التفاوت في الحيوان من جهة الإنسان في ص .

٢ وبين : سقطت في ص .

٣ بما يناول له من العصارات : سقطت في ص .

٤ مربوطة : سقطت في ب .

الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ^١ يدل على أنه ليس له شريك في ملكه ، ولا معين في خلقه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فصل

في تسخير الحيوان للإنسان : وقد قلنا في رسالة الحيوان [٢٦٧] ، فيما أشرنا إليه بالتلويح ، إن الحيوان استغاث من جور الإنسان ، وما يتحمله من الأثقال ، ويدأب فيه من مصاعب الأعمال ، وإنه لا راحة له منه إلاّ بالموت ، وإن ذلك لا يزال موجوداً في العالم ما دامت الأشخاص دائمة في الكون والفساد ، والنفوس في الهبوط والاتحاد ، ونريد أن نذكر في هذا الفصل من هذه الرسالة الجامعة ، ذات الفوائد النافعة ، والبراهين اللامعة ، والحجج القاطعة ، والأغراض المطلوبة ، والإشارات اللائحة ، والطرق الواضحة ، ما يكون فيه بيان للنفوس الساهية ، والأرواح اللاهية ، ليكون تنبيهاً لها من رقدة الغفلة^٢ ، ونومة السكر ، والجهالة ، وموت الخطيئة ، ومرقياً لها إلى عالمها ، ومعيناً لها على الإرتقاء إلى قرارها الروحاني ، ومكانها النوراني ، وذلك أنا لا نجد السبيل إلى بيان^٣ ما أشرنا إليه ، ودلنا عليه بالتصريح [٢٦٨] ، مخافة من العذاب الأليم ، والهوان المقيم ، لكننا ألقيناه إليك على سبيل النصيحة ، وأداء الأمانة^٤ والمبالغة في الإبانة ، بحسب ما ينبغي فنقول ، بحسب ذلك ،

١ سورة ٦٧ : ٣ .

٢ الغفلة : الجهالة في ص .

٣ بيان : سقطت في ص .

٤ الأمانة : سقطت في ب .

إن النفوس الغضبية ، المتحدة بالأجسام الحيوانية ، دعيت إلى السجود والطاعة للنفس الناطقة كما دعيت الملائكة وأمرت بالسجود لآدم ، فمنها من أجاب وانقاد بلا استكبار ، فاحق بالنفس الناطقة [لما أطاعها ، وقبل جودها ، وهي النفوس]^١ المتحدة بالحيوان السليمة الناجية ، الصادرة عنها الأفعال الحميلة ، والأخلاق المحمودة [والأعمال الحسنة]^٢ ذوات المنافع الجمة التي تداركتها النفس الناطقة بالشفقة والرحمة ، المقبولة بالذبح في بيوت العبادات ، والتقرب بدمائها في أوقات الحج والصلوات ، وما يفرق من لحومها في الزكاة والصدقات ، تقرباً إلى الله سبحانه ، ينقلها من الحال الأدنى [٢٦٩] إلى الحال الأعلى . ومنها ما أبى واستكبر ، فسمجت صورته ، بقيح عمله ، وبعدت داره ، وشط مزاره ، كالوحوش النافرة ، والسباع المذعرة ، فهي نفوس خاوية من الأنس ، بعيدة عن الإنس ، مخالفة لربها ، مستكبرة عن الدخول تحت ما أمرها به خالقها ، وهي نفوس عاصية ، وأرواح نجسة ، لم تتطهر بماء الطاعة من ذنوب المعصية ، فمأواها قرار البحار المالحة ، ورؤوس الجبال الشاخنة ، وهي مترددة في ضلالتها ، وتتيه من جهالتها ، فهي شياطين ماردة ، ونيران واقدة ، لا جرم أنها متى ظفرت بالإنسان أكلته ، ومتى حل بدارها أهلكته ، فهي معادية له عداوة جبيلية ، لا تكاد تنحل عنها ، ولذلك حل قتلها وإهلاكها لمن قدر عليها ، ومتى [وصل الإنسان إليها]^٣ ولذلك حرمت الأنبياء ، لحومها ، بالتقرب بدمائها إلى الله سبحانه ، [وانه لا يجوز]^٤ أن تحل في البقاع الطاهرة ، والمساجد العامرة ، لما هي مجبولة عليه من النجاسة

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ والأعمال الحسنة : سقطت في ب .

٣ وصل الإنسان إليها : سقطت في ص .

٤ وأنه لا يجوز : وأنها لا تجوز في ب .

والحيث ، كالثب^١ ، والختير ، والأسد والفيل ، وما هو مثلها من الطير [٢٧٠] ، وما هو موجود في وحوش البحر من سكانه ، وحيوانه ، من ذوات الأصداف الثخان ، وما نزع عنه قشره ، وسلخ جلده ، فهو عبرة بين الحيوان . وبالبرهان وجب تسخير الحيوان للإنسان ، وقد بينا العلة في ذلك ، والسبب الذي من أجله ألزم الحيوان خدمة الإنسان طوعاً وكرهاً ، فهو متصرف فيه ، وحاكم عليه ، كتصرف العالم العلوي في العالم السفلي ، فاعرف يا أخي هذا الموضع ، وتفكر فيما ألقيناه إليك من هذا العلم الجليل والنبأ العظيم .

فصل

في معرفة الجن : ولما قلنا في رسالة الحيوان ، فيما رمزنا به وأشرنا من قصة اجتماع الحيوانات في الجزائر ، التي وقعت فيها طائفة من الإنس ، واسمها صاغون ، والملك الذي بها من الجن ، ومن اجتمع إليه من الحكماء ، وما دار بينهم من الكلام ، وما قلناه على ألسنتهم من الجدل ، والخطب ، فإنما أردنا بذلك ليقرب مأخذه ، ويسهل حفظه ، ولا تمل قراءته ولا يسأم تطويله ، وطول شرحه ، وليكون رياضة يرتاض بها [٢٧١] المبتدئون ، ويسهل مأخذه على المتعلمين ، وليكون مقدمة بين يدي هذه الفصول^٢ التي أوردناها في هذه الرسالة الجامعة للفوائد ، المقلدة للعلوم بجواهرها ، هي لها كالقلائد ، ونريد أن نذكر في هذا الفصل معرفة الجن الذين لوحنا بالقول عليهم ، وأشرنا بالأمثال إليهم ، ونطق الكتاب بذكرهم ، ويكون

١ كالثب : كالدب في ب .

٢ الفصول : الرسالة في ص .

على مثل ما قدمناه من القول بالتلويح .

اعلم أن^١ الجن ينقسمون^٢ قسمين ، ويكونون طائفتين : محمودين ومذمومين . ومن المحمودين فاضل في مرتبته ، متناه^٣ في فضيلته بحسب ما في قوته ، وما هو لاحق به بحسب استطاعته ، وما هو دونه ، وكذلك المذموم منهم ، ما هو في غاية ذمه ومعصيته ، ولاحق به ، فالمذموم من الجن ما كان لاحقاً بإبليس وحزبه ، إذ كان إبليس منهم في البداية ، وفيهم يوجد عند النهاية ، والمحمودون منهم هم الذين استجابوا لربهم وآمنوا به ، وصدقوا رسله وأنبياءه وأئتمته .

فصل

[في الإبانة من فضيلة هذا القول]^٤ : واعلم يا أخي أن هذا الفصل عظيم قدره ، جليل ذكره [٢٧٢] ، خصصنا به هذا الموضع وألقيناه إليك ، وجعلناه أمانة عندك ، ولا تؤدها إلا إلى مستحقها ، ولا تبذلها إلا إلى طالبها فإنك مأخوذ بها ، مسؤول عنها ، والله الموفق للصواب .

فصل

[في الإبانة عن حقيقة الجن]^٥ : واعلم يا أخي أن [عالم الجن هم

.....
١ أعلم أن : سقطت في ب .

٢ ينقسمون : ينقسم في ب .

٣ متناه : متناهي في ب .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الطائفة المخصوصة] ^١ بالعلوم العقلية ، والآراء الفلسفية ، والمذاهب البرهانية الإلهية ، ذوات البراهين القانعة ، والأنوار اللامعة ، والحجج القاطعة ، الذين اتحدت بهم النفوس الزكية ، والأرواح الطاهرة ، وهم الذين سميناهم في الرسالة ، وبيننا عن ألقابهم في الدلالة بقضية العقل ، بقضاة الجن وفقهائها ، وحكمائها من آل إدريس ، وبني بلقيس ، وأولاد كيوان ، وبني هامان ، وآل لقمان ، وأولاد بهرام ، وبني ناهيد ، ونزيدها هاهنا في الدلالة عليهم ، والإشارة إليهم بآل بقراط ، وآل أفلاطون ، وذرية أرسطاطاليس ، ومن شاكلهم من الحكماء الإلهيين [٢٧٣] والعلماء الربانيين المخصوصين بالعلوم العقلية ، والتأييدات الفلسفية ، ومن تبعهم واستجاب إليهم ، وكان منقاداً لهم في أوامرهم ونواهيهم ، وهم المسبحون في البقاع الطاهرة ، والمساجد العامرة ، وأرواحهم خفيفة ، وأجسامهم لطيفة ، يرون الإنس من حيث لا يرونهم ، فهم متحكمون فيهم ، قادرون على قبض أرواحهم ، وفساد أجسامهم لعلمهم بالمضار والمنافع ، وأن الإنس محتاجون إليهم في جميع أحوالهم من مآكلهم ومشاربهم ، إذ كانوا أصحاب الصنائع الجليلة ، والمنافع الجمة ، ولذلك قيل إن جميع أعمال الإنس ، الجن علمتهم إياها ، ودلتهم عليها ، وأخرجتها إليهم ، ونصبتها لهم فقد لوحنا بهذا القول ، ودلنا بهذا الكلام ، على معرفة الجن المحمودين ، ليعرفه كل من ﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ^٢ .

١ عالم الجن الطائفة المخصوصة : إن طائفة الجن من عالم الجن الذين ذكرناهم في ص .

٢ سورة ٥٠ : ٢٧ .

فصل

في معرفة المحمودين والمذمومين من الجن وكيف قدرتهم على الإنس :
اعلم يا أخي أيدك [٢٧٤] الله وإيانا بروح منه أن المحمودين من الجن هم الذين آمنوا بالرسول ، المبعوثين من الإنس ، واستجابوا للنطقاء المؤيدين بالوحي من السماء كما ذكر الله في قوله حكاية عن طائفة منهم : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾^١ وقوله عنهم : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئتُ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾^٢ وقوله عنهم : ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾^٣ .

فصل

[في تأويل هذه الآية]^٤ : واعلم يا أخي أن تأويل هذه الآيات سرٌّ دقيق ، وعلمه بحر عميق ، والقول في ذلك بالتصريح صعب جداً ، ولكننا نقول بحسب الأمانة لأن الأمانة هي أن أصحاب شريعة العقل ، لما رأوا بدو ناموس النفس وأن ذلك بموجب الحكمة كائن لا بد منه ، انقادوا لأمره ، وخضعوا له ، فاستجابوا للأشخاص المؤيدة بالوحي ، وأن [٢٧٥]

١ سورة ٧٢ : ٢٠١ .

٢ سورة ٧٢ : ٩ ، ٨ .

٣ سورة ٧٢ : ١٠ .

٤ ستطت الكلمات المحصورة في ص .

التماسهم السماء قبل ذلك هو تلقيهم الفوائد العقلية . فلما ظهرت الشرائع
الناموسية النفسانية غلقت تلك الأبواب ، وتعذرت تلك الأسباب ، وصارت
تلك الشهب المحرقة بالمرصاد ، وهم جنود الشريعة ، وحفاظ الناموس
بالشهب المحرقة ، والصواعق الملهبة ، بالأوامر ، والنواهي ، كما قال
الله سبحانه توكيداً لما قضاه ، وإحكاماً لما براه ، مخاطباً للعالمين من الجن
والإنس : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾^١ ﴿ يَرْسَلُ
عَلَيْكُمْ سُيُوفًا مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرُونَ ﴾^٢ . وهذا
خطاب منه لمن ظن أنه يتخلص من أحكام الشرائع النبوية ، والأوامر ،
والنواهي الشرعية ، أنه لا يقدر على ذلك ، ولا يستطيع النفوذ منه إلا
بسلطان ، وإن لم يكن معه سلطان أرسل عليه شواظ من نار ونحاس . فلا
سلطان إلا ما [٢٧٦] هو وعد به سبحانه من عود الحق إلى أهله ، والزمان
إلى أوله ، إذا دار الفلك الدورة الثانية ، وآن وقت العرض الثاني ، وبرزت
النفوس الكلية لفصل القضاء بين النفوس الجزئية . فبالبرهان قد بان أن الجن
هم طائفة متعلقون بالآيات الفلسفية ، والعلوم العقلية ، وأن المحمود منهم
من كان منقاداً للأنبياء أصحاب الوحي من الجن والإنس ، العاملين بالشرائع ،
كما وصف سبحانه أنهم يعملون لسليمان ﴿ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ
وَتَمَائِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾^٣ وأن منهم كل
بناء وغواص .

١ سورة ٥٥ : ٣٣ .

٢ سورة ٥٥ : ٣٥ .

٣ سورة ٣٤ : ١٣ .

فصل

[في ذكر الشياطين منهم]^١ : وأن منهم شياطين عصاة مردة ، وهم النافرون من الشرائع ، والمفسدون فيها ، والمعتلون لأحكامها ، والخارجون عن موجباتها ، فهم بين نيران موقدة ، وشهب محرقة ، تأخذهم ﴿ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ [٢٧٧] عَذَابٌ وَأَصِيبٌ . إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الْخَطِيفَةِ فَاتَّبَعَهُ شَيْهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾^٢ . فأما قدرتهم على الإنس وتحكمهم فيهم ، فمن أجل أنهم يرونهم من حيث لا يرونهم ، إذ كانوا أرواحاً خفية ، وأجساماً لطيفة . فلذلك قيل إن عالم العقل محيط بعالم النفس . فأعرف هذا الرمز ، وتبين هذه الإشارة ، تقر في الدنيا والآخرة . فهذه معرفة الجن ، المحمود منهم والمذموم بالتلويح ، اللائح بالقول الصريح بطريق الإقناع الكافي ، وبالبرهان الشافي ، والله ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^٣ .

فصل

[في القول في شكوى الحيوانات وما تقاسيه من جور الإنسان لملك الجن وسؤالهم إزالة ذلك عنهم]^٤ : وأما ما ذكرنا من أن الحيوانات اشتكت جور الإنسان إلى ملك الجن ، وسألته أن يفك أسرها وأن يضع عنها أصرها ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سورة ٣٧ : ٨ - ١٠ .

٣ سورة ٢ : ١٤٢ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

والأغلال التي في أعناقها ، وأنها مهانة ذليلة متعبة [٢٧٨] نصبة ، تذبح أبناؤها وتراق دماؤها ، وتؤكل لحومها ، وأن الإنسان لا يرحمها ، ولا يحن عليها ، [ولا يتوجه بالشفقة عليها]^١ فإننا قد ذكرنا ودفنا فيها معاني كثيرة وعلومًا غزيرة ، وحكمة جليلة ، لا يتسع لنا كشفها ، ولا الإبانة عنها إلا بما ذكرناه منها . ولكننا لما شرطنا على أنفسنا في رسائلنا المتقدمة ، أن هذه الرسالة تأتي على بيان ما في الرسائل المتقدمة المشار إليها ، وتبين الإشارات ، وتفك الرموزات بالبراهين والدلالة ، وجب علينا أن نبين شيئاً مما لوحنا به ، بالتلويح هو أشفى من ذلك ، وأبين قليلاً ، لما نعلم أنك محتاج إليه ومن قبلك من إخواننا ، أيديك الله وإيانا بروح منه .

تم الجزء الثاني من ستة أجزاء ويتلوه الجزء الثالث :

فصل

[في بيان معاداة المنافقين للمؤمنين]^٢ : إعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن [٢٧٩] البهائم التي ذكرنا ، وعليها بالقول دللنا ، وإليها بالتلويح أشرنا ، هي المتعبة في أيدي^٣ بني آدم ، المستخدمة في منافعهم ومآربهم ، وما يحتاجون إليه من أمر معيشة الدنيا ، الصابرين تحت أحكامهم ، المنقادين معهم حيثما قادوهم ، ولا يعترضون عليهم في جميع ما يفعلون بهم ، كما ذكرت زعماء الحيوانات من الخطب التي أوردناها ، وذكرنا

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ أيدي : سقطت في ب .

فيها جوراً^١ الإنسان على طوائف البهائم ، وما أشرنا به من القول ، بأن نسبنا ذلك الكلام إليها ، وما أوضحناه وما بيناه لمن كان له قلب ذكي ، وذهن صاف ، فيعلم ذلك ويتجه له القول ، إذا تفكر أنه موجود في الحلقة النفسانية ، والأشخاص البشرية ، إن أقواماً متسلطين ، يستخدمون غيرهم من أهل الفضائل والدين ، وأن جماعة من المتكبرين قد استذلوا جماعة من المؤمنين ، كما ذكر الله سبحانه في محكم كتابه عن فرعون ومآله ، وما كانوا يصنعون ببني إسرائيل [٢٨٠] من استخدامهم ، واستذلالهم واستضعافهم ، واستحياء نسائهم ، وذبح أبنائهم ، والبلاء الذي كان يحل بهم ، ولم يزل ذلك ذأبهم إلى أن قام قائمهم ، وأنجز الله لهم الوعد^٢ ، وأهلك عدوهم ، ولذلك قال الحكيم من آل لقمان ، لما قال له صاحب العزيمة من الجن : أرأيت إن عجزت هذه البهائم عن مقاومة الإنسان^٣ في الخطاب ، وانحصرت عن أن تأتي بالحجة في الجواب ، لقصورها عن الفصاحة والبيان ، وانقطاعها عن إقامة الحجة بالبرهان ، واستظهرت الإنس عليها بذراية ألسنتها ، وجودة عباراتها وفصاحتها ، فقال : تبقى هذه البهائم أسيرة في أيديهم ، يسومونها سوء العذاب في الأسر والعبودية ، إلى أن ينقضي دور القرآن ، ويستأنف دور الآخرة ، ويأتي الله لها بالفرج والخلاص ، كما نجى آل إسرائيل من عذاب آل فرعون ، وكما نجى آل داود من عذاب آل بنجت نصر وكما نجى [٢٨١] آل حمير من عذاب آل تبع ، وكما نجى آل ساسان من عذاب آل يونان، وكما نجى آل عدنان من عذاب آل أزدشير ،

١ جور : سقت في ب .

٢ الوعد : وعده في ص .

٣ الإنسان : الإنس في ص .

وان أيام هذه الدنيا دول. قد دللنا بهذا الكلام فيما لوحنا به ، ورمزنا عليه ،
وأشرنا إليه بالقول ، أن المراد بهذه المعاني ما لا يخفاء به على ذوي اللب
الفصيح ، والرأي الصحيح ، وأن المراد من ذلك من ذكر البهائم أمثال
مضروبة ، ودلالات منصوبة ، على أمثالها في الحلقة البشرية ، والأشخاص
الإنسانية .

فصل

في بيان ذلك : وأما بنو آدم ، المتسلطون^١ على البهائم الطائفة ، ذوات
الأخلاق الحميلة ، والأفعال الحسنة ، المنقادة حيثما قيدت ، المستخدمة
في خدمة الإنسان ، الصابرة تحت المشقة ، والتعب ، والنصب ، القليلة
الاعتراض على المؤذي لها ، الصامتة عن جوابه إذا خاطبها بما يؤذيها ،
فإن أمثال هذا الجنس من البهائم الطائفة المأسورة ، في أيدي أصحاب
الرأي [٢٨٢] ، والقياس ، والعمى والالتباس ، واتباع الطواغيت والأبالسة ،
والشياطين ، أعداء الأنبياء ، الذين يبتغون الفساد [في الأرض]^٢ أي في
شرائع الأنبياء ، الذين يريدون أن يقيموا لأنفسهم المنازل الرفيعة الدنيوية
ويتسمون بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان وهم جنود إبليس وخيله ،
ورجله ، ولا يزال ذلك دأبهم يستدلون ذرية النبوة ، ومن اتبعهم من المؤمنين ،
الذين هم أمثال البهائم السليمة القليلة الأذية ، المضروب بهم ، أمثال البقر
والغنم ، وما شاكلها من الأرواح ، المنقادة في [طاعة الإنسان]^٣ إلى

١ المتسلطون : المستطيلون في ب .

٢ في الأرض : سقطت في ص .

٣ طاعة الإنسان : طاعتها في ب .

حيث ما قادها من العمل ، والذبح ، وما شاء واختار ، بلا اعتراض عليه ، ولا خطاب يكون منها إليه ، بل بالرضى والتسليم ، وإعطاء الطاعة ، وامثال الأمر ، والنهي ، وكذلك فعلت ذرية النبوة ، وأهل بيت الرسالة ، لما استذلهم الجبابرة المستكبرون ، والشياطين [٢٨٣] المتغلبون ، وأخذوهم بطاعتهم ، وجذبوهم إلى الإقرار بولايتهم ، والانقياد لأوامرهم ونواهيهم ، وحملوهم لأثقالهم ، ومنعوهم من مصالح الأعمال ، وكذبوا عليهم ، وسبواهم ، ولعنواهم ، وقبحوا أعمالهم افتراءً على الله سبحانه وعليهم ، كما يفترى جهال الإنس على البهائم^١ ، ويشتمونها بأقبح شتم يكون ، ويلعنونها ، ويكذبون عليها ، وكذلك فعلت الأمة الباغية ، والفئة الطاغية ، والعصبة^٢ الباغية من أئمة الضلال الداعين إلى النار ، ومنعوا أولياء الله وأهل بيته ، الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، أن يسعوا في الأرض بالصلاح العام ، والنفع التام ، بما استذلوهم به من المذلة والهوان ، وألجموهم عن النطق بالحكمة ، والكلام بما فيه صلاح الأمة بالخوف الذي لحقهم ، والامتحان الذي شملهم منهم ، كما تلجم البهائم بلجم الحديد الثقال ، والمقاود والأرسان [٢٨٤] ، لتنفاد حيث ما قيدت ، وتمنع من الكلام بما أرادت ، فهي تشكو إلى باريها ، العالم بسرائرها ، بقلوب نقية ، وأرواح سليمة ، ونيات جميلة ، عساه يرحمها ، ويفرج عنها ، ويزيل كربها ، ويسمع نداءها ودعاءها ، وينصرها ، ويأخذ لها بحقها ممن ظلمها وتعدى عليها . وهو ولي إجابتها ، ومعاونتها ، ونصرتها إذا قام قائمها ، وانتبه نائمها ، الذي طال نومه صبراً واحتساباً ، على ما ناله في جنب الله وطاعته ، حتى يأذن له ربه ، ويؤيده بملائكته ، فعند ذلك

١ البهائم : الجهال في ب .

٢ العصبة : العصبية في ب .

يقوم فيأخذ بحقه ، وينجز له وعده ، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً وخبطاً ، ويفك البهائم الأسيرة ، والأشخاص الذليلة ، من أسر العبودية ، وقيد الملكة ، ورق الذل ، ويجعل الذين أهانوهم في مثل ذلك ، جزاء بما كانوا يعملون ، ويحق الله الحق بكلماته ، ويظهر دعوة إخوان الصفا ، وخلان الوفا ، ويجمع [٢٨٥] شملهم ، بظهور النفس الزكية ، والروح الطاهرة المطمئنة ، فعند ذلك يظهر الله الأرض من أعمال الأنجاس الجاهلية ، ويبيد السباع المفترسة ، والوحوش الضرسية ، المتسلطة على البهائم التي لا تاب لها ولا مخلب [ويجعل الله لها القوة ، والشدة ، والبطش ، ويسلب قوى السباع وشدها وبطشها]^١ ، ويجعلها في أشخاص البهائم المستذلة المهانة ، التي كانت في حال الخوف والاستتار من خوف السباع ، وكذلك الذين هم أمثال الطير من الحمام واليمام ، وكل طير من الطيور المحمودة الأحوال الحسنة الأعمال ، يفك أيضاً أسرها ، ويضع^٢ عنها أصرها . وقد بينا يا أخي [أيدك الله]^٣ في هذا الفصل ما لا خفاء به على من تأمله وتفكر فيه برؤيته ، فاعلمه واقراه على من قبلك من إخواننا ، وطيب أنفسهم بذلك ، وعدهم بقرب الفرج ، وزوال الشدة ، واعلمهم أن شكواهم قد سمعت ودعاءهم قد أجيب ، والله ولي التوفيق [وإليه الإنابة ، وعليه التوكل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]^٤ .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ يضع : يوضع في ب .

٣ أيدك الله : سقطت في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

[٢٨٦] : في العداوة التي بين الجن والإنس والسبب فيها والعلة التي من أجلها كان ذلك : وقد ذكرنا في الرسالة أن الحكيم من آل لقمان ذكر أن بين الجن والإنس عداوة قديمة ، مركوزة في الجبلة منذ بدء الحلقة ، وذكرنا في ذلك الفصل من الكلام ما يحتمل ظاهره بياناً شافياً ، وذخرناه لهذا الموضع في هذا الفصل من هذه الرسالة ، ونريد أن نذكره لعلك ، يا أخي إذا قرأته وتفكرت فيه وتبينت معانيه ، أن تنبه نفسك من نومة الغفلة ، ورقدة الجهالة ، وتعلم أنك من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، بما علموه من العلوم الإلهية ، والحكمة العلوية ، وأن نفسك إذا فارقت الجسد الجسماني ، والهيكل البشري ، تصير ملكاً بالفعل ، وترقى إلى عالم الروح والريحان ، وجنات النعيم ، وتنجو من العذاب المهين^١ ، وتسقى من عين [٢٨٧] السلسيل ، وفقك الله لفهم هذه الرموز والإشارات ، وأرشدك إلى الهدى بالعلامات والدلالات المكتوبة في الآفاق والأنفس وما في الأرض والسماوات ، من الآيات الدالة^٢ على وحدانية الله عز وجل ، وما خلقه في السماء والأرض جميعاً ، وما فيها من الحكمة ، دال على أنه واحد ليس كمثله شيء . وأنه لا يخفى عليه من خلقه مثقال ذرة ولا حبة من خردل ، وما تسقط من ورقة إلا يعملها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ، ولا يابس ، إلا في كتاب مبين .

١ المهين : الأليم في ص .

٢ الدالة : الدلالات في ص .

فصل

[في ذكر الإنس والجن]^١ : وأما الإنس الذين أشرنا إليهم ، والجن الذين لوحننا بذكرهم ، والعداوة التي قلنا إنها بينهم ، فإنما هي أمور علمية وأعمال حكمية ، وموضوعات^٢ خفية . وذلك أن الإنس هم أشخاص طبيعية وأجسام لحمية ودموية ، وأما الجن فهم أرواح خفيفة [٢٨٨] ، وأشخاص لطيفة ، وقد ذكر الله سبحانه أنه خلق الأشياء مزدوجة ، فقال عز اسمه : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾^٣ فهذا البرهان من كتاب الله [يجب أن يكون]^٤ من الإنس من هو مخفي بجسمه ، مرثي بنفسه ، وبالعكس من ذلك ، ومن الجن من هو مرثي بنفسه ، مخفي بجسمه وبالعكس من ذلك تفصيل ذلك . وأما الطائفة من الإنس الذين أفعال نفوسهم مرئية وأعمالهم ظاهرة ، فأصحاب ظواهر الشرائع ، القائمون فيها بالرياء ، المتكلمون بما يظهرونه من التعفف والزهد في الظاهر من أمرهم ، وهم مستجنون بما يخفونه وما يرتكبونه من المكر والخديعة ، وما يرتكبون من الفواحش ، إذا خلا بعضهم إلى بعض ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾^٥ والذين يأكلون أموال اليتامى [٢٨٩] بالباطل ، والذين ﴿ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ موضوعات : مصنوعات في ص .

٣ سورة ٥١ : ٤٩ .

٤ يجب أن يكون : سقطت في ص .

٥ سورة ٢ : ١٤ .

يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ^١ فهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ ، إِذْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ ظَاهِرَةً بِمَا يُرَآوُونَ بِهِ النَّاسُ مِنْ إِقَامَةِ النَّامُوسِ ، بِأَجْسَادِهِمْ ، مِمَّا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْفَوَاحِشِ ، مَخْفِيَةً ، مُسْتُورَةً ، وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْإِنْسِ مَرْتَبُونَ بِأَجْسَامِهِمْ ، مَخْفِيُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فَأَصْحَابُ الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَالِدِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ . فَأَفْعَالُهُمْ بِأَجْسَامِهِمْ ظَاهِرَةٌ بَادِيَةٌ ، بِمَا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ ، وَالْأَفْعَالِ الْمَرْضِيَّةِ مِنَ الطَّهَارَاتِ ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ ، يَطْلُبُونَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ لَا ابْتِغَاءَ فسادٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا اَعْلُو ، وَلَا مَأْكُلٍ [أَمْوَالِ النَّاسِ]^٢ وَأَمَّا اخْتِفَاؤُهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ فَلَأَنَّهُمْ جَائِلَةٌ فِي الْمَلَكُوتِ ، مُشْغُولَةٌ بِالْفِكْرَةِ [٢٩٠] ، فِيمَا نَصَبَ لَهُمُ مِنَ الْعَلَامَاتِ ، وَقَامَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الدَّلَالَاتِ وَفِي الْآفَاقِ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي وَصْفِهِمْ ، وَمَدَحِهِمْ : ﴿ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^٣ . فَوَقَاهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ ، وَضَرَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَوَصَفَهُمْ مِنْ رُؤُوسَاءِ الضَّلَالِ وَأَئِمَّةِ الْبَاطِلِ ، الدَّاعِينَ إِلَى النَّارِ ﴿ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ . يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ^٤ ،

١ سورة ٢ : ٧٩ .

٢ أَمْوَالِ النَّاسِ : سَقَطَتْ فِي ص .

٣ سورة ٣ : ١٩١ .

٤ سورة ٥٧ : ١٣ ، ١٤ .

وقال لهم [أولياء الله وأحباءه] ^١ الذين ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ ^٢ لما قال لهم أولياء الشياطين : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا [٢٩١] نُوراً ﴾ ^٣ أي ارجعوا إلى عالم الأجسام ، وحل الآلام ، فأقتبسوا من مصابيح الأنوار اللامعة ، والحجج الواضحة ، الذين كانوا ينذرونكم ﴿ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ ^٤ وكنتم لهم تكذبون ، وعليهم تفترون ، ومنهم تنفرون [وعليهم بالقبايح تكذبون] ^٥ ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ ^٦ فالويل لكم بما كسبت أيديكم ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ ^٧ بما كنتم تعملون . فهم في ظلمات الجهل يتخطون ، وفي برازخ الكون والفساد لا يبرحون ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ ^٨ فقد بان بما ذكرنا ، وتحقق بما وضعنا بالبرهان ، ان الإنس هذه صفتهم ، وأنهم بأفعالهم وأديانهم قسمان متباينان ، ليكونوا زوجين إثنين كما ذكر الله بقوله : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ ^٩ ونريد أن نذكر حال الجن أيضاً ، ونبين أنهم كذلك [٢٩٢] ، ليعرف بالبرهان إن شاء الله تعالى .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سورة ٦٦ : ٨ .

٣ سورة ٥٧ : ١٣ .

٤ سورة ٤٥ : ٣٤ .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٦ سورة ٢ : ٨٧ .

٧ سورة ٦ : ٩٣ .

٨ سورة ٤ : ٥٦ .

٩ سورة ٥١ : ٤٩ .

فصل

في معرفة الجن : اعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن اسم الجن مشتق من اسم الجنان ، والأجنة ، والاستجنان ، وهو اسم يجمع معاني شتى ، معروفة في لغة العرب ، فيقال للبساتين ذوات الأزهار والفواكه والثمار جنات وجنان ، كما ذكر الله عز وجل في القرآن في قوله : ﴿ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾^١ وأما الأجنة فهم المحمول بهم في بطون أمهاتهم ، وأما الاستجنان والمستجن فهو الاختفاء والمختفي ، والمستكن . وللعرب في مثل هذا الاسم وتصريفه جهات كثيرة ، تخرج من اللغة ، وليس ذلك قصدنا ، ولا له أردنا ، وإنما نريد أن نذكر حال الجن ، الذين ذكرهم الله في القرآن ، ومدحهم وأثنى عليهم ، ومنهم من ذمه^٢ بقوله تعالى عن إبليس وحزبه : إنه كان [٢٩٣] من الجن ففسق عن أمر ربه ، فخرج من جملة المحمودين من الجن ، وصار هو ومن اتبعه منهم شياطين مذمومين ، فقال : ﴿ شَيْطَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾^٣ . وهم ينقسمون قسمين ، ويكونون فرقتين : فرقة ظاهرون بأجسامهم ، مختفون بأرواحهم ، [مستجنون بأنفسهم]^٤ وفرقة مختفون بأجسامهم مرثيون بأرواحهم .

تفصيل ذلك وبيانه : أما المرثيون بأجسامهم المختفون بأرواحهم ،

١ - سورة : ٢٣ : ١٩ .

٢ ذمه : ذمهم في ب .

٣ - سورة : ٦ : ١١٢ .

٤ مستجنون بأنفسهم : سقطت في ص .

فهم صور الأشخاص العالية ، الفلكية ، السماوية ، أجرامها بادية ، وأفعالها في العالم خفية كامنة مستجنة ، لا تظهر إلا بعد كونها في المفعول [والمؤثر]^١ فهي تسري في الأمهات كما تسري الصور في الهوليات . وأما المخفيون بأجسادهم ، المرثيون بأرواحهم ، فهي القوى الطبيعية ، وما تبرزه من الأجساد ، من النبات والحيوان . وهي [٢٩٤] قوى منبعثة سارية في الأمهات ، فأفعالهم ظاهرة بادية ، وذواتها خفية كامنة ، مستجنة . وأما المحمودون من هؤلاء فهي الفرقة الطائفة لربها ، المنقادة لأمر خالقها ، المقررة بتوحيد مبدعها ، المسبحون له بالليل والنهار ، لا يفترون ، [عن عبادته ولا يشتمون]^٢ سكان السموات وعالم الأفلاك ، وجنود الله الذين لا يعلمهم إلا هو ، والنفس الناطقة منهم . وأما المذمومون فهم الشياطين العاصية ، والأرواح^٣ الطاغية ، الذين يسترقون السمع ، فتتبعهم الشهب المحرقة ، ﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۚ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝٤ ﴾ والنفس الغضبية الشهوانية ، الداعية إلى اللذات الطبيعية^٥ ، الحائدة عن الأوامر والنواهي الإلهية ، والعلوم الحكيمة ، الساعية في الأرض بالفساد . ولهم أصحاب من [٢٩٥] الإنس يمدونهم^٦ ويشاكلونهم بالفعل ، ويميلون إليهم بالأعمال ، كما قال الله تعالى سبحانه : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٧ ﴾^٧

١ والمؤثر : سقطت في ص .

٢ عن عبادته ولا يشتمون : سقطت في ص .

٣ الأرواح : الفاريت في ص .

٤ سور ٢٧ : ٩ ، ١٠ .

٥ الطبيعية : سقطت في ص .

٦ يمدونهم : سقطت في ب .

٧ سورة ٧ : ٢٠٢ .

وقال : ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^١ .
فقد بان بما وصفنا من حال الجن ما ذكرنا . وما من شيء في حال الحلقة
الكلية والأشخاص الطبيعية من الموجودات بأسرها ، إلا وكلها ينقسم قسمين
ويكونون زوجين اثنين ، ليكون ذلك دليلاً على توحيد مبدعها ، وتفرد
خالقها ، وكلها ما بين محمود بطاعته ، ومذموم بمعصيته ، وأصل شر
المعصية وينبوعه ، فلذلك قيل : إن الشر لا أصل له في الإبداع^٢ ، لأن
الباري سبحانه قال : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^٣
والعبادة هي الطاعة ، والطاعة لله سبحانه خير محض ، وعبادته بالحقيقة
هي اجتناب المكارِه والشرور ، وقبائح الأعمال ، ومساوئ الأفعال .
والمعصية هي الخروج عن أمر الله ونهيه ، والعدول [٢٩٦] عما يريد إلى
ما لا يريد ، وذلك هو الشر ، وأصله الكبر والحسد ، وهما رأس الشر ،
وشجرته الملعونة ، وما يتفرع منها ، مما هو معروف من الشرور والمساوئ ،
والقبائح ، وما يظهر من الأبالسة والفراغة من الكبر ، والظلم ، والعدوان ،
والحسد ، وطلب ما ليس لهم بحق ، سنة إبليس وحزبه ، المنظرين إلى يوم
الوقت المعلوم . فهذا يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، معرفة الجن ،
والإنس ، ووجودهم بما يظهر من أفعالهم ، وتخفى من أعمالهم . فقد
بان بالبرهان الصادق على من له قلب شهيد ، وبصر حديد ، فقد زال
عنه الغطاء ، وانكشف عنه العمى .

١ سورة ٦ : ١١٢ .

٢ الإبداع : الحلقة في ص .

٣ سورة ٥١ : ٥٦ .

فصل

في معرفة العداوة بين الجن والإنس : واعلم يا أخي [أيذك الله وإيانا بروح منه] ^١ أن بين الإنسان والجن عداوة قديمة ، كما ذكر الحكيم من الجن إنها بينهم من وقت إبليس وآدم ، وما كان بينهم مما هو مذكور في كتاب الله ، ولم يزل [٢٩٧] ذلك دأبهم في كل عصر وزمان ، وكل دور وقران ، ما دام دور السر ممتداً في وجود أشخاصه ، ودوام ناسه ، والعداوة قائمة بادية وكامنة ، ظاهرة وباطنة ، كما قال الحكيم الفاضل صلى الله عليه وآله وأصحابه ، وقد انصرف من جهاده لأعدائه بسيفه : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وما رمز به من ذلك ، وما بان بالبرهان من قوله وفعله ، إذ كانت مجاهدته لأعدائه من الكفار بالسيف ظاهرة بادية ، ومجاهدته للنفس الغضبية الشهوانية باطنة خفية كامنة ، فلذلك سماه الجهاد الأكبر كما قال القائل :

قلبي إلى ما ضرني داعي كثر أحزاني وأوجاعي ^٢
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

فقد بان بهذا البرهان أن العداوة بين الجن والإنس موجودة ، قائمة ، ظاهرة وباطنة ، والجهاد من أولياء ^٣ الله وأنبيائه [وأصفيائه] [٢٩٨] وأئمة دينه ^٤ قائم ظاهر أيضاً ، وباطن . وأما الظاهر منه فجهاد السيف لمن خالف الشريعة ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سقط البيت بتمامه في ص .

٣ أولياء : أنبياء في ص .

٤ وأصفيائه وأئمة دينه : سقطت في ص .

ونخلع الطاعة ، وباين^١ بالمعصية ، فهذا جهاد الإنس المخالفين . وأما جهادهم للجن فيما يعملونه من الخواتم المكتوب فيها [اسم الله الأعظم]^٢ وما ينخطون به من المنادل ، ويتكلمون به من العزائم والرقى ، وما يتلونونه من الآيات ، وينصبونه لهم من الطلسمات كما فعل سليمان بن داود ، ومن جرى مجراه ، وما كان من مجاهدة محمد لشياطينه حتى أسلموا ، ومن اتبعهم من الجن لما آمنوا ، وكذلك العداوة بين الجن المؤمنين والكافرين أيضاً موجودة ، والحرب بينهم قائمة لا تهدأ ما دام الكفر والإيمان موجودين فيهم ، وكل حزب بما لديهم فرحون . وهذا الحال هو الأصل في العداوة والبغضاء بين الجن والإنس . وأما الصداقة ، والمواقفة ، والمحبة التي بينهم فريد أن نذكرها أيضاً مثل ما تقدم [٢٩٩] من ذكر العداوة .

فصل

في معرفة الصداقة والمودة بين الجن والإنس :
ولما كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون بين شياطين الإنس وشياطين الجن صداقة ، ومودة ، ومحبة . [وذلك موجود لمن تأمله وتفكر فيه]^٣
وذلك أن النفس الشهوانية أبداً مائلة إلى الأمر لها بارتكاب المحارم ، وفعل الجرائم ، ولذلك راجت أسواق الشياطين ، ومن ظهر من الفراعنة المتغلبين ، فصار لهم من الذكر ما صار ، واتبعهم من الغاوين الظالمين ، أتباع كل

١ وباين : وجاهر في ص .

٢ اسم الله الأعظم : أسماء الله الحسنى في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

ناعق من طواغيت الأزمان ، وأولياء الشيطان . فهم أصدقاء متواصلون
 في معصية الله سبحانه ، وعداوة أوليائه ، كما وصفهم سبحانه بقوله :
 ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ
 أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^١ فهم في الدنيا أصدقاء متحابون ،
 وفي الآخرة أعداء متباغضون ، كما قال الله تعالى [٣٠٠] سبحانه : ﴿الْأَخِلَاءُ
 يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^٢ وكما قال حكاية
 عن قال لصاحبه منهم ﴿يَا لَيْتَ بَيْتِي وَبَيْتِكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ
 الْقَرِينَ﴾^٣ وقال : ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا
 لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ . يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا
 خَلِيلًا﴾^٤ . وآيات كثيرة في القرآن ، تدل على هذه الصداقة والمحبة
 بين إخوان الباطل في الدنيا ، وانقطاعها في الآخرة . وأما المحبة والصداقة
 بين الجن المؤمنين ، وبين إخوانهم من الإنس المسلمين ، فإنها موجودة
 لا خفاء [بها . فهم] ^٥ أيضاً أصدقاء في الدنيا متوادون ، وقد نزع الله
 ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^٦ يجتمعون
 على طاعة الله سبحانه ، ويتساعدون على إظهار دينه ، ونصرة أوليائه .
 وقد أتينا على بيان ذلك بالوجيز من القول ، [٣٠١] والمختصر من الكلام
 وإبانة المعنى ، ليقرب مأخذه ، ويسهل حفظه ، ويتبين معانيه ، وما أردنا

١ سورة ٤ : ٥٠ .

٢ سورة ٤٣ : ٦٧ .

٣ سورة ٤٢ : ٣٨ .

٤ سورة ٢٥ : ٢٧ ، ٢٨ .

٥ بها . فهم : سقطت في ب .

٦ سورة ١٥ : ٤٧ .

به إلا المرتاضين بالحكمة العقلية ، والديانات الشرعية المرضية ، والحقائق التأويلية ، فتدبر ذلك أيها الأخ الفاضل ، وتفكر فيه لتقف على سر الحلقة ، ومحكم الفطرة وما فيها من العجائب والآيات والمعجزات لتنتبه نفسك من نومة الغفلة ، ورقدة الجهالة ، وتصير بما تكتسبه من العلوم الإلهية ، والحكمة الربانية ملكاً بالقوة ، فإذا فارقت الجسد صارت ملكاً بالفعل . فكن بما ألقيناه إليك ، سعيداً .

فصل

[في وجوب إطالة الشرح]^١ : وإنما دعانا إلى إطالة الشرح في هذه الفصول من هذه الرسالة ، لما في رسالة الحيوان ، لما كنا غلقنا فيها أبوابه ، وأوضحناه في هذا المكان لطلابيه ، بالبراهين ، فكانت في مواضعها رموزاً [٣٠٢] وإشارات فذكرناها في هذه الفصول ، وبيننا معانيها بالتصريح ، وإقامة الدلالة عليها بالبرهان . ونريد أن نشرح معانيها ونطيل في الكلام على الإبانة ، وإقامة الدلالة على ما يوجد^٢ تحت فلك القمر من الأشخاص الحيوانية ، المتحركة بأسرها بالقوة السارية فيها ، المتوجهة نحوها ، وما بينها من التفاضل ، والتباين ، والتغاير ، والعداوة ، والمحبة ، والطاعة ، والمعصية ، والحمد ، والذم ، والخير ، والشر ، ليعرف أصل ذلك ، وينبوعه ، ومبدأه ، ويصح القول بالعدل والتوحيد ، ومعرفة الله سبحانه ، الذي لا إله إلا هو ، مقدر كل شيء في مكانه ، ومقره في موضعه اللائق به ، المستحق لكونه فيه ، كما قال الله سبحانه : ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^٣ وقال :

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ يوجد : يوجب في ب .

٣ سورة ١٠ : ٥ .

﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾^١ وكلماته موجودة في مخلوقاته بقوله سبحانه : كن ، فكانت الكلمة ينبوع أصل الحلقة ، ومبدأ [٣٠٣] أول الفطرة ، فبكلامه ظهر جوده ، فكانت الحلقة قائمة بالحق ، وكان ظهورها عن مبدعها ، وكونها عن مخترعها ، كالتكلم المبدي بكلامه ، بما أراد من أوامره ونواهيه ، وما يتم له بذلك الكلام من مراده واختياره ، بحسب قدرته وقوته ، وقد قلنا إن في المعلول توجد آثار العلة ، فهذا البرهان يجب أن تكون الموجودات كلها بأسرها كانت بكلمة الله التامة العامة ، التي لا انقضاء لها ولا انفصال ، إذ لو انقضت أو انفصلت لانفصلت السموات والأرض وذهبت الحلقة ، وتلاشت الأشياء بلا زمان ، كذلك لو قبض الله سبحانه فيض رحمته وبركات حكمته ، فاعرف يا أخي هذا المكان وتدبر هذا المعنى ، فإنه من دقيق العلم ، وسرّ الحكمة لعلك ترشد إن شاء الله تعالى .

فصل

[في أن جميع أجناس الحيوانات خمسة]^٢ : اعلم يا أخي [أيدك الله وإيانا بروح منه]^٣ أن الموجودات من جميع أشخاص [٣٠٤] الحيوانات وأنواعها يجمعها بأسرها خمسة أجناس ، تنوع من كل جنس منها عدة أنواع ، ويتركب من كل نوع عدة أشخاص ، لا يحصي عددها إلا الله سبحانه ، خالقها ، ومبدعها ، ومنشؤها ، وهي على ترتيب الوجود ، أولها

١ سورة ١٠ : ٨٢ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

نخشاش الأرض ، وهو جنس ينقسم قسمين ، فمنها كائن في التراب ، لا يزول منه ولا ينفصل عنه ، مستجن فيه ، وهو كل ما ينساب على بطنه ويأوي في التراب ، ويغتذي منه ، وما يتفرع من أنواعه ، وما يتركب من أشخاصه ، ومنه ما يتكون في التراب ويخرج منه ، وينفصل عنه بالطيران والارتفاع في الهواء : كالنحل والزناير ، والفراش ، والجراد^١ وما شاكلها . [ومنها جنس الطيور وهي جنسان آكلة للحبوب والنبات ، وجنس آكلة اللحم مثل الجوارح]^٢ ومنها جنس الأنعام ، والدواب السليمة ، المتفع بها ، المستخدمة في [٣٠٥] طاعة الإنسان ، وما يتفرع من أنواعها ، ويتركب من أشخاصها ، [ويختص بكل شخص منها ما يظهر من أفعالها وأخلاقها ، اللاتقة بكل واحد منها]^٣ ثم جنس السباع ، وما يتركب من أشخاصها ، ويتفرع من أنواعها . ثم دواب الماء ، وهي مقدمة في الكون على حيوان التراب ، وما يتفرع من جنسها ، من الأنواع^٤ ، ويتركب من الأشخاص في المياه المختلفة الطعوم والرائحة ، وما يختص بكل جنس منها ، مما يليق به بواحد واحد من أشخاصها ، ثم الإنسان الذي كل هذا له ومن أجله ، وهي الصورة الملكية التامة ، المجموع فيها من كل شيء مثالات ودلالات ، لتشاهدها النفس ، وتتفكر فيها ، ويكون بها سبب خلاصها ونجاتها من بحر الهيولى ، وتصير صورة روحانية إذا فارقت الأشخاص الجسمانية ، فترجع إلى عالمها الروحاني ومحلها النوراني ، [٣٠٦] ويكون هذا الجسم لها كالمطية لصاحبها ، والسفينة لراكبها .

١ الجراد : سقطت في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ من الأنواع : سقطت في ص .

فصل

[في تفصيل ذلك وتقسيمه]^١ . فحيوان الماء ينقسم قسمين : قسم يغتذي بما يتكون في الماء من الحشيش ، وما ينمى فيه من الرطوبات المنعقدة ، وهي أجناس السموك وأنواعها ، وأشخاصها ، ومنه ما يغتذي بها ويأكلها ، وتسلط عليها من الحيتان الكبار ، والتنانين ، وجميع وحوش الماء وسباعه وهي عدة أشخاص كثيرة ، لا يعلم علمها كلها والإحاطة بجميع ما فيها ، وما يظهر عنها ومنها إلا الله عز وجل . وكذلك الطير منه ما يغتذي بما تبرزه الأرض من الحب ، والنبات ، والعشب ، كالحمام ، واليمام ، والدجاج ، والإوز ، والدراج ، والحجل ، وغير ذلك ، مما يشاكلها ويجانسها ، وهي أشخاص كثيرة . ومنها الجوارح التي غذاؤها لحوم هذه الطيور ، إذا صادتها ، وهي أشخاص كثيرة ، ومنها خشاش الأرض ، وهوام التراب ، [٣٠٧] ومنها ما يغتذي من التراب أو يمتص رطوبته ، وما يبرز من نباته ، وحبه ، مثل الدود ، والفأر ، وغير ذلك ، وهي أشخاص كثيرة ، وصور شتى . ومنها ما غذاؤه منها ، يأكلها إذا صادها وقدر عليها ، وتمكن منها ، وهي أصناف الحيات ، والتنانين ، والثعابين ، والسباع ، والوحوش . ومنها ما يغتذي من نبات الأرض ، وورق الأشجار ، وما تبرزه من الثمار ، وما تخرجه من الحشائش والكلا ، والزرع ، والعشب ، مثل الغزلان ، وبقر الوحش ، والأبائل ، والآتن الوحشية وما شاكلها . ومنها ما هي غذاؤه ، وبها قوامه ، يأكلها ويفترسها ، مثل السباع والفهود ، والنمور ، والدب والخنزير ، وما شاكلها مما ليس له غذاء إلا

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

اللحم والدم ، وإذا فقد ذلك تلاشى وهلك وهي أشخاص كثيرة ، وصور شتى . ومنها الأنعام ، وهي كل دابة مسخرة في خدمة [٣٠٨] الإنسان ، وما لا يغتذي إلا بما تبرزه الأرض من النبات ، من الأوراق ، والأثمار ، والبقول ، والكلا ، والحشائش ، وكلها كبيرها وصغيرها لا يأكل بعضها بعضاً ، ولا يعدو بعضها على بعض ، والإنسان مسلط عليها ، يغتذي منها ومن غيرها ، محكم في جميع ما يوجد دونه من الحيوان ، والنبات ، وهو يغتذي بما قدر عليه ووصل [بلطف حيلته] ^١ إليه ، ويأكل لحوم الوحوش والسباع المحرمة ، إذا اضطر إليها ، [ولا يوجد غيرها] ^٢ ويأكل أصنافاً كثيرة من خشاش الأرض ، مثل الضب ^٣ واليربوع ، وما شاكله ، ويأكل أصنافاً كثيرة من الخشاش والهوام ، مثل الجراد فهي صورة قد قهرت جميع الصور ، والأشخاص كلها مما دونها ، مطيعة لها ، داخلة تحت أمرها ونهيها ، لا مفر لها ، ولا معدل عنها ، فلذلك قيل إنها صراط مستقيم ، وكتاب مبين ، وإنها آخر باب في عالم الكون والفساد ، وبه تصير صورة أخرى ، تدخل بها في عالم الروح والريحان [٣٠٩] ، ومجاورة الرحمن ، ذي الجلال والإكرام .

فصل

في معرفة المحمود والمذموم من هذه الأقسام : وكل ما يغتذي من حيوان الماء بما يتكون في الماء فهو سليم النفس ، محمود طبعه ، حسن في

١ بلطف حيلته : سقطت في ص .

٢ ولا يوجد غيرها : سقطت في ص .

٣ الضب : سقطت في ص .

معناه ، مقتصد في معيشته . وكل ما يغتذي بمثله من جنسه ، ويتسلط عليه بالقهر والغلبة ، فهو مذموم بفعله ، شرير بنفسه ، لا يظهر منه إلا الشر . وكذلك الطيور ، فإن ذلك موجود فيها ، إن كل طائر يغتذي بالحب والنبات ، فهو سليم الناحية ، لين الجانب ، حسن الأفعال ، مليح الأخلاق . وما كان منها من الجوارح الصائدة ، والطيور المقتنصة فإنها ذعرة ، وحشة مستوحشة ، شريرة بالطبع . وكذلك السباع والوحوش ، وأما الأنعام المسخرة في طاعة الإنسان ، فكلها سليمة الناحية ، خيرة الطباع ، قليلة الشر ، مثل الإبل^١ ، والبقر ، والغنم ، وما شاكلها ، وإنه قلما ما يوجد فيها نفس شريرة ، تاركة للطاعة والانقياد في خدمة [٣١٠] الإنسان ، والإنسان مجمع ذلك كله ، وقد ذكرنا ، في رسالة الإنسان عالم صغير ، وإنه موجود في الحلقة الإنسانية ، والصور الآدمية ، جميع أخلاق الحيوان ، وأفعاله وأعماله ، وهو أيضاً ينقسم قسمين : محمود بفعله ، ومذموم بعمله ، بحسب ما يكسبه من معيشته ، بما به قوام جسمه ، ونمو هيكله ، فمنهم من يغتذي بالمكاسب الدنيئة ، والأعمال السيئة ، بما يناله من الحرام ، من السرقة ، والغصب ، والظلم ، والعدوان ، والقهر ، والغلبة ، وسفك الدماء^٢ [وهناك الحريم]^٣ وغير ذلك من قبائح الأعمال ، ومساوئ الأفعال ، والأخلاق ، وهذه الطائفة أمثال السباع المفترسة ، والجوارح الصائدة ، الآخذة ما ليس لها بحق . ومن الناس من يطلب رزقه من حله ، ويأخذه من موضعه اللائق به أخذه منه ، كأصحاب الصنائع والأعمال ، المتعبين^٤ في خدمة الملوك

١ الإبل : سقطت في ص .

٢ الدماء : سقطت في ب .

٣ وهتك الحريم : سقطت في ص .

٤ المتعبين : سقطت في ب .

والرؤساء . ومن يخدم في الناموس الشرعي ، والمذهب والدين ، وهم أمثال الحيوانات السليمة الأنفس ، [٣١١] الحيرة الطباع ، الآكلة من الأرض ما تبرزه من ثمارها ، وتخرجه من نباتها ، لا يعدلون عنه إلى غيره ولا يرفعون رؤوسهم منه^١ إلى سواه ، مما ليس لهم بحق . فهذه الطائفة أمثال الحيوانات الآكلة من الأرض ، المنقادة لأمر الإنسان حيثما قادها ، المسخرة في خدمته كيفما أرادها . والرؤساء من هذه الطائفة من عالم الإنسان الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، الذين يسعون في الأرض بالصلاح العام ، والنفع التام ، مثل أصحاب الشرائع ، ومن يخلفهم من أهلهم ، وأصحابهم ، والتابعين لهم ومن ينضاف إليهم من الأمم ، إذا دعوهم وأمروهم ، ونهوههم ، كما تنقاد صغار الأنعام لكبارها ، مثل انقياد الغنم وما يصحبها من الكلاب لكبار الدواب ، من الخيل ، والجمال ، والبقر ، والحمير ، والبغال ، وما شاكلها من هذه الأشخاص ، المنقادة لطاعة الإنسان ، المجيبة لها إذا دعاها بالتلبية ، والمسارعة والرضى والتسليم [٣١٢] وأمثال السباع الضارية والوحوش الشريرة من الناس ، فهم المفسدون في الشرائع الساعون في الأرض بالفساد لجميع العباد ، الآخذون ما ليس لهم بحق ، أصحاب الدعاوى الكاذبة ، والمخارق^٢ الباطلة ، حزب إبليس وذرية الشيطان ، وما ينضاف إليهم من الثعابين والحيات ، ويجانسهم بفعله ، ويخالفهم بصورته . ف كذلك هذه الطائفة التابعة لرؤساء الضلالة وأئمة الجهالة . الذين هم حشد النار ، وطائفة الأشرار .

وقد بينا في هذه الفصول الغرض الذي إليه قصدنا ، وإليه أردنا في وضع رسالة الحيوان ، وأن جميع ذلك موجود في صورة الإنسان ، فتبين ذلك

١ منه : سقطت في ب .

٢ والمخارق : والمخاريق في ب .

أيها الأخ الفاضل ، وتفكر فيه ، وتبين معانيه .

وإذا^١ قد انتهى بنا القول إلى هذا المكان فلنزد في بيانه وشرحه حتى يرى بعين الحس ، ويكاد لا يخفى على من له نفس تحس ، ونريد أن ندير دائرة ، ونبين فيها [٣١٣] كيف تكون الأشخاص ، يشاكل بعضها بعضاً بأفعالها ، وإن كانت مخالفة^٢ لها في صورتها وأشكالها ، وكيف آخر المعادن متصل بأول النبات ، وآخر النبات متصل بأول الحيوان ، وآخر الحيوان متصل بأول رتبة عالم الإنسان ، وآخر عالم الإنسان متصل بأول مرتبة الملائكة ، وإن هذه الأفعال والأعمال الصادرة عن هذه الأشخاص ، والصور ، والأنواع ، هي أفلاك محيطة ، ودوائر جامعة ، مركبة فيها أجناس وأنواع ، وأشخاص ، يختص بكل واحد منها موضع لائق به وفعل يصدر عنه ، بحسب ما في قوته ، ونبين فيها أيضاً كيفية^٣ اتحاد الأنفس الجزئية بها ، وهبوطها إليها من آفاقها . وقد ألقينا إليك في قسمة هذه الدائرة ما إن تبيته وتدبرته علمت أنها حكمة بالغة ، وموعظة نافعة ، وخطبٌ جليلٌ ، ونبأٌ عظيمٌ ، تدبرها ترشد إن شاء الله تعالى [٣١٤] :

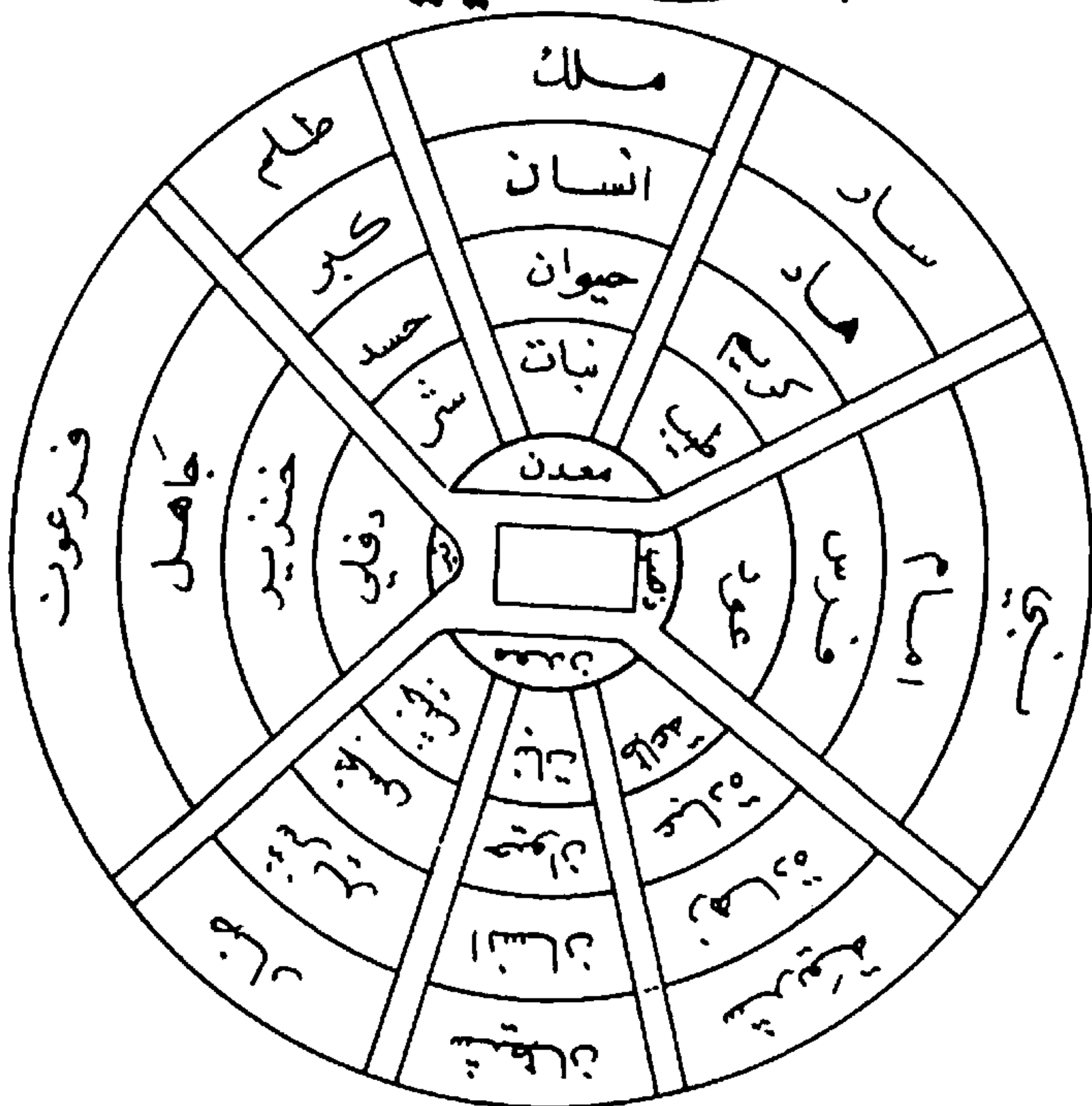
[٣١٥] فانظر يا أخي هذا المثل وتبين هذه الدائرة ، وتفكر فيها بعقلك ، وميزها ببصيرتك ، مع ما أننا لا بد لنا من الزيادة في البيان ، والقول بالبرهان ، في بيان ما في الدائرة :

١ واذا : سقطت في ب .

٢ مخالفة : مختلفة في ص .

٣ كيفية : كيف في ب .

أَعْلَى عَلِيَيْنِ



ذَاتُ الْإِلَهِيَّةِ

ذَاتُ الشَّهَادَاتِ

ذَاتُ الْإِلَهِيَّةِ

فصل

[في بيان الدائرة]^١ : اعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الأشياء الموجودة كلها قسمان اثنان^٢ لا يوجد لهما ثالث : محمود ومذموم ، فنهاية الذم الرتبة الشيطانية ، ونهاية المدح الرتبة الملكية ، ولهما مكانان يلتقيان بكونهما فيهما ، وللمكانين طريقان لا بد للواصلين إليهما من السلوك فيهما ، وموضع الملائكة أعلى عليين تشهده جميع الملائكة المقربون ، وإلى هناك يعرج بأرواح النبيين ، والشهداء والصالحين ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^٣ والطريق إلى ذلك المكان هو ذات اليمين ، وترقي الأشياء الفاضلة أبداً يكون من أدونها إلى أجلها ، فكانت القوة الشريفة الفاضلة في المعادن [٣١٦] الذهب الذي تعرف به قيمة الأشياء كلها . وهي الثمن الموضوع للجواهر بأسرها ، فلذلك هو أشرف القوى المتحدة بالمعادن ، وقيل إنه قوة تنبت من جرم الشمس ، وما دونه من الفضة وغيرها وشجرة العود الرطب ، هي أجل الأشخاص وهي أجل الأشجار في روائعها ، وذلك أنها تنبت منها قوة روحانية إذا صارت دخاناً يمازجه الهواء ، تشم رائحته على مسافة بعيدة لطيفة طيبة لذيدة ، تحرق الهواء ، وتصبغه بصبغتها ، وتحيله برائحتها ، فهي شجرة كريمة شريفة ، مما دونها [من النبات المأكول شجرة النخل وهي شجرة شريفة أيضاً يؤكل ثمرها حلواً لذيداً ويتخذ منه أنواع يحتاج إليها البشر]^٤ . من مثل ذلك ، ومن الحيوان الفرس : وقد بلغ من جلالته ونفاسته ان صار مركباً للملوك ، وله من حسن الصورة

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ اثنان : سقطت في ص .

٣ سورة ٤ : ٦٩ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

وبهاء الحلقة ، وسلامة النفس ، وحسن الفعل ، ما ليس لغيره من الحيوان ، ثم الإنسان العالم الأفضل لا يزال حتى يرتقي بأعماله الحسنة ، وأفعاله الحميلة ، وما يظهر منه ، ويصدر عنه [٣١٧] من حسن السياسة ، التي يتهيأ لها إقامة الشريعة ، وتلقي الروح من الملائكة . ثم إذا فارق العالم صار ملكاً بالفعل ، ودخل في زمرة الملائكة ، وفارق عالم الكون والفساد ، وهذه طريق ذات اليمين . وأما طريق ذات الشمال فمثلها في المعادن القير الأسود اللون ، النتن الرائحة ، المحرق ، المتلف القليل المنفعة ، ثم يتلوه في مثل حاله من النبات الدفلي ، ومثله من الشجر ، ومن الحيوان الخنزير في نجاسته ، وما يشاكلة من الحيوان . ومن الإنسان الجاهل ، ولا يزال جهله [يدفعه في جهالته] ^١ حتى يصير فرعوناً عدواً لله ، ولأوليائه ، ولذلك قيل : من جهل شيئاً عاداه فلجهالته لمبدعه وأوليائه صار عدو الله ربه ، خارجاً عن طاعته ، فادعى لنفسه ما لا يستحقه ، ولا يليق به ، فهو إمام ضلالة ، ورئيس جهالة ، فإذا فارق العالم بجسمه صار شيطاناً بنفسه [ونفسه لا تفارق جسمه] ^٢ وهبط إلى أسفل [٣١٨] سافلين ، يوسوس بالغواية في صدور الناس ، ويوحى إلى أمثاله من المتحدين بالأجسام زخرف القول غروراً ، كما توحى الملائكة إلى الأنبياء بالتأييد ، وتهبط إليهم بالأوامر والنواهي ، وتنزل بأمر ربها على من يشاء من عباده كما قال سبحانه : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^٣ . فقد ألقينا إليك يا أخي في هذا الفصل ، ما أثبتناه في هذه الدائرة ، والدائرة معرفة العالمين ، [ومقر الدائرتين ، والمتزلتين] ^٤ الجنة عالم الأفلاك ، وسعة السموات ، ذات الروح والريحان ،

١ يدفعه في جهالته : يضمه في ص .

٢ ونفسه لا تفارق جسمه : سقطت في ص .

٣ سورة ٢٦ : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ . ٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

ومجاورة الرحمن ، وجهنم عالم الكون والفساد ، وكيف يصير أهل الجهل
بربهم إلى أسفل سافلين ، مع الشياطين ، وجنود إبليس ، وكيف رباط الأشياء
بعضها ببعض ، حتى يرتقي الفاضل من أدون الدرجة إلى أجلها وأكملها في
الطاعة ، وكذلك المذموم الناقص لا يزال ينتهي في دناءته ، ونقصه ، [٣١٩]
وخلوده في ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ التي تَطَّلَعُ عَلَى الْأُفُقِ . إنها عَلَيْهِم
مُؤَصَّدَةٌ . في عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿١﴾ ولا يعلم مدة انتهاء أهل الجنة في نعيمهم ،
وأهل النار في عذابهم إلاَّ الله سبحانه ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ٢ فكن بما ألقيناه إليك سعيداً [رشيداً إن شاء الله
تعالى ، والحمد لله وصلاته على عباده الذين اصطفى من خلقه وسلامه] ٣ .

فصل ٤

في الرسالة التاسعة : في تركيب الجسد والبيان بأن الإنسان عالم
صغير ، وأن بنية هيكله تشبه ملكاً في تلك المدينة ، يسوسها سياسة مستقيمة ،
ويسير فيها سيرة عادلة ، والغرض المطلوب منها ، والمعنى المقصود من جملتها
هو معرفة الإنسان جسده ، وبنيته ، وصورته المهيأة له ، وإن انتصاب القامة
أجل أشكال الحيوانات ، وأحسن تقويم في الحلقة ، وأعلى درجة في الرتبة ،
وإن بنية [٣٢٠] جسد الإنسان مختصرة من العالم الذي في اللوح المحفوظ ، وإنه

١ سورة ١٠٤ : ٦ - ٩ .

٢ سورة ٢١ : ٢٤ .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ فصل : سقطت في ص .

الصراط الممدود بين الجنة والنار ، وإنه الميزان القسط الذي وضعه الله سبحانه بين خلقه ، وأنه الكتاب الذي كتبه بيده ، وصنعه [التي صنعها]^١ بنفسه ، وكلمته التي أبدعها بذاته ، وإن النفس الإنسانية هي خليفة الله في أرضه ، مدبرة لعالمه ، حاكم بين خلقه ، سائس لبريته . مستعمل لعالمه السفلي ، مدة من الزمان ، ثم إذا انتقل صار زينة لعالمه العلوي ، وحافظاً لذاته الوجودي على الأبد ، وإن الإنسان إذا عرف نفسه المدبرة لجسده التي بها قوام ذاته ، وتتميم صورته ، واستواء خلقة ، عرف ربه الذي استخلفه ، وأشهده عالمه وجعله شاهداً على نفسه بنفسه ، بقوله سبحانه : ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ۚ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۚ قَالُوا بَلَىٰ ۚ ۭ فَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا ، أجاب النداء ، وسمع الدعاء ، وأقر لله بالوحدانية ، [٣٢١] وأمكنه الوصول إليه ، والزلفى لديه ، فائزاً بنعيم الأبد ، والدوام السرمدي .

فصل

[في بيان أن الجسد آلة النفس]^٢ : وبيننا في هذه الرسالة المعروفة بتركيب الجسد ، إن الجسم الطبيعي لهذه النفس الجزئية بمنزلة الدكان للصانع والدار للساكن ، والسفينة للراكب ، والمدينة للملك ، وأنه متى كانت سيرته عادلة ، وأخلاقه جميلة ، وأفعاله محمودة ، وأعماله صالحة ، استوت أحواله ، وانتظمت أعماله ، وحسنت أفعاله ، فعمر الدكان . فكان ذلك سبباً لصلاح صنعه ، واتساع رزقه ومعيشته ، وكذلك الدار إذا كانت همة صاحبها مصروفة

١ التي صنعها : الذي صنعه في ب .

٢ سورة ٧ : ١٧٢ .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

إليها لمرمة شعثها ، وصلاح حالها ، حسن منزله ، وراقه حسن مسكنه ، وكان
جمالاً له ، وكذلك السفينة إذا استوت بنيتها وكملت آلتها ، ودبرها صاحبها
تديراً كما ينبغي لها ، سارت [على وجه الماء ، وقطعت موج البحر ، وسلم
صاحبها ، وسارت]^١ [٣٢٢] بعاصف الريح حتى تصل إلى البر ، ويطمئن
راكبها ، وينتهي سيرها ، وكذلك المدينة إذا ساسها ملكها بسياسة عادلة ،
وسار فيها سيرة محمودة^٢ ، حسنة ، عمرت وأخصب أهلها ، وانتفع بها ملكها ،
وعمت بركاتها . كذلك الإنسان إذا ساس بنيته وعرف نفسه وقواها ، وما
هو مخلوق له ، ومن أجله ، وسبب وقوعه إلى هذه الدار ، وغرقه في بحر
الهيولى ، واتحاده بالחסد ، وغربته ، في دار البلاء ، ومحل الشقاء ، وإنه إنما
مثله كمثل قوم كانوا في سفينة ، فغرقت بهم فتعلق كل واحد منهم بسبب
يطلب به النجاة ، وإن أحدهم تعلق بلوح من ألواح تلك السفينة ، وعرف أنه متى
فاته ذلك اللوح ، وذهب من تحته ، غرق ، وتعذر عليه الوصول إلى البر ،
ومكان القرار ، فيداري^٣ اللوح ، ويؤمل به النجاة ما دام معه ، وهو مستقر
عليه ، فإن غفل عنه ، [٣٢٣] وترك التعلق به وحسن التدبير له ، ذهب من
تحته وهلك ، فلا نجاة تكون له ، فكذلك من انهمك في اللذات الطبيعية ،
والأعمال الرديئة ، وانهمك في سكرته ، واستمر في رقدته ، يوشك أن لا
يكون انتباهه حتى تؤخذ منه هذه المطية ، ويخرج من هذا الدكان ، ويطرد
من هذه^٤ الدار ، ويخرج من هذه المدينة ، ويفوته نعيمها ، وما كان يناله
بها ، ويؤمله منها والارتقاء إلى ما هو أجل منها ، كما أن الملك إذا ولّى عبداً

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ محمودة : سقطت في ص .

٣ فيداري : فيواري في ب .

٤ هذه : سقطت في ب .

من عبده مدينة من مدائنه ، وأحسن السيرة فيها ، وشكره أهلها ، يوشك أن يرقيه إلى مدينة هي أعلى منها ، وأجل ، وأبهى ، [وأحسن وأكمل]^١ وكذلك إذا فتح الوالد لولده دكاناً فرأى نجابته فيه ، نقله إلى أوسع منه ، [وأحسن وأبهى]^٢ وأتم آلة ، وأكثر بضاعة ، وأوسع تجارة ، وكذلك النجار الذي يحسن تدبير السفينة الصغيرة ، ويقوم بما يحتاج إليه من تدبيرها ، يوشك [٣٢٤] أن تدفع إليه السفن الكبار ، والمطايا العظام ، ويصير رئيساً لجميع من فيها ، وتؤمل به السلامة ، والنجاة من البحار المظلمة ، والرياح العاصفة ، وكذلك ساكن الدار إذا رآه صاحبها مهتماً بحالها ، يوشك أن يخلده فيها على أحسن الأحوال ، وأكمل الأعمال . ومن خالف أمر سيده وارتكب نهيه في مدينته ، وأخرب دكان والده ، وفرق عدد آله ، وكسرها ، وتهاون بها ، أبعد . وكذلك من استخلفه مولاه في مطيته ، ودفع إليه سفينته ، فغفل عنها ، حتى غرقت وانكسرت ، ولم يحسن تدبيرها غرق بغرقها . وكذلك إذا فعل ساكن الدار بدار سيده وغفل عنها حتى تغلقت أبوابها ، وخربت حيطانها ، وانهدمت جدرانها ، يوشك أن يسكنه شر البقاع في أقبح المساكن ، وأوحش البيوت ، ليجازيه بما فرط ، كما قال الله عز وجل : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾^٣ فبالبرهان قد [٣٢٥] صح أن من عقل لربه أمره ونهيه ، وحسنت أفعاله وصحت أعماله ، وعرف نفسه ، وأقر بتوحيد خالقه ومبدعه ، يوشك أن يبلغه إلى أجل الموضع ، وينقله من هذا الهيكل إلى ما هو أتم منه بنية ، وأحسن صورة ، وأكمل هيئة وأجمل منظراً ، وأحسن مخبراً ويكون بحيث لا يناله غم ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا موت ،

١ وأحسن وأكمل : سقطت في ص .

٢ وأحسن وأبهى : سقطت في ص .

٣ سورة ٣٩ : ٥٦ .

ولا تغيير ، ولا زوال ، [ولا حرم ولا شتات ولا فرقة الأحباب ولا مباينة
الأصحاب]^١ ويكون مع إخوانه في روح وريحان ، [وجنة نعيم]^٢ وصور
حسان ، وخدم ، وغلمان ، وفواكه ، وأزهار ، ورياحين ، وثمار ، وجنات
وأنهار من لبن ، وماء ، وخمر ، وكل ما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين ،
عالم الروح والريحان ، ودرجات الجنان ، في جوار الرحمن ، ذي الجلال
والإكرام ، وإن من فاته ذلك النعيم خلد في الجحيم ، وقارن العذاب الأليم
مع الشياطين في أسفل سافلين ، [٣٢٦] ليسكن في البقاع الوحشة ، والأشخاص
النجسة [والأرواح الرجسة]^٣ كما قال الله عز وجل : ﴿ سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ
قَطَرٍ أَوْ تَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾^٤ ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾^٥ ﴿ وَلَهُمْ
مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا
فِيهَا ﴾^٦ ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾^٧ أولئك أصحاب النار وسكان
دار البوار ، يأكلون من شجرة الزقوم ، ويشربون من الحميم ، وفاكهتهم
من غسلين ، وشجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعتها كأنه رؤوس
الشياطين ، نجانا الله وإياك أيها الأخ من العذاب الأليم ، وجميع إخواننا
إنه رؤوف رحيم .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ وجنة نعيم : سقطت في ص .

٣ الأرواح الرجسة : سقطت في ص .

٤ سورة ١٤ : ٥٠ .

٥ سورة ١٤ : ٤٩ .

٦ سورة ٢٢ : ٢١ ، ٢٢ .

٧ سورة ١١ : ١٠٦ .

فصل

[في ذكر]^١ الرسالة العاشرة : الحاس والمحسوس ، وإدراك الحواس محسوساتها ، واتصالها بالقوة الحاسة ، بواسطة الآلات المحسوسة ، واتصالها إلى الحاسة^٢ المشتركة بالقوة الروحانية السارية في الأجسام الإنسانية [٣٢٧] ، التي منها انبعثت قوى الحواس الظاهرة ، وانها ترد منها كالخطوط الخارجة من المركز إلى المحيط بنقط كثيرة ، الراجعة إليه بنقطة واحدة ، وهو أول المنازل الروحانية والغرض المقصود^٣ إليه من هذه الرسالة ، والقصد المطلوب من جميعها هو أن الوصول إلى العالم الروحاني لا يكون إلا بوجه جسماني متحد به وجه روحاني ، والحاسة المشتركة ، أعني الداخلة روحانية محضة ، لأن حكم الجزء منها كحكم الكل وإن كانت التجزئة لا تقع عليها بالحقيقة ، لأن تصورها الشيء لا يكون إلا بإدراكها واتصالها إلى القوة المتخيلة ، التي مجراها مقدم الدماغ ، لتوصلها إلى القوة المفكرة ، التي مجراها وسط الدماغ لتمييزها وتلحظها بجولائها فيها ، وتعرف حقائقها ، ثم توصلها إلى القوة الحافظة الذاكرة ، التي مجراها مؤخر الدماغ لتمسكها وتحفظها ، معتقدة [٣٢٨] أو غير معتقدة إلى وقت التذكار ، ثم تؤديها إلى القوة الناطقة العاقلة ، التي هي ذات الإنسان ، المدبرة لكل ، الباقية بالذات ، تنتزع جميع المعاني والصور ، ثم تتصور تلك المعاني والصور المنتزعة من مصوراتها المرتسمة المتصورة فيها ، وهي القوة الناطقة بواسطة الأولى . فتلك الصورة هي لها كالهيولى ، والموضوع .

١ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٢ الحاسة : القوة في ب .

٣ المقصود : المطلوب في ص .

والقوة المعبرة أيضاً بالنطق ، هي القوة الناطقة أيضاً على وجه ثالث بواسطة^١ الألسن ، فإذا همت الأولى بإظهار شيء إلى خارج وهي النطق الإلهي على الحقيقة ، تصورت النفس صورة ثانية ، إذ هما واحد لتجردهما من المواد ، وتعريهما من الهيولى أعني الجسمانية ، فأدت إلى القوة الناطقة ، التي مجراها على اللسان ، لتعبر عنها بالألفاظ الدالة للمخاطبين على المعاني تخرج من النفس إلى القوة [٣٢٩] الصانعة ، التي ظهورها من اليدين لتخط بالأقلام على وجوه الألواح وصفحات الدفاتر ، وبطون الطوامير ، تلك الألفاظ ، وهو النطق الخارج^٢ والكلام الظاهر لتبقى العلوم بصورها الذاتية ، أعني بمعانيها ، محفوظة من الأولين إلى الآخرين ، وخطاباً من الحاضرين للغائبين إلى يوم يبعثون . فقد وجب بهذا البرهان الصادق ، والقضية العادلة ، أن للنفس وجوداً باقياً بجوهر ذاتي بعد مفارقتها للجسم الأول ، لما كانت تنتزع بقوتها المتخيلة ، وفكرتها المميزة آثار الأولين ، ويرأى لها أشخاصهم ، وتنتزع بقوتها صورهم ، وتراها ، وتشاهدها بلا زمان ولا مكان ، وقد غابت عنها صورهم^٣ ، وصارت هباء مشوراً ، وغير شيء مذكوراً ، فبهذا البرهان وجب أن النفس باقية بذاتها عند مفارقتها لجسمها ، ومتصورة لفعلها ، مقارنة [٣٣٠] لعملها ، تود لو ان كانت ازدادت من أعمالها الصالحة ، ومتاجرها الراجعة ، كما قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ، يعني النفس [الزكية

١ بواسطة : بواسطة في ب .

٢ الخارج : سقطت في ب .

٣ صورهم : سقطت في ص .

٤ سورة ٢ : ٣٠ .

إذا برزت لفعل [١ القضاء ، وهو قيام الساعة التي يقدمها المندرون والمبشرون ،
بظهورها وقدمها المجازية للنفوس الجزئية ، المحضرة لها أعمالها ، الشاهدة
عليها بأفعالها ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢ ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ ٣ .

فصل

[في ذكر] ٤ الرسالة الحادية عشرة : [الرسالة الحادية عشرة رسالة] ٥
في مسقط النطفة ، وكيفية رباط النفس بها ، أعني النفس الجزئية ، واتحادها
بطبيعة جسمانية ، ليظهر فيها وبها ، ومنها صورة هيولانية ، لتتصل بها عند
كمالها [٣٣١] صورة تامة يكون بها انتقالها إلى رتبة سماوية ، إذا استكملت
ذاتها ، وصحت أدواتها ، واعتدلت أقسامها ، واستوى نظامها وبلغت إلى
ما أعدها ، وإن كانت بخلاف ذلك وبالعكس منه ، بقيت مقارنة للكون
تارة ، وللفساد أخرى ، حتى يكون الغالب عليها أحد الأمرين ، إما السعادة
الكاملة ، وإما الشقاوة الشاملة لها ، إذا تغطى عنها نورها ، وأظلم جوهرها ،
ونخفيت عنها ذاتها ، واشتغلت بلذاتها ، وانهمكت في تناول نهماتها ، من
أكلها ، وشربها ، وما يكون به صلاح جسدها ، وقوام قلبها ، وعمارة
مسكنها الفاني ، وغفلتها عن عالمها الروحاني ، ومحلها النوراني ، فتصير
بأعمالها الرديئة ، وأخلاقها السيئة من أهل النار ، وسكان دار البوار ، شيطاناً

١ الزكية إذا برزت لفعل : الكلية لفصل القضاء في ص .

٢ سورة ٢٤ : ٢٤ .

٣ سورة ٥٨ : ٦ .

٤ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٥ الرسالة الحادية عشرة رسالة : سقطت في ص .

رجيماً ملعوناً لعيناً^١ [٣٣٢] بما كسبت ، وتحيط بها سيئات ما عملت ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^٢ .

فصل

في أن النفس الجزئية هبطت من العالم العلوي إلى العالم^٣ السفلي : ولما كان المقدر ، بوجوب الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية ، مكث الجنين في الرحم تسعة أشهر ، وتقلب حالاته في تلك المدة حالاً بعد حال ، في شهر بعد شهر ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾^٤ ، ثم كان مقدار مكث الجنين بحسب ما ينبغي في أحكام الجسد من المزاج والتركيب بأفعال روحانيات الكواكب أربعة أشهر بقدر مسير الشمس ثلث الفلك ، واستيفائها طبائع البروج من النارية ، والترابية ، والهوائية ، والمائية ، ثم كيفية تأثيراتها ، وأفعالها [٣٣٣] في أحكام النفس أربعة أشهر آخر ، وما ينطبع فيها من التهيؤ والاستعداد الذي هو الصورة الأولى بالقوة ، لتصير صورة بالفعل عند التهيؤ لقبول الأخلاق ، والعلوم ، والأعمال ، والآداب ، والحكمة ، والآراء ، في مستقبل الزمان ، ومستأنف العمر بعد الولادة ، وفي الشهر التاسع ، عند دخول الشمس بيت^٥ التاسع من موضعها ، يوم مسقط

١ لعيناً : سقطت في ص .

٢ سورة ٤١ : ٤٦ .

٣ العالم : المركز في ص .

٤ سورة ٢٣ : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

٥ بيت : سقطت في ص .

النطفة ، بيت الحركة والسفر ، والنقلة ، والتصور ، والعلم ، والفطنة ، يكون
الوضع . والذي حثنا على وضع هذه الرسالة في مسقط النطفة هو تنبيه نفوس
الغافلين الساهين اللاهين عما أرشدوا إليه ، ودلوا بالحكمة الإلهية عليه ، لينتبهوا
من نوم الغفلة ، وليصحووا من سكرة الجهالة ، ويعلموا علماً يقيناً ، ويتحققوا
تحقيقاً صادقاً ، أنهم غير مخلصين في هذه الدار الفانية ، ولا [دائمين في صحبة] ^١
هذه الأجسام البالية ، وأن كل [٣٣٤] نفس وردت إلى هذا العالم فمقلبة ^٢ إلى
ما أعد لها من عملها ، واكتسبته بفعلها ، كما قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ
كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ
تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ^٣ .
وأن الأعمال والأفعال التي تكتسبها النفوس في هذا العالم إنما هي أمكنة ومساكن ،
لها غرف من فوقها ، غرف في جنات النعيم ، والملك القديم ، في عالم الأفلاك
ومحل السموات ، وهي مساكن تسكن إليها نفوس العارفين ، وتأنس بها أرواح
المؤمنين ، مبنية بالحكمة الإلهية ، فيها من كل الثمرات ما لا عين رأت ،
ولا أذن سمعت ، وكذلك الأفعال القبيحة ، والأخلاق السيئة هي أيضاً مساكن
وحشة ، وبيوت مظلمة ، وجهالة متراكمة ، وظلمات من فوقها ظلمات ،
ومن تحتها بحر مظلمة أمواجه ، ومن فوقها قطع من النار ، [٣٣٥] وهم فيها
مبلسون ، وفي عذابها مشتركون ، لا يخفف عنهم العذاب ، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا
بِمُخْرَجِينَ﴾ ^٤ ، ذلك جزاؤهم بما اكتسبوا ، أنهم كانوا لا يذكرون .

١ دائمين في صحبة : دائمي الصحبة في ب .

٢ فمقلبة : فمنتقلة في ص .

٣ سورة ٣ : ٣٠ .

٤ سورة ١٥ : ٤٨ .

فصل

في ذكر الباب الذي هبطت منه النفوس الجزئية وارتبطت بالأجسام الطبيعية : واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن هذا الفصل من مكنون العلم ، وأسرار الحكمة ، ولطائف الفوائد ، وجلائل النعم ، إذ كان بالوقوف عليه والوصول إليه معرفة المبدل والمنقلب ، [ومعرفة ذلك هو نهاية الطلب . وهو الغرض الأقصى من رسالة مسقط النطفة]^١ وتركنا ذكر هذا الفصل لهذا الموضع من هذه الرسالة الجامعة ، إذ كنا قد ذكرنا فيما قدمناه عليها ، وأشرنا به إليها ، أنها ذات الفوائد الجليل ذكرها ، العظيم خطرها ، الكبير قدرها ، فخذ ما أتاك الله وكن من الشاكرين .

واعلم أن الغرض الأقصى هو الإخبار عن حال الأنفس البسيطة ، قبل تشخصها وانصالتها بالأجسام الجزئية ، المحصورة ، المحدودة ، بواسطة الألوان والأشكال ، [٣٣٦] والأعراض الأخر ، وإن المكث في الرحم هذه المدة لتتيمم البنية ، وتكميل الصورة ، وهو الكمال الجسماني الأول لاستكمال الآلة ، واستعمال الأدوات ، واستواء ارتباط^٢ النفس بالهيكل ، واتحادها بقواها ، وانبساطها في البنية ، وتمكينها من الحملة ، لتحصل كامل الآلة ، مستعدة لقبول ما يلقي إليها ، ويتصل بها من العلوم العقلية ، فإذا كان في الشهر الرابع من مسقط النطفة وصار التدبير للشمس ، واستولت على المضغة قوى روحانياتها نفخت فيها روح الحياة ، وسرت فيها النفس الحيوانية . وذلك لأن الشمس رئيسة الكواكب في الفلك ، ونفسها هي روح العالم بأسره ، وهي المستولية على

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ ارتباط : رباط في ص .

الكائنات التي دون فلك القمر وخاصة على مواليد الإنس^١ ، وذلك أن جرمها بمنزلة جرم القلب في البدن ، وسائر أجرام الكواكب والأفلاك بمنزلة أعضاء البدن ، ومفاصل [٣٣٧] الجسد وسريان قوى روحانياتها في العالم كسريان حرارته الغريزية ، المنبثة من القلب ، السارية في جميع أعضاء البدن . وأما سائر قوى روحانيات الكواكب فهي لها كالجناد ، والأعوان ، والخدم ، وكل ذلك تقدير العزيز العليم ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

واعلم يا أخي أنها بمسيرها في حدود الكواكب والبروج ، وشدة إشراق نورها ، وسريان قوى روحانياتها تحط ، من الفلك إلى عالم الكون والفساد الذي تحت فلك القمر ، من قوى روحانيات الكواكب والأفلاك والبروج ، في كل يوم وساعة ، وفي كل درجة ودقيقة ، ألواناً من التدابير ، غير ما في يوم آخر وساعة أخرى ، لا يبلغ فهم^٢ البشر كنه معرفتها ، إلا من أطلعه الله عليها من رسله وأنبيائه ، وملائكته ، أولي العزم^٣ القائمين لله بالقسط .

فصل

[واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه^٤ ، ولما تحقق [٣٣٨] عندنا ، وقام في وهمنا وتصورنا بأنفسنا ، أنه لا بد أن تقع رسالتنا في يد غير أهلها ، أو من عساه يرفضها وينكرها بجهله ، إذا خفيت عليه معانيها ، ولا يعلم الغرض الذي قصدنا إليه فيها من توحيد الله سبحانه ، وإقامة عدله في خلقه سبحانه

١ الإنس : البشر في ص .

٢ فهم : سقطت في ب .

٣ العزم : العلم في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وإنا قد أوجبنا على أنفسنا ، وتقلدنا القول منا على ذاتنا ^١ ، أنا نورد فيها مجامع المقولات بالبراهين على جميع ما يوجد من الحلقة بحسب القدرة والاستطاعة ، وإنا لما بسطنا هذا الكتاب لإخواننا الكرام ، [أيدهم الله تعالى] ^٢ المعروفين بإخوان الصفا ، وخلان الوفا ، أولي السرائر المكتومة ، والعلوم المكنونة ، التي لا يمسه إلا المطهرون ، وجب لنا وصلاح علينا أن نخفي ما نريد أن نكشفه ، ونستر ما أردنا أن نوضحه ، بعلامات تنغلق معانيها ، ويعتاص قفلها ، ويتعسر مفتاحها ، إلا على من هو أهلها ، ومن استجاب إليهم ، ورغب في صحبتهم [٣٣٩] من غيرهم ، فليس يعسر عليه شيء من ذلك ، ورأينا أن نكتب ما نريد أن لا يشرك إخواننا في الوقوف عليه غيرهم ، ولا يصل إليه على ^٣ ما هو به الأهم ، بحروف ركبناها ، وكلمات نظمناها ، وجعلنا لها مقدمة وترجمة ، إذا وقفت عليها ، وبان لك معناها ، انفتح لك غلقها ، وحصل بيدك مفتاحها ، وهذه صورتها ، فتدبرها بنفسك الزكية ، وروحك الطاهرة ، وأنوارك المضيئة ، التي تسعى بين يديك يوم القيامة ، فتفوز بالنعيم الدائم ، والحياة الأبدية السعيدة ، إن شاء الله .

١ ذاتنا : رأينا في ص .

٢ أيدهم الله تعالى : سقطت في ص .

٣ على : سقطت في ب .

[وهذه صورة حروف المعجم على ما رمزنا به ومن أراد إخفاء ما
يقوله معكوسة بالترجمة المقدمة ذكرها]^١

٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠																													
ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	لا	ي	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠

[وعلى هذا المثال يكون النظم والتأليف]^٢ :

بسم	الله	الرحمن	الرحيم
ما شاء	وه الله	أمره أن	يكن

ولهذه الصورة المركبة على هذه الحروف أسماء أخر تظهر بلغة أخرى ، على
هذا المثال ، إذا تشكل بشكل الفلك^٣ في وقت القران ، الموجب لتغيير الأشياء
عما هي به إلى النوع الذي يوجب له كون مثل هذا ، فاعرفه .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .
٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .
٣ الفلك : الفرس في ب .

واعلم يا أخي أيديك الله وأيانا بروح منه أن هذه الحروف هي حروف :
 ا ب ت ث ، وإنما أردنا بهذا المثال أن نبين لك كيف تفرعت الخطوط ،
 وتركبت اللغات ، وأن حروف المعجم شجرة تفرعت منها غصون عدة ،
 وتفرعت منها فروع شتى ، وكل قوم إنما أخذ رئيسهم^١ بجودة قريحته ، وقوة
 تأييده ، هذه الصورة ، فأحالتها إلى صورة أخرى ، ووضع عليها أسماء ، ثم
 اصطلاح عليها هو وأهل بيته ومن استجاب له ورغب فيما عنده حتى صاروا أمة
 واحدة ، وانبثت وسرت^٢ في العالم ، وألفت وتوالد عليها الأولاد ،
 وتكاثرت [بها الأعداد]^٣ ، وانحازت [٣٤١] عن غيرها ، وانفصلت عما سواها ،
 وهكذا يكون لإخوان الصفا كتاب يعرفون به ، ولغة فيما بينهم لا يشاركون فيها
 سواهم ، ولا يختلط بها غيرهم ، وسمة يختصون بها لتكون خاصة بهم ،
 ويمتازون من العامة بالانفراد [بمعرفتها إن شاء الله]^٤ . وإنما وصفنا هذا
 الشكل ليكون دالاً على ذلك وإلاّ مما هو به إذ ليس هذا زمانه ، بل هو بدء
 أوانه ، ومقدمة بين يديه ، وإشارة إليه . وإذا كان الأمر على ما ذكرنا ذلك ،
 فأنت بتوفيق الله وقدرته ، وحوله ، وقوته ، تتبين ما وصفنا ، وتقرأ ما به
 كتبنا ، فإننا مبتدئون بكتابة ما نريد أن نستره من هذا الموضع ، في هذا الفصل .

فصل

في معرفة كيفية^٥ سريان النفس الجزئية من النفس الكلية^٦ في الأشخاص

١ رئيسهم : سقطت في ب .

٢ وسرت : انتشرت في ص .

٣ بها الأعداد : سقطت في ص .

٤ بمعرفتها إن شاء الله : سقطت في ب .

٥ كيفية : سقطت في ص .

٦ الكلية : سقطت في ب .

الطبيعية والصور الهيولانية :

اعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن العقل الفعال هو وجه الله الذي لا يبلى ، ولا يحول ولا يزول ، المبدع السابق الأول ، ذو الحلقة التامة ، والإبداع الأول. [٣٤٢] فلما كان ذلك كذلك وجب أن يكون موضع كلمة الله التي بها خلق الأشياء كلها كما شاء لا معقب لحكمه ، يسري نوره وإفاضة جوده فيما دونه ، وكانت [من الإبداع الأول]^١ النفس الكلية وجه العقل الفعال [وهي العقل المنفعل من الإبداع الأول]^٢ واتصل بها فيض نوره ، وقوة من الإبداع الأول ، والكلمة . تحركت بالانفعال ، فأشرق وجهها بما اتصل بها من نور الجبروت ، وبدا وجهه الكريم ، وهو الشمس ، فأشرق وترتب في موضعه اللائق ، بموجب الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية ، ودوام اتصال تأييد الكلمة بالحد الأول ، وإفاضته عليه بالتواتر والدوام بلا زمان . وأمدّها بمثل ذلك ، واستبشرت ، وضحكت أنوارها ، وأشرقت إشراقها دفعة واحدة ، بلا زمان . فترتبت الأفلاك ، ولحظتها ، فكستها من أنوارها زينة ، وهي الكواكب فكانت مرتبة في مواضعها ، مستقرة في أماكنها ، ناطقة ، [٣٤٣] بالسن فصيحة ، وأدوات صحيحة ، وأقسام مستقيمة ، ونسبة فاضلة ، بالتوحيد لمبدعها ، والتقديس لخالقها ، وهي عالم الأفلاك وسكان السموات ، فكانت الأفلاك العالية وما فيها من العوالم الروحانية هي أول الفيض ورأس الأمر ، ثم كانت اللحظة الثانية [تحت النظرة الأولى]^٣ ، فكانت الأفلاك التي دونها إلى فلك القمر ، ولم يكن بين النظرتين انفعال زماني ، فنقصت القوة الثانية عن اللحوق بالقوة الأولى ، فضعفت ، وترتب الوجه

١ من الإبداع الأول : سقطت في ص .

٢ وهي العقل المنفعل من الإبداع الأول : وهو العلة المنفعلة له من الإبداع الأول في ص .

٣ تحت النظرة الأولى : سقطت في ص .

الثاني ، وهو القمر ، وجه النفس الجزئية ، في مركزه ، ودبر ما تحته ، وسلم إليه الوجه الأول تدير ما دونه ، وأمده بالفيض والجود ، فلذلك صار يأخذ ، ويعطي ، ويفرغ ، ويمتلئ ، والأول قائم بذاته ، ممتلي من أنواره ، مستقيم في مسير حياة العالم بأسره ، ومدبره بالقوة المتصلة به ، فهو قطب السعادة العالية ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وكان بمنزلة القلب^١ وما ينحط إليه من [٣٤٤] الحواس الروحانية ، كما قال الله ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^٢ فالروح ينزل على القلب ، ثم تتصل القوة باللسان ، ومكانه الوجه ، فيصدر عنه الأمر والنهي بالنطق ، فبالأمر تتكون المكونات ، وبالنطق تتم المقالات ، والإخبار بما كان ويكون ، فالقوة المتصلة بالقلب مثلها كمثّل اتصال آثار العقل بالنفس الكلية الأولية ، ثم اتصلت بوجهه ، فنطق بالقول كن ، فكان منه ما شاء الباري سبحانه ، وأشرق الوجه الأول ، وقام بالأمر ، فبدأ الكون ، ثم ترتب الوجه الثاني ، بالأمر الملقى إليه من الأول ، فلذلك صارت كلمة كن مبنية على حرفين ، فالكاف متصلة بالعلو ، وهي الوجه الأول ، والنون منحطة منه إلى السفلى [بادية عن الأول ، وهو الكاف ، منبعثة عن العلو ، إلى السفلى ، راجعة بنقطة هي آخرها ، وهي الوجه الثاني ، ولذلك قيل إن الثاني] ^٣ ذو طرفين ، طرف يستمد ، وطرف يمد . كذلك الوجه الثاني يستمد من الأول التامة أنواره ، المضيء إشراقه ، حتى يمتلئ ، ويحاكي الأول في تمامه ، ثم يقف [٣٤٥] منحصراً عن قبول ما لا يحتمله ، ثم يبدأ ويمد من دونه في عالم الكون والفساد ، فلا يزال حتى يلقى ما فيه ويعود إلى الاستمداد ،

١ القلب : الوجه في ص .

٢ سورة ٢٦ : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه أن الكلمات التي تلقاها آدم يقال
لأنها مكتوبة بنور القدرة ، في لوح العرش الكريم ، وإنه ألهم قراءتها والتوسل
إلى ربه [٣٤٩] بها . وسئل الإقالة بعد التوبة ، وهو أول الناظرين إليها ^١ من
عالم الأرض ، ومن بعده إدريس لما رفعه الله مكاناً علياً ، ومن ذريته نوح
لما ركب في سفينة النجاة ، وقيل له : ﴿ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ
عَلَيْكَ ﴾ ^٢ لما شاهد الملكوت الأعلى ، لما رفع إليه ، ثم أهبط ليبت ما صار
إليه في ذريته ، ومن ركب معه في السفينة . وإبراهيم إذ رأى ملكوت السماء
ليكون من الموقنين من بعد أن رأى الكواكب والقمر ، والشمس ، وكان من
المهتدين . وإسماعيل وإسحاق ، ومن فدي منهما بالذبح العظيم ، المستخرج
من الجنة ، الآتي به جبرائيل ، وإسحاق من ذريته إسرائيل ، ويعقوب ،
ويوسف ، إذ قال : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ^٣ ، وما وصاه به أبوه بقوله : ﴿ يَا بُنَيَّ
لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ ^٤ ، يعني كما
كاد إبليس لآدم ، وقابيل لهابيل ، وجبار قوم لإدريس ، حتى ارتفع في
الأفلاك العالية ، ولم تنله يد الجبار ، وكيد أصحاب نوح ، [٣٥٠] وألهمهم
المذكورة ، حتى ركب في السفينة ونجا من ظلمات بحر الضلالة ^٥ ، وقور
أودية الجهالة . وإبراهيم لما [أجمع عليه] ^٦ قومه ، وحاجوه في الله

١ إليها : سقطت في ب .

٢ سورة ١١ : ٤٨ .

٣ سورة ١٢ : ٤ .

٤ سورة ١٢ : ٥ .

٥ ظلمات بحر الضلالة : بحر الجهالة في ص .

٦ أجمع عليه : أجمعوا قومه في ب .

وقد هداه ، وما كان من خبره مع الجبار الحاضر زمانه ، والنار الملقى فيها ، فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم ، ومن ذرية إسرائيل موسى ، وأخوه هارون ، وما أرسلنا به إلى فرعون وقومه ، وما كان منه من المخاطبة المذكورة في القرآن وهلاك فرعون وقومه وملأه ، وما أيد الله به موسى ، من كلامه ووحيه ، وظهور آياته ، وبيان معجزاته ، وعيسى روح الله ، وكلمته الملقاة من الملائكة الأعلى إلى مريم السيدة الكبرى ، ولذلك كانت نسبة الأبوة علوية ، غير بشرية ، ولا إنسية ، وما ألقى إلى الخواريين ، وما جاء به من عند ربه من الآيات ، والتصديق لما بين يديه من التوراة والإنجيل ، والبشارة بأحمد المبعوث ، ومن قبل داود وسليمان ، ولما أيد الله سبحانه داود بملائكته العالية [٣٥١] السماوية ، وغلب جالوت ، ولان له الحديد ، وعلمه صنعه لبوس لهم ، ليقبهم عن كيد الكائدين ، وعناد المعاندين ، ولسليمان الريح ، وسخر له الجن ، والإنس ، والطير ، والوحوش ، وعلمه منطق الطير ، بما رآه ، وتلقاه ، من ملكوت السماء ، وصاحب الخاتمة ، مقدمة القيامة ، أحمد ، المبعوث إلى الأمة المرحومة ، الذين هم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، المقدمة صفتهم في التوراة ، والإنجيل ، وكتب الأنبياء ، وهم أول إخوان الصفا في الشريعة المحمدية ، والملة الهاشمية ، وهم الشهداء والصديقون ، وإليهم جاء الوحي من السماء ، على لسان جبرائيل ، إلى سيدهم الصادق الأمين ، صاحب خاتم النبوة ، وسيف^١ الرسالة ، المؤيد بالملائكة المنزلين ، والمردفين ، وجبرائيل الأمين ، وهو الذي ركب البراق ، في ليلة الإسراء ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذي باركنا حوله مع جميع^٢ الملائكة المؤيدين ، حتى رقي إلى الأفلاك العالية ، وفتحت له

١ سيف : صاحب في ص .

٢ جميع : جموع في ب .

أبواب السموات، [٣٥٢] ودخلها ، ومر بأهلها ، وهم زمراً زمراً ، ساجدين ، وراكعين مسبحين ومهللين ، ومقدسین ومكبرين ، فما مر بملا منهم إلا وصلى بهم ، وجاوزهم بروحه القدسية ، ومادته الإلهية ، حتى انتهى إلى موضعه الكريم ، ومحلّه العظيم ، وتأخرت الجموع عن الارتفاع إلى الموضع الذي رقاها ، كما قال : فزج بي جبرائيل ، في النور زجاً ، وجاءه النداء ، كما نادى موسى من جانب الطور الأيمن في البقعة المباركة ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى . فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾^١ فبمثل ما أوصى به موسى ، كذلك أوصى^٢ به أحمداً في مقامه المحمود . ولذلك قال : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^٣ وكل منهم وصى بالإعذار والإنذار من قيام الساعة [٣٥٣] يوم البروز لفصل الخطاب .

فافهم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه هذه المعاني، وتدبر هذه الأخبار، والإشارات ، واعرف معاني الكلمات لتكون فيلسوفاً حكيماً ، لعلك ترقى إلى أن تصير مادتك وغذاء روحك من النظرة الأولى ، والإشراق الأول ، فيكون لك موضع في درجات العلى ، منازل الأبرار ومقام الأخيار ، ولا تكون عائداً إلى محل البلاء ودار الشقاء ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، وتنجو من ظلمة^٤ العقدين المظلمتين ، اللتين تغطيان نور الشمس ونور القمر

١ سورة ٢٠ : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

٢ أوصى : سقطت في ب .

٣ سورة ٤٢ : ١٣ .

٤ ظلمة : ظلمات في ب .

إذا ساقنا بقعتهما وقارنتاهما ، كذلك ظلمة الطبيعة الجسمانية ، والهيولى السفلية ، إذا عرضت للنفس الناطقة ، والنفس الغضبية كسفتها وغطت عليهما فإن بادرت النفس الناطقة ، وسارعت إلى الأعمال الزكية ، والعلوم النافعة ، وانقادت لها النفس الغضبية ، زالت عنها الظلمة وانتبهت من الرقدة ، وأفادت من السكر ، فلا تكون مكسوفة أبداً ، ولا عائدة إلى محل البلاء ، [٣٥٤] ولا تذوق الموت ، إلا الموتة الأولى . وإنما جعل الله سبحانه العقدتين المظلمتين في الفلك لما يحدث من كسوف الشمس والقمر بهما . وإن الشمس ، باستقامة سيرها وسرعة ممرها ، تفارق الظلمة الكدرة ، والعقدة الوعرة ، فتظهر أنوارها ، ولا يلحق^١ بها شيء مما عبرت به وجازت عليه . وكذلك القمر يخرج بسرعة جريانه ومسيره في أبراجه . وكذلك النفس الناطقة ، إذا فارقت ظلمة الطبيعة الجسمانية ، والهيولى الظلمانية ، لحقت بأنوارها ، وعادت إلى إشراقها لشوقها إلى ذاتها ، وتذكرها مكان لذاتها الروحانية ، وفوائدها النورانية ، إذ كانت بدت من جوهر [الكلمة الإلهية]^٢ ومتى غفلت عن هذا ، بقيت في عالم الكون والفساد ، والهبوط ، والاتحاد . ولما كانت النفس ذات طرفين : طرف أعلى وطرف أدنى ، وجب اتصال فوائده الطرف الأعلى بالطرف الأدنى ، ليرقى إليه يوماً ما فيكون علواً كله . فمتى لم يقبل الفيض الأعلى ، ويتخلف [٣٥٥] عن درجة الكمال ، يوشك أن ينفصل عن ذلك المكان^٣ الشريف ، والطود المنيف ، ويبقى حيث أراد ، واختار ، كمن اختار طول السجن والحبس على النجاة ، [وهي الأرواح اللاهية ، والنفوس الساهية]^٤ .

٢ الكلمة الإلهية : سقطت في ب .

١ يلحق : يلتحق في ص .

٣ المكان : الكمال في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

في معرفة الطرف الأعلى والطرف الأدنى والقول بالبرهان عليهما :
واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، إن النفس ، لما كانت عن الحد
الأول بالأمر السابق إليه من قوة الكلمة الإبداعية ، كان منه الأمر الانفعالي
بالكلمة المبدعة ، وظهر القول وترتب وجهه وأشرق ، ليكون منه وجه الموجودات .
فارتبط الأول بالأول ارتباطاً ذاتياً ، واستتم الأمر بالقوة المحركة ، الصادرة
عن السكون ، البعيدة منه أوهام المخلوقات كلها ، نور الله ، المتحد بالتنزيه ،
فأسرعت الأنوار بإشراقها ، وبادرت إلى قبول الأمر من أعلاها ، وتسابقت ،
فتكونت من حركتها مواضعها اللائقة بكل واحد منها ، ثم نطقت كلها بألسنة
[٣٥٦] التوحيد ، والتجريد ، والتنزيه لمبدعها ، واستقرت لطائفها في كثائفها
اللائقة بها ، الكائنة عنها ومنها ، فصارت الكثائف أماكن وأجساداً ، واللطائف
ممكنات وأرواحاً ناطقة بتوحيد خالقها ، واتصل بها الجود والإفاضة ،
فأفيض^١ على كل واحد منها بحسب قوته وطاقته ، وصارت كلها ذوات
أماكن^٢ وممكنات وأرواح وأجسام ، وتتره مبدعها عن صفات ما هي
موصوفة به ، وناداه ربه فأجابت بأجمعها : ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾^٣
كما قال سبحانه وتعالى حكاية عن السموات والأرض ، لما قال لهما : ﴿اثنِيَا
طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^٤ ، فكانت الأشخاص السماوية ،
وسكان الأفلاك العالية أسبق بالإجابة ، وأقرب إلى الطاعة ولحقت بها الأشخاص

.....
١ فأنفيض : فأنفست .

٢ أماكن : سقطت في ب .

٣ سورة ٢١ : ٨٧ .

٤ سورة ٤١ : ١١ .

الأرضية . ولما ترتب^١ الوجه الثاني ، مما يلي مركز الأرض ، ترتب ما دونه ، وصار هو رباً له ، يريه ، ويسوسه سياسة لطيفة ، فهو دائب في كماله حريص على ما يعود عليه بجماله ، فهو دائب يسري في بروجهِ ، ويمر [٣٥٧] في منازلهِ ، ويقتبس من أنوار من فوقه ، حتى يمتلي بحسب طاقته ويشرق ، ويستدير ، ويحاكي ما فوقه الممد له ، ثم ينحصر عن قبول ما ليس في وسعهِ ، ويؤدي ما فيه ، وتسري روحانياته ، وما يقبله من روحانيات من فوقه ، وتنحط كلها مع ملائكة الله ، وجنود لا يعلمها إلا هو ، فتسري في الأركان والأمهات فتكون منها غرائب المخلوقات ، وعجائب المصنوعات ، مما هو معاين في الموجودات . ولذلك قيل بالتقريب من إفهام المتعلمين بالحكمة : إن النفس ذات الطرفين ، طرف أعلى يتلقى الإفادة ، وطرف أدنى يقبل الاستفادة ، فإنه لا ينفصل الجزء عن الكل ما دام الجزء يقبل فيض الكل بحسب ما يقدر عليه ، فإن دفع الفيض عن ذاته ، ومال إلى غيره ، انقطع عن الاتصال بجوهره ، وأظلم عليه طرفه^٢ ، كما أظلمت على المنقطعين عن أنبياء الله ورسله ، لما عصوا أمرهم وخرجوا من طاعتهم . والبرهان على ما ذكرناه ، والتأييد لما شرحناه ، من قول الله عز وجل ، حيث يقول لنبيه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا [٣٥٨] أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾^٣ فشاركهم بالجسمانية في الطرف الأدنى ، ثم قال : ﴿ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ ، فخالقهم وتميز عنهم بجوهره العالي ، ونفسه القدسية المتلقي بها التأييدات الإلهية ، فلذلك قلنا إن الطرف الأعلى ينعطف على الطرف الأدنى حتى يرفعه إليه يوماً ما ، ولذلك قلنا إن الأشياء كلها مما دون فلك القمر تبدأ من الأقل الأدون إلى

١ ترتب : سقطت في ب .

٢ طرفه : طرفه في ص .

٣ سورة ٤١ : ٦ .

٤ سورة ٤١ : ٦ .

إلى الأتم الأكل ، فليس ذلك بكائن في العالم الأعلى مثله ، إذا كان بدأ بأول الأمر بلا زمان ، وما دون فلك القمر ترتب يتلو بعضه بعضاً .

ولما ترتب العالم العلوي ، ودارت أفلاكه ، وأشرقت كواكبه واستنارت أفلاكه ، وأشرق الوجه الأول المؤيد من الحد الأول بالكمال التام والنور العام ، وكانت المنازل له وبه ثلاثة من فوقه وثلاثة من تحته ، واستقام النظام ، وتم التمام ، لم يكن ما دونه كائن ككونه ، ولو كان ككونه ، لم تكن بينه وبينه مخالفة في جميع أحواله . فبالبرهان ، ان ما يكون^١ [٣٥٩] بلا زمان هو مكون لما دونه من الزمان ، وبه يكون اتصال الأمر الإبداعي أولاً ، ثم يكون منه الأمر^٢ ، ويتكون به ما دونه . ولذلك قال الله سبحانه ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرٌ﴾^٣ يعني أنها من أمره سبحانه ، وحركة^٤ كل فلك هو الزمان المتكون فيه ما دونه فلا يزال كذلك حتى تكون الأرض آخر المكونات ، ثم كذلك ما بدا منها ، وليس إلى وصف معرفة الزمان الكائنة فيه الأشياء العالية^٥ بعضها عن بعض سبيل ، كوصف ما يكون بالزمان مما دون فلك القمر ، وإنما يقال ذلك مثل ما يقال فلك زحل فوق فلك المشتري [وفلك المشتري فوق فلك المريخ]^٦ ولما طلبنا العلم كيف صار فلك زحل فوق فلك المشتري [وفلك المشتري فوق فلك المريخ]^٧ وجدنا أن السبق للأعلى ، والتخلف للأدنى ، فوجدنا السابق فيها دون فلك القمر ، إنما هو بالزمان يسبق به من دونه ، [٣٦٠] فلذلك

١ يكون : كان في ب .

٢ الأمر : الأمر الثاني في ص .

٣ سورة ٧٩ : ٥ .

٤ وحركة : سقطت في ص .

٥ العالية : الطبيعية في ص .

٦ وفلك المشتري فوق فلك المريخ : سقطت في ص .

٧ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

قلنا إن ما هو علا الزمان ، الذي يكون به ما دونه ، ولذلك قال بعض الفلاسفة
الإلهيين في دعائه ومناجاته لباريه : يا دهر الداهرين ، وقال النبي (ص) :
لا تدموا الدهر ، فإن الله هو الدهر ، فاعرف ذلك يا أخي وتدبره تفز ديناً
ودنيا ، إن شاء الله تعالى .

فصل

في معرفة اليد الروحانية ذات النفس والتصوير والمتمة للهيولى الجسمانية
المرقية لها إلى حد الكمال والتمام :
وإذا كان الشهر الخامس من يوم مسقط النطفة ، وسارت الشمس إلى
البرج الخامس المسمى بيت الولد الموافق طبيعته للبرج الذي كانت فيه يوم
مسقط النطفة ، وصار التدبير للزهرة السعد الأصغر صاحب النقش والتصوير ،
واستولت^١ على الحلقة قوى روحانياتها ، استتمت الحلقة واستكملت البنية
والنشوء ، وظهرت صورة الأعضاء ، واستبان تخطيط الصورة ، وبان الوجه
بجميع ما فيه ، وهي يد الله سبحانه المصورة ، التي قال عنها : ﴿هُوَ الَّذِي
يُصَوِّرُكُمْ فِي [٣٦١] الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^٢ ولذلك قال عز وجل عن
آدم إنه خلقه بيده ، وهو الملك الموحى إليه بأمره ما يشاء من تصوير الحلقة ،
وتتميم البنية ، وتنبت منه ملائكة وجنود لله فيعطي الصورة والنقوش ، كما
تنبت من القلب إلى اليد قوة فتظهر منها النقوش ، والتصاوير ، والخطوط ،
والأشكال ، بحسب ما فيها من القوى ، وكل ذلك بأمر الله عز وجل ، فافهم
ذلك أيها الأخ لعلك تفوز بمعرفة روحانيات هذه اليد ، وهي النعمة الشاملة

١ واستولت : سقطت في ب .

٢ سورة ٢ : ٦ .

لجميع خلقه ، ولعلك تكتسب منها صورة حسنة ، جميلة ، ونقشاً ، يكون لك زينة في دار المعاد . بلغك الله ذلك وجميع إخواننا بمنه ولطفه .

فصل

في معرفة الولادة الروحانية التي بها الوصول إلى دار البقاء :

اعلم أيها الأخ [البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه]^١ أنه لما بان لك ما وصفنا ، وتحقق عندك ما ذكرنا في رسالة مسقط النطفة والقول على معرفة المكث المقدر للجنين في الرحم ، وما يتولاه بموجب الحكمة ، ومتقن الصنعة من الكواكب العالية، [٣٦٢] والبروج السامية، ذات الأفلاك الواسعة، والأنوار الساطعة، لتتميم الجسد، وتكميل الصورة، فإن الغرض من ذلك ارتباط النفس بالبدن، وإن النفس من العالم العلوي وردت، وبالعالم السفلي اتصلت، وإن الشمس وما دونها من الكواكب ، يتولى من الترتيب لذلك بحسب ما جعل فيه مبدعه ، وقدره خالقه ، وكان ذلك لينتفع المولود بالحياة في هذه الدنيا^٢ لينظر ويرى ويشاهد ويعلم ، ويقرأ كتاب الله الذي كتبه له وأشهده عليه وبسطه ، وآيات الله المكتوبة في الآفاق والأنفس ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^٣ وكذلك قال الحكميم : إن مكث الإنسان العاقل ، الذي هو تحت الأمر والنهي ، إما بموجب العقل ، أو بطريق السمع لأوامر الناموس ونواهيه ، في طول عمره الطبيعي في الدنيا ، إنما الغرض فيه والمقصود منه إليه ، والنظر والاجتهاد إليه ، هو لأن تتم فضائل النفس وتستكمل ذاتها ، وتم أخلاقها ، ومعارفها الربانية ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ الدنيا : سقطت في ب .

٣ سورة ٤١ : ٥٢ .

بالتأمل [٣٦٣] والبحث والنظر ، والاجتهاد في العمل . كما أن الجنيين باجتهاده في الحركة يقطع الأوتار والرباطات التي كانت تمسكه . كذلك الإنسان العاقل ، إذا قطع نفسه الناطقة عن الاتصال بالشهوات الجسمانية ، واللذات الطبيعية ، يخرج من عالم الكون والفساد ، واستراح من الاتحاد بعالم الأجساد ، وصار بصورة الملائكة الروحانيين ، وتهدأ له الصعود إلى عالم الأفلاك ، والدخول في سعة السموات ، والكون هناك مع أبناء جنسه .

فصل

في معرفة الآباء والأمهات في الولادة الروحانية :

اعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه أن الأب والأم في الروحانيات ^١ هما آية ^٢ الليل والنهار ، فنفسك المتحركة الحساسة ^٣ كائنة في الجسد من القوة الكائنة بالأمر المتحد بالحد للثاني المتحرك بالقوة المنبعثة منه بالوجه الناطق بالأمر الجزئي ، المتحرك كحركة الذكر ، لتبدو منه بالشوق النطفة الكائن منها جسم الإنسان ، كذلك الأبوان [٣٦٤] العلويان ، تحدث من الأول حرارة قوية منبثة من نوره ، متصلة ببروده تحدث من الأم الثاني ، فبامتزاجهما واتصالهما تكون النفس متصلة بالجسد ، وتكون الولادة والظهور من القوة إلى الفعل ، من بين الأبوين ذكر وأنثى ، حتى يكون مشاكلاً لما بدا منه ، فإذا ظهر وهو كامل البنية ، مستقيم الحلقة ، تام الصورة ، يسلمه أيضاً والداه الجسمانيان ، اللذان ولدا جسمه إلى والدين روحانيين بالفعل ، ليخرجا بالتعليم من حد القوة إلى حد الفعل ،

١ الروحانيات : الولادات الروحانية في ص .

٢ آية : اثنان في ص .

٣ الحساسة : الحاسبة في ب .

فيظهر ما يكون في نفسه : كما قال أرسطوطاليس الإلهي لما تمت حيلته على الملك الذي أراد خراب بلده ، لما شكره الناس ودعوا لوالديه ، أعني أباه وأمه قال ليس هذان أبواي على الحقيقة ، إنما أبي أفلاطون الذي ولد عقلي وعلمي الحقيقة ، فله يجب الدعاء إذا أقيمت في طريق التعاليم ، واكتسبت منه عقلاً بحسب المقدر له ، وبما يدرس الكتب الإلهية والتزييلات [٣٦٥] السماوية ، ذات التأويلات النبوية ، والسياسة الفلسفية ، فالمعلم له علوماً صناعية أرضية بمنزلة الأم ، والمعرف له بطرق السماء^١ وبالعلوم النبوية والآراء الفلسفية بمنزلة الأب ، فيعود الخلق إلى أوله ، وهو على غاية الكمال ، ونهاية التمام والجمال ، إذا استكمل هذه الخصال ، فأبواه في البداية الشمس والقمر : وأبواه في ولادة الدنيا الأنثى والذكر ، وأبواه عند خروجه إلى دار الآخرة معلم حميد وأستاذ رشيد ممن يعمل في الشرائع النبوية ، والصنائع الفلسفية ، فبهذه الولادة يكون التمام ، والبلوغ إلى درجة الكمال ، وكذلك قال المسيح : من لم يولد الولادتين لم ير ملكوت السماء . فللنفس ولادتان وإياهما عني المسيح ، وللجسم ولادة واحدة ، ولا ذكر لها ، فاعلم ذلك ، أيها الأخ ، وتدبره ، عساك ترقى إلى درجة الأبرار ، وترافق الأخيار ، وتفارق الأشرار ، بلغك الله وإيانا وجميع [٣٦٦] إخواننا ، حيث كانوا في البلاد ، بمنته ولطفه ، إنه كريم جواد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

في الرسالة الثانية عشرة : [الثانية عشرة منها رسالة]^٢ في معنى قول

١ السماء : الساع في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الحكماء إن الإنسان عالم صغير ، وانه في معنى العالم الكبير يؤدي عن جملته ، وانه ثمرته وزيدته بما اتحد به من قوة نفسه المتصلة بالجوهر الأول والنور الأفضل بما من الله سبحانه به عليه من جوده وفضله ، الذي كان به حسب^١ وجوده بكلمته المجددة ، المتحدة بالأمر ، فكانت منه الأشياء كلها^٢ ، ككون الأعداد المنبثقة^٣ عن الواحد ، وكذلك كانت النفس الكلية منبعثة من العقل كانبعاث الواحد المضاف إلى الأول ، الواقع عليه اسم الاثنين ، إذ كان يتلوه ، وإن كانت صورة الثاني مثل الأول ، وإنما بينهما التقدمة باللفظ في السبق ، وإن الأول قد كان متقدماً الوجود بالمرتبة ، وبما اختص به من الفضل إذ كان [٣٦٧] موضع الكلمة المجددة ، وكانت النفس موضع الأمر الثاني من المبدع الأول ، وكانت بالإبداع الثاني ، ثم كذلك ما بدا عنها مما جعل فيها من القوة التامة والنعمة العامة ، فبرزت عنها الصورة الهيولانية الأولى فالأولى ، وكان منها العالم الكبير بما فيه من الخلائق الروحانيين ، من الملائكة المقربين بتدبير إلهي ، وحكم رباني ، ثم كان العالم الصغير بوساطة العالم الكبير ، إذ كان ما يتصل به من لطائف النفس التي هي الحياة والحركة لا تتحد به حتى تسري فيما هو إليها أسبق ، وبها ألحق ، ثم تتدلى إليه ، وتنزل عليه ، وتتصل به ، فلذلك سمت العلماء ، والمتقدمون من الحكماء الإنسان عالماً صغيراً ، إذ كانت صورة هيكله مماثلة لصورة العالم الكبير ، وإن فيه قوى مختلفة متضادة الأفعال ، متباينة الأعمال ، فمنها خيرة فاضلة تشبه الملائكة ، وشريرة رذلة تشبه الشياطين ، وخفية مكانة تشبه الجن ، وروحانيات الكواكب بادية [٣٦٨] وظاهرة كظهور الموجودات من النبات والحيوان ، ولما ذكرنا في هذه الرسالة

١ حسب : سبب في ص .

٢ كلها : سقطت في ص .

٣ المنبثقة : المنبثقة في ص .

أعني رسالة الإنسان عالم صغير ، جوامع ^١ من القول في هذا المعنى ودللنا عليها
وبيّنا معانيها ، ذخرنّا ^٢ لهذه الرسالة الجامعة نكتاً من الحكمة ، وفوائد من
النعمة تليق بهذا المكان في هذه الرسالة بزيادة شرح ، وبيان ، وشفاء من
الوضوح والبرهان .

فصل

في أن الإنسان مختصر من العالمين ^٣ الروحاني والجسماني :
اعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن الصورة الإنسانية في الحقيقة
خلاصة هذا العالم وثمرته وزبدته ، وكدر ذلك العالم ، أعني الأعلى ، وثقالته ^٤ ،
وأن كونه آخر المعاني الجسمانية دليل على أنه أول المعاني الروحانية ، إذا قبل
الفيض منه ، وتعلق به ، تعلق المعلول بعلة ، وسرعة ذهاب ^٥ الشيء إلى
موضعه ، وهو كالحمد المتأخّر لكلا العالمين ، وكالأصل الصالح لمجموع
الكمالين ، فإن [٣٦٩] قبل وصايا المنذرين ، واتباع المرشدين ، وأدلاء
باريه ، وعرفه حق معرفته نال السعادتين ، وحصلت له المتزلتان : منزلة
الإنسانية الكاملة ، والفلسفة الفاضلة في الدنيا ، وصورة الملائكة ، وجوار
الرحمن في درجات الجنان ، مع الحور والولدان ، والرضوان ، في دار
الحيوان في الآخرة .

١ جوامع : سقطت في ب .

٢ ذخرنّا : ذخرنّا في ب .

٣ العالمين : العالم في ب .

٤ وثقالته : وسفالتها في ب .

٥ ذهاب : سقطت في ص .

فصل

في أن صورة الإنسان أفضل الصور التي تحت فلك القمر وأولاها بعبادة الله تعالى ومعرفته والارتقاء إلى عالم السموات بعد الممات .

اعلم أيها الأخ الفاضل أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن صورة الإنسان ، خليفة الله [خلقها سبحانه]^١ متوسطة بين الحالتين ، نازلة بين منزلتين ، فهو بسيط بروحه الروحانية الحسية^٢ العلامة بالطبع ، مركب الجسم ، فهو بين البسيط والمركب ، قابل للحياة بروحه الروحانية^٣ ، قابل للموت^٤ بجسمه ، فطبيعة جسمه أصفى الطبائع الأرضية والهيولى الطبيعية ، وكذلك [٣٧٠] مادته وغذاؤه الملائم لطبيعته ، وأنه متى عدل عما هو له من الغذاء أصلح ، وبه أليق ، وإليه أقرب ، كان سبب فساد وفنائه واضمحلاله ، وحل به السقم ، ووصل الأذى إليه ، ونزل الموت عليه ونفسه أقل رتب النفوس العالية ، إذ كانت لا تتصل به ، وتسري فيه ، وتشرق عليه ، إلا بعد سريانها في الأشخاص الفلكية ، ونزولها مع الملائكة السماوية ، كما قال الله عز وجل :

﴿ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾^٥ فيسكنها في الصورة الجسمانية والطبائع الهيولانية ، ثم يعطف عليها برحمته ، ويتبعها برأفته ، وتنزل عليها نعمته ، بالوحي بالأنباء وأخبار السماء ، إلى الأنبياء الذين هم صفوته من خلقه ، وخالسته من عباده ، وأن النفس متى عدلت عما هو بها أليق ، وهي به أحق ، من قبول العلوم الإلهية التي هي لها غذاء ، تم به صورتها وتكون سبباً للحقوق بها إلى عالمها ، وتكسبه صورة ثانية فاضلة ، بقيت ، إذا جحدت ربها [٣٧١]

٢ الحية : الحية في ص .

١ خلقها سبحانه : سقطت في ص .

٣ الروحانية : سقطت في ص .

٥ سورة ٩٧ : ٤ .

٤ للموت : للمات في ب .

وعدلت عن مصالحها ، مترددة في عمايتها ، متبلدة في جهالتها ، وهذا هو موتها لأنها قد انقطعت عن عالمها ، وانفصلت عن جوهرها واتحدت بأعمالها القبيحة وأخلاقها السيئة ، فتخرج من حد صورة الإنسانية وتفوتها الصورة الملكية ، فتكتسب بأعمالها صورة ظلمانية شيطانية قبيحة وحشية ، فلذلك قالت الحكماء : إن صورة الإنسانية منزلة ثالثة وإنها الصراط الممدود بين الجنة والنار ، عن يمينه الجنة ، عالم الأفلاك وأطباق السموات ، والنار عن شماله محل الأجسام ودار الآلام ، ومجاورة النبات والحيوان ، الصامت عن الكلام ، المعذب بأنواع العذاب والآلام ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِيدَةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾^١ أجسام ظلمانية ، وأشخاص شيطانية ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾^٢ .

فصل

[في إيضاح ذلك]^٣ : فبالبرهان الصادق والدليل الواضح أن الإنسان متى تناول من الغذاء ما هو أنفع ، وفي جسمه أنجع ، اعتدلت أقسامه [٣٧٢] واستوى نظامه ، واعتدلت طبائعه ، وحسنت مواقفه^٤ ، واستكمل منافعه ، وصحت آلاته ، وكملت له لذاته ، وانتفع بالحياة ، وأنه متى عدل إلى الضد من ذلك كان سبب بواره ، وهلاكه ، وموته ، ودماره ، فكذلك النفس ، إذا

١ سورة ١٠٤ : ٦ إلى ٩ .

٢ سورة ١٤ : ٥٠ .

٣ في إيضاح ذلك : سقطت في ص .

٤ مواقفه : أحواله في ص .

قبلت ما قيل لها ، وألقي إليها من الفوائد العقلية ، والتأبيدات الإلهية صارت حية بذاتها ، مستكملة لذاتها ، عائدة إلى جوهرها ، مشرقة أنوارها ، يسعى بين يديها عملها كالسراج المضيء ، والكوكب الدرّي ، فتلحق بعالمها بلا زمان ، وتصير مفارقة لمكان الهوان ، ومضى غفلت في جهالتها ، وانشغلت^١ في رقدتها ، وعزفت عن المنذرين ، وتكبرت عن اتباع المرسلين ، أظلمت عليها سبيلها ، وذهبت بهجتها ، وصارت ميتة بذاتها ، منعطفة عن عالمها في برزخ العذاب ، وصور العقاب ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ﴾^٢ بالفساد بدلوا بالكون أخرى ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^٣ .

فصل

[في بيان الغرض منها]^٤ : والغرض المقصود إليه [٣٧٣] في رسالة الإنسان عالم صغير الذي عليه دللنا ، وإليه بالقول أشرنا هو الإخبار عن حال الأنفس البسيطة قبل تشخصها واتصالها بالأجسام الجزئية ، والأشخاص الحسية ، وعلة اتصالها بها مدة من الزمان ، وحال مفارقتها عند بلوغ نهايتها واستكمال فضائلها ، وكيف يعرف الإنسان هويته ، وأبنيته ، وكيفية نفسه ، وحقيقة ذاته ، وأنه مختصر عن اللوح المحفوظ وأن فيه معاني الموجودات كلها مختصرة ، فهو كالكل ومحيط بالجميع ، فينتبه لذلك ، ويتأمل الصواب ويغتني الفرصة مدة حياته ، فيقصده ويقتنيه ، والخطأ فيجتنبه ويحتويه ، إذ لذلك أنشأ منشيه ،

١ وانشغلت : استغلت في ص .

٢ سورة ٤ : ٥٥ .

٣ سورة ٤ : ٥٥ .

٤ فصل : في بيان الغرض منها : سقطت في ص .

فيعيده ويبديه ، ويديمه ويبقيه ، ويبلغه إلى ما أعد له من النعيم المقيم ،
والصلاح العميم ، والأمر المستقيم .

فصل

في قرب نسبة النفس من الله ومنزلتها عنده وكرامتها لديه :

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله [٣٧٤] وإيانا بروح منه ، أن لجواهر
النفس عند الله منزلة وكرامة ليست لجواهر الأجسام ، وذلك أن جواهر النفس
حية بذاتها ، علامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، وجواهر الأجسام ميتة جاهلة
منفعلة .

واعلم أنا قد بينا في رسائلنا ، وما وضعناه من كتبنا التي أخرجناها إلى
إخواننا أيدهم الله لتتهذب^١ بها نفوسهم ، وتزكو بها أرواحهم ، أن نسبة
الموجودات من الباري جل ثناؤه كنسبة العدد من الواحد ، وإنما قلنا ذلك
ليقرب على الأفهام ، ويكون متناولاً بطريق الموجود ، لأن الباري سبحانه
كواحد الأعداد ، سبحانه ، وتعالى عن التشبيه والأزواج^٢ والأفراد ، فلما
كان سبحانه هو الواحد الذي لا يوصف بآلة حسابية^٣ ، ولا تسبق إليه خواطر
روحانية ، وكان العقل كالاثنين ، والنفس كالثلاثة ، والهيولى الأولى^٤
كالأربعة ، والطبيعة كالخمسة ، والجسم كالسته ، والفلك كالسبعة ،
والأركان [٣٧٥] كالثمانية ، والمولدات كالتسعة . ووجه آخر : إن نسبة

١ لتتهذب : لتتهذب في ب .

٢ الأزواج : الأرواح في ص .

٣ حسابية : جسمية في ص .

٤ الأولى : سقطت في ص .

[العقل من الباري عز وجل ، كنسبة نور الشمس من الشمس ، ونسبة ^١ النفس من العقل ، كنسبة ضوء القمر من الشمس ، ونسبة العقل من الباري كنسبة نور الشمس منها ، وكما أن القمر إذا امتلأ من نور الشمس حاكي نوره نورها ، كذلك النفس إذا قبلت فيض العقل ، واستتمت ضيائها كانت أفعالها وأفعال العقل . وإنما تستم فضيلتها إذا هي اعتبرت أحوال عالمها هي الصورة الإنسانية ، لأن الله عز وجل خلق الإنسان في أحسن تقويم وصوره في أكمل صورة ، وجعل صورته مرآة لنفسه ، ليتبين له فيها صورة العالم الكبير وما هو مكنون في اللوح المبين .

فصل

[في معرفة العابد لله بعلم والجاهل بذلك] ^٢ : واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه أن الله لما أراد أن يطلع النفس الإنسانية على خزائن علومه وما كتبه في لوحه ، ويشهداها العالم بأسره ، وكان ملكه واسعاً ، وكرسيه محيطاً بالخلاقة ، وأن النفوس الجزئية لا تحيط بوسع ما خلقه ، وتعجز عن [٣٧٦] قراءة ما كتبه في لوحه ، وأن الجزء لا يحيط بالكل إلا بقدر ما في سعته وطاقته ، اختصر لها عالماً صغيراً وأتقنه في صناعته ، وصور فيه جميع ما في العالم الكبير وأشهداها إياه فقال تعالى : ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . ^٣ قالوا بلى . فمن عرف منهم خالقه ، وأمر بتوحيده ، وقرأ كتاب ربه الذي كتبه بيده ، وأحسن قراءته ، وتدبر آياته ، صحت شهادته [وكملة

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سورة ٧ : ١٧١ .

عبادته [١] وسارع إلى إجابة ربه إذا دعاه ، ولباه إذا ناجاه . فكانت شهادته حقاً وقوله صدقاً ، ومن كان جاهلاً بما خلق له ، عاجزاً عما أهل له ، منهمكاً فيما لم يكن أوجد له ، ومن أجله ، من اللذات الطبيعية ، والشهوات الجسمانية ، التي لم تخلق له إلا ليأخذ منها بقدر ما يحتاج إليه ، ويكون بها غذاء لجسمه ، ومادة لبقاء شخصه ، حتى تستكمل نفسه فضائلها ، وتتأمل خلقه ربها من عجائب مصنوعات ، وغرائب مخلوقات ، وتشهد له بالوحدانية ، [٣٧٧] ردت شهادته . ولم تصح عبادته ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ٢ وقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ٣ وقال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ ٤ واعلم أن استفتاح جميع العلوم في معرفة الإنسان نفسه ٥ .

فصل

واعلم يا أخي أن معرفة الإنسان نفسه تكون على ثلاث جهات : إحداها أن يعتبر أحوال جسده ، وتركيب بنيته ، وما يتعلق به من الصفات خلواً من النفس ، والأخرى أن يعتبر حالتيهما جميعاً مقترنين أحدهما بصاحبه وما ينسب إلى الجملة من الصفات [والثالث حال انفراد النفس من الجسد ، وكونها بمجردا مقارنة لما كسبت ، ومجاورة لما عملت] ٥ .

١ وكلت عبادته : سقطت في ص .

٢ سورة ٤٣ : ٨٦ .

٣ سورة ٢٥ : ٢٨ .

٤ سورة ٣ : ١٨ .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

[اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيديك الله بروح منه] ^١ أن الله عز وجل جعل تركيب الإنسان أمثلة وإشارات [.....] ^٢ [٣٧٨] كترتيب الأفلاك وأبراجها ، والسماوات وطبقاتها ، وجعل سريان قوى نفسه في مفاصل جسده ، واختلاف أعضائه ، كسريان قوى نفوس الملائكة في أطباق السماوات ، وفضاء الأفلاك ، وقوى أجناس الجن والشياطين والإنس في الهواء وآفاق الأرض ، من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، فهو جملة مجموع فيها من كل شيء أمثلة وإشارات إلى أنه الصورة التامة ، والصنعة المتقنة ، قائم كالحظ بالحكمة ، صراط مستقيم ممدود بين الجنة والنار .

[فصل] ^٣

وذلك أن الله لما ركب العالم العلوي جعل الأفلاك تسع طبقات مركبة بعضها جوف بعض ، وجعل في كل طبقة منها جنساً من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ^٤ وكذلك وجد تركيب بنية الإنسان ، من تسعة جواهر بعضها فوق بعض ، وجعل في كل واحد منها من القوى النفسانية ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ يوجد في كافة النسخ التي بين أيدينا نقص مقدار ثلاثة أسطر أشار إليها النساخ وتركوا مكانها بياضاً . أما محقق النسخة (ص) فإنه لم يلاحظ هذا النقص حتى إنه لم يشر إليه وتابع لإيراد

النصر كأن شيئاً لم يكن .

٣ فصل : سقطت في ص .

٤ سورة ٢١ : ٢٠ .

والحركة الحسية الدائمة النبض والتحريك ، لا تفر [٣٧٩] ولا تبدأ لبلاً ولا
نهاراً إلى وقت الموت ، وكل قوة منها مختصة بعضو من أعضائه ، تظهر به
ومنه أعماله وأفعاله ، وجعل تركيب الجسد يشبه تركيب الأفلاك بالكمية والكيفية
جميعاً ، لأن الأفلاك تسع طبقات ، والإنسان مجموع من تسعة جواهر مماثلة لها ،
وهي العظام ، والمخ ، وفي المخ قوة العصب ، وفيها قوة التخيل والعروق وفيها
قوة النبض ، وسريان الدم ، واللحم ، والجلد ، والشعر ، والظفر . وكل واحد منها
يزيد وينمي ويخلف عوضاً عما يفنى منه ، ما دامت الروح سارية فيه ، والغذاء
والمادة متصلة به ، فكل قوة تعمل في كل عضو بخلاف ما تعمل قوة أخرى
في عضو آخر ليكون به تماسك أجزائه واستواء بقاءه ، وكذلك في كل فلك
من الأفلاك ملائكة لله سبحانه ، وجنود لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه ،
يسبحون بالليل والنهار لا يفترون ، ويمسكون أرجاء السماء ، وأطباق الأفلاك
﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^١ وكل منهم في [٣٨٠] ﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^٢ .
ولما كان الفلك مقسوماً باثني عشر برجاً كذلك في بنية الجسد اثنا عشر ثقباً
مماثلة لها ، وهي العينان ، والأذنان ، والمنخران ، والسيلان ، والثديان .
والفم ، والسرة ، ولما كانت الأبراج ، ستة منها جنوبية ، وستة شمالية ،
كذلك قسمت الثقب ستة في الجانب الأيمن وستة في الجانب الأيسر ، مماثلة
لها بالكمية والكيفية جميعاً ، ولما كان في الفلك سبعة كواكب سيارة بها
تجري أحكام الفلك في الكائنات ، كذلك وجد في الجسم سبع قوى فعالة ،
بها يكون صلاح الجسد . ولما كانت هذه الكواكب ذوات نفوس وأجسام
وأفعال روحانية في النفوس ، كذلك وجد في جسد الإنسان سبع قوى جسمانية

١ سورة ١٦ : ٥٠ .

٢ سورة ٣٧ : ١٦٤ .

وهي القوة الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغاذية ، والنامية ،
والمصورة ، وسبع قوى أخر روحانية ، وهي القوى الحساسة ، أعني
الباصرة [٣٨١] والسامعة ، والذائقة ، والشامة ، واللامسة ، والقوة الناطقة ،
والقوة العاقلة . والقوى الخمس الحساسة منها تشبه الكواكب الخمسة المتحيرة ،
والقوة الناطقة مناسبة للقمر ، والقوى العاقلة مناسبة للشمس ، والكواكب
الخمس ، لكل واحد بيتان في الفلك ، أحدهما في حيز القمر والآخر في حيز
الشمس ، والنيران لكل واحد منهما بيت كما بينا في رسائلنا في النجوم ،
كذلك وجد لهذه القوى في بنية الجسد مجريان أحدهما في الجانب الأيمن والآخر
في الجانب الأيسر ، فالقوة الباصرة مجراها في العينين ، والقوة السامعة
مجراها في الأذنين ، والقوة الشامة مجراها في المنخرين ، والقوة اللامسة
مجراها في اليدين ، والقوة الذائقة والشهوانية مجراها في الفم والفرج ،
فالشم بالجانب الأيمن أشبه ، والفرج بالجانب الأيسر أشبه . وأما
القوة الناطقة فمجراها في الحلقوم إلى اللسان ، والقوة العاقلة مجراها في
وسط الدماغ ، ونسبة القوة الناطقة إلى القوة العاقلة [٣٨٢] كنسبة القمر إلى
الشمس ، وذلك أن القمر من الشمس يأخذ أنوارها^١ بجريانه في منازلها الثمانية
والعشرين ، وكذلك القوة الناطقة تأخذ من العقل معاني المعلومات بجريانها في
الحلقوم^٢ فتعبر عنها بثمانية وعشرين حرفاً ، ومنزلة الثمانية والعشرين حرفاً
للقوة الناطقة بمنزلة الثمانية والعشرين منزلة للقمر ، وفي هذا الفصل يا أخي
سرٌ دقيق من مكنون العلم ، إذا تأملته واعتبرته ، وأعملت فيه الروية ، وجودة
الفكر ، وأعانك عليه التوفيق ، وجدت الأشياء وجوداً تطمئن إليه نفسك ،

١ أنوارها : نوره في ص .

٢ الحلقوم : اللوم في ب .

وتسكن إليه روحك ، وتطمئن^١ في مكانك وهذا الذي دعانا إلى إعادة هذا الفصل عليك ، وإلقائه إليك ، ليكون تنبيهاً لك ، ويقظة لعقلك ، ولتعرف به عقلك المكتسب ، ونفسك الحائطة بك ، وما المعاد وما المنقلب .

[فصل]^٢

ولما كان في الفلك عقدتان ظلماتيتان وهما الرأس والذنب ، وهما خفيتا الذات ، ظاهرتا الأفعال ، كذلك وجد في الإنسان أمران خفيان [٣٨٣] ظاهرهما الأفعال ، بهما صلاح بنية الجسد ، وصحة أفعال النفس وفسادها ، وهما صحة المزاج وسوء المزاج . وذلك أنه إذا صح مزاج الأختلاط ، استقام الجسد ، وصحت أعضاؤه ومفاصله ، واستقامت أحوال النفس ، وجرت على الأمر الطبيعي ، وإذا فسد المزاج ، اضطربت البنية ، وعدلت أفعال النفس^٣ عن السداد ، وأضرّ ما يكون من نحوس العقدتين ، على النيرين الأعظمين ، الشمس والقمر ، لأنهما أكدا الأسباب في كسوفهما ، كذلك أضرّ ما يكون سوء المزاج ، على القوة الناطقة والقوة العاقلة ، لأنه يعوقهما عن أفعالهما . والعينان في الجسد مناسبتان لبيتي المشتري في الفلك ، والأذنان في الجسد مناسبتان لبيتي عطارد في الفلك ، والمنخران في الجسد مناسبتان لبيتي المريخ ، والثديان لبيتي الزهرة ، والسيلان لبيتي زحل ، والقمر لبيت الشمس ، والسرة لبيت القمر ، والسرة^٤ كانت باب الغذاء في الرحم قبل الولادة ، والقم باب الغذاء في الدنيا ، والسيلان

١ وتطمئن : وتقرر في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ النفس : الطبيعة في ص .

٤ والسرة : لأنها في ص .

مقابلان لهما كمقابلة بيتي زحل لبيتي النيرين. وكما أن في الفلك [٣٨٤] بروجاً فيها حدود ووجوه ودرجات لها أوصافٌ مختلفة ، كذلك في الجسد أعضاء ومفاصل وعروق ، وأعصاب ، وعظام مختلفة الأوصاف يطول شرحها .

فصل

ولما كانت تحت فلك القمر أربعة أركان ، وهي الأمهات أعني النار ، والهواء ، والماء ، والأرض التي بها قوام الأشياء المولدات التي هي الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، كذلك وجد في بنية جسد الإنسان أربعة أعضاء هي تمام جملة الإنسان ، أولها الرأس ، ثم الصدر ، ثم البطن ، ثم من عانته إلى قدميه ، فهذه الأربعة موازية لتلك الأربعة ، فالرأس مواز لركن النار ، والصدر مواز لركن الهواء ، والبطن مواز لركن الماء ، ومن جوفه إلى قدميه مواز لركن الأرض ، فرأسه شبيه بالنار من جهة شعاعات بصره ودقة حواسه ، وما يتصاعد إليه من بخارات أنفاسه وحرارتها ، وصدره شبيه بركن الهواء لاستنشاقه الهواء ، وتردده فيه ، مرة إلى داخل ، ومرة إلى خارج ، ومرة يسكن ، ومرة يتحرك ، [٣٨٥] وبطنه شبيه بالماء لما فيه من الرطوبات المائعات ، ومن عانته إلى قدميه يشبه الأرض لأنها عظام يابسة جامدة ، وفيها المخ مكنون^١ خفي ككون المعادن في التراب ، واستقرار الأركان الثلاثة عليها ، كذلك الرأس ، والصدر ، والبطن مستقر على الرجلين ، وكما أن من هذه الأركان الأربعة تتحلل البخارات وتتكون الرياح والسحاب والأمطار ، والحيوان ، والنبات ، والمعادن ، كذلك لهذه الأربعة من تحلل

١ مكنون : سقطت في ص .

البخارات من بدن الإنسان مثل ما يخرج من المنخرين وما يخرج^١ من العينين ،
وما يسيل من الفم ، والرياح التي تتولد في الجوف ، والرطوبات التي تخرج
مثل البول ، والغائط^٢ ، وما أشبه ذلك . فلما صح بالبرهان أن بنية الجسد
مماثلة لحلقة العالم الكبير ، وأنه عالم صغير ، وجب أن نذكر ذلك^٣ ونبينه
بيانا شافيا ، ليتذكر من تذكر ، ويتدبر من تدبر ، وليعرف الإنسان أن يقرأ
كتابه ، إذا أخذَ بيمينه، [٣٨٦] وإن لم يحسن قراءته ، ولا يتدبر معناه وآياته ،
أوتيه من وراء ظهره ، وأنقلب خاسرا ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْحَسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾^٤ .

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن الغرض المقصود من هذه
الرسالة هو إقامة الدليل بالبرهان الصادق ، وتعريف الغافلين عن معرفة
الحقائق بتوحيد الله ، وتزويده وتجريده عن صفات المخلوقين وسمات الربوبين ،
إذ كان كثير من الأمم الطاغية ، والشياطين الباغية قد أُلْهِدُوا في آيات الله ،
وأشركوا به ، واتخذوا من دونه أولياء ﴿ بَشِّرْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾^٥ ومنهم
من شبهه بالمخلوقين ، ووصفه بصفات المحدثين ، تعالى الله عن ذلك علواً
كبيراً . وإنما أردنا بهذا الخطاب والإطالة بالقول والإسهاب ، ليعلم من جهل
عن معرفة الحق المبين ، وعدل عن السلوك في الطريق القويم ، والجواز على

١ يخرج : سقطت في ص .

٢ الغائط : البراز في ص .

٣ ذلك : سقطت في ب .

٤ سورة ٢٢ : ١١ .

٥ سورة ١٨ : ٥١ .

الصراط المستقيم ، أن الإنسان الكامل البنية ، الطريف الحلقة ، المركب ، المؤلف ، ذو^١ الأبعاد الثلاثة ، والأقطار الأربعة، [٣٨٧] والجهات الست : الطول ، والعرض ، والعمق ، والمشرق ، والمغرب ، والجنوب ، والشمال ، واليمين ، والشمال ، والفوق ، والتحت ، والأمام ، والخلف ، المحدود الموصوف بجسم ، المحاط به بالحنس واللمس ، الموجود بالحواس الخمس هو جسمه ، وأن الجوهر المتحد به ، المربوط بجسمه ، الساري في حسه ، الذي هو نفسه ، متصرفه فيه ، وأنه غير مدرك لها إدراك الإحاطة ، ولا واصف لها صفة المعاينة ، وأن أفعالها غير موجودة في مكان ، ولا داخلة تحت مقاطع^٢ الزمان وذلك أن للنفس جنوداً وأعواناً ، وخداماً وغلماًناً ، منقاداً لها مسارعة لأمرها ، واقعة تحت اختيارها ، غير خارجة عن طاعتها وأنها توحى إليهم من الأوامر والنواهي^٣ والأفعال ما تشاء ، وأنهم لها طائعون ومن هيبتها خاشعون ، لا يعصون أمرها ، ويفعلون ما يؤمرون ، وأنها تأمرهم وتنهاهم وتوحى إليهم بلا مخاطبة منها إليهم ، ولا مشافهة تسمعهم ، بل مترهة عنهم ، وأنها هي قوى تنبث فيها ، فتسري فيهم ، فيفعلون ما يؤمرون .

فصل

[٣٨٨] في بيان ذلك : اعلم أيها الأخ أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن القوة السامعة التي مجراها في الأذنين [وأن النفس]^٤ قد ولتها إدراك المسموعات

١ ذو : سقطت في ب .

٢ مقاطع : تقاطيع في ب .

٣ النواهي : سقطت في ص .

٤ وأن النفس : سقطت في ص .

وهي الأصوات ، وهي تجمع فروعاً ومقالات ، وتشعب على شعب شتى ، فمنها منطقية وغير منطقية ، وحيوانية ومعدنية ، فالمنطقية كل صوت له هجاء وغير منطقية ما يبدو [من الإنسان كالصراخ والأنين والتنفس وما شاكل ذلك والحيوانية ما يبدو]^١ من الحيوان مثل نهيق الحمار ، وصهيل الفرس ، والمعدنية مثل أصوات المعادن من الحديد وطين النحاس ، والذهب والفضة ، وصوت اصطكاك الأحجار [بعضها ببعض]^٢ ومنها آلية مثل صوت البوق . والمزمار ، والطبل ، والدف ، والأوتار ، ومنها نباتية مثل اهتزاز الأشجار ، ومائية مثل جريان الأنهار ، واضطراب أمواج البحار ، ومثل ما يحدث من الآثار العلوية ، مثل صوت الرعد والأمطار والصواعق ، ولكل نوع من هذه الأنواع أنواع أخرى ، وتحت الأنواع أشخاص لا يعلم عددها إلا الله عز وجل . والقوة السامعة هي المتولية [٣٨٩] لجميع ذلك ، والمتصرفة فيها تؤدي أخبارها ، وتحمل ما يحدث فيها ، وتوصله إلى القوة المتخيلة التي مسكنها مقدم الدماغ . ونسبة هذه القوة كنسبة صاحب [الخبر إلى]^٣ الملك الذي يأتي إليه من نواحي مملكته بالأخبار .

وأما القوة الباصرة مجراها في العينين ، فإن النفس قد ولتها إدراك المبصرات وهي تنقسم أنواعاً : فمنها الأنوار والظلمة ، ومنها الألوان ، وهي السواد ، والبياض ، والصفرة ، والحمرة ، والخضرة ، وما يتركب منها ، ويتولد عنها من سائر الألوان . ومن المبصرات أيضاً المقادير ، والأبعاد ، والأشكال ، والصور ، والحركات ، والسكون ، وكل نوع من هذه الأنواع^٤ تحته أنواع

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ بعضها ببعض : سقطت في ص .

٣ الخبر إلى : سقطت في ب .

٤ الأنواع : سقطت في ب .

آخر ، وتحت تلك الأنواع أشخاص ، وهي كلها تحت إدراك القوة الباصرة ، وهي المتصرف فيها ، والمميزة لها ، تأتي بالأخبار عنها إلى القوة المتخيلة ، التي مجراها مقدم الدماغ .

وأما القوة الشامة [٣٩٠] التي مجراها في المنخرين ، فإن النفس قد ولتها إدراك الروائح ، والتصرف والتمييز لها ، وهي نوعان : لذیذة وكريهة . فاللذیذة تسمى الطيب ، والكريهة تسمى التث ، وتحت كل نوع من هذه الأنواع^١ أنواع ليست لها أسماء مفردة كما تسمى سائر المحسوسات ، ولكن القوة الناطقة تنسب كل رائحة إلى الذي تفوح منه كما يقال : رائحة المسك والكافور ، والورد ، والرجس ، وغير ذلك ، فهي كثيرة لا يحصي عددها إلا الله ، وإن القوة الشامة هي المتولية لإدراكها والتصرف فيها ، والإتيان بخبرها [إلى القوة المتخيلة المتصلة بالنفس .

[وأما القوة الذائقة التي مجراها في اللسان]^٢ . فإن النفس قد ولتها أمر الطعوم ، والإدراك لها ، والتصرف فيها ، والتمييز لبعضها من بعض ، وهي تنقسم تسعة أنواع ، أولها الحلاوة الملائمة لطبيعة اللسان^٣ ، والمرارة المنافرة لطبيعته ، ومنها وسائط ، فمنها الملوحة ، والحموضة ، والدموسة ، والحرافة ، والقبوضة ، والعفوضة ، والعذوبة ، وكل نوع من هذه تحت أنواع ، وكل نوع له [٣٩١] أشخاص لا يعلم عددها إلا الله تعالى ، فإن القوة الذائقة هي المتولية أمر هذه الطعوم بالإدراك لها والتصرف فيها ، وتمييز بعضها من بعض ، والإتيان بأخبارها إلى القوة المتخيلة . ونسبتها إلى النفس الزكية كنسبة أصحاب الأخبار إلى الملك .

١ الأنواع : سقطت في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٣ اللسان : الإنسان في ص .

وأما القوة اللامسة التي مجراها في اليدين ، وخصت بالابتذال ، فإن النفس قد ولتها أمر الملموسات ، وهي عشرة أنواع : الحرارة ، والرطوبة ، واليبوسة ، والبرودة ، واللين ، والحشونة ، والصلابة ، والرخاوة ، والثقيل ، والخفة . وكل واحد منها تحته أنواع ، وتحت تلك الأنواع أشخاص لا يحصي عددها إلا الله عز وجل . والقوة اللامسة باليدين هي المتولية أمر هذه الملموسات بالإدراك لها ، والتصرف فيها ، وتميز بعضها من بعض ، والإتيان بأخبارها إلى القوة المتخيلة ، ونسبتها إلى النفس كنسبة إحدى أخواتها التي تقدم ذكرها . وما مثل النفس مع قواها هذه الخمس الحساسة ، واختلاف طرائق محسوساتها ، وما تحت كل جنس منها من [٣٩٢] الأنواع والأشخاص المختلفة الصور ، المفنة الأشكال ، المتباينة الهيئات ، إلا كخمسة من الأنبياء أولي العزم : مرسلهم واحد ، وشرائعهم مختلفة ، وتحت كل شريعة مفروضات مفنة ، وأحكام متباينة ، وسير متغايرة ، تحت أحكامها لهم أقوال ومعان لا يحصي عددها إلا الله كما أن تلك الأمم كلها مرجعها إلى الله ، ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه ، فهكذا علم هذه المحسوسات كلها ، مرجعها إلى النفس الناطقة ، لتمييز بعضها من بعض ، وتعرفها واحداً واحداً بحقيقته ، وتحكم على جميعها ، وتبين لها منازلها .

فصل

[في بيان قوى النفس الخمس الخاصة لها]^١ : وللنفس الإنسانية خمس قوى آخر ، نسبتين إليها غير نسبة هذه الخمس [التي تقدم ذكرها ، وسريانها في أعضاء الجسد بخلاف سريان أولئك وأفعالها لا تشبه أفعالها ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وذلك أن هذه الخمس ^١ كالشركاء المتعاونين في تناولهن صور المعلومات بعضهن من بعض ، فثلاث منهن نسبتهن إلى النفس كنسبة الندماء إلى الملك ، الحاضرين مجلسه دائماً ، يطلعون على علم أسرارهم ، كالعيون له في خواص أحواله ، وهي القوة المتخيلة التي مجراها [٣٩٣] مقدمة الدماغ ، والقوة المفكرة المميزة ^٢ التي مجراها وسط الدماغ ، والقوة الحافظة التي مجراها مؤخر الدماغ ، كل واحدة منها نسبتهما إلى النفس كنسبة الحاجب والترجمان إلى الملك ، وهي القوة الناطقة المعبرة عن النفس ، المجيبة عنها وعن معاني ما في فكرتها ، من العلوم والحاجات . ومجراها في الحلقوم إلى اللسان ، وكل واحدة منها نسبتهما إلى النفس كنسبة الوزير إلى الملك في تدبير مملكته وسياسة رعيته وهي القوة التي تظهر من النفس مثل الكتابة والصنائع أجمع ، في اليدين والأصابع . فهذه القوى الخمس هي كالتعاونات فيما يتناولن من صور المعلومات .

فصل

في بيان ذلك : اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن هذا الفصل جليل قدره نفيس ذكره . والذي دعانا إلى تكريره ^٣ له في هذه الرسالة أنه من الجواهر النفيسة ، ومجبات الذخائر الكريمة ، مما تخصصت به الفلاسفة الكرماء [٣٩٤] القدماء ، والأكابر من العلماء ، وأصحاب الفلسفة الإلهية ، والحقائق العقلية ، والأسرار المكتومة وذلك أن بالوقوف عليه والوصول إليه تكون معرفة الإنسان بنفسه وتصح له ذاته ، ويعرف وجوده

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ المميزة : سقطت في ص .

٣ تكريره : التكرير في ب .

بعد موته ، وبمعرفة ذلك يعرف ربه الذي هو متوجه إليه ، وقاصد نحوه منذ خلق إلى يوم وفاته .

[فصل

في ذكر القوة المتخيلة وما يليها من القوى إلى القوة الناطقة ^١ :
اعلم أن القوة المتخيلة ، إذا تناولت رسوم المحسوسات من القوة الحساسة ، فإنها تجمعها كلها ، وتؤديها إلى القوة المفكرة ، التي مجراها وسط الدماغ ، حتى تميز بعضها من بعض ، وتعرف الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، والنافع من الضار ، ثم تؤديها إلى القوة الحافظة ، التي مجراها مؤخر الدماغ ، فتحفظها إلى وقت الحاجة والتذكّر . ثم إن القوة الناطقة تناول تلك الرسوم المحفوظة ، والعلوم المجموعة ، وتعبّر عنها عند البيان ^٢ للقوة السامعة من الحاضرين في الوقت [٣٩٥] .

ولما كانت الأصوات لا تتمكث في الهواء إلاّ ريثما تأخذ الأسماع منها حظها ، ثم تضمحل ، اقتضت الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية ، بأن قيدت تلك الألفاظ بصناعة الكتابة ، وأودعتها وجوه الطوامير والألواح ، ليبقى العلم مقيداً بصناعة ^٣ الكتابة ، فائدة من الماضين الغابرين ، وأثراً من الأولين للآخرين وخطاباً من الغائبين للحاضرين ، وهذا من جسيم نعم الله على الإنسان كما ذكر في كتابه فقال : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ 》 ^٣ .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ البيان : اللسان في ص .

٣ سورة ٩٦ : ٣ ، ٤ ، ٥ .

[فصل]

واعلم أيها الأخ أنه إذا فكر الإنسان في هذه القوى ، التي تقدم ذكرها ، وكيفية سريان قواها في أعضاء الجسد وتصرفها في إدراك هذه المحسوسات ، وتصورها رسوم المعلومات ، وإطلاع النفس عليها كلها في جميع حالاتها ، يكون هدايةً من نفسه ، ودليلاً من ذاته ، أن للنفس الكلية قوى كثيرة في فضاء الأفلاك ، وأطباق السماء ، وأركان الأمهات في الحيوان ، والنبات ، موكلة بحفظ الخليقة ، ومرتبةً لصالح [٣٩٦] البرية ، وهم ملائكة الله جل جلاله وتعالى ذكره وخالصته^٢ من عباده ، وصفوته من بريته ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾^٣ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^٤ من غير كلام ولا خطاب ، فهكذا هذه القوى يتصرفن في حوائج النفس ، من غير كلام منها لهن ، ولا خطاب ، ونبين أيضاً أن الله جل ثناؤه مطلع على [أسرار جميع] العالمين وأحوالهم لا يغرب عنه من أمرهم مثقال ذرة ، كما أن نفس الإنسان مطلعة على جميع أسرار محسوسات حواسها ، ومعلومات قواها ، وهي منقادة لأمرها فيما يأتون به من أخبار محسوساتها من غير كلام منها ولا خطاب منها لها ، فسبحان الله و ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^٥ .

ولما كانت هذه الفصول بأجمعها قد ذكرناها في هذه الرسالة أعني

١ فصل : سقطت في ص .

٢ وخالصته : وخاصته في ص .

٣ سورة ٦٦ : ٦ .

٤ سورة ١٦ : ٥٠ .

٥ أسرار جميع : سرائر في ص .

٦ سورة ٢٣ : ٨٧ .

رسالة الإنسان عالم صغير ، وكررنا القول عليها في هذا المكان من هذه الرسالة الجامعة ، بالبرهان الشافي ، والبيان الكافي ، إذ كان لا بد من ذكرها وإعادتها حتى تتصورها العقول ، وتتقرر في [٣٩٧] النفوس معرفتها ، لأنها معرفة قراءة كتاب الله الذي كتبه بيده ، والوقوف على الصراط الذي نصبه ، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة ما ذخرناه لها ، وخصصناها به ، لتكون لها الفضيلة العالية ، والرتبة السامية على ما تقدمها ، مما جعلناه مقدمات بين يديها ، ودلائل عليها ، وهي معرفة الإنسان الديني ، والشخص العلمي ، الذي بمعرفته يستحق الإنسان اسم الإنسانية ، ولذلك قيل إن الله أسس دينه على مثال خلقه ، ليستدل بخلقته على دينه ، وبدينه على وحدانيته ، لأنه جل اسمه لما أظهر موجوده وجعله مكاناً لجوده عليه ، وإحسانه إليه ، أن عرفه توحيده ، ودعاه إلى تسبيحه وتمجيده .

فصل

في معرفة الإنسان الكلي التام ، الذي من أجله خلق الإنسان الجزئي ، وأنه الصراط الروحاني المحض ، والروح القدس الخالصة ، وأنه بمنزلة الميزان . القسط ، القائم بالحق ، به توزن الأعمال ، وتختبر الأفعال . ولما شرطنا على أنفسنا أن لا ندخر من العلم الغامض المستكن ، والباطن [٣٩٨] الصعب المستجن ، شيئاً وصلنا إليه ، وقدرنا عليه ، إلا قلنا منه فيها بحسب ما يمكن في كل موضع منها ، وما يليق به من القوة التي [تصدر عنها]^١ من توفيق الله سبحانه ، وحسن الثقة به ، والاتكال عليه والإتابة إليه ، وأنا

١ تصدر عنها : يصدرها في ب .

لم نرد بما ذكرناه إلا وجه الله جل ثناؤه ، والدار الآخرة ، وتنبيه الغافلين ،
ويقظة الساهين ، وتذكّار الناسين ليخرجوا من القبور المظلمة ، والبيوت
المقفرة ، إلى نور الحق والهداية ، [وضلالة الجهل والعماية]^١ إلى نور
الشمس الصافية ، والسماء الصاحية ، والنجوم الزاهرة ، والكواكب الطالعة ،
ذوات الأنوار اللامعة ، إذا خلصوا من أسر الطبيعة ، وقيد الهوى ، ونجاسة
المعصية ، فإننا نؤمل من الله سبحانه بذلك أن يمدنا بنوره ، ويشرح صدورنا
لذكره ، بمنه وجوده .

فصل

[في الإنسان الكلي]^٢ : اعلم يا أخي أيّدك الله [وإيانا بروح منه]^٣
أن القول مناقد سبق ، [٣٩٩] والبرهان عليه قد تحقق ، أن عالم الأفلاك ،
وسكان أطباق السموات من لدن الفلك المحيط ، إلى منتهى فلك القمر ، هو
عالم روحاني شريف نوراني ، قائم بذاته ، مستكملة آلاته ، مستغن بذاته
الطاهرة ، وجواهره الفاخرة ، فهو كمثل إنسان طائع لباريه ، مقرر بتوحيد
خالقه ، ناطق بلسان صادق بالتسبيح ، والتقديس والتهليل ، والتكبير ، والتمجيد ،
والتحميد على الدوام ، وأن ذلك هو غاية أنسهم ولذاتهم ، بنعمات لذيذة ،
وألحان مطربة ، وأن ذلك هو الروح والريحان والخيرات الحسان ، مجموع لهم
فيه السعادة الكاملة ، والنعمة الشاملة ، صورهم ملكية^٤ ، وأرواحهم قدسية ،

١ وضلالة الجهل والعماية : سقطت في ص .

٢ في الإنسان الكلي : سقطت في ب .

٣ وإيانا بروح منه : سقطت في ص .

٤ ملكية : ملائكة في ص .

يتلقون المواد الإلهية ، بوساطة الجواهر العقلية ، والبسائط النفسانية ، وسكناهم الهيولي الأولى النورانية ومنزلتهم^١ الدار الحيوانية الفاضلة ، ينبوع مخالف لما تحت فلك القمر ، إذ كانت الأفلاك المقول عليها بأنها طبيعية خامسة وهيولي أول^٢ [٤٠٠] فقد بان^٣ بالبرهان معرفة هذا الإنسان الطائع لباريه ، الذي لا معصية فيه ، وهو الإنسان الكلي الفاضل ، لأن ما تحته مثال له .

فصل

في معرفة الإنسان الجزئي :

ثم إن ما دون فلك القمر ، الذي هو مركز الأرض ، وما عليها ظاهر منها وفيها ، هو عالم جزئي ونفوس جزئية ، وأنها كلها بجميع ما عليها من الموجودات بأسرها ، تشبه حيواناً واحداً ، وأن فيها نفوساً متفرقة ، وجواهر مقسمة ، ذوات أجسام مركبة ، وأن من نفوسها نفوساً خيرة فاضلة ، تشبه الملائكة بالقوة ، ونفوساً نجسة ، رجسة ، متفرقة ، متخلقة عن الظلمة فهي شياطين وأبالسة بالقوة . فهذا هو الإنسان الجزئي . ولما كانت الصورة الإنسانية ، والخلقة البشرية ، المتحدة بها النفوس الناطقة ، والقوة العاقلة ، واسطة بين هذين العالمين ، فهي من العالم الروحاني متصلة بنسبة النفس الناطقة ، والقوة العاقلة ، [٤٠١] ومتصلة بالعالم الجزئي ، والمركز السفلي ، بالهيولي الطبيعية ، والصورة الجسمانية . فلذلك قلنا إنه مجموع من العالمين . فقد صح بالبرهان القول عليه والإشارة إليه .

١ ومنزلتهم : ومنزلهم في ص .

٢ أول : أول في ص .

٣ بان : صحت في ص .

فصل

في معرفة الإنسان العلمي والشخص الديني :

وأما القول على معرفة الإنسان الديني ، والشخص العلمي ، الذي هو النفس القدسية ، المؤيدة من قوة الكلمة الإلهية ، الذي به معرفة الأشياء بحقائقها ، وبه يكون الوصول إلى معرفة إبداع الخلق الأول : وهو جوهر به تجوهرت الجواهر ، وعقل عقلت به المعقولات ، وبه الوصول إلى توحيد الباري جل اسمه ، وتعالى ذكره ، وهو القوة التي بها ترتب العقل في مرتبته اللاتقة به ، وما دونه من النفس وغيرها ، كل في حقه ومستحقه : إن الناطق به والمخبر عنه [بجملة ، والموجود فيه بكلية]^١ ، هو الباري بالحقيقة غير محاط به ، ولا مشار إليه إشارة أنية ، ولا متصور بصورة كيفية ، وإنما يقال له ما يقال من ذلك بالتقريب ، لا بالتشبيه ، تعالى الله عن ذلك علواً [٤٠٢] كبيراً . [وهذه بركة ورحمة فاحفظه تفز به إن شاء الله تعالى]^٢ .

فصل^٣

اعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه أن العلم الذي به الوصول إلى الإقرار بالله سبحانه أنه واحد ، وأن العقل منه بدأ ، وأن الأمر عنه صدر ، وأن العقل محدث ، مخلوق مبدع ، وأن له خالقاً ، وأنه محتاج إلى وجود

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ جاء في عنوان هذا الفصل في النسخة ص مايلي : في فضيلة العلم المعلوم به توحيد المبدع وترتيب سلطانه .

مبدعه ، وأنه قابل للأمر ، مطيع لباريه ، خائف منه ، مجتهد في عبادته ، وأن النفس دون العقل بالرتبة والمنزلة ، وأن الكلمة متحدة بالعقل الأول ، وأنه يفيض الجود على النفس ، وما يتفرع من هذه الأصول ، وهذا القول والبرهان يدل على أنه جوهر مباين لجوهر العقل والنفس ، وأن العقل هوى له والنفس ساكنة إليه ، مطمئنة به ، وأن المخبر بذلك ، عن العقل والنفس أنهما مخلوقان ومحدثان مربوبان ، هو القوة الناموسية المؤيدة بكلمة الله ، إذ كان لا يخبر بحقيقة الشيء ، وبالإحاطة به ، والقدرة عليه إلا خالقه ، وباريه [٤٠٣] المطلع عليه ، الذي لا تخفى عليه من خلقه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ولما كان العلم خاصاً لحقائق الموجودات بأسرها ، حاكماً عليها ، وهي به تعرف ومنه توصف ، وهو المرتب لها مراتبها ، ومعطيها الفضائل اللائقة بها بكل واحد منها ، يسبقها إلى ما اتحد بها من قواها ، وكونها في أماكنها ، وأنه الفاصل الذي يفصل به الحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، وبه يتحد العقل بالفضيلة الأولى^١ ، ويختص بالسبق والمنزلة على النفس اللاحقة^٢ به ، وأنها دونه ، وكذلك القول به على معرفة ما دونها ، ووصفه ما صدر عنها . فبالبرهان الصادق قد دل على أنه الشخص الجامع لجميع فضائل جواهر الموجودات ، من البسائط والمركبات ، ذوات الأنفس الروحانيات ، والصور الجسمانيات ، ولذلك وصف الله تعالى به نفسه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^٣ ويقال : الله العالم ، ولا يقال العاقل . فلذلك قلنا : إن العلم بماهية العقل ، وكيفية إيجاد من أمر الله عز وجل ، وإن الله جل اسمه ألقاه من أمره إلى من اصطفاه من خلقه واستصفاه ، [٤٠٤] ليدلوا به

١ الأولى : الأولى في ص .

٢ اللاحقة : اللاحقة في ص .

٣ سورة ٦ : ٧٣ .

عليه ، ويدعوا خلقه إليه ، وأنه مبني على مبان متقنة وظاهرات من السنة
فصيحة ، وأدوات صحيحة .

فصل

في القول على معرفة الأصل الفاضل الجامع لجميع الفضائل :
واعلم يا أخي [أيدك الله وإيانا بروح منه]^١ أن هذا الأصل هو الذي
من أجله خلقت السموات والأرض ، وما فيهما ، وما بينهما وهو الحق
المخلوق به الذي قال الله فيه : ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^٢
وهو الصورة المتممة المقومة لذات كل شيء ، وأنه متى عدمه الإنسان لا
يستحق الاسم الواقع به إلا بالإشارة إليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا
يُبْصِرُونَ ﴾^٣ إذ لا علم عندهم ، وقال : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾^٤ لجهلهم وغفلتهم ، ومن لا علم عنده ، ولا عبادة له لا
رب له ، إذ لو كان له رب يعرفه لعبده ووحده . فبالبرهان أن الحلقة كلها ،
والفطرة بأسرها ، للعلم خلقت ومن أجله أبدعت ، وبالعلم يعرف جود الله ،
ويصح وجوده ، ومعرفة حقائق موجوداته .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سورة ١٠ : ٥ .

٣ سورة ٧ : ١٩٧ .

٤ سورة ٢٥ : ٤٤ .

[فصل] ١

واعلم يا أخي أن تشخيص هذا الجوهر الفاضل متى يظهر للحس وتذكره [٤٠٥] الحواس ، صعب جداً إلاّ على المرتاضين بالعلوم الإلهية ، والحكم العلوية ، والتأييدات الربانية فاحتفظ به أيها الأخ ، ولا تلقه إلاّ إلى أهله ، فإن الرسالة كلها بأجمعها من أولها إلى آخرها مبنية عليه ، مشيرة إليه ، وهو الغرض المقصود في جميعها . وهو موضع الحكمة وسر الحلقة ، وهو الأمر الذي فوق العقل والنفس ودون الباري تعالى وعلمه المكنون ، وسره المخزون ، ومنه بدا وإليه يعود ، ولا يمكننا القول عليه والإشارة إليه بالبيان في مكان واحد ، بل نقوله ونذكره في فصل من هذا الموضع ، ونرمز به في غيره بالتلويح القريب من التصريح ، والإشارة القريبة من العبارة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فصل

في معرفة بنية العالم العلوي :

وذلك أن الحكماء الأولين ، والعلماء الإلهيين ، ذكروا أن استقامة أمور الأفلاك ، بالنسبة الفاضلة ، والقسمة المعتدلة ، والطبيعة التي لا تضاد فيها ولا زيادة ولا نقصان ، وأن الكواكب [٤٠٦] سبعة هي الشمس ، والقمر النيران^٢ ، وزحل ، والمشتري ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد ؛ والبروج اثنا عشر ، وهي الحمل ، والثور ، والجوزاء ، السرطان ، والأسد ،

١ فصل : سقطت في ص .

٢ النيران : سقطت في ص .

والسنبله ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت ،
وأن هذه البروج كالأجسام ، وأن الكواكب كالأرواح ، وروحانياتها ، وقواها
المختصة بكل واحد منها ، هم الأهل والسكان ، ورتب الباري سبحانه لها من
المراتب العلية ، والحدود السامية ، والدرجات في العالم الأعلى ، وأن الفلك المحيط
حائط^١ بها كلها^٢ ، وأنها كلها تسبح فيه ، وهو الحائط بها والمحرك لجميعها حركة
اختيارية فائدة لها إلى ما هو أصليح ، ومرقية^٣ لها إلى ما هو أنفع ، موصلها
تارة إلى الفوائد العالية ، لتستمد منه مرة ، ويحيطها تارة أخرى ، لتتصل منها
بما دونها الفوائد التي تصدرها إليها عنه ، فلما كانت السبعة والاثنا عشر
موجودة في عالم الأفلاك ، ظاهرة للحس ، موجودة في العلم ، وجب [٤٠٧] أن
تكون مثلها فيما دونها ، إذ كان بالمثل متسبباً إليها ، إذ كانت له كالأصل
وهو كالفرع ، فكانت الأرض التي هي المركز كذلك يوجد فيها سبعة أقاليم
واثنا عشرة جزيرة . وقد ذكرنا في رسالة جغرافيا ذلك ، وبيناه شافياً . وأن
السبعة الأقاليم ، والاثني عشرة جزيرة تجمع جميع ما على وجه الأرض من
النبات ، والمعادن ، والحيوان ، وما يستقر عليها ، ويكون غذاؤه منها .
فلما كان ذلك كذلك وجب^٤ بالبرهان وجود السبعة والاثني عشر فيها ،
ثم نظرنا بنية جسد الإنسان فوجدناه مماثلاً لهذه البنية ، مؤسساً عليها جسمه ،
مبنية عليها صورته . وذلك أنه مركب ، مؤلف من سبعة جواهر ، واثني عشر
ثقباً هي تجمع جميع حواسه ، ومجاري أنفاسه ، وقد تقدم ذكرها ، ثم طلبنا
وجود الأصلين اللذين هما الأس المعتمد عليه ، وبهما يكون وجود الشيء .

١ حائط : سقطت في ب .

٢ كلها : سقطت في ب .

٣ ومرقية : ورق في ب .

٤ وجب : صح في ص .

المشار إليه ، وظهوره من العدم إلى الوجود ، وهما الجسم والروح ، ولما كان الفلك ظاهر الوجود [٤٠٨] وجب أن يكون جسماً . ولما كانت حركاته خفيفة وجواهره لطيفة ، وجب أن يكون بنوع غير النوع الأرضي . ولما كانت طبيعته معتدلة ، وهيلاه لطيفة ، وجب أن تكون النفس المتحدة هي النفس الكلية الشريفة ، الخالصة من الشوائب الطبيعية ، والتغيرات الأرضية ، فلذلك صار عند البقاء دائم الوجود على الحالة الفاضلة ، والجلالة الكاملة ، وكذلك وجدنا الأرض ، وما دون فلك القمر جسماً وروحاً ، فاللذان هما بالجسم أشبه : الماء والتراب ، واللذان هما بالروح أشبه : النار والهواء ، وكذلك الصورة الإنسانية ذات طبيعة وجسم ، ونفس ، وروح . ولما كان جسم الإنسان صفوة الطبائع لما يتناوله من لطائف غذائها يتوسط النبات والحيوان بينه وبينها ، وجب أن تكون روحه ونفسه أشف وألطف من الهواء والنار ، وأخف وأبسط . ولما كان التضاد ، والخلق ، والازدواج ، موجودة في المخلوقات بأسرها ، مطردة عليها بأجمعها [٤٠٩] لتكون الجلالة ، وخالص التوحيد ، والتنزيه^١ لله سبحانه ، وطلبنا ذلك في عالم الأفلاك وسكان السموات ، وكيف يكون وجود فعله في الكواكب والبروج ، فرأينا النحاس والسعود العقدين : الرأس والذنب ، وما يحدث بهما من كسوف الشمس ، وخسوف^٢ القمر ، واحتراق الكواكب ، ثم طلبناه في المركز الأرضي ، والشخص الجزئي ، [والعالم السفلي]^٣ فرأينا البرد ، واليبس ، ثم طلبناه في الجسم الإنساني ، والشخص البشري ، فرأيناه سوء المزاج ، وما يحدث من النفوس ، من فعل الخير والشر ، فلما صحت لهذه الأشخاص في الوجود بالحس ، بهذا

١ والتنزيه : والتقدير في ص .

٢ خسوف : سقطت في ب .

٣ والعالم السفلي : سقطت في ص .

البرهان ، بقي وجود الإنسان الرابع ، وهو الصراط الخفي ، والسر الدقيق ، وهو العلم الذي رتب الأشياء كلها ، وطلبنا وجود آلاته ، وأشخاصه التي بدا منها ، وصدر عنها ، فذكرت الحكماء أن العلم موجود ، قائم بسبعة أشخاص فاضلة ، كائنة في سبعة أوقات ، يظهر مع كل واحد منهم من قوة روح القدس ما يكون به الإخبار عن الأشياء كلها ، وإن كل واحد منهم ، إذا [٤١٠] ظهر في زمانه ، أقام لإبلاغ رسالته ، وبيان موعظته ، وتعليم آياته وصفات معجزاته ، اثني عشر رجلاً من أجلة أصحابه ، وأقاربه ، وأهل بيته ، ليبلغوا عنه ما أرسل به إلى أمته ، ويعينوه في إظهار دعوته ، ثم ينبث عن كل واحد منهم رجال عدة ، لا يحصي عددهم إلا الله ، كما ينبث من قوى الروحانيات السبعة الكواكب في الاثني عشر برجاً ، من الملائكة والجنود ، وما يبدو عنهم ومنهم من الأفعال والأعمال ، والأقوال ، والتسبيح ، والتقديس والتهليل ، والتكبير ، والعبادة ، وما يحدث من القوى السبعة الموجودة في جسم الإنسان ، وما يخرج منه من أنفاسه من الثقب^١ ، وما يبدو من حواسه وأعماله ، وما يتركب في صنائعه ، وكلامه ، وألفاظه مما لا يعلمه إلا الله ، وكذلك ما يتكون في الأقاليم السبعة والجزائر الاثني عشرة ، من المعادن ، والنبات ، والحيوان ، مما لا يعلمه إلا الله ، وكذلك الشخص الزماني أيضاً موجود [٤١١] بسبعة أيام ، واثني عشر شهراً ، والسنة جامعة لها كلها ، وما يتفرع منها من الساعات ، والدقائق ، والدرجات ، مما يعرفه أصحاب النجوم ، ولا يخفى على أهل العلم ذلك [والسنة جامعة لها كلها]^٢ وكذلك الفلك المحيط جامع لما دونه من الأفلاك ، وكذلك الأرض جامعة لما فيها من جميع الموجودات ،

١ الثقب : النفث في ص .

٢ السنة جامعة لها كلها : سقطت في ص .

ودائرتها محيطة^١ بجميع ما فيها ، وما حوته ، وكذلك سطح جسم الإنسان حائط بجميع أعضائه ، وجوارحه ، وأدواته ، وآلاته ، وكذلك نفسه محيطة^٢ بجميع قواها ، وما يبدو منها ، ويصدر عنها ، وكذلك الرئيس السابع ، الآتي في آخر الزمان ، سيد إخوان الصفا ، هو المحيط^٣ بعلوم من تقدمه من الرؤساء الستة ، وبظهوره يكون ظهور السعادات كلها [سلام الله تعالى على ذكره]^٤ وهو تمام العالم ، وعود الخلق إلى أوله ، ورجوع الحق إلى أهله ، وكذلك العلم [٤١٢] بجميع هذه الأشياء وهو المحيط^٥ بها ، وبه تعرف نهايتها ، وبدايتها ، إنها من الله سبحانه كانت ، وعنه بدت ، وإليه تعود ، ومنه المبدأ والمعاد ، وهو المنشيء النشأة الأولى ، ومعيد النشأة الأخرى ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^٦ والأمثال العليا .

فبالبرهان أن العلم بتوحيده ، ومعرفة ما أبدعه من موجوداته ، وغرائب مصنوعاته ، هو أمره الأول ، الذي هو فوق الأمر الثاني والنفس ، وهو الكلمة التي منه بدت ، وإليه تعود ، الممجدة عن الصفة والإضافة ، إلا بما وصف به نفسه ، ودعا إلى عبادته وطاعته . فهذا يا أخي أجل العلوم قدراً ، وأنفسها ذكراً قد ألقيناه إليك ، وجعلناه وديعة عندك ، ولم نرَ أن نكتبه بالحروف التي ألفناها ، بالصورة التي عكسناها ورأينا أن نترك الحكمة صافية كما نزلت ، ولانشوبها بكدر عسى الظمان أن يروى ويشبع بديرها ، ويداوي

١ محيطة : حائطة في ب .

٢ محيطة : حائطة في ب .

٣ المحيط : الحائط في ب .

٤ سلام الله تعالى على ذكره : سقطت في ص .

٥ المحيط : الحائط في ب .

٦ سورة ٢٠ : ٨ .

حرارة كبده [٤١٣] يبرودتها ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

في أن العالم كله من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض ، جسم واحد ، وأن روحه كلمة الله :
واعلم أيها الأخ الفاضل البار الرحيم أيذك الله وإيانا بروح منه ، أن العالم كله بأفلاكه العالية ، وسماواته السامية ، وما فيه من الأنوار الروحانية والأنفس المتحركة ، والقوى السارية في الأركان الجرمانية ، والأجسام الطبيعية ، وسائر المخلوقات ، مما حوته السموات والأرض ، من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، جسم واحد منتهى لقبول الفيض الكلي من باريه سبحانه ، وتعالى ذكره ، وأن كلمة الله متصلة به ، تمتد بالإفاضة والجود ليتم ويبقى في الوجود ، وأن أول فيضها واتحادها بالمبدع الأول ، الذي هو العقل الفعال ، ثم بوساطته إلى النفس الكلية ، وهو العقل المنفصل ، ثم بوساطة النفس الكلية إلى الهيولى الأولى ، ثم بوساطة [٤١٤] الهيولى الأولى إلى الجسم المطلق ، ثم تنبث في العالم بأسره ، وأنها مختصة من الأشخاص الإنسانية الفاضلة بالأنبياء ، والعباد الصالحين ، وأن الصورة الإنسانية خليفة الله في أرضه ، القائم بتدبير عالمه السفلي ، وأن له في كل زمان ومع كل قران شخصاً فاضلاً ، يلقي إليه من أمره ما يكون به صلاح أهل ذلك الزمان ، ودلالته عليه ، وعبادتهم له ، وأنه هو المستخلف^٢ لذلك الشخص لله ،

١ سورة ٢ : ٢١٣ .

٢ المستخلف : المتحق في ب .

إما بكلامه ، أو بوحيه ، أو من وراء حجاب ، إحاطة بما بين يديه وما خلفه ، وأنه يكون وجهه ، ولسانه ، وترجمانه ، ومن يتلوه من أهله ، ويخلفه من رؤساء شريعته : اللاحق به أولهم ، يكون أقربهم منه . فوجهه في العالم البسيط الروحاني العقل ، وتاليه في عالم الأفلاك ، وأنوار السموات الشمس والقمر ، وفي العالم الإنساني رأس زمان العالم ، وأفضل الناطقين المخبر بالحكمة من نبي وصاحب شريعة ، ومن يتلوه شاهد منه على أهل [٤١٥] شريعته وأصحاب دعوته ، ثم تكون الأمم^١ كلها جسماً واحداً ، والنبي رأسه ، وخليفته فيهم قلبه ، وأصحابه حواسه وآلاته ، وعلمه الباطن روحه ونفسه ، وعلمه الظاهر حركته ، وعبادته ، من طهارته ، وصلاته ، وصومه ، وحججه ، وزكاته ، وجهاده ، ومفروضات دينه ، وسنن شريعته ، والمحرك له بذلك ، المرسل إليه من يهديه ، ويرشده ، ربه جل اسمه بأمره ، وكلامه ، ووحيه ، فمن كان من العالم طائعاً لربه^٢ ، متقاداً لطاعة رئيسه ، عالماً بما جاء به من ربه ، عارفاً بحقائقه ، وموضحات طرائقه ، متمسكاً بظاهره ، مصدقاً بباطنه ، عارفاً بغرضه طائعاً لخليفته من بعده ، فهو ذو جسم طاهر ، فاضل بما يظهره من طهارته ، وصلاته ، وزكاته ، وصيامه ، وحججه ، وجهاده لأعداء دينه ، من الكفار والمنافقين ، وذو روح حية خيرة فاضلة شريفة ، يكتسب ، بذلك صورة روحانية ملكية ، يرقى بها في درجات الجنان ، والدخول [٤١٦] في زمرة الملائكة ، وفسحة الرضوان ذات الروح والريحان ، ومن أقبل على ظاهر الشريعة دون باطنها ، كان ذا جسم بغير روح ، ناقص آلاته ، فلا يزال مستخدماً في الشريعة ، مقارناً للطبيعة ، حتى يكتسب روحاً كاملة ،

١ الأمم : الأمة في ص .

٢ لربه : لباريه في ص .

ونعمة شاملة ترفعه إلى السماء العالية ، والدرجات^١ السامية ، ومن كان مقبلاً
على العلوم الحقيقية والآراء الفلسفية^٢ ، والأسرار العقلية ، وهو متغافل عن إقامة
الظواهر الشرعية ، والسنن التكليفية ، فهو ذو روح قد تعرت من جسدها ، وفارقت
كسوتها الساترة لعورتها ، فيوشك أن تكشف سوءته ، وتنهتك في العالم عورته ،
إذا خرج بصورته المجردة في غير أوانها ، ونطق بالحكمة في غير زمانها ،
فلا شك أن حقه يزهدق ، وشمله يتفرق ، وعلمه يتمزق ، أعاذنا الله وإياك
يا أخي من هاتين الطريقتين ، العادلتين [٤١٧] بأهلها عن الصراط المستقيم ،
والحق المبين ، والطريق الواضح القويم ، وهدانا وإياك الوقوف على الطريقة
الوسطى ، الصراط الذي لا عوج فيه ولا ميل ، صراط مستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٣ غير المغضوب
عليهم ولا الضالين . واعلم يا أخي [أيديك الله وإيانا بروح منه]^٤ أن المغضوب
عليهم هم الذين انقطعوا عن ظواهر النواميس الإلهية ، والفرائض الشرعية الدينية ،
الذين أمرهم الأنبياء بإقامتها على حقها ، ومعرفة حقائقها ، وحذروهم من
تركها ، والإهمال لها ، إذ حضروا أوقاتها . « والضالين » هم الذين ضلوا
عن حقائقها ، وجهلوا علومها . والواقفون على الصراط المستقيم ، الذين
هم لا مغضوب عليهم ولا ضالون ، هم الذين اتبعوا الأنبياء على سنتهم ،
وتعلقوا بمن خلفهم^٥ من بعدهم ، فهم بهم مؤمنون ، وإليهم منقادون ،
ولأمرهم تابعون ، يعملون من الظواهر ما يأمرونهم ، ويقيمون ما أقاموه

١ الدرجات : الروحانيات في ص .

٢ الفلسفة : العقلية في ص .

٣ سورة ١٠ : ٦٢ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٥ خلفهم : خلفوه بعدهم في ص .

لهم منها ، ويتحققون [٤١٨] من العلوم ما ألقوه إليهم من حقائقها ، فهم بذلك آمنون يوم الفزع الأكبر ، لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون فتدبر هذا الفصل أيها الأخ وتفكر فيه ، ترشد إن شاء الله تعالى .

[تم النصف الأول من الرسالة الجامعة ذات الفوائد النافعة بحمد الله ومنه وصلواته على محمد وآله]^١ ويتلوه النصف الثاني منها .

قد وقع الفراغ من زبد النصف الأول من الرسالة الجامعة يوم الخميس الأول من شهر المحرم الحرام أول شهور سنة ١٣٣٨ هـ المطابق للتاريخ الخامس والعشرين من شهر سبتمبر من سنة ١٩١٩ كتبه الأقل الراجي رحمة ربه الأجل أمين بن علي الكاتھياواري وطناً الكادهكروي مسكناً ثبته الله تعالى على طاعته وعلى طاعة جميع حدوده العلويين والسفليين الروحانيين والجسمانيين بحق سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين آمين يا رب العالمين في بلد برهانپور للمدرسة الحكيمية [٤١٩] الواقعة في بلد برهانپور من ضلع غاثر حرسها الله تعالى بحق سيدنا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين آمين يا رب العالمين .

١ لم ينته القسم الأول في النسخة من بل أضاف إليه المحقق عدة صفحات من القسم الثاني .
بينما أشار في الهامش إلى أن القسم الأول انتهى في (ب . د) .

السَّيِّئَاتُ الْجَامِعَاتُ

« ذات الفوائد النافعة »

النصف الثاني

تأليف الإمام المَسْتَوْر

أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق

٢ - النصف الثاني من الرسالة الجامعة ذات الفوائد النافعة لمولانا صاحب الرسائل وجمع الفضائل الإمام المستور أحمد عليه صلوات الله الغفور . وبه أستعين .

بسم الله الرحمن الرحيم في جميع الأمور

فصل

في الرسالة الثالثة عشرة في نشوء الأتفس الجزئية في الأجساد البشرية والأجسام الطبيعية ، وكيفية انبعائها منها وارتفاعها إلى رتبة الملائكة المقربين ، ودار الروحانيين ، ومستقر النورانيين ، أعلى عليين ، بالأعمال الصالحة ، والمتاجر الراجعة ، واتضاعها واستفالها إلى رتبة الشياطين ، ودخولها في جملة إبليس اللعين ، وحزب الشيطان الرجيم ، بأعمالها القبيحة وأخلاقها^١ السيئة ، وعاداتها الرديئة ، وانحطاطها إلى الهاوية ، وخلودها في نيران جهنم الحطمة الشاوية ﴿المُوقَدَةُ﴾ التي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ^٢ . وإذ قد انتهى بنا القول ، أيها الأخ البار [٣] الكريم أيدك الله وإيانا بروح منه إلى القول على بيان ما قدمنا ذكره في هذه الرسالة ، فنريد أن نخبر

١ وأخلاقها : سقطت في ب .

٢ سورة ١٠٤ : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .

عن الغرض الذي قصدنا إليه فيها ليتبين لك معناه ، وينكشف لك عنه غطاؤه ، عساك تفوز مع الفائزين برحمته ، إنه أرحم الراحمين .

فصل

[في الغرض المطلوب منها]^١ :

وكان غاية الطلب في هذا البحث هو البيان عن كيفية بلوغ الإنسان ، بدوام انتقاله ، وتغير أحواله ، إلى حد كماله ، وآخر معاده ومآله ، وكيف يصير إلى رتبة الملائكة الأخيار ، ويصل إلى دار القرار ، ومحل الأنوار ، ولا يتهيأ له ذلك إلاّ بعد خلع العادة [وتتمام المادة]^٢ وبلوغ الإرادة ، ونهاية السعادة ، فعند ذلك يتهيأ له النظر إلى باريه ، بقلبه الطاهر ، ونوره الزاهر ، ويعرفه سبحانه حق معرفته ، ويجازيه بأحسن الجزاء ، وينقله إلى درجات العلى ، إما قبل الموت أو بعده بوجوده الصوري ، [٤] وجوهره النوري .

فصل

وقد تقدم فيما ذكرناه ، وبيناه وشرحناه من القول على بيان رسالة الإنسان عالم صغير ، في مثل هذا المعنى ، ما فيه كفاية وذكرى لأولي الأبواب . ولكن لا بد لنا من أن نأتي في بيان كل رسالة ، من وضوح الدلالة ، إذا انتهى بنا القول إلى شرح معانيها ، وتلخيص ما فيها ، لتكون هذه الرسالة جامعة لجواهر ما جعلناه مقدمات بين يديها ، ومبشرات

١ في الغرض المطلوب منها : سقطت في ص .

٢ وتتمام المادة : سقطت في ب .

بما تضمنتها [بالزيادة إليها] ^١ وذخرنا لها من القول ما يكون لها به الزيادة والفضل عليها . والذي حثنا على ذلك ، ودعانا إليه ، هو ما روي عن رسول الله ، إنه قال : إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه ، وكان من أعظم البدع [وأكبر الشنع] ^٢ ما قد اختلقه كثير من الجهال ، من زخرف المقال ، وقبيح الأفعال ، وسيئات الأعمال ، من التكذيب بيوم المعاد ، ورجوع الأرواح إلى الأجساد ، ليوم الجمع والتناد ^٣ ، ولتجزى [٥] كل نفس بما عملت ، كما أخبر الله سبحانه في كتابه الناطق المبين ، وبين عنه رسوله الصادق الأمين : ﴿ لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ الْوَّامَةِ . أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ . بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ وقال حكاية عن هذه الطائفة المذمومة والفرقة المشؤومة : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ ^٤ وقال الله لبيه : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ^٥ ولما كثرت دعاوى أهل الأفك وزخارف أهل الشك ، الساعين في الأرض بالفساد ، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَتَابَى اللَّهُ لِلَّهِ ﴾

١ بالزيادة إليها : سقطت في ص .

٢ وأكبر الشنع : سقطت في ص .

٣ التناد : الشاء في ص .

٤ سورة ٧٥ : ١ إلى ٥ .

٥ سورة ٣٦ : ٧٨ ، ٧٩ .

٦ سورة ٣٧ : ١٦ ، ١٧ .

٧ سورة ٣٧ : ١٨ .

أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ ، وذلك أنهم يتظاهرون بالأعمال الشرعية ، والديانات [٦] الناموسية ، رياء للناس ، وينمقون الأخبار ، ويروونها عن الأخبار ، من تشبيه الباري سبحانه وتعالى بالمخلوقين ، ووصفه بصفات المحدثين ، المربوبين ، تعالى الله عما يقول الظالمون . [علواً كبيراً] ٢ . وطائفة أخرى تكذب بيوم الدين ، وتخوض مع الخائضين ، لا يقصدون دين الحق ، ولا يقولون قول الصدق ، كما أخبر الله سبحانه لما سألهم ، عباده الصالحون ، وأولياؤه المخلصون ، وهم في جنة النعيم ، والملك المقيم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نَطْعِمِ الْمِسْكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ . حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ . فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ . فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ . بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَ صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ . كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ . كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ . وَمَا يَنْدَكِّرُونَ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ ﴾ ٣ الآية . فأخبر [٧] سبحانه في هذه الآيات بما هم عليه دائمون : ﴿ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ ٤ ، ومنهم طائفة أخرى زعمت أنهم يرون يوم القيامة ربهم رؤية الأبصار ، يأمر وينهى ، وإن الملائكة بين يديه قيام ، ملائكة للنار ، وملائكة للجنة ، وإنه يتولى حساب الخلائق بنفسه ، يأمر بأهل النار إلى النار ويأمر بأهل الجنة إلى الجنة ، ترضيه الحسنات ،

١ سورة ٩ : ٣٢ .

٢ علواً كبيراً : سقطت في ص .

٣ سورة ٧٤ : ٤٢ إلى ٥٦ .

٤ سورة ٩ : ١٢٦ .

وتغضبه السيئات ، ويحتجون فيما يتعلقون به من ظاهر هذا القول بقوله سبحانه : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^١ ولا يعتبرون معنى قوله جل ذكره : ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾^٢ ، أي بالأعمال الصالحة ، والأخلاق الزكية ، وإنما يبرز جل اسمه في ذلك اليوم ليفصل بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون ، وينصف المظلوم من الظالم ، وهو الغني عن أعمال عباده ، جل اسمه وتعالى [٨] ذكره ، والجهال لا يدرون كيف يكون هذا الوقوف ، في ذلك اليوم ، فهم يتخبطون في جهالتهم ، ولا يستيقظون من رقدتهم ، كل ذلك ليأكلوا ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾^٣ ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^٤ . ومنهم طائفة قد أُلحِدت في أسماء الله وعدلت عن أولياء الله ، ومنهم من زعم أنه قد وحد ربه بأن وصفه بصفة وجود الأجسام ، وما يلحقها من اللذات والآلام ، وأنه داخل تحت أحكام الزمان ، وممر الأيام ، وسموا نفوسهم بالتوحيد ، وهم بالحقيقة أصحاب التعطيل ، والكفر ، والتقليد^٥ ، أعاذنا الله وإياك أيها الأخ ، وجميع إخواننا من الوقوع في شباك هذه الطوائف العادلة عن الحق ، ومنهم من قال بجهله وأفكه ، وأسند ظهره إلى مستند^٦ شكه ، أن الروح لا معاد لها ، وأنها زبدة الطبيعة ، وثمره الأمهات ، وأنها بتحليل الأجساد

١ سورة ٧٨ : ٢٨ .

٢ سورة ٧٨ : ٣٩ .

٣ سورة ٩ : ٣٤ .

٤ سورة ٢ : ١٦٧ .

٥ التقليد : التنفيذ في ص .

٦ مستند : مستحكم في ص .

تتحلل ، وأنها لا وجود لها بعد مفارقتها الجسد ، فدعاهم هذا القول [٩] إلى استحلال المحارم ، وارتكاب العظائم ، والخروج من الدين ، والبعد عن جماعة المسلمين والمؤمنين ، وهم جهال الفلاسفة المعطلون ، وأهل الزيغ منهم عن الحق المبين ، المكذبون بيوم الدين . فلما رأينا مثل هذه الطوائف على هذه الحالة المذكورة ، والضلالة المشهورة ، قد تصدروا للكلام في المساجد ، والبيع ، والمحافل ، ليصدوا الناس عن دين الله ، والصراط ، ويعوقونهم عن الاتصال بأولياء الله ، ليأكلوا أموالهم ويضلونهم عن هدايتهم ، فعند ذلك رأينا وبالله التوفيق ، بسط ما ألقناه ، وشرح ما وصفناه في الاثنتين والخمسين رسالة ، وهذه الرسالة الجامعة ، وما ألقيناه فيها إليك ، ليكون ذكرى لك ولقومك ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١ وجعلنا هذه الكتب بركة الله علينا ، ونعمه الواصلة إلينا ، من أوليائه المرسلين بالرحمة إلى العالمين ، ومن خلفهم من أتباعهم ، وأهل بيوتهم [١٠] الطاهرين ، الذين أذهب الله عنهم رجس الشيطان ، وطهرهم تطهيراً ، وجعلهم لأهل أزمانهم ضياءً ونوراً . ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^٢ . وجعلنا القول فيها والغرض المقصود إليه من الجميع ، توحيد الله ، ومعرفة إذا عرف الإنسان نفسه ، وكيفية بنية جسده ، وعلم المعاد ، وصفة المتقلب ، وحقيقة القيامة ، وصفة الحلقة ، وأنها مبنية بالحق ، قائمة بالعدل ، وإن الله عز وجل ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾^٣ إلا أحصاها وأن الصراط المستقيم ممدود بين الجنة والنار ، منذ خلق السموات والأرض ، وأنه يحاسب

١ سورة ٢٤ : ٤٦ .

٢ سورة ٥٧ : ٢١ .

٣ سورة ٣٤ : ٣ .

الأنفس الجزئية ، ويجازي الأرواح بما كسبت يوماً بيوم ، وساعة بساعة ،
 بلا كلام ككلام المتكلمين ، ولا خطاب كمخاطبة المخلوقين من الجسمانيين ،
 بل بوحيه إلى ملائكته المقربين ، وأنبيائه المرسلين ، وأن الأيام الموصوفة
 في القرآن ، وما يكون فيها من [١١] التجلي ، والظهور ، والبروز لفصل
 القضاء ، وما يكون في يوم القيامة ، إنما هي إشارات خفية وأسرار لها معان
 تدل على أن الله سبحانه له في خلقه وجهاً كريماً ، ومقاماً جسيماً ، تتصل به
 الأنوار الملكوتية ، والقدرة الجبروتية ، ويكون به تجلي النور ، والبروز ،
 والظهور لفصل القضاء ، وإنه الحاكم بين خلق الله ، فيما كانوا فيه
 يختلفون ، يعني الوجه الكريم ، وإنه ترجمان الله سبحانه ، وذلك موجود
 في سيرة الملوك الأرضيين ، والملأ الجسمانيين ، فإن العظيم منهم [في قدرته]
 لا يكلم رعيته ، ولا يشافه بالكلام أهل مملكته ، إلاً بالسنّة من استخلصه
 منهم لنفسه ، واصطفاهم لخدمته ، كما قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^١ وقال لموسى : ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى
 النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾^٢ . وكذلك ما قدمناه من معرفة حقائق الأنفس
 الجزئية ، والأرواح الإنسانية ، [١٢] المتحدة بالأشخاص الجسمانية ، أن
 لها من قواها قوى باطنة مستجنة ، كامنة ، نسبتها إليها ، وقربها منها
 أقرب نسبة من القوى البادية الظاهرة ، وأن من قرب منها هو الواسطة
 بينها وبين من بعد من قواها عنها ، وأنهم كلهم يوحى بعضهم إلى بعض
 بما يفعلونه من أغراضها ، ويصدرونه إليها من أخبار محسوساتها ، وأنها
 قد أقامت من قواها المختصة بها من يتناول ذلك منهم ، ويميزه ويروي فيه ،

١ في قدرته : سقطت في ص .

٢ سورة ٢٢ : ٧٥ .

٣ سورة ٧ : ١٤٤ .

ثم يوصله إليها ، وأن ذلك منها إليهم ومنهم إليها ، بغير كلام ولا خطاب ،
وأنها إذا أوحى إليهم اتصل بهم بلا زمان، وإذا أدوا إليها اتصل بها كذلك،
فهم منها وليست منهم ، إذ كانوا عنها بدوا ولم تبدُ عنهم ، فهم لها
كالعبيد ، وهي لهم كالمولى ، إذ كانت سبب وجودهم ، وهي الممثلة لهم ،
كذلك خلق الله سبحانه هو المطلع على جميعه ، والموحي على من يشاء ،
ممن [١٣] يصطفيه من خلقه لهداية بريته ، بما يشاء ، ويوحي بعضهم إلى بعض
حتى يتصل من الأعلى إلى الأدنى ، وهم من الباري سبحانه بمنزلة العبيد ،
كلهم الخاص والعام ، قد جمعهم اسم العبودية ، وهو جل اسمه مولاهم
وسيدهم ، وخالقهم ، ورازقهم ، فلذلك قلنا : إن من عرف نفسه ،
فقد عرف ربه ، ووحده حق توحيده ، كما قال الحكيم الصادق النبي^١
الناطق : أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه ، ومن جهل نفسه فهو بربه أجهل ،
وعن طريق^٢ الحق أعدل ، وإلى صراط الباطل أميل .

فصل

[في جهل المنكرين لبقاء النفوس بعد مفارقتها الجسد]^٣ .
وإنما دعاهم إلى التكذيب ببقاء النفس بعد مفارقتها الجسد إذ لم يعرفوها
حق معرفتها ، ولا ما يختص بها من أفعالها وأعمالها المختصة بها ، وهي
مفارقة للجسد ، وإنها تفعل أشياء وتعمل أعمالاً ، لا تدرك بها غوامض
العلوم وتنام المنافع ، [١٤] لا تقدر الآلات الجسمانية عليها ، ولا المزاجات

١ النبي : المبين في ص .

٢ طريق : صراط في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الطبيعية تصل بمجرد ما إليها ، لولا ما اتحدت بها من القوى النفسانية ،
والتأييدات الإلهية^١ ، بما ألقى إليها من القوى العلوية ، والمواد العقلية ،
وإن النفس إنما قبلت ذلك الفيض ، وتلقت تلك المواد ، لقرب نسبة ما
بينها وبين العقل والأمر ، وإن الجسم لا يقبل شيئاً من ذلك ، كما يقبل^٢
الغذاء من الطبائع ، وبما اتصل به منها ، ويصدر إليه عنها ، فكل يقبل عن
جنسه ويميل إلى مثله ، ويرتبط بشكله ، وقد كنا ذكرنا أنا نورد البرهان
على بقاء النفس بعد مفارقة الجسد ، ونريد أن نذكر في هذا الموضع طرفاً
من ذلك ، تسعد به إن شاء الله تعالى .

فصل

[فيما يختص النفس من أعمالها والجسد من أفعاله]^٣ .
اعلم أيها الأخ الفاضل أيديك الله وإيانا بروح منه ، أنا لما اعتبرنا حال
النفس مع الجسد ، وبحثنا عما يختص به كل واحد من الأفعال ، [١٥]
وما يصدر عنهما من الأعمال ، فوجدنا الجسد تابعاً للنفس ، منقاداً إليها ،
واقعاً تحت أمرها ونهيها ، وأن جميع ما يظهر بالحس ، ويبدو باللمس ،
هو قوى منها محركة للجسد ، وإنها تخبر بالكائنات ، وتنذر بتزول الآيات
والبركات من السموات ، في أوقات القرانات ، وتقبل الوحي والأنباء ،
وتدل على المنافع والمضار بما تستخرجه من عقاير الحشائش ، وما يكون
في أجواف الحيوانات ، والتراب ، والمعادن . وإن ذلك يتصل بالأدنى

١ الإلهية : الروحانية في ص .

٢ يقبل : أنه في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

من الناس ، عن الأعلى منهم ، ثم لا يزال التفاضل يقع بينهم ، حتى تتصل تلك الفضائل بوجه ذلك الزمان ، ورئيسه ، المتلقي لها من الملائكة وحياء وإلهاماً . فلما اعتبرنا أقواله وأعماله وجدنا ظهور تلك الفضائل عنه ليست من جوهر ولا من لطائف الطبيعة الأرضية ، وإنه تأييد سماوي ، وأمر إلهي ، وإنه بقرب نسبته الفاضلة ، وأدواته الكاملة ، [١٦] يتلقى ذلك الفيض الشريف ، والعلم اللطيف . ثم كذلك كان قبول أهل زمانه عنه ، بالنسبة القريبة بينه وبينهم ، وإن كل واحد أخذ منه بحظه ، ونائل بقسطه ، ومنه كان تدبير الحالين ، وصلاح الأمرين أمر الجسد بما ينتفع به من غذائه ، ومضاره ومنافعه ، وما يكون من استقامة طبائعه ، وما يختص به من التدبير ، الذي يكون به صلاح أمره ، ودوام سلامته ، وما يختص بأمر النفس من صلاح حالها ، واستقامة أمرها ، ثم اعتبرنا حال الانفراد والاقتران^١ ، وبحثنا عنه ، فرأينا الجسم عند المفارقة يقع وقعة ، ويصرع صرعة ، فلا يكون له قوام ، ولا يطلق عليه اسم التمام ، ويقال لأنه نائم مات ، وتقبح صورته وتشوه خلاقته ، وتنفر الأنفس منه ، وتريد البعد عنه ، ويفارقه طبيبه ، ويمله حبيبه ، ثم^٢ لا يلبث أن يدسه في التراب ، ليوارى سوائه ، ويسر عورته ، تحنناً عليه ، وإحساناً إليه ، ثم تتفرق أجزاءه المركبة ، [١٧] وتختلط ببسائط جواهر الأمهات ، وترجع كل قوة جسمانية إلى كل هيولى طبيعية ، وتتعرى منه الصورة النفسانية^٣ ، فلا يكون إنساناً واقعاً عليه اسم الإنسانية أبداً . فبالبرهان من هذا المكان ان النفس إذا فارقت الجسد عادت إلى ما منه بدأت ، وعنه صدرت ، كرجوع الجسم إلى ما منه نشأ وعنه بدأ ، ثم تكون مرهونة

١ الاقتران : الافتراق في ص .

٢ ثم : سقطت في ص .

٣ النفسانية : الإنسانية في ص .

بما كسبت وعملت ، فلا تكون موجودة بآلات طبيعية ، ولا في أشخاص إنسانية ، ولا موصوفة بصفات جسمانية ، وإنما يكون لها ذلك إذا تمت لها صفاتها اللائقة بها ، الموصلة لها إلى كمالها ، الذي هو زهدا في الدنيا والبغض لها ، والتمني للخروج منها والعدول عنها ، فعند ذلك يقودها شوقها إلى مكان مطلوبها ، وموضع محبوبها ، كما يقود العاشق عشقه إلى معشوقه ، [١٨] والمشوق^١ إلى مشوقه ، وإن بعد داره وشط مزاره وبالبرهان إنما كان من الأمور المصلحة للجسم بوساطة النفس إنه غير منسوب إليه ، إذ لو كانت منه لكان مستغنياً عنه ، فلما انفصل عن أن تكون منه ، وجبت له الحاجة إليها ، والشيء لا يحتاج حاجة^٢ الضرورة إلا إلى ما هو أفضل منه . فبالبرهان أن جوهر النفس أفضل بالضرورة من جوهر الجسم ، وما كان من العلم الذي به صلاح أمر النفس ، والنفس محتاجة إليه ، فبالبرهان انه ليس هو منها بالحقيقة النفسانية ، بل هي مهياة لقبوله بما يعمله فيها باريها من القوة الفاضلة ، وإن العلم المتصل بها أمر إلهي ، بوساطة العقل إذ كانت به تعلم الشيء بعد الشيء وتخرج به من الحد إلى الحد .

ولما كان اتصال هذا الفيض بها متواتراً ، لا يفنى ولا ينقطع ليوصلها إلى كمالها ، كذلك كان انعطافها [١٩] على جسمها بالملاطفة له ، والقيام بحاله حتى تبقى على أحسن قوامه ، وأتم نظامه ، وإنه يميل إلى عنصره وشوقه^٣ إلى قراره يعدل عنها وينقلب منها ، ويميل إلى ما يكون به دماره ، وسبب بواره . فبالبرهان قد صح الرد على من زعم أن النفس جوهر أرضية ، وزبدة طبيعية ، فانية بفناء الجسد ، غير موجودة إذا فارقت ، ولا حية إذا

١ المشوق : الشائق في ب .

٢ حاجة : حاجات في ب .

٣ شوقه : تشوقه في ب .

عدمته . ولو كان ذلك كذلك لفنيت العلوم وانقطعت الحكم ، وبطل مجيء الأنبياء ، وانقطع الوحي من السماء ، وكان العالم الجسماني ، والخلق البشري ، لا حاجة لهم في العلوم السماوية ، والأحكام الفلكية ، ولكان خلق السموات وما فيها من الشمس والقمر ، والكواكب ، والنجوم ، لا معنى له ، عبثاً ولعباً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولكان لهم في الأرض والطبيعة غنى عما سواها ، إذ كانوا منها [وإليها ، وفيها ، ولكنهم استندوا إلى ما تأولوه باختيارهم]^١ ، ودلتهم عليه جهالتهم من قول [٢٠] الله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾^٢ فلم يعتبروا هذا القول ، ولا عرفوه حق معرفته ، كأنهم لم يسمعوا قوله : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴾^٣ . فإن كانت الأرض هي أصل النفس ، ومنها خلقت وإليها تعود ، فالأرض إذاً ربها الذي إليه مرجعها . ولو علموا أن الخطاب الأول يختص بالأجسام دون الأنفس ، [إذ كانت الأجسام جواهر أرضية ، وهيولى طبيعية ، فينسبها إلى الأرض التي خلقها منها ، وإنه يعيدها إليها ، إذا فارقتها الأنفس]^٤ ومنها يخرجها تارة أخرى فبالبرهان قد صح أن النفس ، بمجرد ما ألقاه إليها ، وأنزله عليها . فقد صح بالبرهان أن العلم من الله مؤيد به العقل ، وإن العقل موضع [٢١] للعلم

١ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٢ سورة ٢٠ : ٥٥ .

٣ سورة ٨٩ : ٢٧ إلى ٣٠ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وهيولى له ، وانه لا يكون الإنسان عالماً حتى يكون عاقلاً ، والعاقل من عقل عن الله أمره ونهيه ، وانه مفيضه على تاليه ، كما تقبل الشمس الأنوار الصافية بالقوة المجعولة فيها ، المفاضة عليها ، المشرقة بها أنوارها^١ ، وتمد القمر المنير بنورها ، حتى يمتلىء ، ويفيضة على من دونه من الكواكب ، بعضها من بعض . كذلك أنبياء الله وأوليائه ، إذا قبلوا العلم والحكمة عن أيده الله بها ، وألقاها إليه من ملائكته المقربين ، واتصلت بمن اصطفاه من عباد الجسمانيين ، وقبلوها بأرواحهم الزكية ، وأنفسهم المضيئة ، بثوها في من دونهم من العالم ، لتتم الحكمة ، وتبلغ المشيئة ، وتصير للأنفس الإنسانية صورة ملكية ، ورتبة سماوية تصل بها إليها ، وترد عليها إذا فارقت الأجسام الحسية ، والهيولى الطبيعية . فتدبر يا أخي هذا الكلام [٢٢] وتبين هذا المقال ، تخرج بمعرفته من جملة الجهال ، وتصير إنساناً تاماً كاملاً ترقى بها إلى درجة الكمال ، والتمام ، إن شاء الله تعالى .

فصل

[في ذكر]^٢ الرسالة الرابعة عشرة : [الرابعة عشرة رسالة]^٣
بيان طاقة الإنسان في المعارف وإلى أي حد هي ، ومبلغه في العلوم وإلى أي حد ينتهي ، وإلى أي شرف منها يرتقي ، والغرض المقصود من هذه الرسالة هو معرفة ما ينتهي إليه الإنسان في العلوم ، ويقف عنده من الحكم . وهي ثلاثة أقسام .

١ أنوارها : سقطت في ص .

٢ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٣ الرابعة عشرة رسالة : سقطت في ص .

فصل

[في بيان أن جميع أصول العلوم ثلاثة أقسام]^١ :

واعلم ، يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن علوم الناس كلها لا تخرج عن ثلاثة أقسام ، هي أصولها وجوامع اختلاف فروعها وهي علم الشريعة ، والصناعة ، والمملكة ، وما يتفرع منها من المقولات عليها ، وهي مثل الآباء^٢ الثلاثة المرسلين آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، صلوات الله عليهم . فهم الآباء ، ومنهم تفرعت [٢٣] العلوم والحكم ، وهم أصول موضوعات الشرائع ، والصنائع ، والمملك ، فنهاية علم الإنسان بالعلوم الشرعية ، والنواميس الإلهية هي أن يتهيأ له بصفاء جوهره ، وسلامة طبيعته . واستتمام آله وبلوغه إلى حد كماله أن يكون نبياً ناطقاً ، معلماً لأهل زمانه ، يقبل الوحي والتأييد . فهذا نهاية ما يرتقي إليه ، ويطلع عليه^٣ من العلوم الشرعية ، والمعارف الدينية ، ومن يتبعه من بعده ، ممن يقوم مقامه ، وينوب منابه فيما يخلفه من أهل بيته وأصحابه ، في الأداء عنها . وأما علم الملكة فهو أن يعلم الإنسان السياسة الخاصة والعامة ، الجزئية والكلية . فأما الخاصة ففيما يجب له وعليه من أمر نفسه ، ومن يقرب منه من أهله ، ثم العامة من جميع من بعد عن سياستهم ، كسياسة من قرب إليه ، مع الإحاطة بعلم تدبير الملكة ، وما ينبغي لها ، ومن يصلح أن يعينه [٢٤] عليها ، ويوصله بحسن الملاطفة إليها ، فلا يزال

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ الآباء : الأنبياء في ص .

٣ عليه : سقطت في ب .

كذلك يرقى به حالاً بعد حال ، حتى يبلغ سرير المملكة ، فإذا بلغه وناله وقف عنده وانتهى إلى رأسه ، ثم يطلب الارتقاء في عالم الملة الشرعية ، والحكمة الناموسية ، فإن بلغ أعلاها وارتقى إلى منتهاها تهيأ له أن يكون ملكاً نبياً رسولاً ناطقاً ، فيجمع له الملك والنبوة ، ثم يرجع إلى ما يعود نفعه بأهل زمانه في معيشة الدنيا ، فينظر في عالم الصنائع الجلية ، من علم ما يقوم بمنافع الأجسام ، ويحرسها ، ويصونها من المصائب ، والآلام ، [بما يخرجها إليها من الصنائع الجلية] ^١ التي بها قوام الأجسام ، وصلاح الأنفس ، وسلامتها من الآفات ، فيبلغ من ذلك إلى حد هو غايتها ، وتتمام نهايتها ، فيكون هذا الإنسان المستقيم الطريقة في المعارف ، يبلغ إلى نهايتها ويرتقي فيها إلى درجات غاياتها ، وتنبت منه في العالم ، فيكون هو [٢٥] الغاية وموضع النهاية ، وأوسع أهل زمانه طاقة ، فيكون ملكاً ، نبياً ، حكيماً ثم ينبت منه ^٢ فيما يليه ، من أهله وأقاربه ، وعشيرته ، وأصحابه ، ومن يلزمه أمره ، حتى تنشر بركاته ، ويعم أهله نفعه ^٣ ، وجميع أهل زمانه ، وبمعرفة هذا الشخص المجتمع ^٤ فيه هذه الحاصل تكون معرفة الله ، والقصد نحوه . وهو يكون الدليل لأهل زمانه على توحيد الله ، والامر لهم بطاعته ، وسائقهم إلى رحمة ربهم ، فيسوقهم إلى رحمته ، ويدلهم على طاعته ، ويعرفهم بدينه ، ويدلهم على توحيدده ، والاتكال عليه ، والرجوع بالكلية إليه ، وهذه منزلة الرسول السابع ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ ينبت : سقطت في ب .

٣ نفعه : سقطت في ص .

٤ المجتمع : المجتمع في ب .

المؤيد بوسع الطاقة في المعارف ، وهو الغاية ، وبه تكون النهاية ، وفيه قيام القيامة .

فصل

[في ذكر]^١ الرسالة الخامسة عشرة : [الخامسة عشرة رسالة]^٢ في ماهية الموت والحياة ، وما الحكمة في وجودهما في الدنيا ، في عالم الكون والفساد ، وما حقيقة المعاد [٢٦] ؟ والغرض منها هو البيان عن علة ارتباط الأنفس النطقية بالأجساد البشرية [واتصالها بالأشخاص الجزئية]^٣ إلى وقت الموت ، وكيفية التأهب والاستعداد قبل الموت ، والاستعمال ما دام الخلاص ممكناً ، وسبب النجاة معرضاً ، والأجساد موجودة ، والآلة متمكنة ، وبذلك تكون الاستهانة بالموت ، والتجافي عنه ، وإزالة الخوف منه ، والتمني له ، كما قال الله عز وجل ، للذين ظنوا أنهم أولياء لله [من دون الناس]^٤ : إن زعمتم أنكم أولياء لله ﴿ مِّنْ دُونِ النَّاسِ فْتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^٥ . ويتمني النفس الموت ودنوها منه ، وتسليمها إليه جسدها ، إذا حل بها ، ونزل بساحتها ، وترك استعمالها إياه ، واستراحتها من أذاه ، يكون وصولها إلى عالمها ووجودها مناه ، وبلوغها متنها ، وإنه لا سبيل لها إلى البقاء السرمدي ، الذي لا يتغير ، ولا يزول ، إلا

١ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٢ الخامسة عشرة رسالة : سقطت في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ من دون الناس : سقطت في ص .

٥ سورة ٢ : ٩٤ .

بمفارقة الجسد المستحيل ، الذي [٢٧] هو سبب الانتقال ، والزوال ،
والتغير من حال إلى حال .

فصل

في أن وجوب^١ الموت حكمة :

واعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الموت ولادة للروح ،
وكما أن وضع الجنين لا يكون إلا بعد تمام آله ، وحصول صورته ،
وأن الولادة هي سعادة له ، وبركة عليه إذ بها وصل إلى هذه الدار الواسعة ،
[وعاين هذه المحسوسات ، وشاهد هذه المراتبات . وبين هذه الدار ،
وبين الرحم الذي كان فيه وتأسف عند مفارقتها إياه عليه ، من قبل
أن يفتح عينيه ، درجة عظيمة ، ومنزلة رفيعة ، فلما فتح عينيه ، ومد
رجليه ، وضرب يديه ، بان له فضل ما صار إليه ، وتمنى أنه لم يكن
في الرحم تلك المدة المقدرة لكونه هناك ، ولم يكن ذلك إلا لتكامل له
صورة يتنفع بها في الدنيا بعد الولادة ، [٢٨] فكذلك بقاء النفس في
الجسم المدة المقدرة لها ، وإنما هو لتم لها صورة تتنفع بها ، إذا فارقت
هذا العالم الفاني ، والمحل الجسماني ، فإن فاتها ذلك انعكست في المنقلب ،
وعادت إلى سوء الطلب ، وقالت : ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ
اللَّهِ ﴾^٢ ، وقالوا : ﴿ يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ ﴾^٣ ما ﴿ فَتَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
نَعْمَلُ ﴾^٤ ، وهيهات ، ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾^٥ ، ولا

١ وجوب : سقطت في ص .

٢ سورة ٣٩ : ٥٦ .

٣ سورة ٦ : ٢٧ .

٥ سورة ٢٤ : ٥٤ .

٤ سورة ٧ : ٥٢ .

يمكن النفس الوصول إلى العالم الروحاني ، والمحل النوراني إلا بعد مفارقة هذا المكان الدنيوي والقلب الجسماني ، والموت هو الباب الذي تدخل منه إلى عالم الجنان ، ومجاورة الرحمن ، بالأعمال الصالحة ، والمتاجر الرابحة ، وإلى غير ذلك ، لتجاذى بما عملت ، وتكون مقارنة لما كسبت . ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^١ . فقد صح بهذا البرهان أن الموت حكمة ، ونعمة ، للذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ، وأنهم إليه [٢٩] راجعون . وفيما بيناه ، وشرحناه ، في رسالة حكمة الموت ، كفاية ، فاقنع به ، توفق إن شاء الله .

فصل

[في ذكر]^٢ الرسالة السادسة عشرة : [السادسة عشرة رسالة]^٣ في ماهية اللذات والآلام ، الجسمانية والروحانية ، وكراهية الحيوان الموت ، وكيفية أسباب الألم واللذة ، وكيف تنال النفس ذلك ، وهي مقارنة للأجسام ، وإذا فارقتها كيف تنال بمجردتها ، وكيف يكون انفرادها بذاتها ، وتجردها بنفسها ، وكيف يكون اتحادها ، إذا كانت طائعة لباريها ، مقرة بتوحيد مبدعها ، بصورة ملكية ، وانتقالها إلى رتبة سماوية ، وكيف يكون هبوطها ، من الصورة الإنسانية ، إذا عصت ربها ، وجهلت معرفة خالقها ، إلى صورة شيطانية ، ورتبة ظلمانية ، كما قال عز وجل : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

١ سورة ٤١ : ٤٦ .

٢ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٣ السادسة عشرة رسالة : سقطت في ص .

تقويم . ثم ردّدناه أسفل سافلين ﴿ ١ ﴾ ، بأعماله [٣٠] القبيحة ، وأخلاقه السيئة ، وعاداته الرديئة ، وأفعاله المؤذية ، وانضوائه إلى شياطين الأنس ، المتحدة بهم شياطين الجن ، بما ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ ٢ .

والغرض المقصود إليه من هذه الرسالة هو البيان عن كيفية اتصال الأرواح الطاهرة ، والأنفس الزكية ، ذوات الأنوار الزاهرة ، بالجواهر الفاخرة الصورانية الملكوتية ، وبالإشراقات النورانية ، والذوات الروحانية القدسية ، وكيف تكون لذات أهل الجنان ، مع الحور والولدان ، ومرافقة رضوان ، في دار الحيوان ، وجوار الرحمن ، وكيف تكون آلام أهل النيران ، مع إبليس والشيطان ، وفرعون وهامان ، ومالك القضبان [٣١] ، ومقارنتهم للصور المنكوسة ، والقوالب المعكوسة المقيدة المغللة ، في ظلمات الهاوية ، وعذاب جهنم الحامية ، الشاهدة بالعذاب الأليم ، والهوان المقيم ، وأكلهم من شجرة الزقوم ، ﴿فَمَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ٣ ، وشربهم الحميم . وإن مقام أهل الجنان ، يكون مع الملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، مخلدين ، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ ٤ ، ويتبثّون من الجنة حيث يشاؤون [فنعم أجر العالمين] ٥ .

١ سورة ٩٥ : ٤ ، ٥ .

٢ سورة ٦ : ١١٢ .

٣ سورة ٥٦ : ٥٣ .

٤ سورة ١٥ : ٤٨ .

٥ فنعم أجر العالمين : سقطت في ص .

فصل

في بيان معرفة اللذات والآلام التي تنالها الأنفس الجزئية وهي مقترنة
بالأجسام الطبيعية :

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن اللذات والآلام تنقسم
قسمين : جزئية وكلية ، ومنها أدنى ، ومنها أكبر ، كما قال الله تعالى :
﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^١ .
[٣٢] وكذلك اللذات ، منها أكبر ، ومنها أصغر ، فالأصغر من اللذات
ما نالته الأنفس وهي متحدة بأجسادها ، مربوطة بأجسامها ، في دار
الدنيا ، من أكل الطيب ، وشرب البارد ، وشم الزكي ، والسمع الحسن ،
واللمس اللين ، والنظر إلى الوجوه الحسنة ، والمياه الجارية ، والأزهار
المونقة ، والحدايق المشرقة ، والمواضع البهية ، والأنوار المضيئة ، وما
شاكل ذلك لقوم آخرين متوسطين . وكذلك العذاب ، من الآلام ،
والأوجاع ، والأسقام ، والمحن ، والمصائب ، وما يحدثه الزمان ، وتمر
به الأيام . فمنهم من هو في نهاية عذابه الأدنى ، ومتوسط دون النهاية ،
فكما أن اللذة والنعيم ، الحاصلين [٣٣] بواسطة الأجسام ، هما لذة^٢
جزئية ، ونعيم أدنى ، كذلك العذاب ، ما دام الجسم يشرك النفس فيه ،
ويحمل عنها بعض أثقاله ، هو عذاب أدنى ، وبلاء أصغر ، وهو الجزئي
دون الكلي من كلا الحالين جميعاً .

١ سورة ٢٢ : ٢١ .

٢ لذة : سقطت في ب .

فصل

في معرفة الآلام والذات المتصلة بالأنفس إذا فارقت الأجسام :
واعلم ، يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن العذاب الأكبر
هو المتحد بجواهر النفوس العاصية ، المنكرة لباريها ، المستكبرة على
أوليائه ، الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بغير الحق ، ويحتقرون أوليائه ،
ويتكبرون على المؤمنين ، ويأمرون بارتكاب المحارم ، واستحلال
المآثم ، وهم طوائف كثيرة ، ولهم أعمال^١ متباينة ، نريد أن [٣٤]
نذكر طرفاً منها ، لتعرفهم بسيمائهم فلا تركز إليهم ، ولا تلم بواحد
منهم ، ولا ﴿تَقْعُدْ بِتَعْدَةِ الذِّكْرِ﴾ مع القَوْمِ الظَّالِمِينَ^٢ . فمنهم
الجبابرة ، والفراعنة ، والتماردة ، مثل فرعون ، وهامان ، وقارون ،
وجالوت ونمرود ، ومن يجري مجراهم ، من المتغلبين على الملك ، والرياسة
ظلماً وعتواً ، بغير حق ، الجالسين مجالس لم يستحقوها بأعمال قدموها ،
ولا علوم اكتسبوها ، إلا بالتناهي في علوم الضلالة ، وسبيل الجهالة ،
ومن أعانهم على ذلك من طالبي حطام الدنيا وعاجل نعيمها ، منهم ،
بما نالوه من مستعجل عزها ، ودوام أمرها يستدلون أنبياء الله ، وأبناء
الرسالة ، وذرية النبوة ، [٣٥] ويطعنون في الرسالة ، ويتسمون بأسماء
ليست لهم بحق . وهم المستكملون للمعصية في الصورة الإنسانية ، الممهلون ،
المملئ لهم في النعيم ، والقدرة ، والبسطة في الدنيا لقيام الحجة عليهم
بمجيء الأنبياء والرسل ، ومن خلفوهم ، يندرونهم ، ويحذرونهم لقاء

١ أعمال : أعلام في ب .

٢ سورة ٦ : ٦٨ .

الله ، وهم لا يذكرون ، يكذبون الأنبياء ويقتلون الأوصياء ، كما قال عز وجل : ﴿ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾^١ . منهم الذين تتوفاهم الملائكة الغلاظ الشداد ، الذين ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^٢ ، بالغلظة ، والشدة ، والوحشة [٣٦] والأهوال ، والبلايا ، والظلم ، إلى دار البلاء الخالدة ، ذات الصور الوحشة ، والروائح المنتنة ، والزفرات القامعة ، والشهب المحرقة والصواعق المبرقة ، والسلاسل ، والأغلال . ﴿ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطِيرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾^٣ . وقالوا ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُورٌ ﴾^٤ . وقال لهم مخاطباً بالسنة ملائكته : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنَلَى عَلَيْكُمْ ﴾^٥ . وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ [٣٧] وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ . وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وهي تَفُورُ . تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ [٣٨] شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ . وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^٦ ولم يكن هذا القول منهم واعترافهم بذنبهم أنهم

١ سورة ٢ : ٨٧ .

٢ سورة ٦٦ : ٦ .

٣ سورة ١٤ : ٥٠ .

٤ سورة ٤٣ : ٨٧ .

٥ سورة ٢٣ : ١٠٦ .

٦ سقطت الورقات المحصورة داخل قوسين من الورقة ٢٧ إلى نهاية ٣٧ من النسخة ب .

٧ سورة ٦٧ : ٥ إلى ١١ .

لم يكن لهم أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها ولا قلوب يعقلون بها ولو كانوا بخلاف هذا النوع الذي هم عليه من استواء الخلق وصحة الآلة لم تكن لله عليهم محبة إذ كانوا لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون وإنما غنى أنهم كانوا لا يسمعون أقاويل المنذرين ولا يبصرون معجزات المرسلين ولا يعقلون علوم المصطفين وانهم كانوا لهم مكذبين كما قالوا : ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾^١ يعني من اتبع الأنبياء كما قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾^٢ يعني الذين شملهم أمر الشريعة المتقدمة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾^٣ يعني رؤساء [٣٩] الغلاة ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^٤ الذين اتبعوا ضلالتهم وانهمكروا في جهالاتهم ﴿هُؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^٥ يعني الذين استجابوا لربهم ، انقطعوا إلى أوليائه وأهل طاعته فهم أهدى سبيلاً ، وقال سبحانه ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾^٦ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾^٧ .

١ سورة ٦٧ : ٩ .

٢ سورة ٣ : ٢٣ .

٣ سورة ٤ : ٥٠ .

٤ سورة ٤ : ٥٠ .

٥ سورة ٤ : ٥٠ .

٦ سورة ٨٢ : ٣٠ .

٧ سورة ٨٢ : ٢٢ .

فصل

في معرفة الباب الذي منه الدخول إلى جهنم الكبرى ذات العذاب :
اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن بالوقوف على هذا الفصل ،
من هذه الرسالة ، تكون معرفتك بجهنم ، وهو الغرض الأقصى والدرجة
العليا في معرفة اللذات والآلام ، ومعرفة أهل النار ، وصفة جهنم ،
وكيف تكون صورة أهلها فيها ، وهي من أعظم الأسرار قدراً وأكبرها
فخراً ، فصنه واحتفظ به ، ولا تلقه إلاً إلى أهله ، ونريد أن نكتبها
بالترجمة التي عرفناك بها ، وألقيناها [٤٠] إليك ، في الصحيفة المفرد
سرّها ، وكيفية الاطلاع عليها ، لتفوز إن شاء الله تعالى . اعلم يا أخي
أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن النار التي قال الله سبحانه فيها ﴿النَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾^١ وقال ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا
كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا . ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ
فِيهَا جثياً﴾^٢ هي عالم الكون والفساد ، وكل النفوس الجزئية تردّها ،
فمن تذكر ، بما ألقى إليه من الحكمة في أمره ، وكيفية انبعائه ، وهبوطه ،
ووروده إلى هذا العالم ، نجاً وفاز ، وفارقها ، وتخلص منها ، وبان عنها
إلى دار الكرامة ، ومحل النعمة ، ومن غفل عن ذلك بقي جاثياً . والجثو
هو الالتصاق بالأرض على الركبتين ، وهو الإخلاد إلى الأرض والمحبة
لها ، وبذلك يكون دوامه فيها بالتشوق^٣ والبلى . فأما كيفية صورة أهل

١ سورة ٤٠ : ٤٦ .

٢ سورة ١٩ : ٧١ ، ٧٢ .

٣ بالتشوق : بالنشر في ص .

النار الكبرى التي هي جهنم العذاب الأليم والذل المقيم ، فهي أن النفوس العاصية المنكرة لباريها المتخلفة عن الطاعة ، المنقطعة عن الطرف الأعلى ، [٤١] المتكبرة على الأنبياء بعلم وبقين ، كما قال : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^١ فإنهم إذا حل الموت بهم ونزلت الملائكة الغلاظ الشداد إليهم ، وهي روحانيات زحل والمريخ . إلى الأشخاص التي هي مستولية على مواليدها ، مخصوصة بنفوسها ، وهي البرزخ المظلم ، وهي أول طبقة جهنم ويتولى عذابها الملائكة المنبثة بأمر الله في الدنيا بالعذاب الأليم للأنفس المستخرجة من الصور الإنسانية بكمال المعصية والجحود ، والإنكار ، ولا تزال تلك الروحانيات تتبع^٢ لها تارة بعد تارة بأنواع العذاب ، [من القتل ، والذبح ، والموت]^٣ إلى أن تستكمل السلوك في السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله وأمره للملائكة : ﴿خُذُوهُ فَعْلُوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ . إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾^٤ فإذا بلغت الأنفس العاصية آخر أذرع السلسلة المعدة لعذابها ، غاصت بها [٤٢] ملائكة العذاب ، وزجرها مالك الغضبان ، فاتحدت بها لطائف العذاب ، وأغدرت بها وصارت ظلمة بمجردتها ، تتراءى لها في ذاتها ، كلما لحظت نفسها أشخاص السلسلة التي سلكت فيها ، وحلت بها أمواج جهنم ، مرة ترفعها إلى وهج الأثير ، ومرة تهبط بها إلى برد الزمهرير ، والشياطين تهوي معها ، والملائكة ترجمها بشهب العذاب ، وترميها

١ سورة ٢٧ : ١٤ .

٢ تتبع : تتولاها في ص .

٣ من القتل ، والذبح ، والموت ، : سقطت في ص .

٤ سورة ٦٩ : ٣٠ إلى ٣٣ .

دحوراً من كل جانب ، ولا يزال ذلك دأبها ما دامت السموات والأرض ،
فهي موكلة بها أعمالها السيئة التي اكتسبتها مدة صحبتها للأجسام في أيام
الحياة الدنيا فهذه معرفة جهنم وصورة أهلها إذا حلوا بها ونزلوا بساحتها
نجاك الله أيها الأخ وإيانا من عذابها . وجميع إخواننا بمنه ولطفه .

فصل

في معرفة اتصال اللذات بالأنفس الطائفة لربها بمجردها :
واعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن النفوس الطائفة [٤٣]
لباريها ، التابعة لأوليائه الراشدين ، وخلفائه المهديين ، الأمرين بالمعروف ،
الناهين عن المنكر ، تكون في التمثيل وإيضاح البرهان والدليل ، مواد^١
تتحد بها كاتحاد رائحة النسيم ، إذا هبت في السحر ، المختلطة به روائح
الأزهار ، فقد صار يشم منه ، وتفوح عنه رائحة كل طيب وطيب ،
ولا فرق تميز بين هواء النسيم ورائحة الريحان والياسمين ، كذلك النفوس
الطاهرة ، إذا فارقت جسمها ، لا يبقى شيء من المناظر الحسنة البهية ،
والروائح الطيبة ، التي كانت تشاهدها في الدنيا ، إلاّ ولاحظت في ذاتها مثلها ،
ورأت ما يشبهها ، وما لم تره كما قال الله : ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾^٢
وغير متشابه . أي مع كل لحظة ونظرة تشاهد من نعم الله فيها وعليها ،
ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما قال
الله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^٣ و [٤٤] قال :

١ مواد : سقطت في ص .

٢ سورة ٢ : ٢٥ .

٣ سورة ٣٩ : ٧٣ .

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^١ وقال: ﴿وَنَحْيِيَّهُمْ فِيهَا سَلَامًا﴾^٢ ، فهذه يا أخي معرفة نعيم أهل الجنان ، فاعرفه ، وتفكر فيه ، ترشد إن شاء الله .

فصل

في معرفة الباب الذي منه تدخل النفوس الطائعة إلى الجنة التي هي عالم الروح والريحان ، وهو الباب الذي موكل به وعليه رضوان خازن الجنان . وبهذا العلم يكون الاطلاع في دار الدنيا على كيفية النعيم المقيم ، والملك العظيم ، ومعرفة البعث إلى روح وريحان وجنة نعيم .

واعلم يا أخي أن النفس الطائعة إذا أكملت طاعتها ، وبلغت نهايتها وانتهت إلى غايتها في الصورة الإنسانية ، واستحقت بأعمالها الزكية ، وما كسبته من أفعالها صورة ملكية ، والنقلة إلى رتبة سماوية ، ونزل الموت بساحتها ، نزلت إليها الملائكة الطيبون بالرفقة والرحمة ، وهي روحانيات الزهرة ، وروحانيات المشتري ، بالرفقة ، [٤٥] والرحمة ، والشفقة ، فتلقته ، وقبلتها بالروح والريحان ، كما تقبل القوابل والدايات لأولاد الملوك بمفاخر أمور الدنيا ، وطيبات روائحها ، ومناديل السندس والاستبراق ، والفرح ، والبهجة ، والسرور ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وتبقى علامة دراكة ما شاء الله تعالى مع الملائكة ، تحضر البقاع الطاهرة ، والمساجد العامرة ، سارية مع الملائكة ، تتصل بالمؤمنين الأخيار في الدنيا ، وتترأى لهم في مناماتهم بالبشارة ، والطمأنينة ، وحسن

١ سورة ١٣ : ٢٣ .

٢ سورة ١٠ : ١٠ .

المنقلب ، في المآل ^١ . ثم بعد ذلك إذا كان يوم القيامة ، وبلوغ النهاية ، عرجت بها الملائكة إلى الجنان والنعيم المقيم والملك الدائم ، ولا يذوقون فيها الموت ، إلاّ الموتة الأولى ، ووقاهم ربهم عذاب السموم ، وأخر دعواهم فيها ، أن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^٢ وكذلك الأرواح الساهية ، والنفوس اللاهية يكون خروجها من أجسامها [٤٦] عند نزول الموت بساحتها ، وحلوله بها ، والملائكة باسطوا أيديهم ، ﴿أُخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ^٣ وملائكة العذاب تتلقاهم بالنفط والقطران ، والنيران ، وشجرة ^٤ الزقوم ، وماء الحميم ، والأغلال ، والسلاسل ، والقيود ، والجحيف أو ما شاكل ذلك من أنواع العذاب والهوان ، كما تكون ولادة أصحاب البلاء ، والمحن ، والفقر من أهل الدنيا ، وكذلك يكون خروج الجنين إلى أنواع المحن والمصائب إذا تغذى بلبن أمه المجذومة ، وكقابلة أبوه الأبرص وأهل بيته أصحاب البلايا والمحن ، كذلك يكون خروج الأرواح العاصية من أجسادها إلى مثل هذه الحال في المثال . أعاذنا الله وإياك أيها الأخ ممن هذه صفتهم ، ولا جمع بيننا وبينهم في الدنيا والآخرة ، فهؤلاء الذين تتوفاهم الملائكة ، وهم لأنفسهم ظالمون ، وما يحل بهم من العذاب الأليم ، ﴿وَالَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ ^٥ إلى روح ، وربحان ، [٤٧] وجنة نعيم . والذين يتوفاهم الله بيده ، كما قال الله : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ

١ المآل : الملائكة في ب .

٢ سورة ١ : ١ .

٣ سورة ٦ : ٩٣ .

٤ وشجرة : زئبق في ص .

٥ سورة ١٦ : ٣٢ .

وَيُرْسِلُ الْآخِرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى^١ . فهي نفوس لها رتب عالية ،
 ودرجات سامية ، واتباع هذه الأنفس نجا من نجا ، وهلك من هلك
 بالتخلف عنها ، قال الله سبحانه : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^٢﴾ وهي
 النفوس المحذرة المندرة ، التي هي من أمر الله المؤيدة بكلامه وبوحيه ،
 النفوس القدسية ، الطاهرة ، المضيئة بنور الحكمة ، وتأيد العلم . وفي
 تأويل هذه الآية سر دقيق ، وبحر عميق ، نذكره إذا انتهى بنا القول
 إليه في هذه الرسالة الجامعة ، إن شاء الله تعالى ، بمعرفة ما ذكرناه ، والوقوف
 على بيان ما وضعناه ، سعد من سعد ، وفاز من فاز ، بعد الملمات
 بذخائر الخيرات ، والباقيات الصالحات .

فصل ٣

الرسالة السابعة عشرة : [من القسم الثاني وهي آخره وهي [٤٨] رسالة
 علل]^٤ اختلاف اللغات ، ورسوم الخطوط والعبارات ، وكيفية مبادئ المذاهب
 والديانات ، والآراء والاعتقادات ، وأول نشوئها ، وابتدائها ، ونمائها ،
 وتزايدها حالاً بعد حال ، وقرناً بعد قرن ، وكيفية انتقالها من قوم إلى
 قوم ، وسبب تغيراتها ، وزوالها ، والزيادة فيها ، والنقصان منها ،
 وذهاب الأول منها وحدث التالي لها ، بموجبات أحكام
 الكواكب ، وتشكيلات الفلك والقرانات ، وموجبات الأزمان والأوقات .

١ سورة ٢٩ : ٤٢ .

٢ سورة ٣ : ٢٨ ، ٣٠ .

٣ فصل : سقطت في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل^١

والغرض المقصود إليه من هذه الرسالة هو التنبيه على أن أفعال النفس إنما تقع بحسب ما في طبعها وغريزتها ، وأن محبة ما يبحث عنه ، من الخفيات موجود في جوهرها كالمادة ، وأنها كالهوى ، وأن العلم المتحد بها كالنقش^٢ ، وأنها إذا كملت لها العلوم والمعارف ، وتخلقت بالأخلاق الحميلة ، واكتسبت الفضائل المحمودة ، [٤٩] واقتنت العلوم الفاضلة من المحسوسة والمعقولة من أصناف العلوم في الأعلى والأسفل والأدق ، والأجل ، والأدون ، والأكمل وعرفت الطرفين ، وبانت لها المتزلتان ، وأعربت عن الأشياء بقوة النطق ، وطرحتها في طرق التعاليم ، كإلقاء صور الأعداد في نفوس العادين ، فتسبح لذاتها سوانح ، وتخطر ببالها خواطر تعمل فيها القوة المفكرة ، فيتصل بها الوحي والإلهام بحسب قوتها ، وما في وسعها وطاقاتها ، فتستخرج بعلمها آراء ، وتستنبط بذهنها مذاهب .

فصل

في معرفة الإنسان الفاضل : وهو الذي إذا صحت آلاته وكملت له ذاته ، وخلع سوء عاداته ، صحت له القوة المتخيلة وصدقته ، فيتخيل بها^٣ الأشياء الغائبة عنه بالزمان والمكان ، ثم يتصورها وينظر إليها ، ويخاطبها ، ويقبل عنها إذا أجابته ، فيكون بذلك مستحقاً للمنزلة [٥٠] العالية ، والمنزلة

١ فصل : سقطت في ص .

٢ كالنقش : كالنفس في ص .

٣ بها : لما في ب .

السامية . فعند ذلك تتصل به روحانيات الشمس فتوصل إليه فيض الحد الثاني صفواً ، وتأمره بما تحركه به بالقول فيصبح التخيل في ضميره ، ثم يؤدي عنه ويخبر به بالقوة الناطقة ، والألفاظ المنطقية ، ويخرجه بحروف منظومة ، ونسبة فاضلة على لغة القوم الذين أرسل إليهم ، ونشأ معهم كما قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾^١ ، ثم يقيد تلك الألفاظ والحروف والعلوم برسوم من الكتابة دالة على تلك الألفاظ دلالة الألفاظ على تلك الحواطر ، [ودلالة الحواطر]^٢ على أعيان الأشياء وحقائقها ، ومعانيها^٣ ، ثم تنشأ على ذلك مواليد من يأتي في ذلك الزمان ، ويتشكل الفلك بتشكيل النفس المفاضة على ذلك الرئيس ، وينقاد أحكام روحانيات الكواكب كلها بأسرها إلى روحانيات الشمس مع القران ، ويطول ذلك الرئيس بحسب [٥١] موجب الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية بأهل ذلك الزمان ، ويصير العالم بأسره لذلك الشخص جسماً وآلة ، وجنوداً ، وأعواناً ، ويكون هو بمنزلة الرأس مكان العقل ، ومن يخلفه من أهله وأصحابه ، ومن قبل منه ما ألقاه إليه ، كمثل الأعضاء الفاصلة ، وينبث منه العلم والحكمة ، والأوامر ، والنواهي ، كما تنبث القوى في سائر البدن من الرأس والقلب والكبد ، ويكون [العالم كله]^٤ [إذا كانت السعادة كاملة ، متصرفين تحت أمره ونهيه]^٥ منقادين له إذا كملت له شرائط النبوة والمملكة فيكون العالم كله له منقادين

١ سورة ١٤ : ٤ .

٢ ودلالة الحواطر : سقطت في ب .

٣ ومعانيها : سقطت في ص .

٤ العالم كله : الناس كلهم في ص .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

طائعين وكارهين ، فالطائعون أهل العلم والمعرفة ، بما يلقيه إليهم من حكمته ،
ودين الحق ، والكارهون هم الجاهلون الطائعون له خوف السيف ، ورجاء
لما ينالونه من خير الملك ، وهم المنافقون ، والمؤلفة قلوبهم . وكذلك تكون
حال أمة بعد أمة ، [٥٢] وشريعة بعد شريعة ، وكل ذلك على حسب مناسبات
من الطبائع واتفاقات تقع في الأوقات ، والبقاع والمنشأ ، والمواليد ،
والمخالطات بأقوام أصدقاء وأقارب ، والتدين بآراء ومذاهب ، ومعارف
وحكماء وأستاذين ومعلمين ، والإصغاء إليهم ، والأخذ عنهم ، والتخلق
بأخلاقهم ، فبحسب هذه الاتفاقات يقع إثثار الإنسان الشيء على غيره من
الآراء والمذاهب .

فصل

[في ذكر اختتام الشرائع ونسخها وما يأتي بعدها]^١ : ثم لا يزال أهل
ذلك الزمان وأصحاب تلك الشريعة والملة ، قواماً بها ما دام حكمها مستمراً
على جريان عادته ، وتتمام نهايته ، وبلوغ غايته ، ما شاء الله . ثم يبدأ الفلك
بشكل آخر ويستأنف القران ويدور الدور ، ويوجب التغيير والاستحالة ،
فيبدو الكلل والملل والنفاق والرياء ، والفساد والعناد ، والمخالفة وقلة
الموافقة بين [٥٣] أهل تلك الشريعة ، حتى تكون بينهم الفتن والحروب
والتلاعن ، والغضب ، فعند ذلك تهدم مساجد ، وبيع وصلوات ،
يذكر فيها اسم الله ، ويقتل الذين يأمرؤن بالمعروف ، وينهون عن المنكر
من الناس ، ولا يبقى لله سبحانه في تلك الشريعة أسرار إلا كشفت ، ولا
حرمة إلا انتهكت ، فعند ذلك يأذن الله سبحانه ، بأمره الممجّد ، وكلمته

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

العالية عن الصفة ، للحد الأول بقبض ما سطر على تاليه من ذلك الأمر الأول ويكسره من أنوار غيره ، كما قال سبحانه : ﴿يَتَمَنَّوْا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^١ ثم يأمر بالانبعاث والبعث منه ، فيلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ، بعد الإنذار به ، والإشارة والدلالة عليه ، في صدر الأمر الأول ، ليكون بمجيئه في العالم قوم عارفون به ، متهيئون لقبوله ، منتظرون [٥٤] إلى ما يأتي به ، فإذا نطق سارعوا إلى إجابته ، واستجابوا لطاعته ، وانصلت به روحانيات الوجه الأول بوساطة الوجه^٢ الثاني ، وتشكل الفلك بذلك الشكل ، ونزلت السعادات والتأييد إليه ، ونزل النحس والبلاء بأصحاب الأمر الأول عند إظهارهم الخلاف ، والعناد والكيد ، لصاحب الأمر الثاني ، فعند ذلك تصير الطاعة معصية ، والمعصية طاعة ، [والشقي سعيداً]^٣ والسعيد شقياً يعني السعيد بالأمر الأول في الشريعة الماضية إذا تخلف عن صاحب الأمر الثاني ، والشرع الجديد الثاني ، فلذلك قيل إن السعيد يصير شقياً ، والشقي يصير سعيداً . فالشقي الذي ينقلب سعيداً هو الذي تخلى عن مذهبه الأول ، الذي يشقى في طلبه ، وجمعه ، واكتسابه ، وعاد سعيداً بما ألقى إليه ، وأفيض عليه من الأمر الذي أتاه . [٥٥] ولم يشق في طلبه ، ولا سعى في كسبه ، فبهذا المعنى يصير السعيد شقياً ، والشقي سعيداً . فأما كون الطاعة معصية ، والمعصية طاعة ، فعند ظهور الثاني تصير طاعة الأول ، والقيام على ما جاء به معصية ، ومعصيته له طاعة ، لارتفاع حكم الأول ، ووجوب حكم الثاني ، فهذا

١ سورة ١٣ : ٢٩ .

٢ الوجه : سقطت في ص .

٣ والشقي سعيداً : سقطت في ب .

دليل واضح بالبرهان الديني ، والحكم الشرعي ﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الدِّينِ
خَلَّتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^١ .

فصل

وأما حال^٢ اختلاف اعتقادات الداخلين تحت حكم شريعة واحدة، وما هم عليه من المذاهب والآراء، فالسبب في ذلك أن الرسول الآتي بالأمر الجديد من الله ، إذا صدر كلامه وأمره ونهيه بما يمدّه الله به ، يأخذ كل منه بحظه ، وبحسب قوته ، ويصرفه على ما يهواه ويختاره مما هو مركب عليه ، مركز في جبلته، ثم يبدیه بما يتصوره بخاطره من الألفاظ [٥٦] التي يسمعها والمعاني التي يحفظها . وذلك لأن كل إنسان متمكن من اختيار ما يقتنيه من المذاهب والآراء ، فينه وبين كل واحد منها مناسبات جبلية طبيعية باطنة ، وعادات ألفية ظاهرة ، تجذبه إليها وتحرضه عليها ، وبحسب انجذابه ، وميله ، وألفه يكون تبريره فيها ، ومهارته بها ، ويتبعه على ذلك الرأي من يتفق أن يكون ميلهم إلى ما يبدو منه كميله هو أولاً إليه ، ويصرفون قول صاحب الشريعة إلى ما يهوونه ، ويختارونه ، ويكون في ذلك الاختلاف وتفریع المقالات من الشريعة صلاح لها ، وقوام لأمرها ، وسبب امتدادها ما دام الاختلاف بينهم دينياً ، والجدال شرعياً . فإذا انقلب الاختلاف والمناظرة إلى أمور الدنيا ، فسدت الشريعة ، وبطل نظامها واضطربت أقسامها ، وظفر بها عدوؤها واستؤنف أمر آخر .

١ سورة ٢٣ : ٦٢ .

٢ فصل وأما حال : سقطت في ب .

فصل^١

[٥٧] وأما اختلاف الناس في المطالب ، والنحل ، والتجارات ، والمكاسب ، والصناعات ، والمآرب ، فذلك عطاء بحسب المواليد المتفقة لهم ، وما يكون من صناعة الآباء والأستاذين ، والمعلمين ، والذين يكون نشوء المولود فيهم ، وكونه منهم ، وألقه بصناعتهم وتجارتهم ، وقلّ من يكون من الناس مخالفاً لأبويه ، وأهله ، وأقاربه ، وعشيرته في صناعتهم ومذهبهم ، ورأيهم وتجارتهم ، إلاّ أن يبعد عنهم ويفارقهم ، ويصير إلى غيرهم ، لأسباب وعلل تحدث من أمر الزمان وتغاير الأيام . فإذا قوي الألف ، واستمرت عادته ، سكنت نفسه إليه وآثرته^٢ على غيره ، حتى يصير في آخر الأمر ألفاً لما يختاره منه ، ومعانداً لما سواه ، ويرى له الفضل على غيره من المذاهب الحقيقية ، والآراء العقلية ، وإن كان مفضولاً ، ويحكم له بالشرف والعلو ، وإن كان مشروفاً . فبحسب ذلك يكثر الاختلاف ، وتباين [٥٨] المذاهب والديانات ، والحق مع الأتزر الأقل ، والآخر اللاحق بالأول .

فصل

واعلم أيها الأخ الفاضل أيدك الله وإيانا بروح منه ، أنا بسطنا هذه الرسالة^٣ وضمناها معاني العلوم ، وأسرار الحكم لتهديب أنفس الراغبين فيها ، المستجيبين إليها ، ليدركوا الأشياء بحقائقها فتنتبه نفوسهم من نوم الغفلة ،

١ فصل : سقطت في ص .

٢ وآثرته : وآثره في ب .

٣ الرسالة : الرسائل في ص .

ويخرجوا من ظلمة الطبيعة ، وبحر الهبولى ، وقيد الألف والعادة ، ولم نطلق^١ لهم الوقوف على ما في هذه الرسالة ، حتى يقفوا على ما بين يديها ، ويتهدبوا بما قبلها ، ويتلقنوا ما فيها ، بنفوس ذكية ، وقلوب ذكية ، وأذن واعية ، ويتصوروه تصور ذي البصر الصحيح ، إذا عاين المحسوسات ، وشاهد المرئيات ، ثم غابت عنه ، فإنه يتصورها بتخيله الصحيح بما هي عليه ، لا يتغير منها شيء لسلامة بصره ، وصحة نظره ، فيتفكر في الآيات ، ويتبين العلامات . ولم نضع هذه الكتب [٥٩] المضممة أسرار الحكمة ، وفوائد النعمة ، لأصحاب الجدل ، والخلاف ، الخارجين عن براهين الأنبياء ، وتأويلات كتب الحكماء ، ومعاني أسرار النواميس ، لأن غرضنا كله فيها ، الذي قصدنا إليه ، ودلنا عليه ، هو الانقياد ، والاستجابة إلى ما جاءت به الرسل ، والأئمة ، واتباع ما جاؤوا به من عند الله جل اسمه ، وتعالى ذكره ، ورفض ما سوى ذلك من التكذيب ، والخلاف ، والجدال ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنُ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾^٢ فأصحاب الجدل والحجاج هم الذين يريدون بذلك الطعن على أصحاب الشرائع ، وفساد النواميس ، ليصير لهم بذلك الرياسة ، ويأكلوا أموال الناس بالباطل ، وتشعب المذاهب ، والأهواء ، وتكثر القياسات والآراء . ومن أكبر ما يعتمدون عليه ، ويستندون بجهلهم إليه ، في ارتكاب المحارم ، واستحلال المآثم ، إذا خلوا إلى شياطينهم ، [٦٠] وهي أنفسهم الضالة المضلة ، أن النفوس دائرة ، والأرواح مضمحلة ، فاسدة كفساد الأجسام ، يتوهمون أن الأنبياء لم يأتوا على بقائها ببرهان ، وأنهم إنما جاءوا على الأمة بالحيلة والمكر والخديعة ، وحاشى لله . فكان قياسهم

١ نطلق : سقطت في ب .

٢ سورة ٣١ : ٢٠ .

ذلك لما هم عليه من الآراء الفاسدة ، والأعمال القبيحة ، والعادات السيئة ،
 وذلك أنك ترى الرجل منهم القائم ، الصائم ، رياء للناس ، إذا خلا
 بنفسه ، وتفرد بروحه ، واطمأن إلى شياطينه ، كيف يتخلى عن ذلك
 التكليف ، ويؤثر الراحة والتخفيف وينميل إلى الشهوات الحسية ، والملاذ الطبيعية ،
 [والأشياء المشتهاة] ^١ وإذا سمع آيات الله تتلى عليه ، وكتبه تقرأ ، قد حرك
 رأسه ، ليوهم من يراه أنه قد فهمها ، وهيهات ، حالت جهالته بينه وبينها ،
 وهو مع ذلك يتفكر في ذكاء واضع الناموس ، وجودة جبلته ^٢ فهو يريد
 أن يكون كذلك ، ليروج سوقه ، وبصرف وجوه الناس إليه ، ليأكل [٦١]
 أموالهم بالباطل . ثم إنه لا بد أن يهتك الله سبحانه ستره ويكشف سره ،
 بإلقاء ما مع ضميره إلى من يأنس به ، ويطمئن إليه ممن استجابوا له ،
 فيودع عند أحدهم سره ، ويخرج إليه بأمره ، ويغرس فيه شجرته ،
 ويزرع فيه بذره ، ليحفظ ثمرته ، ويقوم مقامه من بعده ^٣ ، وينوب منابه
 ويقوم في اللغة مقامه ، فأول ما يبديه إليه ، ويودعه عنده ، في بدء أمره ،
 أن النفس لا بقاء لها ، ولا وجود لها ، إلاً بالجسم ، وأن البعث في يوم
 القيامة هو بعث الأرواح بالأجساد للحساب والجزاء من العقاب والثواب ،
 وما يرويه في ذلك من الأخبار ، والروايات ، وأن الجنة ليست هي إلاً
 أكلاً وشرباً ونكاحاً مع الجواري والغلمان والولدان ، وأنها معدة لذلك ،
 وجميع ما فيها ، وأنها كينبوع دار الدنيا ، وأنه ليس بينها وبين ما تشاهده
 من التفاوت ، إلاً حالة البقاء والدوام ، ثم بعد ذلك يرقيه إلى علمه ^٤ أن الجنة

١ والأشياء المشتهاة : سقطت في ب .

٢ جبلته : حيله في ب .

٣ من بعده : سقطت في ص .

٤ علمه : علم في ب .

[٦٢] لا تغير فيها ولا اضمحل ، وأن ثمارها لا تنفئ ولذاتها لا تنفد أبد الآبدن
وأن أهلها لا يتغوطون ، وأنهم شباب^١ لا يهرمون ، وأشياء من هذا النمط
لا تليق بالأجساد ، ولا هي من صفات الأجسام ، تنكرها على ظاهرها
العقول السليمة من الآفات ، والنفوس الناجية من الجهالات . فإذا علم أن
سامع ذلك الكلام منه ، قد شك فيه واضطرب عقله في معانيه ، وأنه قد اشتاق إلى
معرفة سر^٢ ذلك ، وقد اشتد شوقه وقلقه ، ابتداءً يريه أن القيامة يبعد
كونها ، ويتعذر وجودها ، إلا في زمان طويل ، لا تعرف نهايته ، ولا
يوصلنا إلى غايته ، وأن الخلائق بأجمعهم كلهم يموتون دفعة واحدة ،
ثم لا يزال به يرقبه في مثل هذا من درجة إلى درجة حتى يبدأ فيزهد
فيما يسمعه ، ويعلمه أن الجسم فاسد متغير مضمحل ، وأن أجزاءه لا
تجتمع بعد فرقتها ، وأن النفس هي صفوة الطبايع [وتقوى بقوة الجسم ،
وتضعف بضعفه ، وتفسد بفساده]^٣ . فإذا صح ذلك [٦٣] عنده من
باطله وفساد تخيله ، صار الدين له صناعة ، ومعيشة ، لقوام أمر الدنيا ،
وصلاح الجسد فهو أبدأ مجتهد في طلب البراهين على وجود النفس بعد
فراق الجسد ، ولا يقنع بما يلقي إليه من آيات الأنبياء من الوحي والتأييد ،
لما قد قام في نفسه من تكذيبها : وإنها معيشة لواصفها ، وصناعة لمن أتى
بها ، لقوام أمر معيشة الدنيا ، وطلب الرياسة والنفاسة ، وقيس ذلك
على أمر نفسه ، ومعلمه ، واستاذه الذي ألقى ذلك إليه ، وأودعه عنده ،
فهم الطائفة الذين لا تنفعهم النذر ولا الآيات ، لأن شكهم من وراء
المعجزات ، والبراهين لديهم لا تنجع : والدلائل لهم لا تنفع ، وليس

١ شباب : شبان في ب .

٢ سر : سر في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

لهذه الطائفة المذمومة والفرقة الملعونة وضعنا كتبنا ، ولا هم منا ولا نحن منهم في شيء . وهم إخوان الكدر والشقاء ، وأصحاب إبليس ، وهم أعداء بعضهم لبعض ، وهم المقتسمون المتلبسون ، [٦٤] جنود إبليس ، وخيله ورجله ، قد استحوذ عليهم الشيطان ، فأنساهم ذكر الله يقرأون القرآن ، لا يتجاوز تراقيهم ، ويتأولون كتاب الله بغير تأويله ، ويقرأونه بخلاف تنزيله ، افتراء على الله ورسوله ، يحللون المحارم ، ويرتكبون العظائم من المآثم . ومن المجادلين ، طائفة هم : إما من اليهود ، أو النصارى ، أو المجوس ، أو الصائبة [أو المسلمين] ^١ أو من ^٢ أي المذاهب كانوا ^٣ من أهل هذه الشيع والفرق ، يعلمون بأن أصل كل ديانة ، وقوام أمر كل شريعة ، مبني على بقاء النفس ، وصحة وجودها مرهونة بما عملت بعد فراق جسدها . ولولا ذلك لتعطلت الأحكام ، ولم يكن بين العالم حلال ولا حرام ، وانتهكت المحارم ، وسفكت الدماء ، وانفسد نظام العالم ، [وتعطلت الحلقة ، وفنيت المواليد ،] ^٤ وتعطلت الآيات ، وبطلت الأشياء بأسرها فويل للمنكرين لذلك ، لو تفكروا ، وعقلوا ، وعرفوا ، وتيقنوا أن جميع ما يشاهدونه من الأمور الكليات ، والجزئيات ، [٦٥] كلها دلائل واضحات ^٥ لاثبات ، وبراهين صادقات ، وألسنة بالحق ناطقات ، على بقاء النفس ، وصحة وجودها بعد فراق الأجسام ، وكونها في محل الآلام ، مرهونة بما كسبت من خير وشر ،

١ أو المسلمين : سقطت في ص .

٢ من : سقطت في ب .

٣ كانوا : سقطت في ب .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٥ واضحات : سقطت في ص .

وأن الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، إنما هو متكلف^١ من أجل بقاء النفس . ومن أدل الأدلة على بقاء النفس [ورجوعها إلى عالمها]^٢ فرحها بعمل الخير ، واصطناع المعروف ، وندامتها على فعل الشر ، وارتكاب القبيح ، إذا أفاقت من سكرتها ، وانتبهت من رقدتها . فهذا دليل واضح ، وبرهان على بقائها ، منها وبها ، وجميع ما في الآفاق والأمهات ، وما في الأرضين والسموات ، من الآيات ، والعلامات فكلها دالة على بقائها ، وكونها إما متألدة بعملها القبيح ، وإما منعمة بعملها^٣ الصحيح .

فصل

فحرام عليك أيها الأخ البار الرحيم ، وحرام على من وقعت في يده هذه الرسالة أن [٦٦] يضيعها بدفعها إلى أحد من هذه الطائفة . فإن أكثر أغراضهم منها ، وأعظم مقاصدهم إليها هو التكذيب لها ، والرد بالمحال عليها ، وسب واضعها ، وتكفير طالبها ، ليطفئوا نور الله بأفواههم ، ويعدلوا بالناس عن طريق الهدى ، والرشاد ، والصلاح ، إلى سبيل العمى ، والمحال ، ومن جوار الرحمن ، وظلال الجنان ، التي قطوفها دانية ، إلى جوار الشيطان ، وظل شجرته الخبيثة ، التي هي أصل الجحيم ثابتة . وإنما وضعنا ما وضعناه ، وبسطنا من بسائط الحكمة ما بسطناه ، لأهل الصفا وخلان الوفا ذوي السرائر ، وأهل البصائر ، الذين أذهب الله عنهم رجس الشك ، وطهرهم تطهيراً من دنس الإفك ، وغسلهم بماء الحياة ،

١ متكلف : مكلف في ب .

٢ سقطت الكلمات المعصورة في ص .

٣ يعملها : يدينها في ص .

وهذا هم بصدق الهداة ، إلى الحق المبين ، والدعاة إلى الصراط المستقيم ، الذين يأخذون ما تأتي به الأنبياء ، والمرسلون ، والأئمة المهديون ، والخلفاء الراشدون ، تسليماً وإيماناً واثقين بصدقهم ، [٦٧] مطمئنين بحقهم فهم في راحة من نفوسهم ، وأولياء الله عنهم في راحة بيقينهم . فهوؤلاء المؤمنون حقاً ، فهم في كل يوم في زيادة من العلوم يحبرون ، وإلى رياض من الحكم يحضرون ، ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾^١ لا يريدون بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة ﴿ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^٢ يعني عذاب الشك في الدين ، والحيرة بعد اليقين فقد ألقينا إليك يا أخي معرفة أهل الحيرة والشك ، لئلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين . [ويتلو ما تقدم شرحه وبيانه ، من الرسائل الجسمانية الطبيعية والرسائل النفسانية العقلية ، وهي عشر رسائل .

[٦٨] وينبغي لك أيها الأخ أيذك الله وإيانا بروح منه ، أن تكون قراءتك أيضاً لهذه الرسائل من أولها إلى آخرها ، ولا تدخل في فصل من فصولها إلا بعد ما تقف على ما قبله ، ومعرفتك ما تضمنه من الحكمة ، ليكون ذلك قائداً إلى الرشاد ، ومبلغاً بك إلى درجة البلاغ والكمال والسداد]^٣

١ سورة ٢٤ : ٣٦ ، ٣٧ .

٢ سورة ٣ : ١٩١ .

٣ سقطت هذه الأسطر المحصورة من النسخة من وضع مكانها المحقق ما يلي : « تمت الرسالة الجسمانية ، وبتمامها كمل الجزء الأول من الرسالة الجامعة ، ذات الفوائد النافعة ، ولواهب العقل الحمد والمنة . ويتلو ذلك الرسالة الأولى من النفسانيات العقلية ، في المبادئ »

فصل

في ذكر الرسائل العقلية والذخائر النفسانيات والإفاضات الإلهيات :
الأولى منها رسالة في المبادئ العقلية على رأي الفيثاغوريين ، وهي
موضوعة للذين تهذبت نفوسهم ، وزكت أرواحهم من دنس التنبهات ،
ووقفت على معاني المحسوسات ، وعاينت الطبيعيات ، وشاهدت المراثيات
من الأمور الجسمانيات ، واشتأقت إلى الإفاضات العقلية ، والذخائر
النفسانيات ، والإفاضات الإلهيات ، لتصير إلى عالم الجنان ، وجوار
الرحمن ذي الجلال والإكرام .

[فصل]

والغرض المطلوب من هذه المقالة ، [٦٩] والمقصود إليه في هذه
الرسالة ، أن الباري جل جلاله ، وتقدس أسماؤه ، لما أبدع الموجودات
في المبدع الأول ، فاخترع المخترعات بوساطته في النفس ، وجعلها مقدرة
في الكائنات ، مكونة بحسب الأمهات والمواليد ، رتبها ونظمها كمراتب
الأعداد عن الواحد الذي قبل الاثنين ، والاثنين قبل الثلاثة ، وكذلك
ما بعده ، وجعل لكل جنس منها حداً مخصوصاً ، ونهاية معلومة ، مطابقة
بعضها لبعض ، فاعلة ومنفصلة هيولى وصورة ، نوعاً وجنساً ، إذ رأى
ذلك أحكم ، وأتقن ، وأكمل ، وأحسن ، وأهدى إليه ، وأبين .

.....
= العقلية على رأي الفيثاغوريين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله أجمعين .
ولم نثر على هذا النص في النسخ الموجودة لدينا لذا صرفنا النظر عنه وأشارنا إلى ذلك في
الهامش . والجدير بالملاحظة أن المحقق أورد النص الساقط في أول الجزء الثاني من هذه الرسالة .

[فصل]

في ذكر سبق الأول وما يتلوه ^١ : فكان العقل الأول لها سابقاً ، وكانت النفس به لاحقة ، ثم الهيولى شائعة ، والطبيعة سائقة ، فالطبيعة تسوق ^٢ إلى الصورة هيولاهما ، لتسوقها ^٣ إلى لطائفها ، إذ بها كمالها وتتمامها . والهيولى مشتاقة إلى النفس ، وما تفيضه ^٤ من فيضها عليها وإحسانها [٧٠] إليها ، والجسم قابل لحركتها وتديرها ، والنفس مشتاقة إلى الفوائد العقلية ، الممدودة من مواد العقل ، ومقبلة بالرغبة إليه ، ومتكئة في جميع الأمور عليه ، والعقل مشتاق إلى أمر باريه ، الذي لا ينفد ما عنده ، الممد له بلطفه ما يكون له به المادة للنفس ، وما هو سابق الأشياء كلها ، وكذلك تمتد ما دونها ، فيدوم الفيض متصلاً ، والبركة عامة ، والنعمة شاملة ، فيكون العقل الأول في المثل لأمر باريه هيولى ، والأمر نفساً فيه ، وروحاً له ، وبذلك تمامه وكماله فلذلك قيل له عقلاً ، وتكون النفس هيولى لأمر العقل ، وتكون النفس فيها ، وتتماميته لها كذلك الهيولى لها مثل ذلك ، والصورة العامة المطلقة للجسم المطلق تمامية له . والهيولى المنبسطة في جميع الأشياء كالرأس ، والأمهات كالأركان ، والمواليذ كالحيطان ، وما يتفرع منها ويبدو عنها كالسكان ، [٧١] وكملت الأار ، وعمرت المدينة ، وكانت كمدينة واحدة يملكها ملك واحد ، فهو يسوسها سياسة مستقيمة : وهو الله سبحانه ، وكنفس واحدة ذات

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ تسوق : تشوقت في ص .

٣ لتسوقها : لتشوقها في ص .

٤ وما تفيضه : تقبله في ص .

جسد واحد كما قال الله عز وجل : ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعُثُكُمْ إِلَّا
كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^١ وأمر الله محيط بها ، وحكمه جارٍ فيها ، ولا ينقص
شيء من ملكه ، ولا تعدم قدرته ، فعل ، وله الأمر من قبل ومن بعد ،
ومنه بدأت الحلقة ، وإليه تعود ، لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

[فصل]

في ذكر العلماء الموحدين في ذكر الحلقة^٢ :
واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن للحكماء والفلاسفة
من أهل التوحيد في بدء الحلقة وما وسموا به أول الفكرة^٣ أسماء كثيرة
ذكرناها في مواضعها ، اختلفوا في ألفاظها ، واتفقوا في معانيها وأغراضهم
فيها ، ولا بد أن نذكر منها في [٧٢] هذا الفصل قولاً مفسراً ، وبياناً
مخبراً ، ليكون ذكرى للذاكرين ، وبياناً للطالبيين . فمن الحكماء من
قال : الهيولى والصورة . ومنهم من قال : اللوح والقلم . ومنهم من قال :
النور والظلمة . ومنهم من قال : الجوهر والعرض . ومنهم من قال :
الروحاني والجسماني . ومنهم من قال : البسط والقبض . ومنهم من قال :
المحبة والشوق . ومنهم من قال : الحركة والسكون . ومنهم من قال :
الوجود والعدم . ومنهم من قال : الزمان والمكان . ومنهم من قال : الدنيا
والآخرة . ومنهم من قال : العلة والمعلول . ومنهم من قال : الظاهر
والباطن . ومنهم من قال : العالي والسافل . ومنهم من قال : اللطيف

١ سورة ٢١ : ٢٨ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ الفكرة : الفطرة في ص .

والكثيف. وما شاكل ذلك من إيراد القول على الأصلين والإشارة إليهما ،
باسمين ، ونريد أن نبين اتفاق أقوالهم في الأصول والمعاني ، واختلافها
في الألفاظ والفروع ، ليعلموا أن الحكماء لا اختلاف بينهم في أصولهم
[٧٣] وأقوالهم .

[فصل]

في إيضاح ذلك [١] : فأما الذين قالوا الهيولى والصورة ، فعنوا
أن العقل صورة للنفس وتمامية لها ، وأنها هيولى له لقبولها آثاره ، وإشراقها
بنوره ، فهو مودعها صورة التمام ، ومبلغها إلى درجة الكمال . ومنهم
من قال : النور والظلمة ، فعنى بالنور نور العقل وصفوة الذي لا كدر
فيه ، وبالظلمة النفس بميلها إلى الطبيعة ، فتظلم عليها سبيلها إذا أقبلت عليها ،
وتخلت عن العقل ، فتكون حينئذ ظلمة مظلمة . ومنهم من قال : اللوح
والقلم ، فإنما عنى به العقل والنفس ، لأن ما كتبه ^٢ القلم لاح ^٣ في
اللوحة المحفوظ ، ومنهم من قال : الجوهر والعرض ، عنى بالجواهر
العقل ، إذ كان أبا الجواهر ، ومجوهرها ، وعنصر العناصر ، ومعصرها ،
والنفس بالنسبة إليه وكونها عنه عرض منه ، وجوهر بالنسبة إلى غيرها ،
مما دونه ، وغيرها جوهر بالنسبة إلى غيره ، مما دونه وأما من قال :
[٧٤] الروحاني والجسماني ، فإنما عنى بالروحاني العقل ، إذ هو روح
القدس المحض . لا كدر فيه ولا كثافة تلحقه ، وعنى بالجسماني النفس

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ كتبه : خطه في ص .

٣ لاح : سقطت في ص .

بالنسبة إلى العقل : لاتحادها بالأجسام ، وميلها إلى الطبيعة ، والنفس روحانية : بوجه إقبالها على العقل : جسمانية بوجه إقبالها على الطبيعة .
ومنهم من قال : البسط والقبض ، فإنما غنى بالبسط بسط العقل أنواره وفوائده ونعمه على النفس ، وعنى بالقبض النفس لقبضها ما تستفيده منه ، وإفادتها من دونها وقبض من دونها منها ، وأخذها عنها . وأما من قال : المحبة والشوق . فإنما غنى بالمحبة إقبال العقل على النفس بالمحبة ، إذ هو لها كالأب ، وأما الشوق فشوقها إلى فوائده وتلقيها نعمه . وأما من قال : الحركة والسكون فإنما غنى بالحركة العقل لتحركه بأمر مبدعه لظهور الأشياء عنه ، وبالسكون النفس لسكونها إليه ، وطمأنينتها^١ به ، وأما من قال : الوجود والعدم ، [٧٥] فإنما غنى بالوجود العقل الذي هو أول موجود قبل فيض الجود ، من السيد المعبود ، لا إله إلا هو سبب وجود كل موجود ، والعدم غنى به النفس إذ كانت معدومة لولا العقل ، فهي بالنسبة إليه ، وبتقدمه عليها عدم ، وهو أصل ، وهو وجودها . وأما من قال : الزمان والمكان فإنما غنى بالزمان العقل ، إذ كان هو زمان الأزمنة ، ودهر الداهرين ، وعنه بدأ الحركة التي هي أصل الزمان ، وعنى بالمكان النفس ، إذ كانت مكاناً لما يلقي إليها^٢ العقل من فوائده ، وتلقيها ذلك منه^٣ ، واتساعها له ، فهي المكان وهو المتمكن ، وهو الزمان ، وهي المتزمن به . ومنهم من قال : الدنيا والآخرة . فإنما غنى بالدنيا النفس ، إذ كانت هي سبب عمارتها وحياة عالمها ، وبالآخرة العقل ، إذ هو دار الحيوان ، وجوار الرحمن ، وأما من قال : العلة

١ وطمأنينتها : واطمأنانها في ب .

٢ إليها : إليه في ب .

٣ منه : سقطت في ب .

والمعلول ، فإنما عني بالعلة العقل ، [٧٦] وبالمعلول النفس ، إذ كان العقل علة للنفس ، وهو سبب وجودها . وأما من قال : المبدأ والمعاد ، فإنما عني بالمبدأ العقل ، إذ هو أصل بداية الأشياء ، وبالمعاد النفس ، إذ كانت إليه عودتها وقت استفادتها وقبول مادتها ، ومنهم من قال : الظاهر والباطن ، فإنما عني بالظاهر العقل ، لظهور آياته وبيان موجوداته ، وبالباطن النفس ، لبطون جريان قواها ، وبكون روحانياتها في بواطن المحسوسات ، وخفيات الجسمانيات ، ولطائف الطبيعيات . فبهذا البيان وصحة هذا البرهان قد اتفقت أقوال الحكماء في مقاصدها وأغراضها ، واختلفت في لغاتها وألفاظها .

فصل

[في مقابلة الأصلين المبدعين بالفرعين المخلوقين]^١ :
فلما كان هذان الاسمان واقعين على الأصلين الأعلىين اللطيفين في العالم العلوي ، كان بإزائهما مثلهما في العالم السفلي ، فمن ، ذلك ما قالته الحكماء ووصفته العلماء ، بما [٧٧] هو ظاهر في الحس ، وموجود في اللمس من كثيف ولطيف ، ورطب ويابس ، وثقيل وخفيف ، وحي وميت ، وزائد وناقص ، وجماد ونام ، وناطق وصامت ، وذكر وأنثى ، فكل هذه أيضاً إشارة إلى النفس الجزئية ، والأجسام الطبيعية التي دون فلك القمر في عالم الكون والفساد ، فالنفس الناطقة في هذه المحال كمحل العقل في العالم الأعلى ، ومحل سدرة المنتهى والطبيعة لهذه النفس الجزئية كالنفس الكلية للعقل الكلي . فهذه النفس الجزئية هي العقل الجزئي ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وقوى الطبيعة لها كالنفوس الجزئية ، فإذا قبلت النفس الجزئية فيض النفس الكلية بوساطة الأفلاك العالية ، واتبعت المرسلين المؤيدين بالملائكة ارتقت ، وارتفعت من محل رتبة الجزء إلى فسحة الكل^١ ، والاتصال بمحل الملائكة عند سدرة المنتهى ، حيث لا تدرك صفة [٧٨] ذلك المكان لرجوع البصر عنه وهو حسير ، والفكر وهو قصير ، وكذلك القوى الحيوانية^٢ ، متى قبلت فيض النفوس الجزئية ، بوساطة التعاليم الرياضية^٣ صارت يوماً ما إلى رتبة النفوس الجزئية ، وتقبل التعاليم [التكليفية بوساطة الصور الإنسانية]^٤ ، فكذا يكون انتقال النفوس الحيوانية إلى الصورة المستقيمة ، ولذلك قيل إن آخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان ، وأول مراتب الإنسان في العلم والتعليم الأمور المحسوسة ، وذوات الأشياء الملموسة ، والعلوم الرياضية ، ونهاية بلوغ العلوم الإلهيات ، وهي أول درجة الملائكة ، وأول درجة الملائكة التسبيح والتقديس ، ومعرفة الوحي والإلهام ، ثم الدخول في زمرة الملائكة العلى ، فلا يكون بعد ذلك عائداً إلى الدرجة الأنسية ، ولا إلى الصورة الجسمانية ، ولا إلى الهيولى الطبيعية ، ولا إلى القوى [٧٩] الحيوانية ، وإلى النفسانية النباتية ، ويكون به الغنى عن الغذاء الذي يناله من الأمهات ، بوسائط الصور النباتية ، ويكون غذاؤه من أمور عقلية ، وإفاضات إلهية ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وهذا هو

١ الكل : رتبة الكل في ص .

٢ الحيوانية : النباتية في ص .

٣ الرياضية : الإلهية في ص .

٤ التكليفية بوساطة الصورة الإنسانية : الحيوانية في الصورة .

الملك الذي لا يبلى ، والدوام الذي لا يفنى ، وهو الملك الحديد ، ملك
الله ، في دار كرامته ، ومحل رضوانه ونعمته .

فصل

[فيما قرب من أفهام الخلق من ذكر الباري سبحانه] ^١ :
واعلم يا أخي أنه يقال بالتقريب إلى أفهام البشر أن الباري جل
ثناؤه ، وتعالى كبرياؤه ، هو قبل الموجودات ، كما أن الواحد هو قبل
الأعداد ، كذلك الباري عز وجل مُوجد الموجودات ، وكما أن الاثنين
التي هي أول الأعداد ترتبت عن الواحد ، كذلك العقل أول موجود
أبدعه الباري ، فمنه غريزي ، ومنه ^٢ ومكتسب ، دليل على رتبته في
الموجودات ، وكما أن الثلاثة ترتبت بعد الاثنين ، كذلك النفس ترتبت
[٨٠] في الوجود بعد العقل ، وصارت أنواعها ثلاثة : نباتية ، وحيوانية ،
وناطقة ، لتكون دلالة على رتبها في الموجودات [وكما أن الأربعة ترتبت
بعد الثلاثة كذلك الهیولی ترتبت في الوجود بعد النفس وصارت أنواعها
أربعة لتكون دليلا على رتبها في الموجودات فهیولی صناعية وهیولی
طبيعية وهیولی الكل والهیولی الأولى ثم الطبيعة ترتبت بعد الهیولی] ^٣
كما أن الخمسة ترتبت بعد الأربعة ، ومن أجل ذلك قيل إن الطبائع خمس ،
أولها طبيعة الفلك ، وأربعة تحت الفلك ، ثم ترتب الجسم المطلق بعد

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ ومنه : سقطت في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الطبيعة كما ترتبت الستة بعد الخمسة ، ومن أجل ذلك قيل إن الجسم له ست جهات ، ثم ترتب الفلك من الجسم ، كما ترتبت السبعة بعد الستة ، ومن أجل هذا صار أمر الفلك يجري على سبعة كواكب مدبرات ، [٨١] لتكون دلالة على رتبته في الموجودات [ثم ترتبت الأركان في جوف الفلك ، كما ترتبت الثمانية بعد السبعة ، ومن أجل هذا قيل إنها ذات ثمانية مزاجات : فالأرض باردة يابسة ، والماء بارد رطب ، والهواء حار رطب ، والنار حارة يابسة ، لتكون هذه الثمانية الأوصاف دالة على رتبته في الموجودات الكلّيات ، وترتب المولدات [من الأركان بعدها ، كما ترتبت التسعة بعد الثمانية ، ولذلك قيل إنها ذات تسعة أنواع ، فهذه التسع الأمهات الكلّيات ، وهي آخرها ^١ كما أن التسعة آخر الأعداد ^٢ . فاعلم ، ثم ولدت المولدات الثلاثة الأجناس ذوات التسعة الأنواع لتكون دلالة على رتبته في الموجودات الكلّيات وهي آخرها كما أن التسعة آخر الآحاد . فاعلم ذلك أيها الأخ وتفكر فيه ، وتبين ، واعلم أن [٨٢] بالنفس ترتبت هذه الأشياء كلها مراتبها ، ووقفت في أماكنها ، وأن النفس هي الباعثة لها [والمبلغة لها] ^٣ إلى أقصى مدى غاياتها ، وتتمام نهاياتها ، من جميع الأشياء المتعلقة بها المتحركة بحركتها ، والعقل يمدّها ، والباري سبحانه موجدّها ، ومبدعها ومبديها ، ومدبمها ، ومبقيها ، فكيف يتوهم المتوهم بفساد تخيله أن لا وجود لها ولا بدء منها يتقدم على وجود الأجسام ، وكيف يكون ذلك كذلك وبها كانت الأجسام ، وهي المسمّية لها بهذا الاسم ، والملقية عليها صورة الجسم . ولولا النفس ووجودها لما يقال جسم ، ولا

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ الأعداد : الآحاد في ص .

٣ والمبلغة لها : سقطت في ص .

يعرف له رسم ، وإنما يقال جسم لنفس ، وجسد لروح ، كما يقال دار
لساكن ، وفرس لراكب وما شاكل ذلك فبالبرهان أن ساكن الدار متقدم
في وجوده عليها ، وبقا بعد خرابها ، وبأن له : إذا تهدمت داراً غيرها
كما بيناها أولاً . وكما لا يجوز في العقل : ولا يطلق من [٨٣] القول إن
الدار تكونت لساكنها ، وانقادت الفرس لراكبها من غير أن يكون بناء^١
بناها ، أو سائس ساسها ، أو آلة عملت لركوبها ، كذلك لا يجوز في العقل ،
ولا يطلق من القول إن النفس كانت بعد كون الجسم والأقرب من الحق
والأحسن من القول ، والأصوب بحجة العقل ، القول بقدم النفس ،
وكون الجسم بعد وجودها ، واتحادها به لتتام المشيئة ، وبلوغ الإرادة
فأين يتاه بالذين عموا عن معرفة نفوسهم ، واطمأنوا لفنائها ، وأنسوا
باضمحلالها ، ودعاهم إلى ذلك ما ارتكبه من عظيم الأوزار ، [ومخافة
عقاب النار]^٢ واستراحوا إلى الاطمئنان ، بأن لا وجود لهم ، هيهات
﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾^٣ وهم الذين قال الله فيهم ﴿حَتَّى
إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾^٤ ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾^٥ يعني تقول نفسه ، إذا
رأت العذاب المتخذ بجوهرها : [٨٤] يا ليتني كنت جسماً قد بلي وقد
صار في التراب ، الذي لا يناله عذاب ، ولا يحس بألم العقاب . فبالبرهان
الديني ، والدليل الشرعي ، أن النفس باقية بعد الجسم ، وكائنة قبل الجسم ،

١ بناء : بان في ب .

٢ ومخافة عقاب النار : سقطت في ص .

٣ سورة ٣٤ : ٥٤ .

٤ سورة ٧٢ : ٢٤ .

٥ سورة ٧٨ : ٤٠ .

كما قال الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ يعني عالم الأرواح قبل الخطيئة والهبوط إلى عالم الأجسام ، ﴿ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۚ ﴾^٢ يعني ما متعناكم به من الآلات الجسمانية التي جعلناها لكم وسائط تتناولون بها فعل الطاعات ، وتأمل الآيات ، والوقوف على العلامات الظاهرات في السموات والأرض ، يمرون عليها ليلاً ونهاراً ، فتركتم ما خولنا لكم من ذلك وراء ظهوركم ، وأقبلتم على اللذات الجسمانية ، والشهوات الطبيعية ، حتى سلبت منكم تلك الآلات ، وأخذت منكم تلك المطايا ، وبقيتم في ظلمات التيه ، ثم جئتمونا يوم الوقت المعلوم فرادى كما خلقناكم [٨٥] أول مرة ، وما نرى معكم من شفعاء ، فيشفعوا لكم أي ما نرى معكم أفعالاً صالحة ، ولا أعمالاً زكية تشفع لكم فيزول بها عنكم العذاب الأليم ، فعند ذلك يقولون : ﴿ يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ ۚ ﴾^٣ فنعمل غير الذي كنا نعمل ، قيل لهم : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ۚ ﴾^٤ ما فيه ذكرى لمن تذكر ، وعبرة لمن اعتبر ، ولمن أراد أن يعمل صالحاً ، أو أراد شكوراً . فيا ليت شعري إلى من يتجه هذا الخطاب ، ألى الأنفس بمجرددها ، أم إلى الأجسام البالية ، التي قد صارت تراباً ، وإنما ذكر الله سبحانه أنه يخاطب ذوي الألباب ، ومن يقبل الخطاب ، ويرد الجواب فأين يذهب من يكذب بهذا البرهان ، إلا إلى سوء المآب ، وأليم العقاب ، نجانا الله وإياك أيها الأخ من هذه الفئة الهالكة الضالة المضلة ،

١ سورة ٦ : ٩٤ .

٢ سورة ٦ : ٩٤ .

٣ سورة ٦ : ٢٧ .

٤ سورة ٣٥ : ٢٧ .

وجميع إخواننا حيث كانوا في البلاد ، إنه رؤوف رحيم ، جواد كريم ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم [٨٦] .

فصل

[في ذكر]^١ الرسالة الثانية [الرسالة الثانية منها في المبادئ العقلية على رأي
إخوان الصفا وخلان الوفا]^٢ وهي مطابقة لقول الحكماء الفيثاغوريين في الإخبار
عن كون الموجودات عن الباري سبحانه ككون الأعداد وعن الواحد ،
وأسباب الكائنات الكلّيات والجزئيات عن الباري جل وعز ، وترتيبها في
الوجود كترتيب العدد الصحيح عن الواحد الذي قبل الاثنين .

[فصل]^٣

وهذا القول من أصوب الأقوال ، وأصبح المقالات ، وأبين الدلالات ،
ولذلك وافق مذهب أهل هذا الرأي مذهب إخواننا الكرام ، أيدهم الله وإيانا
بروح منه ، إذ كان مذهبهم هو القول بوضع الأشياء في مواضعها التي وضعها
الله سبحانه فيها ، وفطرته التي فطرها عليها ، مستقيماً نظامها ، معتدلة
أقسامها ، مستوية نسبتها ، ثابتة نصبتها ، لا تباين فيها يعدلها ، عما هي عليه ،
ولا زيادة فيها ولا [٨٧] نقصان منها ، إذ كانت متقنة النبتة ، محكمة الصنعة

١ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

؛ يعدلها : يعديها في ص .

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^١
 بالنظر إلى آياته ، والتفكر في خلق أرضه وسماواته : وهذا مذهب الربانيين ،
 وبه ترتقي إلى محل الملائكة الروحانيين ، ومفارقة الجسدانيين .

[فصل]

في ذكر الرسالة الثالثة [٢] :

الرسالة الثالثة منها في معنى قول الحكماء : إن العالم إنسان كبير ،
 ذو نفس وروح ، حي ، عالم ، طائع لباريه ، خلقه ربه جل ثناؤه ،
 يوم خلقه تاماً كاملاً ، وإن الخلائق كلهم داخلون فيه بأجمعهم ، وهو
 جملتهم ، وليس بخارج العالم شيء آخر ، لا خلاء ولا ملاء ، وليس العالم
 في مكان ، وكل ما فيه في مكان موكل به ، وكل واحد من العالمين بمكان هو
 أليق به من أمكنة العالم ، بحسب ما يوجد من تمكنه فيه ومنه وعليه وبه ، وما
 يتأتى منه كل ذلك في أمكنته بتقدير الأزمنة ، وإن منه وفيه [٨٨] موكل به
 ملائكة له ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^٢
 ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^٣ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
 يَفْتُرُونَ﴾^٤ عن عبادته : كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ
 مَعْلُومٌ . وَإِنَّا لَنَسْحَنُ الصَّافُونَ . وَإِنَّا لَنَسْحَنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾^٥ .

١ سورة ٢ : ١٣٨ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سورة ٦٦ : ٦ .

٤ سورة ٣٦ : ٤٠ .

٥ سورة ٢١ : ٢٠ .

٦ سورة ٣٧ : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

[فصل]

في بيان أن الإنسان عالم صغير ^١ :
ولما كان الإنسان عالماً صغيراً مختصراً عن العالم الكبير الذي هو إنسان كبير
وأنا قد بينّا في رسالة الإنسان عالم صغير ماهيته وكيفية بنيته وأنه مختصر من العالم
الكبير ، فنريد أن نذكرها هنا في هذا الفصل من هذه الرسالة الجامعة كيفية بنية
العالم بأسره ، وأنه إنسان كبير مماثل لصورة الإنسان الذي هو عالم صغير
ليعانيه التأمل له بعين البصيرة ، فيكون له عبرة ، [٨٩] ويعلم أن الله سبحانه
مطلع على خلقه ، لا يغرب عنه مثقال ذرة من أمر عالمه ، صغيرة ولا كبيرة
إلاًّ أحصاها ، وهو الكتاب الذي قال الله سبحانه : ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا
مَالِ هَذَا الْكِتَابِ ﴾ ^٢ لما وقفوا عليه وبانت لهم قراءته ، وتدبروا آياته .
﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ^٣ وهو اللوح المحفوظ ، فيه صور
الأشياء ، وهو الكتاب المسطور ، والرق المنشور ، لمن أحسن قراءته وتدبر
آياته ، والوقوف على علاماته ، والسقف المرفوع ، بأمر الله ، والبحر
المسجور ، أن يحيط بمعرفة ما فيه إبليس اللعين ، وجنوده أجمعين ، وهذا
خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ، وهو الصورة التي صور عليها عالم
الإنسان ، وهذا الشخص هو المتحدة به النفس الكلية ، والعقل متحد بها ،
وأمر الله سبحانه [٩٠] محيط بها إحاطة القدرة المبلغة لها لما دونها بمشيئة الله

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سورة ١٨ : ٤٩ .

٣ سورة ١٨ : ٤٩ .

إلى أعلاها المتصرفة كما يشاء ، والعقل وجهه المتقبل بالطاعة ، المشرق بأنوار
التأييد ، والنفس الكلية ، صدره الصادرة عنه بأمره ونهيه ، القابلة منه جوده
وفيضه . والأفلاك التسعة جوفه والكواكب السبعة جوارحه ، كجوارح
الإنسان السبعة التي في وجهه ، والبروج الاثنا عشر حواسه ، والقوى
النفسانية السارية منه روحه وأنفاسه ، وأجناس مواليده وغرائب ما في
جسمه من فنون أشكاله ، وعجائب أوصاله ، وعالم الكون والفساد يداه
الباسطة والقابضة ، والشمس والقمر عيناه ذات الأنوار الساطعة ، ومركز
الأرض والطبيعة رجلاه ، وأمر الله تعالى محيط^١ به ، وهو سائح^٢ في
فلك القدرة وحجاب^٣ المشيئة ، والله تعالى مطلع عليه ، ومحيط به إحاطة
تقدير وتدبير ، لم يعنه عليه معين [٩١] ولا ظهير ، ولا احتاج في خلقه
إلى إجمالة تفكير ، ولا مشاورة مشير ، سبحانه وتعالى وهو العلي الكبير .
فهذا قول يدل على أن العالم إنسان كبير وأن الإنسان ، الذي هو عالم
صغير ، مختصر مستخرج من جملته ، ومؤد^٤ عنه مادته ، وقابل منه إفادته .
وقد بينا في رسالة الإنسان عالم صغير مطابقة جواهر الإنسان وبنية جسده ،
لما في العالم الكبير من الموجودات بأسرها ، والموايد كلها عاليا وسافلها .
وكان الغرض المقصود إليه من هذه الرسالة ، أعني رسالة العالم إنسان كبير ،
معرفة الموجودات الجنسية والنوعية والشخصية مع جنس من^٤ الأجناس ،
كمثل قبيلة لها شعوب ، ولشعوبها بطون ، ولبطونها أفخاذ ، ولأفخاذها
عمائر ، ولها عشائر وأقارب ، ومثل شريعة فيها مفروضات كثيرة ،

١ محيط : حائط في ب .

٢ سائح : سابع في ص .

٣ حجاب : أفق في ص .

٤ من : سقطت في ب .

وأحكام مفتنة ، ولتلك المفروضات سنن مختلفة ، وحدود متغايرة يجمعها كلها [٩٢] دين واحد .

فصل

[في إيضاح أن النفس عالم واحد]^١ : فتدبر يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، هذه المقالات ، واعلم أن النفس أيضاً بجميع قواها المنبثة منها أنها جوهر واحد : وأنها عالم واحد ، وأنها صورة ملكية ، وأنها تكون مستغنية بقواها وجواهرها ، إذا ما فارقت الأجسام الأرضية وتخلت عن الشهوات الطبيعية ، وذلك أنها ذات فروع أربعة كشجرة تفرعت منها أربعة غصون : فسنها عاقلة ، وناطق ، ونامية ، وحيوانية ، وهي داركة بالقوة ، فعالة بالطبع ، وهي ذات سبع قوى : قوة عاقلة ، وقوة حافظة ، وقوة ذاكرة ، وقوة متخيلة ، وقوة متفكرة ، وقوة ناطقة ، وقوة علامة ، وتنبت منها إثنا عشرة روحانية تتصل بأفلاك تدوير البروج الاثني عشر ، وسبع مواد نفسانية ، تمد الكواكب السبعة ، وتسري منها في الطبيعة [٩٣] أربعة مواد تهبط كل مادة منها من باب من الأبواب التي هي آلتها ، حتى تنتهي إلى فلك القمر ، [وتسري منها]^٢ إلى عالم الكون للفساد ، فيرتبط بعضها ببرز المعادن وبعضها بخروج النبات ، وبعضها بالحيوان ، وبعضها بعالم الإنسان ، فهي بهذه الصورة مماثلة لصورة الجسم المبني بالحكمة اللطيفة ، والصنعة المتقنة لتأوي إليه ، وتأنس به : ثم إن كذلك جميع أجسام الحيوان ، وهي مبنية على مثال صورة الإنسان ، ولكنها معكوسة البنية ، مردودة إلى

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ وتسري منها : سقطت في ص .

أسفل سافلين ، لأنها ذات طبيعة ثقيلة وأخلاق رديئة مظلمة فلذلك انعكست فيها النفوس الرذلة الدنيئة ، الناقصة ، ومنها ما هي صم بكم عمي ، فبهذه الصفة عالم النفس بجميع ما فيه من القوى النفسانية والحركات الروحانية ، نفس واحدة وإنسان واحد ، ويكون العقل روحه ومدبره محيطاً^١ به . وكذلك [٩٤] العقل هو جوهر واحد ، شفاف ، فاضل كله ، لا تباين فيه ، ولا تغاير ولا يفسد ولا يضمحل ، ولا يهبط ، ولا يزداد ، ولا يتحد كاتحاد النفوس بالأجساد ، وإنما اتحاده بجواهر النفوس المتحدة بالطبائع الصافية ، فيكون إشراقه على النفوس بحسب إشراق بقاعها الطاهرة ، فتظهر فيها أنواره ، وتنشر عليها بركاته ، وهو بجواهره العالية ، وأقسامه الفاضلة ، ونهاياته الكاملة ، إنسان واحد ، وروحه التي هي سبب بقائه ودوامه أمر الله تعالى ، وفيضه المتصل به الذي لا ينقطع عنه ، فهو صفو كله ، والأمر متحد به ، لا فرق بينه وبينه كافتراق الروح من الجسد ، وهباينة اللطيف من الكثيف ، جل ذلك الجلال عن الصفة بما توصف به النفس ، والهيولى ، والجسم ، والطبيعة فلا موجود يوجد بصفة تطرد إلى من هو سبب وجود كل موجود ، ومنه الجود على [٩٥] كل موجود يقبل الجود ، وهو سبب الأسباب وغاية الطلاب . فاعلم أيها الأخ ، هذا العلم ، التحليل ، وتفكر فيه ، فقد بان الهدى لطالبيه واتضح طريق الحق لسالكيه ، والله يهدي إلى صراط مستقيم .

١ محيطاً : حائط في ب .

فصل

في معرفة أقسام العالم بأسره وانه داخل في أمر الله :
اعلم يا أخي أيذك الله وإيانا بروح منه ، أن العالم كله ، بما فيه ، داخل
تحت أمر الله سبحانه ، غير خارج عنه ولا هارب منه ، وأنه في قبضته وتحت
إرادته ، فأوله ، وأعلاه ، وأقربه هو العقل وهو مثل الحجاب الأعظم ، والباب
الأكبر ، الذي منه الوصول إلى توحيد الله تعالى ، والنظر إليه ، والوقوف
بين يديه . وهو أول الأسباب ، وله في العالم السفلي مثال^١ إذ كان كل
شيء مما دون الباري سبحانه زوجين اثنين ليكون هو الواحد الفرد الصمد ،
الذي لم يلد ولم يولد ، ونظير العقل الكلي في العالم الأعلى العقل [٩٦] الجزئي
وهو وجه العالم السفلي ومديره ، والقاضي بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ثم
النفس الكلية ، وهي ثاني العبيد العظام ، والملائكة الكرام ، [وحملة العرش]^٢
وهي الكرسي الواسع الذي وسع السموات والأرض ، ولها مثل في العالم السفلي
ونظير ، وهي النفس الجزئية الحافظة^٣ لجميع مواليد الأجسام الطبيعية ،
كإحاطة النفس الكلية بجواهر الأفلاك السماوية ، ثم الهيولى الأولى التي هي
ذات الأفلاك ، ونظيرها في العالم السفلي المهيولى ، التي هي^٤ ذات الأمهات ،
ثم الصورة النفسانية المتممة لعالم الأفلاك المعطية لها صورها المستحقة لها ،
المرتبة لها في أماكنها اللاتقة بها ، المفيض عليها أنوارها ، وكذلك نظيرها
في العالم الصورة الإنسانية ، التي هي كمال الأجسام الطبيعية والأشخاص

١ مثال : مثل في ب .

٢ وحملة العرش : سقطت في ص .

٣ الحافظة : المحيطة في ص .

٤ هي : سقطت في ب .

الحسية ، ثم الجسم المطلق بجميع ما فيه ، وهو الفلك المحيط في العالم الأعلى [٩٧] المحيط بجميع الأفلاك والكواكب ، والأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض بما فيها . وكذلك مركز الأرض محيط بجميع ما عليها ، فالأشياء كلها مرتبطة بعضها ببعض ، وأمر الله محيط^١ بها كلها ، من [جميع آفاقها ، وهو مطلع عليها اطلاع الإحاطة بها]^٢ لا يغيب عنه شيء منها . فهذه معرفة قراءة كتاب الله الذي كتبه بيده ، والنظر إلى سقفه الذي رفعه ، وبحر علمه الذي بخره عن إبليس وجنوده ، لئلا يصلوا إليه ، فحرام على من وصل هذا العلم إليه ، وقدر عليه ، إلاّ صانه كل الصيانة ، فإنه مطالب به ومسؤول عنه ، إن أضاعه ، وذلك قول الله : ﴿ مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعَثْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾^٣ وقوله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾^٤ .

فصل^٥

وفي هذه الرسالة [٩٨] يا أخي أيذك الله وإيانا بروح منه ، من الحكمة ما لا يسعنا أن نخلي هذه الرسالة الجامعة من ذكره ، وإعادة القول عليه فيها ، إذ كان قولاً جامعاً يدل على المعرفة بالأشياء بما هي به أشياء ،

١ محيط : حائط في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سورة ٢٨ : ٢٨ .

٤ سورة ٣ : ٣٠ .

٥ فصل : سقطت في ص .

ولتكون هذه الرسالة قائمة بما يحتاج إليه إذا غابت الرسائل بأسرها ،
فتكون هي تقوم مقامها كلها وتزيد عليها .

فصل

قول الله سبحانه ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة ﴾^١ يعني
لولا فيض جوده على النفس الكلية بوساطة العقل لذهب العالم بأسره ،
وبطلت أقسامه ، وانفسد نظامه في لحظة واحدة .

فصل

[في بيان ذلك وإيضاحه]^٢ : وإذا قالت الحكماء الجسم الكلي ،
فإنما يعنون به العالم بأسره ، والنفس الكلية هي المحركة له ، والعقل الكلي
يعنون به القوة الإلهية المؤيدة للنفس الكلية ، السارية في جميع الأجسام ،
المحركة لها ، المحيطة [٩٩] بها ، المظهرة لها ، وبها ومنها أفعالها ، وإذا
قالوا الهيولى الأولى ، فإنما عنوا بها الجوهر الذي قبل الطول ، والعرض ،
والعمق ، وإذا قالوا الجسم المطلق ، فإنما عنوا به الجوهر الذي له طول
وعرض وعمق ، فهو بها جسم مطلق ، وإذا قالوا "الأجسام البسيطة" فليعلم
عنوا بها الأفلاك ، والكواكب والأركان الأربعة ، التي هي النار ،
والهواء ، والماء ، والأرض . وإذا قالوا الأنفس البسيطة ، فإنما عنوا بها
قوى النفس الكلية ، المحركة ، المدبرة لهذه الأجسام ، السارية فيها ،
فهذه القوى تسميها الحكماء الملائكة الروحانيين ، في كتبها ورسائلها ،

١ سورة ٣١ : ٢٨ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وإذا قالوا الأجسام المولدة ، فإنما عنوا بها أنواع النبات ، والحيوان ،
 والمعادن ، وإذا قالوا الأنفس الحيوانية ، والنباتية ، والمعدنية ، فإنما عنوا
 بها قوى النفس البسيطة ، المحركة المدبرة لهذه الأجسام ، المولدة السارية
 فيها ، المظهرة بها ، [١٠٠] ومنها أفعالها ، وإذا قالوا الأجسام الجزئية ،
 فإنما عنوا بها أشخاص الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، وغيرها من
 المصنوعات على أيدي البشر ، فإذا قالوا الأنفس المتحركة ، فإنما عنوا
 بها قوى النفس الحيوانية ، والنباتية ، والمعدنية ، السارية في الأجسام
 الجزئية ، المحركة المدبرة لها ، المظهرة بها ، ومنها أفعالها [واحدًا واحدًا
 من الأشخاص الموجودة تحت فلك القمر] ^١ فقد بان بهذا البيان ، وصادق
 البرهان ، أن العالم يحملته مثله كمثل إنسان واحد ، طائع لباريه ، شاهد
 لخالقه بالوحدانية .

فصل

[في بيان أن الأنفس الجزئية قوى النفس الكلية] ^٢ : وإذا قالت
 الحكماء النفوس الجزئية ، فإنما يعنون بها القوة المنبثة الهابطة إلى المركز
 السفلي ، المشتاقة إلى عالم الطبيعة ، المتخلفة عن قبول الإفاضة العقلية ،
 التي لحقها الفتور عن التسبيح ، والتقديس ، في محل الأنوار ، فأهبطت
 إلى قرار المركز [١٠١] ووقع بها تكليف العبادة ، وصعوبة الطاعة ، بالآلة
 الجسدانية ، والأشخاص الطبيعية ، وكانت بنوع هي به الآن ، وإليه
 ترجع إذا ثابت من خطيئتها ، واستقالت من عثرتها ، ولذلك تعطف

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الكلية عليها ، وتأنس إليها . وأرسل الله الرسل والمندرين ، وأمدهم بالملائكة المقربين ، فإن تابت وأنبأت ، عادت إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان ، وإن عصت ، وأبت ، وأصرت ، واستكبرت ، وعن المندرين تخلفت ، وإن ذكرت لا تذكر ، وإن بصرت لا تبصر ، تحيرت ، وتقطعت كقطع السيل المنحط من ذروة الجبل في تخوم الأرض ، وصارت في أسفل سافلين . فهي تارة تنزل بالفساد ، وتارة تطلع بالكون إلى محل الأجساد ، وتارة يتصرف بها الزمان وتغاير الأيام ، وتنبت في الآفاق ، تنقطع أما ، ثم يكون جمع إلفتها ، وضم شملها إذا آن الوقت المعلوم ، والأجل المحتوم ، وجاء وقت الختام ، وتم التمام ، وجاء [١٠٢] ربك في ظلل من الغمام ، وحضرت الملائكة الكرام ، وبرز الرب لفصل القضاء ، وأحضرت الرقباء ، ونصبت الموازين ، ومد الصراط للجائزين بين الجنة والنار ، ونودي الشهداء ، وشهد على المذنبين سمعهم وأبصارهم ، وختم على أفواههم ، وتكلمت جلودهم بما كانوا يعملون ، يوم ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ وذلك اليوم الموعود وهو بروز النفس الكلية ، لتعرض عليها قواها المنبثة منها ، البعيدة عنها ، لتردها إليها وتقربها منها ، ومثلها عند ذلك كمثل الملك الذي بث جنوده ، وفرق أعوانه في أطراف مملكته وولاياتهم الولايات ، وأمرهم ، ونهاهم ، وأنفذ إليهم رسله ، وحجابه ، وخاصته ، فمنهم من قبل ومنهم من تخلف عن الطاعة ، وعصى ، وقتل الذي أرسل إليه وتكبر عليه ، فلما دنت نهايتهم ، جمعهم من أطراف مملكته ، وأقاصي [١٠٣] دولته ، ثم برز إليهم بنفسه ليحاسبهم ويجازيهم . فمن أطاع

وَأَنَابَ ، وَقَبِلَ وَتَابَ ، أَنَعِمَ عَلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَقَرَّبَهُ مِنْ مَحَلِّهِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ ، وَشَمَلَتْهُ رَحْمَتُهُ ، وَمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ ، وَنَهَيْهِ ، وَارْتَكَبَ مَحَارِمَهُ ، وَانْتَهَكَ مَا نَهَى ، وَقَتَلَ رِسْلَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ ، نَخَلَدَ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ، وَالبلاء المقيم ، وكما أن فعل الملك برعيته وجنوده وأهل مملكته بتأييد من الله سبحانه ﴿يَتَوَمَّ يَتَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^١ ويكون الحكم والقاضي الله سبحانه ، والملائكة شهود على الأنفس بما كسبت ، ويناولونها كتبها بما عملت ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾^٢ وإذا كان الحساب وتولي الخطاب بأمر الله ، فهو القاضي والحاكم ، وتتره سبحانه عن مخاطبة العالمين ، من الروحانيين والجسمانيين ، كمخاطبة المخلوقين ، ذلك الله رب العالمين . وكما أن سيرة التنزيه والإعظام جائز في [١٠٤] ملوك البشر ورؤسائهم ، إذ أمرهم ونهيتهم جار منهم إلى رعيته ، وحاشيتهم ، على أيدي خواصهم ، وأهل القرب منهم ، وما فعلوه بأمرهم فهو منسوب إليهم كما يقال قتل الملك فلاناً ، وليس هو قتله بيده ، ولكن بأمره ، ولذلك قال الله سبحانه لرسوله : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^٣ وعلى هذا المثال .

[فصل]

في أن جميع الموجودات في الدنيا أمثلة لما يكون في الآخرة^٤ :
إعلم يا أخي أيذك الله وإيانا بروح منه ، أن جميع أمور الدنيا ، وما

٢ سورة ٥٨ : ٦ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

١ سورة ٧٨ : ٣٨ .

٣ سورة ٨ : ١٧ .

يجري فيها من الأفعال والأعمال ، إنما هي أمثلة وإشارات إلى ما يكون يوم القيامة . وكما أن الناس في بيعهم ، وشرائهم ، وأخذهم ، وعطائهم ، وما يتصرفون فيه من أمر معيشة الدنيا ، لا بد لهم من جميع ذلك : من الميزان ، والكيل ، والحساب ، والكتاب ، والشهود ، والربح في التجارات ، والحسران فيها ، وقلة المال في الخسارة . ثم إنهم لا بد لهم في كل مدينة يجتمعون [١٠٥] فيها من الآفاق والعمائر ، من قضاة وحكام يرجعون إليهم فيما يختلفون فيه ، ويثبتون الحقوق ، ويحكمون بها لأهلها بعد إثباتها ، وحضور العدول والشهود ، والكتب ، ثم بعد ذلك إيجاب الحكم على من استحقه وأخذ ما اغتصبه ، واستخراج ما طلبه ، بالحبس ، والهوان ، والعذاب ، وإن هؤلاء الحكام ، والقضاة ، والشهود في جميع الآفاق والأمصار فإنما يحكمون بحكم دين واحد ، وشريعة واحدة جاء بها رسول واحد من عند الله ، فكذلك يكون حال النفس^١ يوم يجمع الله العالم ، ويحضر الشهود ، وينصب الموازين ، وتبرز النفوس بأعمالها لتوزن بالميزان ، عند فصل القضاء ووجوب الجزاء . وكما أنه من سنة القضاة في دار الدنيا البروز في كل سبعة أيام يوماً واحداً لفصل القضاء بين الناس ، وتفقد أمورهم واستخلاص حقوقهم ، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم ، وأخذ الحق ممن غصبه ، ورده إلى مستحقه ، كذلك يكون في كل سبعة [١٠٦] آلاف سنة ، وهي مثل سبعة أيام ، تبرز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية ، وعرضها عليها ، [لتجازيها بالخير وغيره]^٢ كما قال الله تعالى : ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ

١ النفس : الناس في ص .

٢ لتجازيها بالخير وغيره : سغطت في ص .

وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ ٢ وقال الله تعالى : ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٣ وروى عن النبي (ص) أنه قال : عمر ٤ الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفاً ، وقال : لا نبي بعدي ، وقال : على آخر هذه الأمة تقوم القيامة .

فصل

في بيان ٥ بروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية :
واعلم أيها الأخ أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن هذا الفصل عظيم قدره ، شريف ذكره ، لم تكد الحكماء ولا الأقدمون من العلماء أن يطلقوا القول فيه ، ولا الكلام عليه ، فيما وضعوه من الكتب ، إلا رمزاً خفياً ، وكانوا يناولونه لمن وثقوا به من تلاميذهم وأولادهم مناولة ، ويودعونه عندهم [١٠٧] بالمشافهة مخافة أن يظفر به أهل الزيغ والخلاف . وإنما نريد أن نبين منه في هذا المكان بقدر ما يمكن ولا يخرج عما اعتمد القوم عليه ، وأشاروا في كتبهم إليه ، لكننا نزيد في هذا البيان ، ونوضح في البرهان ، لما تقدم من الشرط لهذه الرسالة ، وإنا نجتمع فيها من الأغراض ما يليق باسمها الفاضل ومحملها الكامل ، لتكون مغنية لمن وصلت إليه بما فيها ، عما سواها ، إذا فهم معانيها ، وبأن له ما فيها ، وأنت أيديك الله

١ سورة ٢٩ : ٦٩ .

٢ سورة ٣٩ : ٧٠ .

٣ سورة ٢١ : ٤٧ .

٤ عمر : سقطت في ص .

٥ بيان : سقطت في ب .

[وإيانا بروح منه]^١ تجد السبيل إلى فهم ما ألقينا إليك ، بما خصك الله به من البصيرة في الدين ، وحسن الظن بالله ، والنية واليقين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فصل

إعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن معنى قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قَالُوا بلى شهدنا أن تقولوا [١٠٨] يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ^٢ وهذا الخطاب كان يوم أخذ الميثاق وهو يوم العرض الأول ، وهذا اليوم هو يوم بمعنى التشبيه والمثال كيوم من أيام الدنيا ، وليس هو كذلك في الحقيقة ، ولكنه يوم تخرج صفاته عن حد حركة الزمان ، ويكون داخلاً في حركة النفس الكلية . ولما كان الزمان مبدأ حركة الفلك ، كانت أيامه معروفة بطلوع الشمس وغروبها ، وهو مثل أوامر تكليفية ، ونواهي شرعية ، وعبادات ناموسية ، وليس ذلك موجوداً في أيام حركة النفس الكلية ، إذ الشمس في ذلك الوقت غير موجودة ، ولا حاجة إليها ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ ^٣ وإذا ارتفع وجود الشمس ، ارتفع وجود الزمان ، وتفصيل الليل والنهار ، وعدة الأيام والشهور والسنين ، وصار العالم نوراً كله ، وضياءً كله ؛ كلّي لا جزئي ، لإشراق النفس الكلية ،

١ وإيانا بروح منه : سقطت في ص .

٢ سورة ٧ : ١٧٢ .

٣ سورة ٧٦ : ١٣ .

وظهورها كظهور الشمس في [١٠٩] عالم الدنيا ، عالم الكون والفساد ، وكذلك يكون بروز النفس الكلية ، وتجليها بأمر الله عز وجل في يوم القيامة ، كتجلي الشمس للعالم في أيام الدنيا . وكما أن حياة العالم ، وسعادتهم ، وهلاكهم ، وعذابهم في الدنيا بالشمس ، لأن من رام^١ الكون فيها أحرقت جسمه ، ونشفت دمه ، وبها صلاح الأشياء ، كذلك النفس الكلية في يوم القيامة هي المتولية لحساب الأتفس الجزئية ، وبها يكون النعيم لأهل الجنان ، والعذاب لأهل النيران ، وهذه كيفية محاسبة النفس الكلية للنفوس الجزئية ، بالوجيز من القول ، والمختصر من الكلام ، بالتلويح والإشارة ، وإلى هذا اليوم أشار سبحانه ، وتعالى ذكره بقوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾^٢ وقال تعالى : ﴿ كُمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَأَسْأَلُ الْعَادِينَ ﴾^٣ . وهذا إخبار عما يكون في ذلك اليوم .

فصل

في معرفة كيفية [١١٠] وزن الحسنات والسيئات :
 أعلم يا أخي أبداً الله وإيانا بروح منه ، أن كثيراً من الناس إذا سمع بذكر الوزن يوم القيامة ، وحضور الموازين ، يظن أن الأعمال تصير في ذلك اليوم أشياء تجتمع ، فتصير أجساماً ، وتحصل في الميزان ،

١ رام : أدام في ب .

٢ سورة ٥ : ١٠٩ .

٣ سورة ٢٣ : ١١٢ ، ١١٣ .

٤ تجتمع : سقطت في ب .

وظهورها كظهور الشمس في [١٠٩] عالم الدنيا ، عالم الكون والفساد ، وكذلك يكون بروز النفس الكلية ، وتجليها بأمر الله عز وجل في يوم القيامة ، كتجلي الشمس للعالم في أيام الدنيا . وكما أن حياة العالم ، وسعادتهم ، وهلاكهم ، وعذابهم في الدنيا بالشمس ، لأن من رام^١ الكون فيها أحرقت جسمه ، ونشفت دمه ، وبها صلاح الأشياء ، كذلك النفس الكلية في يوم القيامة هي المتولية لحساب الأتفس الجزئية ، وبها يكون النعيم لأهل الجنان ، والعذاب لأهل النيران ، وهذه كيفية محاسبة النفس الكلية للنفوس الجزئية ، بالوجيز من القول ، والمختصر من الكلام ، بالتلويح والإشارة ، وإلى هذا اليوم أشار سبحانه ، وتعالى ذكره بقوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾^٢ وقال تعالى : ﴿ كُمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَأَسْأَلُ الْعَادِينَ ﴾^٣ . وهذا إخبار عما يكون في ذلك اليوم .

فصل

في معرفة كيفية [١١٠] وزن الحسنات والسيئات :
 أعلم يا أخي أبداً الله وإيانا بروح منه ، أن كثيراً من الناس إذا سمع بذكر الوزن يوم القيامة ، وحضور الموازين ، يظن أن الأعمال تصير في ذلك اليوم أشياء تجتمع ، فتصير أجساماً ، وتحصل في الميزان ،

١ رام : أدام في ب .

٢ سورة ٥ : ١٠٩ .

٣ سورة ٢٣ : ١١٢ ، ١١٣ .

٤ تجتمع : سقطت في ب .

وتجعل بين يديها مثاقيل توزن بها ، وأنها ربما زادت وربما نقصت ، وأن السيئات ربما زادت على الحسنات ، وأن الحسنات ربما زادت على السيئات ، وما شاكل ذلك ، كما يشاهدون من أمور الدنيا ، ووزن الذهب والفضة ، والأمتعة من المأكل والمشرب ، وغير ذلك ، وهذا يتخيله الصبيان والنساء ، ومن لا عقول لهم من الرجال ، مثل البله ، والمجانين ، والمتخلفين عن اتباع الرسل ، والأئمة ، والعارفين المستبصرين ، فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ، كما أخبر الله وهو أصدق القائلين . فأما أهل العلم والحكمة الذين وقفوا على أسرار كتب الأنبياء الصادقين ، [١١١] والحكماء الراشدين ، فيعلمون أن الموازين ، المنصوبة ليوم القيامة ، التي توزن بها أعمال العباد من الخير والشر ، إنما هي صورة نفسانية ، صافية ، شفافة ، تراءى فيها الأعمال لأصحابها ، فينظر [العاقل] فيها^١ إلى عمله ، إن كان خيراً فخيراً ، وإن كان شراً فشراً ، وهي الكتب التي إذا قرأها من أوتيتها من وراء ظهره ، وقال : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً وَلَمْ أُدْرَ مَا حِسَابِيَّةً يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَّةُ ﴾^٢ يعني يا ليتها كانت آخر الوجود حتى لا يكون لها بعد ذلك وجود ، يصل به إليه العذاب الأليم ، والهوان المقيم . ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يَحْتَسِبُ حِسَاباً يَسيراً . وَيَنْتَقِلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾^٣ ؛ يعني بانقلابه إلى أهله رجوعه إلى الجنة التي ألفها وعرفها ، مجبوراً بالكرامة ، فائزاً بالسلامة ، من أهوال يوم القيامة . وهذه الكتب يا أخي هي بأيدي الملائكة الحفظة ، الكرام البررة ، الذين يكتبون أعمال بني [١١٢] آدم ،

١ العاقل فيها : العامل في ب .

٢ سورة ٦٩ : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

٣ سورة ٨٤ : ٧ ، ٨ ، ٩ .

وهم أصحاب الوزن يوم القيامة . وأما أصحاب الأعراف ، الذين يعرفون أهل الدنيا بسيمائهم ، ولا يعرفهم أهل الدنيا ، لخروجهم عن طاعتهم فيها ، وتكبرهم عليهم ، وقولهم لهم : ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾^١ . وإنما قيل لهم أصحاب الأعراف ، لأنهم أهل المعارف ، فطوبى لمن عرفهم بجلالة المنزلة ، وعرفوه بحسن الطاعة ، ففاز بالسعادة ، وظفر بالسلامة ، وهم أصحاب الشفاعة لمن أساء من شيعتهم ، وظلم نفسه من أوليائهم ، وأهل ودادهم في الدنيا . والذين كفروا لا شفعاء لهم ، لأنهم اتخذوا لأنفسهم آلهة ، وتسموا بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾^٢ و ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾^٣ فعند ذلك يوم القيامة [١١٣] يضرب ﴿ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾^٤ وأما أمثال هذه الموازين في الدنيا التي بها يوزن الأشكال والمقادير ، لا تجتمع كاجتماع الأجزاء في الموازين المركبة ، فهي كالاسطرلاب وأمثاله من الآلات التي يعرف بها الزمان بالنظر والعيان ، وكم مضى من النهار والليل ، والمسطرة في الاستواء والاعوجاج ، والذراع الذي يعرف به الإنسان الطول والعرض ، وكما أن بهذه الأشياء يعرف الإنسان ما يلوح له بها وفيها من هذه الأمور ، كذلك تلك الموازين تلوح فيها ، لمن تأملها ،

١ سورة ٣٦ : ١٥ .

٢ سورة ٧١ : ٢٣ .

٣ سورة ١٠ : ٧٨ .

٤ سورة ٥٧ : ١٣ .

الأفعال من الخير والشر ، وكما أن الناس لا يتنازعون^١ ، ولا يقع بينهم الخلاف والمكابرة ، عند معاينة الميزان ، ويسلمون بما يكون به ، ويظهر فيه ، كذلك تلك الموازين ، إذا رأى صاحب العمل القبيح وزن [١١٤] سيئاته ، وما عمله في أيام حياته ، عرفه ، ولم يشك فيه ، وعلم علماً يقيناً أن ربه لم يظلمه ، وأن عمله راجع إليه ، وواقع عليه ، كما قال سبحانه ، وتعالى ذكره : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾^٢ وقال : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾^٣ . ونحن نزيد في بيان هذا المعنى ، ونكشفه كشفاً يكون به الوقوف على كيفية هذا الوزن في الميزان ، إذا انتهى بنا القول في الرسالة الجامعة ، إلى رسالة البعث والقيامة ، بحسب ما يمكن ، إن شاء الله تعالى .

[فصل]

في ذكر^٤ الرسالة الرابعة : [الرابعة منها رسالة]^٥ في العقل والمعقول ، وما العقل الهولاني ، وما العقل بالقوة ، وما العقل بالفعل ، وما العقل المستفاد ، وما العقل الفعال . والغرض منها تعريف ذات الإنسان ، وصورة الصورة ، وما

١ لا يتنازعون : يتباهون في ص .

٢ سورة ١٨ : ٤٩ .

٣ سورة ٣ : ٣٠ .

٤ فصل : في ذكر : سقطت في ص .

٥ الرابعة منها رسالة : سقطت في ص .

حقيقة النفس بجوهرها ، والإشارة إلى الباقي منها بعد ذهاب الجسم ، وفنائه ، واضمحلاله ، ورجوعه إلى بسائط [١١٥] [أمهاته ، وعودته إلى كلياته ، وبقاء النفس بوجودها الصوري ، وجوهرها النوري في عالم البعث والمعاد ، إذا فارقت محل الأجساد ، وقامت قيامتها ، وانتبهت من نومتها ، وأفادت من سكرتها ، وكيف يكون اجتماعها مع محبوبها ، وبلوغها إلى مطلوبها ، وكيف يكون وجدانها الأشياء التي حفظتها من العلوم ، وعلمتها من الرسوم ، على تباينها وتغايرها ، وكيفية تصورها الموجودات المنتزعة من هيولائها ، المبرأة من موادها ، بقوتها المفكرة ، ولطافتها المعبرة ، وقوتها المميزة ، وتعبيرها عما تتخيله ، وتخبر به ، حتى يكون خارجاً من حد القوة إلى حد الفعل ، ويصير قوة ثانية باللفظ ، ثم يظهر بالآلة الصناعية السارية في اليدين فتبرز صورته وتخرج ثمرته ، ويصير في حيز الوجود ، بعد أن كان في حيز^١ العدم .

فصل

في بيان استنباط النفوس الجزئية لسائر العلوم^٢ وكيف يكون ما استنبطته من العلوم ومعرفة [١١٦] [الصنائع والرسوم ، بقوتها المتناولة بها خفيات الأسرار ، ودقائق العلوم ، حتى يكون علمها بذلك عقلاً بالفعل ، بالوجود الصوري ، مجرداً من سائر المواد الطبيعية ، بريئاً من الهولانيات ، فتبقى بقاء العقل الفعال إذا استكملت الفضائل الشريفة ، والعلوم اللطيفة ، فتتصل بها إشراقات نور الله عز وجل ، سبحانه ، ذي الجلال والإكرام

١ حيز : حالة في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^١ .

فصل

إعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن هذا الفصل علم جليل قدره ، خطير ذكره وقد كان الحكماء من أهل الصدر الأول والعالم الأفاضل ، يدخرونه لأنفسهم ويصونونه عن الناس ، ولا يلقونه إلا لمن يثقون به ، بعد مؤكدات العهود ومغلظات الأيمان ، وكانوا يسمونه علم البلاغ ، إذ كان به معرفة الأشياء كلها . بحقائقها ، والاطلاع على كيفية وزنها بميزان القسط ، وقول الحق ، الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾^٢ . وكانوا إذا أرادوا أن [١١٧] يوصلوا إليه أحداً ممن استجاب إليهم ، وبذل جهده في خدمتهم ، والسعي فيما يرضيهم ، قد أمروه بصيام أربعين يوماً ، وقيام أربعين ليلة ، ثم بعد ذلك يحمل ما قدر عليه ، ووصل بقدر وسعه إليه ، مما يصلح لبيت الحكمة في ذلك الزمان ، لما كان لهم من السنة القائمة بينهم ، مقام مفروضات ما يلزم من الواجبات في شرائع الأنبياء ، فإذا فعل ذلك بنية صادقة ، وعزيمة محقة ، ونفس ذكية ، بعد رياضته بما تقدم ذكره من العلوم الوضعية ، والارتقي به بعد ذلك إلى معرفة النفس في الدرجة الأولى ، والمقام الأول من مقاماتها . فإذا تم ذلك له وصلاح للارتقاء إلى هذا العلم اجتمع أهل الحكمة في يوم نوء من الأنواء ، فإذا فرغوا من صلاتهم الكبيرة ، وسجدتهم الطويلة ،

١ سورة ٢٨ : ٨٨ .

٢ سورة ٤١ : ٤٢ .

وتسبيحهم ، وتفقد أعمالهم ، واعتبار أحوالهم ، قام الذي تقدمت صفته
 راغباً فيما قدمنا ذكره ، وتضرع إلى سيد الحكماء ، متولي [١١٨] بيت
 الحكمة ، وتشفع إليه بمن كان السبب له^١ في إيصاله إلى ما قدر عليه ،
 فعند ذلك يتقدم إلى سيده ، ويعلمه حاله ، وما بذله من سعيه ، وماله ،
 في طلب مرضاة الله سبحانه ، والاطلاع على علمه العظيم ، ومعرفة وجهه
 الكريم ، وإنه قد يسلم من الامتحان ، وكملت له شرائط الإيمان فعند ذلك
 يعامله بما يجب له وعليه ، ويعرفه بحقيقة هذا العلم ، ويكشف له سره ،
 ويدله على مرامي^٢ مرموزاته ، وخفي إشاراته ، حتى يشاهده حقاً ، وينطق
 به صدقاً ، ويرقى إليه بعد نقلته^٣ ، ويكون إليه انقلابه ، وعودته ،
 فتكمل له في الدنيا الصورة الإنسانية ، وفي الآخرة الصورة الملكية ،
 فتكمل له الحالتان ، وتحصل له المنزلتان ، فيكون سعيداً في الدنيا
 والآخرة . وإنما أعلمناك أيها الأخ بهذه السنة المتقدمة للحكماء ،
 والفلاسفة العلماء ، لتكون لك أسوة بهم إذا أردت أن تلقي
 هذا العلم [إلى من]^٤ تلقيه إليه وتمن به عليه ، في امتحانه ، واعتبار
 شأنه ، [١١٩] وبلوغه إلى حد كمال إيمانه ، ولا تفرط فيه ، بل تصونه
 كل الصيانة ، وتحفظ فيه حق الأمانة ، والله سبحانه يتولى تأييدك وإعانتك
 على ما يقربك إليه ويوردك بعملك الصالح عليه بجوده وكرمه .

١ له : سقطت في ب .

٢ مرامي : مرائي في ب .

٣ نقلته : نقله في ص .

٤ إلى من : عن في ب .

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن المعقولات كلها صور روحانيات تراها النفوس في ذاتها ، وتعاينها في جوهرها بعد مشاهدتها لها في الهيولى ، بطريق الحواس ، إذا هي انتبهت من نوم غفلتها ، ورقدة جهالتها ، ونظرت بعين البصيرة ، إلى نور العقل ، اللائح لها [في الهيولى]^١ بدلائل ما ألقى إليها ، وأنزل عليها من قول المؤيدين بالحكمة الذين هم الأنبياء والأئمة ، فإذا استضاءت النفس بقربها من وجه الزمان ، بضياؤه ، وتجملت ببهائه ، لاحت لها صورة العقل متحدة بجواهره^٢ الكريمة ، ومقاماته العظيمة فإذا أقبلت عليها ، وأصغت بكليتها إليها ، وعطفت عن الطبيعة ، لاحت لها أنواره ، [١٢٠] وانكشفت لها أسرارها ، حتى لا ترى الأهواء ، ولا تسمع إلا منه ، فعند ذلك يرقبها إلى معرفته ، ويدلها على حقيقته ، فتصير حينئذ مكاناً لجميع الأشياء المعلومة ، تراءى فيها ذواتها على حسب ما هو به من غير أن يمازج بعضها بعضاً ولا اختلاط ، بل هي موضوعة في قوتها بالعلم ، كما كانت في محسوساتها في النظم ، فعند ذلك تكون عقلاً مجرداً من الهيولى ، مستغنية بذاتها ، عما سواها ، وإذا بلغت إلى هذه المنزلة كانت مستعدة لما يلقي إليها ، ويفاض عليها ، من المواد الإلهية ، فتخرج من حد العبودية إلى حد الإطلاق ، ومن درجة النقص إلى رتبة الكمال ، فاعرف هذا الموضع وتفكر فيه حتى تلوح لك معانيه .

١ في الهيولى : سقطت في ص .

٢ بجواهره : جواهرها في ب .

فصل

في الوجود : اعلم يا أخي أن العقل اسم مشترك يقال على معنيين : أحدهما ما تشير به الفلاسفة إلى أول موجود اخترعه الباري سبحانه ، وهو جوهر بسيط روحاني ، محيط بالأشياء كلها إحاطة روحانية . والمعنى الآخر ما يشير به [١٢١] جمهور الناس إلى قوة من قوى النفس الإنسانية التي فعلها الفكر والروية والنطق والصنائع . ولما كان هذا العقل قوة من قوى النفس الإنسانية احتجنا أن نذكر أولاً أقسام الموجودات ، وما معنى الوجود ، فعلمنا أن لفظة الوجود مشتقة من وجد [يجد وجوداً] ^١ ، [فهو واجد] ^٢ وذلك موجود ، وسبب وجوده لا يخلو أن يكون أحد طرق ثلاث : إما ما هو موجود بإحدى القوى الحساسة ، وإما بإحدى القوى العقلية التي هي الفكر ، والروية ، والتمييز ، والفهم ، والوهم الصادق ، والذهن الصافي ، وأما بطريق البرهان الضروري . وليس للإنسان إلى المعلومات طريق غير هذه .

فصل

في العدم :
وأما معنى العدم فهو ما يقابل كل نوع من هذه الطرق الثلاث من السلب . فأما ما كان بطريق الحس موجوداً فعدمه يكون بفقد الحس إياه ، وغيبته عن الحاسة المدركة له ، بما كانت تجده به . وأما ما كان موجوداً

١ يجد وجوداً : يوجد وجداناً في ب .

٢ فهو واجد : سقطت في ب .

بطريق العقل المشار إليه [١٢٢] فعدمه يقال عليه غير معلوم بحقيقة معرفة عقلية . وأما ما كان موجوداً بالبرهان الدال على صدق القضية ، فعدمه يكون بالقول عليه ان لا برهان لوجوده ، وأما علم الباري سبحانه بالأشياء فليس من هذه الطرق الثلاث ، بل هو أعلى وأشرف من هذه الطرق كلها .

فصل

[في النوع من تنزيه الباري سبحانه]^١ : إعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أنه لا يقال إن الباري سبحانه واجد الأشياء ، بل يقال موجد ، ومحدث ومخترع ، ومبدع ، ومبق ، ومتم ، ومكمل وإنما يحتاج المخلوق إلى معرفة وجود هذه الأشياء من هذه الطرق الثلاث المتقدم ذكرها ، لأنه مخلوق محصور عن الإحاطة بالكل ، كإحاطة من له الخلق والأمر ، فصار محتاجاً ، ولحاجته لزمه النقص ، ولنقصه لزمه الانحصار ، وبانحصاره وجب له الاعتبار ، وباعتباره تراءى له الأشياء بما هي أشياء . فعند ذلك يلزمه الإقرار بمبدعه والتوحيد لخالقه ، فيعبده حق عبادته ، [١٢٣] وينفي عنه من الصفات ما يجده في نفسه من الحاجة ، والاستعانة بالشيء على الشيء واستعمال البعض في البعض ، لجر المنفعة ، ودفع المضرة ، والباري سبحانه غني عن ذلك ، محيط بالأشياء كلها إحاطة التدبير لها والقدرة عليها .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

في علم الإنسان بالله :
وأما علم الإنسان بالباري جل اسمه وتعالى ذكره فأحد طريقين .
أحدهما عموم ، والآخر خصوص . فالعموم هو المعرفة الغريزية ، التي
هي في طباع الخليقة أجمع ، بهويته . وذلك أن الناس كلهم العالم والجاهل ،
والمؤمن والكافر ، يقرّون بالصانع ويفزعون إليه بالرغبة والدعاء والتضرع
في كل المواضع ، حتى الحيوان أيضاً ، فقد قيل إنها ترفع رؤوسها في
سبي الجذب إلى السماء تطلب الغيث . وأما معرفة الخصوص ، فهي الوصف
بالتجريد والتنزيه ، وهي التي بطريق البرهان ، ويختص بها فضلاء الناس ،
وهم الأنبياء والأولياء ، والحكماء [١٢٤] والأخيار ، والأتقياء والأبرار .

فصل

في معرفة كون الموجودات بأسرها في العقل بالقوة :
إعلم يا أخي أن الموجودات كلها صور وأعيان ، أفاضها الباري جل
ثناؤه على العقل ، الذي هو أول موجود جاد به عز وجل ، وأوجده بكلمته ،
وهو جوهر بسيط روحاني ، فيه جميع صور الموجودات ، كما تكون
في نفس الصانع صور المصنوعات قبل إخراجها ووصفها [في الهيولى]^١
وهو مفيض^٢ تلك الصور على النفس الكلية دفعة واحدة بلا زمان .

١ في الهيولى : سقطت في ص .

٢ مفيض : فائض في ب .

فصل

في معرفة خروج الأشياء من القوة إلى الفعل :
فإذا صارت الإفاضة العقلية مستقرة عند النفس الكلية يكون المثل
في ذلك كمثل القوة الموجودة في النفس الإنسانية المفكرة ، بدؤها
سكون تولدت منه حركة أدت [إلى إرادته] ^١ ظهور شيء من
العدم إلى الوجود ، فكانت فيه بالقوة ، ثم تسهلت فسرت القوة الثانية
بدفع القوة الأولى لها إلى القوة الناطقة ، فلفظت [١٢٥] في ذلك
لفظة الوجود ، فاستعملت الحواس في ذلك الاختيار ، فجاءت صورة
القوة الثانية إلى طريق القوة الصناعية ، فيظهر الشيء من العدم إلى الوجود ،
فكان الخاتم من صياغة ^٢ الصائغ ، والباب من صناعة النجار ، والحائط من
عمل البناء ، وغير ذلك من الأمور المشاهدة ، فعلى مثل هذا يوجد الوقوف
بالبرهان على كون الأشياء بالقوة في الفعل ، وإفاضة العقل إياها على النفس
الكلية ، وإلقاء النفس الكلية لها إلى الهيولى الأولى التي هي موضع قبول
الصور ، كما يكون فيض الشمس ونورها على الهواء ، فالنفس قابلة لتلك
الإفاضة تارة ، ونفاضة على الهيولى تارة ، كما يقبل القمر نور الشمس تارة
ويفيضه على الهواء تارة ، والهيولى قابلة لتلك الصور من النفس الكلية ،
شيئاً بعد شيء وعلى التدريب ، يتوار بعضها بعضاً في الحدوث والكون ،
والأصل في ذلك عن العلة الأولى الذي هو الباري [١٢٦] جل وعز ، كما
يتعلق العدد ، أزواجه وأفراده بعضها ببعض ، في الحدوث والنظام عن
الواحد الذي قبل الاثنين .

١ إلى إرادته : سقطت في ص .

٢ صياغة : صناعة في ص .

فصل

في معرفة الإشارات إلى الأشياء بالأسماء والألقاب والألفاظ :
إعلم أن هذه الألفاظ كلها ألقاب وسمات يشار بها إلى الصور ليميز^١
بعضها من بعض ، كما يميز بين الأعداد بالألفاظ ، وذلك أن الصورة
الواحدة تارة تسمى هيولى وتارة تسمى جوهرية ، وتارة بسيطة ، وتارة
مركبة ، وتارة روحانية ، وتارة جسمانية ، وتارة علة ، وتارة معلولة .

فصل

في شرح ذلك وبيانه : مثال^٢ ذلك أن القميص هو أحد الموجودات
الجسمانية المدركة بالحس ، فهو صورة في الثوب ، والثوب هيولى لها ،
والثوب صورة في الغزل ، والغزل هيولى لها ، والغزل صورة في القطن ،
والقطن هيولى لها ، والقطن صورة في النبات ، والنبات هيولى لها . والنبات
صورة في [١٢٧] الأجسام الطبيعية التي هي النار والهواء والماء والأرض ،
وكل واحد منها أيضاً صورة في الجسم المطلق ، كما قلنا في رسالة الكون
والفساد . والجسم المطلق أيضاً صورة في الهيولى الأولى ، والهيولى الأولى
صورة روحانية فاضت من النفس الكلية ، والنفس الكلية هي أيضاً صورة
روحانية فاضت عن العقل الكلي الذي هو أول موجود أوجده الباري جل
وعز . فقد بان بهذا المثال أن الموجودات كلها صورة متعلقة بحدوثها وبقائها ،
يتلو بعضها بعضاً إلى أن ينتهي إلى العلة الأولى ، الذي هو الله عز وجل ، كتعلق

١ ليميز : ليمتاز في ب .

٢ مثال : مثل في ب .

حدوث العدد أزواجه وأفراده عن الواحد الذي قبل الاثنين . وأما كون إحدى الصور علة مرة ومعلولة أخرى ، فهو أن صورة الإنسان ، أبوه علة له ، وهو معلول منه . ثم لا يزال كذلك في بدايته ، يطرد المعلول في علته ككون أبيه من جده ، حتى ينتهي إلى مثل ما قدمنا ذكره إلى التعلق [١٢٨] بموجد الكل سبحانه وتعالى ، منه البداية وإليه النهاية . وأما كون الصورة جوهرية مرة ، وعرضية أخرى ، فهي جوهرية بما هي به موجودة في وقت وجودها ، عرضية بكونها في مكان لا تكون به وقتاً آخر ، فيكون بمنزلة عارض عرض لبعض مآربه وإراداته ، ككون ضوء الشمس بمكان ثم يزول عنه وبمثل هذا يقال لها بسيطة ، وكذلك يقال لها جسمانية مرة وروحانية أخرى ، وذلك أن الإنسان جسماني بجسمه وروحاني بنفسه ، وعلى هذا المثال يشار إليه بأسماء كثيرة ، وألقاب متباينة ، وألفاظ مختلفة ، في صورة واحدة .

فصل

في معرفة الموجودات : أعلم يا أخي [أبدك الله وإيانا بروح منه] ^١ أن الموجودات كلها نوعان : جسماني وروحاني . فالروحاني ما يتصور بالفكر [والجسماني ما يدرك بالحواس] ^٢ . والجسماني ثلاثة أنواع : منها الأجرام الفلكية ، ومنها الأركان الطبيعية ، ومنها المولدات الكائنة منها . والروحاني ثلاثة أنواع : الهولي الأولى الذي هو جوهر [١٢٩] بسيط منفعل ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ والجسماني ما يدرك بالحواس : سقطت في ب .

والثاني النفس التي هي جوهرة بسيطة فعالة علامة . [والثالث العقل]^١
الذي هو منفعل من الباري سبحانه [فاعل الأشياء وعلتها]^٢ . [والباري]^٣
ليس يوصف بالجسماني ولا بالروحاني .

فصل

في معرفة علل الموجودات :
إعلم يا أخي أيدك الله [وإيانا بروح منه]^٤ أن لكل واحد من الموجودات
أربع علل : علة فاعلة ، وعلة مصورة ، وعلة متممة ، وعلة هيولانية ،
فإذا اعتبرت جميع الموجودات كلها لا بد لها من هذه الأربع العلل : مثال
ذلك الكرسي علته الفاعلة النجار ، والهيولانية الخشب ، والصورية الترييع ،
والتمامية القعود عليه ، وأما الجسم المطلق فعلته الهيولانية هي الجوهر
البسيط الموضوع فيه قوة القبول ، التي بها قبل الطول والعرض والعمق ،
فصار بها جسماً ، وعلته الفاعلة هي الباري جل وعز ، وعلته الصورية
العقل ، لأن الطول والعرض والعمق إنما هي صورة عقلية ، وعلته
التمامية [١٣٠] هي النفس ، لأن الهيولى من أجلها خلقت ، لكيما تفعل فيه
ومنه ما يفعل ويصنع لتم الهيولى وتكمل النفس . وهذا يا أخي هو الغرض
الأقصى في رباط النفس بالهيولى . وأما الهيولى الأولى التي هي جوهر بسيط ،
ولها ثلاث علل : الفاعلة ، وهي الباري جل وعز ، والصورية وهي العقل
الأول ، والتمامية وهي النفس . وأما النفس فلها علتان ، وهما الباري

١ والثالث العقل : العقل في ص .

٢ فاعل الأشياء وعلتها : سقطت في ب .

٣ والباري : سقطت في ب .

٤ وإيانا بروح منه : سقطت في ص .

سبحانه ، والعقل . فالباري علتها الفاعلة المخترعة لها ، والصورية هي العقل الذي يفيض عليها ما تقبله من الباري تعالى . وأما العقل فله علة واحدة ، وهي الباري عز وجل الذي أفاض عايه الوجود^١ والبقاء والتمام والكمال دفعة واحدة ، بلا زمان . وهو العقل الذي أشار إليه بقوله في كتابه على لسان نبيه محمد (ص) فقال : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^٢ [بل هو أقرب]^٣ وإليه أشار بقوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٤ ؛ يعني أن الروح [١٣١] الذي راحت الأشياء كلها إليه منصرفة ، فإليه رواحها ومنه عودتها ، منه مبدؤها ، وإليه معادها . وقال : ﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^٥ هي الجواهر الروحانية ، وكلها لله عز وجل ، وبأمره قامت وإيرادته كانت .

فصل

فيما قيل في الموجودات والصواب فيه : وقد ظن ، يا أخي ، أيديك الله وإيانا بروح منه ، كثير من الناس ، ممن ليس له علم بالأمور الروحانية ، أن الموجودات ليست إلا الله ، والجسم وما يحله من الأغراض ، ومن أجل هذا نسبوا كل ما يظهر من الأفعال ، والصنائع ، والعلوم ، والحكم إلى أيدي البشر باختباراتهم ، وما يظهر من الحيوانات من الأفعال ، والصنائع ،

١ الوجود : الجود في ص .

٢ سورة ٥٤ : ٥٠ .

٣ بل هو أقرب : سقطت في ص . سورة ١٦ : ٧٧ .

٤ سورة ١٧ : ٨٥ .

٥ سورة ٧ : ٥٤ .

والأعمال الطبيعية إلى الجسم المؤلف من اللحم والدم ، وإلى أعراض حالة فيه بزعمهم ، مثل الحياة ، والقدرة ، والعلم ، وما شاكلها . وأما الذي يظهر في الأجسام الطبيعية من أحراق النار لأجسام الحيوان وإتلافها ، وما يتغير في أجواف [١٣٢] الحيوانات من الأشياء التي تأكلها وتحيلها عن كونها ورائحتها إلى الروث والسرجين ، ومثل ما يظهر في طبائعها من الشرور والتعدي والظلم وفعل القبائح والمعاصي ، فمنهم من نسبها إليه عز وجل ، ومنهم من نزّهه ، ونسبها إلى البخت والاتفاق ، ومنهم من نسبها إلى الطبيعة ، ومنهم من يعللها ويوقفها على علل مستمرة وغير مستمرة . ووقع بينهم في ذلك من الخلاف والمنازعة ما يخرج عن الحد لو تقصيناه .

فصل ١

وأما الحكماء والنجباء الراسخون في العلم فشاهدوا بصفاء نفوسهم ، ونور عقولهم ، جواهر غير جسمانية علامة بالقوة ، فعالة بطبيعتها سارية في الأجسام ، يظهر بها ومنها وفيها أفعالها بحسب مناسبات بينها وبينها ، تبدو من كل واحد بحسب ما في قوته وسعته وطاقته . وهذه الروحانيات هي لب الحلقة ، فما ظهر من أفعال [الموجودات] ^٢ فهو منسوب إلى [١٣٣] هذه الروحانيات ، كل بما شاكل صاحبه ، ووافق موافقه ، وباين مخالفه من الأفعال الطبيعية . ونزّهوا الباري سبحانه عنها إلا ما يليق به من الحكمة ، والسياسة ، والتدبير ، وتلطف التقدير .

١ فصل : سقطت في ص .

٢ الموجودات : الموجودات الجسمانية في ص .

فصل

في بقاء النفس ووجودها بعد مفارقتها الجسد وقبل رباطها به :
إعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن هذا الفعل من جواهر
ما استخرجته واستنبطته الحكماء ، بصفاء نفوسهم الزكية ، وبما وفقوا
له من أعمالهم المرضية ، وذلك أنهم ما وصلوا إلى معرفة الجواهر الروحانية
إلا بعد اعتبار الجسد والأعراض التي تحله ، وذلك أن الجسد من حيث هو
جسم ليس بفاعل ولا متحرك ، بل هو هوى منفعل ، وكذلك الأعراض
التي تحمل الأجسام ، بحيث هي أجسام ، المغيرة لها ، لا فعل لها ، لأنها أنقص
حالات من الجسد ، إذ كان لا وجود لها إلا بتوسط الجسد ، وهي كل ما ينسب
إلى الجسد من التغير عما [١٣٤] هو به إلى غير صفته الأولى^١ . فهذه الأعراض
المخصوصة بالجسد ، الكائنة عنه وبه وفيه ومنه . وأما الأعراض الأخر ،
التي هي الحياة والقدرة والعلم وما شاكلها ، فليست هي أعراضاً جسمانية ،
بل هي أعراض روحانية ، توجد في بعض الأجسام بمقارنة النفس لها ،
وتفقد عند مفارقتها إياها ، واعتبروا حال الجسد بالنفس ، وكونهما معاً
جميعاً ، فكانت الأعراض المنسوبة إلى الجسد ، وما يبدو منه وبه وفيه
منها ، كائنة بكونه ، والأعراض الروحانية أيضاً موجودة بوجود النفس
وكونها ، فلما فارقت النفس اعتبروا حاله ، فوجدوا أعراضه اللائقة به ،
من حيث هو جسم ، معه لم تفارقه ، بل هو موصوف بها ، وهي فاعلة
فيه التغير ، والاستحالة ، والفساد ، والتفنن ، وما شاكل ذلك ، فهو
موصوف بها من سواد شعره ، وبياضه ، وحمرة لحمه ودمه ، [١٣٥]

وبياض أسنانه^١ وعظامه ، وجميع أعضائه ، والعلة التي حدثت به ،
وآثارها فيه ، والأعراض الروحانية ، التي كانت ظاهرة عليه ، غير
موجودة فيه ، كالحركة والحياة ، والنطق ، والعلم ، والأمر ، والنهي ،
فصح بهذا الاعتبار أن مع الأجسام الحيوانية جواهر آخر غير جسمانية ،
هي الفاعلة في الأجسام هذه الإمارات ، التي تظهر في بعضها دون بعض ،
ولما كانت^٢ أعراض الجسم موجودة فيه ، بحيث [هي في]^٣ الجسم ،
بعد مفارقة النفس إياه ، صح لنا أن الأعراض النفسانية موجودة بحيث
النفس بعد مفارقتها للجسد ، وهي الحياة ، والعلم ، والإدراك ، فصح
بهذا الاعتبار والبرهان أن النفس موجودة قبل رباطها بالجسم ، وبعد
مفارقتها إياه ، إذ كانت هي الفاعلة للأجسام ، والملقية عليها صورة التمام .
ثم اعتبروا حال النفس بمجردها ، وما تحتاج إليه ، فوجدوها مضطرة
إلى العقل الذي تفحص به عن علم مبادئ الأشياء ، وتسكن إلى إفادته ،
وتطلب مادته ، وأنه [١٣٦] هو المفرج عنها ما يلحقها من الكرب ، إذا
لجأت إليه ، واتكلت في الأمور عليه ، فعلموا بأن جوهره أشرف من
جوهرها ، وأنه علتها ، واعتبروا حال العقل بمجرد العلم ، فوجدوا
العقل لا بد له من إثبات مبدعه ، وأنه كلما أراد النفي اضطره للإثبات ،
فعلموا أنه مربوب . فلما صح لهم بهذا الاعتبار هذا العلم اطمأنت نفوسهم ،
وعلموا أنهم قد تخصصوا بهذه المعرفة ، وتميزوا عن الذين لا يعلمون :
كما قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٤
وقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^٥ .

١ أسنانه : سقطت في ب .

٢ كانت : كان في ب .

٣ هي في : سقطت في ب .

٤ سورة ٣٩ : ٩ .

٥ سورة ٣٥ : ٢٨ .

فصل

فيما يختص بالنفس الناطقة من الفضائل :

إعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن للقوة المفكرة في الأنفس الإنسانية أفعالا^١ خيرة ، فاضلة ، تستغرق فيها أفعال سائر القوى ، وذلك أن أفعالها نوعان : منها ما يختص بمجردها ، ومنها ما يشترك مع قوى أخرى ، فمنها الصنائع كلها ، فإنها [١٣٧] مشتركة بينها وبين القوة المتخيلة^١ ، [وأما المعلومات فإنها مشتركة بينها وبين القوة الحافظة^٢] وأما التي تختصها من الأفعال فالتفكير ، والروية ، والتصور ، والاعتبار والاختبار ، والتركيب والتحليل ، والجمع والتفريق ، والقياس ، ولها الزجر ، والكهانة ، والخواطر والإلهام ، وقبول الوحي ، والمنامات . وتفصيل ذلك بالروية تدبير الملك وسياسة الأمة ، وبالفكرة استخراج الغوامض من العلوم ، وبالاعتبار معرفة الأمور الماضية من الزمان ، وبالتصور درك حقائق الأشياء ، وتأليف [بعضها إلى بعض^٣] واستخراج الصنائع ، وبالتحليل معرفة الجواهر البسيطة ، وبالقياس والبرهان درك الأمور الغائبة بالزمان والمكان ، وبالجمع معرفة الأنواع والأجناس ، وبالفراصة معرفة ما في طبائع الناس والحيوان من الأمور الخفية ، وبالزجر معرفة حوادث الأيام ، وبالكهانة والنجوم معرفة الكائنات بموجبات [١٣٨] أحكام الفلك ، وبالمنامات معرفة الإنذارات والبشارات ، وبقبول الإلهام والخواطر والوحي معرفة

١ المتخيلة : الحافظة في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ بعضها إلى بعض : سقطت في ب .

وضع النواميس الشرعية ، وتدوين الكتب الإلهية وبيان الحكمة^١ التأويلية
المكنونة ، والعلوم المكتومة ، التي لا يمسه إلا المطهرون من أدناس الطبيعة ،
الذين هم الروحانيون^٢ ، الآخذون ذلك بالوحي من الملائكة المقربين ،
وهم أهل البيت المعمور ، والرق المنشور ، واللوح المسطور ، نور النور ،
فافهم هذا الرمز وتدبر هذه الإشارة ، لعلك تصل إليها وتقدم عليها ، إن
شاء الله .

فصل

إعلم يا أخي [أيديك الله وإيانا بروح منه]^٣ أن الباري جل وعز جعل
الأمور الجسمانية المحسوسة كلها مثالات ودلالات على الأمور الروحانية
العقلية ، وجعل طريق الحواس درجاً ، ومرافق ، يرتقي بها إلى معرفة الأمور
العقلية التي هي الغرض الأقصى في بلوغ النفس إليها ، فإن أردت يا أخي
أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن [١٣٩] تبلغ إلى أقصى المطلوبات ، وأشرف
الغايات ، التي هي الأمور العقلية ، فاجتهد في معرفة الأمور المحسوسة ،
فإنك بذلك تنال الأمور العقلية بالمشاهدة والعيان ، وصادق الدليل والبرهان ،
فهي في معرفة الأمور الجسمانية محتاجة إلى الجسد وحواسه وآلاته ،
لتدرك بتوسطها الأمور الجسمانية ، وأما إدراكها الأمور الروحانية
فتتلقاها بجوهرها وذاتها ، بعد أن تأخذ من الحواس بتوسط الجسد ،
وإذا حصل لها ذلك فقد استغنت عن الجسد وعن التعلق بالجسم بعد ذلك .

١ الحكمة : الحكم في ص .

٢ هم الروحانيون : أهل البيت الروحانيون في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فاجتهد في طلب الفناء^١ الأبدي ، بتوسط هذا الهيكل ، ما دام يمكنك ذلك قبل فناء العمر ، وتصرم الأجل .

[فصل]^٢

في بطلان^٣ وجود هذه الآلة : واحذر كل الحذر أن تبقى نفسك فقيرة محتاجة إلى هيكل آخر ، لثَمَّ به وتكمل فيه ، فتكون ممن يقول : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾^٤ ، ﴿ فَتَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾^٥ أو [١٤٠] تبقى في البرزخ ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^٦ ما دامت هي لاهية ، ساهية ، مقبلة على الشهوات الجسمانية ، واللذات الجرمانية ، مغترة بالأمانى في هذه الدار الفانية . فانتبه ولا تك من الغافلين ، عساك تكون ممن ينقلب إلى روح وريحان وجنة نعيم ، وفقك الله وإيانا ، وجميع إخواننا ، إنه البار الرحيم .

فصل

الخامسة رسالة الأكوار^٧ والأدوار واختلاف القرون والأعصار والزمان والدهور : والغرض منها هو البيان عن كيفية إنشاء العالم ،

١ الفناء : الضنى في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ بطلان : سقطت في ب .

٤ سورة ٦ : ٢٧ .

٥ سورة ٧ : ٥٢ .

٦ سورة ٢٣ : ١٠٠ .

٧ الأكوار : الأكوان في ص .

ومبداه ، وترتيبه وظهوره ، وغايته ، وكيفية فنائه ، وخرابه ، لو
انقطعت مواد بقائه عن مبقيه ، فيعدم في الحال ، ويضمحل بلا زمان ،
وما أمر الساعة الاّ كلمح بالبرص أو هو أقرب .

فصل

في علة كون الليل والنهار : والغرض في هذه الرسالة معرفة تأثيرات
الأشخاص العالية في الأشخاص السفلية ، فمن تلك الحركات السريعة
القصيرة [١٤١] الزمان ، القريبة لاستئناف دوران الفلك ، المحيط بالكل ،
حول الأركان الأربعة ، في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة ،
كقول الله سبحانه : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^١ وهي التي تكون
الليل والنهار ، فبالليل سكون الحيوان وبالنهار حركته ، وذلك أنه إذا
طلعت الشمس ، مع دوران الفلك ، على جانب الأرض أضواء الهواء
بنورها ، وأشرق وجه الأرض بضياؤها ، وانتبهت أكثر الحيوانات من
نومها ، وتحركت بعد سكونها ، وترنحت بعد عجمتها وهدوئها ، وانتشرت
في طلب معاشها ، وتصرفت في مذاهبها ، وتفتحت أيضاً كذلك أكثر
أكمام الزهر والنبات ، وفاح نسيم روائحها ، وروحها وريحانها ، وذهب
الناس في مطالبهم ، وانتشروا في مآربهم ، وسعوا في حوائجهم ،
وصارت الدنيا كأنها حيوان واحد ، متحركة ، كاملة الأنوار مشرقة
الأزهار ، كل ذلك بضياء الشمس المشرقة ، الصافية وروحانياتها ، [١٤٢]
اللطيفة السارية في الأشياء ، كسريان العافية في الأشياء النامية . فإذا غابت
الشمس أظلم الهواء واسود الجو ووجه الأرض من الظلمة ، واستوحشت

أكثر الحيوانات ، ورجعت عن متصرفاتها إلى أوطانها وأماكنها ، وانصرف
الناس عن أسواقهم إلى منازلهم ، وعن مواضع أعمالهم إلى بيوتهم ،
ووقع عليهم النوم والنعاس والكلل بعد الانتشار ، والنشاط في الأعمال ،
والسكون بعد الحركة ، والهدوء بعد الجلبة^١ ، وتكون الدنيا كأنها حيوان نائم
أو ميت جامد ، من السكون والهدوء .

فصل

[في وجود الحيوان بدوام الحركة الفلكية]^٢ : واعلم يا أخي
أيديك الله وإيانا بروح منه ، بأنه ما دامت هذه الحركة محفوظة في الفلك ،
فهذه الحال موجودة في الحيوان ، فإذا سكنت تلك الحركة ، بطل هذا
النظام والترتيب . وهذه الحركة من أعظم نعم الله سبحانه على خلقه ،
كما ذكرهم فقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ
سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ﴾^٣
وقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ أَمْ لَا تَبْصِرُونَ ﴾^٤ .

فصل

في بطلان الحركة : إعلم أيها الأخ أيديك الله وإيانا بروح منه ،
أنه ما دامت هذه الحركة محفوظة في الفلك ، فإن صورة هذه الكائنات

١ الجلبة : الحيلة في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سورة ٢٨ : ٧٢ .

٤ سورة ٢٨ : ٧١ .

عنها ، الحادثة في هذا العالم ، تكون موجودة في الهيولى ، ومتى وقف
الفلك [عن الدوران]^١ فسد النظام ، وبطل عالم الكون والفساد ، وقد
قيل إن ذلك كائن لا محالة ، إذا بلغت النفس الكلية إلى أقصى غرضها ،
لأن الغرض هو غاية يسبق إليها الوهم ، ومن أجل البلوغ إليها يفعل
الفاعل فعله ، وإذا بلغ إليها قطع الفعل .

فصل

في معرفة ما يكون عن حركة القمر :
ومن الحركات السريعة ، القصيرة الزمان ، القريبة الاستئناف ،
ما يكون في كل شهر مرتين ، وهي حركة مركز تدوير القمر في [١٤٤]
الفلك الحامل ، في كل أربعة عشر يوماً مرة واحدة ، في هذا يكون
القمر مقبلاً^٢ بوجهه الممتلئ نوراً^٣ نحو مركز الأرض ، يعرف حقيقة
ما قلنا أهل الصناعة ، الذين يعرفون علم ما في المجسطى والذي يتبع
هذه الحركة ، كان من الحوادث والكائنات في هذا العالم ، أكثره الربو ،
والزيادة في الأشياء المبتدئة ، الحادثة من الحيوان والنبات ، والزيادة
أيضاً في المدود ، والرطوبات ، والأندآء ، يعرف ذلك أهل التجارب ،
والعلماء الطبيعيون ، والمتفكرون في الآفاق ، المعتبرون أحوال الموجودات .
وفي النصف الثاني من الشهر يدور هذا المركز في الفلك الحامل مرة أخرى ،
ويكون القمر مولياً ، بوجهه الممتلئ من النور ، عن مركز الأرض ،

١ الدوران : سقطت في ب .

٢ مقبلاً : سقطت في ب .

٣ نوراً : سقطت في ب .

نحو فلك عطارد ، ويدور القمر في الفلك الحامل مرة واحدة في هذه
المدة .

فصل

في معرفة ما يحدث من هذه الحركة في العالم :
والذي يحدث من هذه الحركة ، في هذه المدة ، في عالم الكون
والفساد ، ما دون [١٤٥] فلك القمر ، الذبول ، والهزال ، والنقصان
في الأشياء النامية ، والنضج ، والجفاف ، واليبس في الأشياء البالغة إلى
التمام من الحب والثمر ، ويتكون عن هذه الحركة في هذه المدة^١ بعض
الجواهر المعدنية ، كالمح ، والكمأة ، وأمثالهما ، وفي هذه المدة يتكون
أيضاً ، عن هذه الحركة ، بعض الحيوانات ، كالطيور ودود القز ،
وزنابير النحل ، وأكثرها تم خلقها في أربعة عشر يوماً ، وتخرج بعد
واحد وعشرين يوماً . فهذه المدة هي مقدار مسير القمر من يوم الحضنة
إلى يوم الخروج من البرج الذي كان فيه إلى البرج التاسع ، الذي هو
بيت النقلة والسفر ، فتنتقل هذه الحيوانات الكائنة من حال إلى حال في
هذه المدة . وما دامت هذه الحركة محفوظة في الفلك ، تصورت هذه
الكائنات وكانت موجودة في الهبولى في هذا العالم ، وإليها أشار الله عز
وجل بقوله : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ [١٤٦] كَالْعُرْجُونِ
الْقَدِيمِ ۚ ٢ 》 .

١ المدة : الحركة في ب .

٢ سورة ٣٦ : ٢٩ .

فصل

في معرفة مبلغ أعمار ما يحدث عن هذه الحركة من الحيوانات :
اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن كل الكائنات عن هذه
الحركة ، من الحيوانات والنبات ، فمنها ما هي طويلة البقاء ، ومنها
ما هي قصيرة المدة ، ولكن أطولها بقاء لا يتجاوز مائة وعشرين شهراً ،
وقصيرة المدة ما دون ذلك . وعلة نهاية بقاء بنية أشخاص هذا النوع
في الهيولى ، هذا المقدار من الزمان ، هو أن علة حدوثها حركة القمر
في فلك البروج ، المقسوم [بثلاثمائة وستين درجة]^١ وثمانين وعشرين
منزلة لدورة واحدة . وذلك أن القمر إذا^٢ كان في برج من الأبراج ،
وفي منزلة من المنازل ، يوم حضامة الطير ، فإنه يوم يخرج الفروخ ،
أو الفرخ ، يكون في منزل العشرين من ذلك المنزل ، في البرج التاسع
من ذلك البرج ، وقد قطع مائتين وأربعين درجة من الفلك ، وبقي له
مائة [١٤٧] وعشرون درجة إلى [أن يعود]^٣ إلى الدرجة التي كان فيها
يوم ابتداء الحضامة ، فيستأنف العمر في الدنيا لكل درجة شهراً ، وهذا
هو العمر الطبيعي للحيوان الحادث عن هذه الحركة ، وأما ما يهلك قبل
هذه المدة ، ويعيش بعد جواز هذا المقدار ، فذلك لأسباب وعلل وأعراض
يطول شرحها .

١ بثلاثمائة وستين درجة : سقطت في ص .

٢ إذا : سقطت في ب .

٣ أن يعود : سقطت في ص .

فصل

في القول على أعمار الصور الإنسانية واللاحقة بها من الصور الحيوانية :
وأما أمر الإنسان ، فذلك أنه إذا سقطت النطفة في الرحم من جنس
البشر ، أو بعض الحيوانات ، التي تلد لتسعة أشهر ، أو أكثر ، أو أقل ،
فهذا الجنس من الحيوان لاحق في جميع أحواله بأحوال الإنسان ، مقارن
له ، فلا بد له أن تكون الشمس ، تلك الساعة ، في درجة من برج من
الفلك ^١ ، فإذا كان الشهر التاسع ، تكون الشمس قد قطعت بسيرها
ثمانية أبراج ، وقد استوفت طبائع [١٤٨] البروج المثلثات ، وبلغت إلى
أول البرج التاسع ، بيت السفر والنقلة ، فيوجب ذلك انتقال المولود من
مكان إلى مكان ، ومن حال إلى حال ، وتكون الشمس قد سارت في
فلك البروج ، من يوم مسقط النطفة إلى ذلك اليوم ، مائتين ^٢ وأربعين
درجة ، وبقي لها مائة وعشرون درجة ، إلى أن تعود إلى الدرجة التي
كانت فيها ، يوم مسقط النطفة . فجعل نهاية لبقاء أشخاص من هذا
النوع ، وعمرها الطبيعي ، لكل درجة سنة ، وهي التي بقيت لها ،
تسير فيها مائة وعشرين درجة ، إلى أن تعود إلى الدرجة التي كانت
فيها يوم مسقط النطفة ، فإن زاد أو نقص فلاسباب وعلل . وعلى هذا
القياس يعتبر حال كل مولود من أنواع الحيوان ، فيكون عن حركة
شخص من الأشخاص الفلكية . فاعلم ذلك أيها الأخ ، وتفكر في هذه
القدرة العجيبة ، والصنعة القائمة بالحكمة الإلهية ، والعناية الربانية .

١ الفلك : أبراج الفلك في ص .

٢ مائتين : مائة في ب .

فصل

في معرفة ما يحدث في العالم بحركة [١٤٩] الشمس أيضاً :
ومن الحركات السريعة ، القصيرة الزمان ، ما يكون في كل سنة
مرة واحدة ، وهي حركة الشمس ، وحركة فلك تدوير الزهرة وعطارد
في فلك البروج ، تارة في البروج الشمالية ، وتارة في الجنوبية ، وتارة
في المستقيمة الطلوع ، وتارة في المعوجة ، وتارة في النارية ، وتارة في
الترابية ، وتارة في الهوائية ، وتارة في المائية ، وتارة صاعدة ، وتارة
هابطة ، وتارة في شرفها ، [وتارة في هبوطها] ^٢ وتارة في بيوتها ^٣
وتارة في وبائها ، وتارة في ذروتها ، وتارة في حضيضها ، وتارة مسرعة ،
وتارة بطيئة ، وتارة عند رؤوس ^٤ جو زهراتها ، وتارة عند أذناها ،
وتارة متيامنة [بعضها من بعض] ^٥ وتارة متياسرة ، وتارة شرقية ،
وتارة غربية ، وتارة متناظرة ، وتارة ساقطة ، وتارة خالية ، وتارة
في الأوتاد ، وتارة فيما يليها ، وتارة زائلة عن الأوتاد ، وتارة في
البروج المنقلبة ، وتارة في الثالثة ، وتارة في [١٥٠] المتجسدة ، وما شاكل
هذه الحالات .

١ كل : سقطت في ب .

٢ وتارة في هبوطها : سقطت في ص .

٣ وتارة في بيوتها : سقطت في ص .

٤ رؤوس : سقطت في ب .

٥ بعضها من بعض : سقطت في ب .

[فصل^١]

والذي يحدث عن هذه الحركة ، في هذه المدة ، في هذا العالم ، عن أحوال هذه الكواكب ، من الصور المختلفة ، والحالات المتغيرة ، أشياء لا يحيط بعلمها وكنهها وكونها إلا الله سبحانه وتعالى ، [خالقها ومبدعها لا إله إلا هو رب العرش العظيم]^٢ .

فصل

فيما يحدث في العالم إذا نزلت الشمس برج الحمل :
اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أنه ، إذا نزلت الشمس أول دقيقة من برج الحمل ، استوى الليل والنهار في الأقاليم ، واعتدل الزمان ، وطاب الهواء ، وهب النسيم ، وذابت الثلوج ، وجرت الأودية ، ومدت الأنهار ، ونبتت العيون ، وارتفعت الرطوبات إلى أعلى فروع الأشجار ، ونبت العشب ، وطال الزرع ، ونما الحشيش ، وتلألأ الزهر ، وأورقت الأشجار ، وتفتح النور ، واخضر وجه الأرض ، وتكونت الحيوانات والديب ، ونتجت البهائم ، وحررت الضرمع ، [١٥١] وانتشر الحيوان في البلاد عن أوطانه وطلب العيش ، وطلب الناس البقاع الباردة ، وخففوا الدثار والغطاء ، وبرد ماء الآبار ، وسخن الماء التي على وجه الأرض ، وأخرجت الأرض زخرفها ، وفرح الناس بها ، وصارت كأنها عروس مزينة ، وصارت الدنيا كأنها جارية شابة ، فلا يزال ذلك حال الدنيا ، حتى تبلغ الشمس آخر الجوزاء .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

١ فصل : سقطت في ص .

فصل

وهذا يا أخي دليل ومثال من أمور الدنيا ، وما يجري فيها ، ويحدث
عن هذه الحركة ، لأمر خفية ، وأسرار كامنة ، لا يعلمها إلا الله ،
والراسخون في العلم . وذلك أن أمور الدنيا مبنية على أمور الآخرة وكلها
مثالات ودلالات على دين الله سبحانه وحكمته ، وخفي سره ، وموضع
أمره ونهيه ، ونريد أن نذكر من الحكمة الخفية ، المستورة بهذه المثالات ،
الساكنة تحت هذه الحركات ، ما يكون به انتباه نفس الجاهل من نوم
سكرتها ، ورقدة [١٥٢] جهالتها ، وموت جهالتها ، [إن شاء الله تعالى] ^١ .
اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الشمس هي آية الله في
السموات والأرض ، وبها صلاح العالم ، وهي الباعثة في العالم روح
الحياة . ولما كان الإنسان عالماً صغيراً ، وجب بالحكمة أن يكون فيه
مثال ^٢ لما في العالم الكبير ، وكان القلب من الإنسان بمنزلة الشمس في
عالم الأفلاك ، وذلك أنها متوسطة للأفلاك ، ومركزها القطب ^٣ ،
كذلك القلب مركزه وسط الجسم الإنساني . فكما أن نزول الشمس
في بيت شرفها وسلامتها من الآفات ، أعني الكسوف ، والهبوط ، وما
يعرف المنجمون ، وما هو مذكور في المجسطي وغيره ، تكون سلامة
العالم ، وحسن حاله ، واعتدال نظامه ، واستقامة أقسامه ، فكذلك
القلب ، إذا سلم من الآفات ، والعوارض المهلكات ، استقام أمر الجسد ،
وتمت أوصاله ، وحسنت أحواله ، وانتظمت أعماله . [ولما كان في

١ إن شاء الله تعالى : سقطت في ص .

٢ مثال : مثالات في ص .

٣ القطب : وسط جرم الفلك في ص .

حال التفريد الإنسان [١٥٣] وحده مركباً^١ على مثال تركيب العالم الكبير ،
وجب أن يكون [بالجمع العالم كله]^٢ إنساناً كبيراً ، واحداً أيضاً
بالإطلاق . وإذا كان العالم كله ، أعني جميع الصور الإنسانية القابلة
للأمر والنهي ، بمنزلة إنسان واحد ، فيجب أن يكون له وفيه أعضاء
فاضلة شريفة : كالقلب ، والكبد ، وما يكون به الصلاح والحياة للجسد
من الخواص الخفية ، ويكون له أعضاء ظاهرة يدرك بها الخواص المحسوسات
المشاهدة : كالعينين ، والأذنين ، والأنف ، والفم ، واللسان ، ويكون
له أيضاً صنائع جليلة يظهرها صنائع حكماء ، ورؤساء علماء ، كاليدين ،
ويكون فيه عباد وزهاد ، وصالحون ، يسعون إلى بيوت الله ليقيموا الصلاة ،
والحج والجهاد ، وخالص العبادة لله ، عز وجل ، وكالرجلين ، إذا سعتا
إلى بيوت العبادات ، ومواضع الصلاة .

[فصل]^٣

فلما كان ذلك كذلك بالبرهان ، من وجود الرؤساء في عالم الأفلاك
العالية ، والكواكب السامية ، مثل [١٥٤] الشمس ، والقمر ، والكواكب
الخمسة المتحركة [والسبعة]^٤ الثابتة ، وما به قوام أمر الأفلاك ، وانتظام
عالم السموات ، وما يعرض لها وفيها من العوارض ، والأمور الخفية ،
التي بعضها يدركه البصر^٥ بدقة النظر ومنها ما يدركه بالقياس الصحيح ،

١ ولما كان في حال التفريد الإنسان وحده مركباً : ولما كان الإنسان عالماً صغيراً واحداً مركباً في ص

٢ بالجمع العالم كله : العالم كله في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

٤ السبعة : سقطت في ص .

٥ البصر : البشر في ص .

والبرهان الصادق ، ومنها ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، ولا يصل إلى معرفة أفهام المخلوقين ، إلاّ من أطلعه الله عليه ، وأيده بالوحي ، مثل الأنبياء ، والمرسلين ، والأمناء الصادقين ، من المبلغين إلى العالم ما ألقته الملائكة المقربون ، فبالبرهان قد بان أن الرؤساء في عالم الأفلاك موجودون ، وما ينبعث منها من القوى الروحانية ، والأنفس السارية في الأركان ، والأمهات ، والمواليد ، كل بحسب ما جعلته فيه ، وأمدته به النفس الكلية ، بالمشيئة الإلهية ، والحكمة الربانية ، وأن هذه الأرواح المدبرة للعالم بما به ، الموكلة بإنشاء مواليده ، ونظام حركاته ، واعتدال [١٥٥] ، أقسامه ، وصحة نسبته ، هي ملائكة الله عز وجل وجنوده ، لا يعلم عدتهم إلا هو سبحانه كما قال سبحانه : ﴿وَمَا يَتَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾^١ ، وكذلك الجسد لا يتم أمره ، ولا يقوم حاله ، إلاّ بما فيه من الآلة المعدة ، والمهيأة لقبول آثار الحياة ، التي هي القلب ، والكبد ، والطحال ، والرئة ، وما فيه من الأعضاء ، التي بصلاحتها ، وبفسادها فساد . وهذا صحيح ، لا يشك في معرفته من له أدنى مسكة من العقل . فأما جملة العالم بأسره ، الحي الناطق ، والمشملة الصورة الإنسانية ، هو أيضاً بالجمع إذا شمله دين واحد ، وعبادة واحدة ، وقد صار كله تحت أمر رسول واحد ، ودين واحد ، فلا بد أن يكون فيه وجود رؤساء يقومون بأمره ، ويدبرون حاله ، كالأنبياء أصحاب الشرائع ، الظاهرين بالأمر والنهي ، وإقامة الحدود ، ووضع الأحكام ، وهم أمثال الخواص [١٥٦] الظاهرة : مثل الأذنين ، والعينين ، والأنف ، والفم ، إذ كانوا ينطقون بالحكمة ، ويدركون حقائق الأشياء ، بدقة النظر الصادق ، ويستمعون من الملا الأعلى بالآذان الواعية ، ويتنسمون روائح

الحكمة بالمشام السالة ، فهم يستنشقون بها ، من الأرواح الطاهرة ،
روائع الملكوت الأعلى . وأما الرؤساء الذين هم أمثال القلب ، والكبد ،
وما ضمه البدن^١ ، وستره الجوف [وضمه الصدر]^٢ ، فهم المستخلفون
في شرائع الأنبياء ، إذا ذهب الأنبياء ، تركوهم لهداية الأمة ، وأقاموهم^٣
مقام الأئمة ، منهم تواييت الحكمة المستورة الذين عندهم خفيات مرامي
الأنبياء ، وأسرار ما نطقت به الحكماء ، فهم رؤساء ظاهرون بأجسادهم
الظاهرة ، باطنون بعلومهم الفاخرة : وأما رؤساء الصنائع الذين أمثال
اليدين ، اللتين بهما يظهر الإنسان ما علمه وعرفه من الصنائع ، فهم
الحكماء ، أصحاب الصنائع ، الذين استخرجوها بذكاء نفوسهم ،
ولطافة أرواحهم ، أوجبتها لهم مواليدهم السعيدة ، وأعمالهم [١٥٧]
الحميدة ، ووضعوها لمن يأتي بعدهم ، ليكون بذلك سعادة العالم ،
وعمارته ، وبلوغه إلى ما أعد له من الفضائل ، والخيرات . وأما الرؤساء
في العبادة ، والزهادة ، الذين هم أمثال الرجلين ، إذا سعت إلى بيوت
العبادة ، وانتصبت في إقامة الصلاة ، وهم القائمون بأثقال الشرائع ،
والنواميس ، الملازمون للمساجد ، والكهوف ، والصوامع ، والبيع ،
الذين يبتغون بذلك وجه الله ، والدار الآخرة ، لا يزيدون بذلك رياء
للناس ، ولا سمعة ، ولا أكل أموال الناس بما يظهرونه [من العبادة]^٤
فقد صح بهذا البرهان وجود الرؤساء ، وأهل المنازل في عالم الأفلاك ،
والقول عليه بأنه بجميع ما فيه ، صورة واحدة ، فاضلة ، كاملة ، طائفة

١ البدن : البطن في ص .

٢ وضمه الصدر : وضته الصدر في ب .

٣ وأقاموهم : وأقامتهم في ب .

٤ من العبادة : سقطت في ص .

لباريها ، مقرة بتوحيده ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^١ وكل
منهم في مقام معلوم ، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^٢
وفي الإنسان الواحد ، الذي هو عالم صغير ، مثالات كما في العالم الكبير ،
وفي عالم الإنسان بجملته ، إذا شمله دين [١٥٨] واحد ، وشريعة واحدة ،
كان كإنسان واحد ، فيه وجود الرؤساء ، وكذلك كانت رؤساء الجاهلية
تسمي رؤساء القبائل بالنجوم ، وأصحاب الرتب العالية من الملوك بالشموس ،
والأقمار ، والأهلة ، وفي النعمان بن المنذر يقول النابغة الذبياني شعراً :
ألم تسر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب

فصل

[في وجود السعادات عند اعتدال المزاجات]^٣ : وكما أن الشمس ،
إذا حلت برج الحمل ، اعتدل الليل والنهار وطاب الزمان ، واعتدلت
الأقسام ، واستوى نظام العالم ، وعمت البركات ، وانتشرت السعادات ،
وتشوقت النفوس إلى بلوغ مرادها ، كما قال الله عز وجل : ﴿حَتَّىٰ
إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ
عَلَيْهَا﴾^٤ أي قادرون على خيراتها ، وما يؤملونه من الوصول إلى
سعاداتها ، كذلك الإنسان ، إذا اعتدل مزاج قلبه ، وصفا لبه ، وبرىء

١ سورة ٢١ : ٢٠ .

٢ سورة ٢١ : ٢٧ .

٣ في وجود السعادات عند اعتدال المزاجات : سقطت في ص .

٤ سورة ١٠ : ٢٤ .

من [١٥٩] الأخلاط الكدرة ، والمزاجات المتغيرة ، أنصب البدن ،
وسمن ، ونما ، وفرحت به النفس ، وانبسطت في حفظ العلوم ، وإدراك
الحقائق من الخفيات ، وما شاكل ذلك من الأمور المحمودة . وكذلك
العالم كله ، إذا كانت الشريعة التي تجمعها ، ويضمها أمرها ونهيتها في
سعادتها ، وسعادة الرؤساء القائمين بها ، عمت أهلها البركة وعمرت
مساجدها ، وقامت فروضها ، واتبعت أحكامها ، ورغم أنف معاندها ،
وهلك مخالفها ، ودرت مكاسبها ، وعمتهم البركات ، وفاضت عليهم
الخيرات ، وبحسب نقصانها من تلك السعادة ، يكون نقصان عز أهلها ،
وذهاب البركة عنهم ، إذا تخلوا عنها وضعفوا عن القيام بواجبها ، يعني
أهلها : كضعف أحوال الشمس ، إذا حصلت في البروج ، التي تعوق
خيراتها ، وتبعد عن الوصول إلى مثل ما كانت عليه في برج الحمل ، ولا يزال
ذلك دأبها حتى تعود إلى مثل مكانها في العالم الأول ، كذلك يكون حال الشريعة
الماضية ، [١٦٠] حتى تستقيم الثانية كبداية الأولى ، في مثل تلك المنزلة ،
وكذلك حال الجسد ، إذا فسد مزاج قلبه ، واضطربت بنيته ، ودخل السقم
عليه ، ودخل الموت إليه ، فلا يعود إلى مثل حاله ، حتى يبلغ إلى حد كماله ،
﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾^١ . فافهم يا أخي هذا الفصل ، وتدبر
هذا القول ، تسعد به أنت ومن قبلك ، إن شاء الله تعالى .

[فصل]

فإذا نزلت الشمس برج السرطان ابتداء الليل ينقص ، والنهار يزيد ،
وانصرف الربيع ، ودخل الصيف ، وهاجت السمائم ، واشتد الحر ،

وهبت الجنوب ، ونضجت الثمار ، وكانت الدنيا كأنها شابة قد امتلأت شباباً ، وتكاملت قوتها ، وكذلك يكون الإنسان إذا امتلأ شباباً قوياً جلدأ ، يدرك ما يريد من أعماله ، وكذلك حال العالم الذي تضمنه شريعة ويشتمله دين واحد ، إذا تمت دعوته ، واشتدت سطوته ، وثبتت كلمته ، وكان رؤساء الدين فيه أقوياء على إنفاذ حكم الحق ، وبيان كلمة الصدق ، [١٦١] قويت أيدي أهله على أعدائهم وقرت عيون أوليائهم] ^١ .

فصل

في نزول الشمس برج الميزان : فإذا نزلت الشمس برج الميزان ، استوى الليل والنهار مرة أخرى ، ثم يبدأ الليل بالزيادة على النهار ، وانصرف الصيف ، ودخل الخريف ، وهبت رياح الشمال ، وجف النبت ، وفنيت الثمار ، ويبس النبات ، وتغير وجه الأرض ، وانصرف الطير والوحش ، يطلب البلدان الدافئة ، وتخزن الناس القوت ، وتغير الهواء ، وصارت الدنيا كأنها كهلة مدبرة ، وقد تولى عنها زمان شبابها .

[فصل] ^٢

كذلك الإنسان إذا تهادى به العمر وطالت به الحياة ، حتى يبلغ من عمره منزلة تتغير فيها أحواله ، ويفسد ما صلح من أعماله ، وثقل مساعدة آلاته ، وينقص ما كان يعرفه من عاداته عند قرب أجله ،

١ سقط هذا الفصل بتمامه من النسخة من .

٢ فصل : سقطت في من .

وانقضاء مهله ، وذلك بفساد مزاج قلبه ، وضعف حرارة كبده ، وقويت
الأخلاق السوداوية ، والمواد البلغمية ، وضعفت [١٦٢] الحرارة الغريزية ،
وكذلك حال العالم الذي تضمنه شريعة واحدة ، ويشمله دين واحد ، إذا
ظهرت فيه رؤساء الشياطين ، وغلبوا على ظواهر أمور الدين ، واستتر
رؤساء الهدى واليقين ، ضعفت أمور الشريعة ، ودخلها العبث والفساد ،
واضطربت أحوالها ، وتعطلت أحكامها ، وزهد أهلها في إقامة فروضها ،
وزهدهم فيها رؤساء الضلالة ، وأعلام الجهالة ، حتى يبلغ الكتاب أجله ،
والمؤمن أمله .

فصل

في ذكر^١ دخول الشتاء : فإذا بلغت الشمس آخر القوس ، وأول
الجدى ، تنهى طول الليل ، ثم أخذ النهار في الزيادة ، وانصرف الحريف ،
ودخل الشتاء واشتد البرد ، ونخشن الهواء ، وتساقط ورق الشجر ، ومات
أكثر النبات ، وانحجر أكثر الحيوانات في باطن الأرض ، وكهوف
الجبال من شدة البرد ، وكثرة الأنداء ، ونشأت الغيوم ، وأظلم الجو ،
وكلح وجه الزمان ، وهزلت البهائم ، وضعفت قوى الأبدان ، ومنع
الناس [١٦٣] البرد من التصرف وتمرر عيش أكثر الحيوانات ، وهلك
أكثره ، وكذلك ضعفاء الناس ، وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة قد
دنا منها الموت .

١ ذكر : سقطت في ب .

[فصل] ١

كذلك حال الإنسان إذا فرغ عمره الطبيعي ، وصار في آخره ،
ضعفت قوته ، وسكنت حركته ، ومات وفي ، وخرب جسده ، وتلاشى
جسمه وقامت قيامته . وكذلك يكون حال العالم الذي تضمه شريعة واحدة ،
ودين واحد ، إذا تناهت أمورها ، وطفى أهلها ، وأكثروا الفساد فيها ،
وعدلوا عن الحقائق ، وأطاعوا المخلوق ، وعصوا الخالق ، قام قائم الحق
بقول العدل والصدق ، فأباد تلك الأمة ، وأحل بهم النقمة ، وأقام قيامتهم
ويكون به هلاكهم ودمارهم ، ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ
مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ ٢ .

فصل

[فيما قيل من نهاية العالم] ٣ : وقد قيل إنه إذا خلى من هزارج العقرب
ثلاث مائة وستون ٤ [١٦٤] سنة وأربعة أشهر تكون الجائحة العظمى ، والمصيبة
الكبرى ، ويصير أمر العالم في الأقاليم السبعة إلى التلف والهلاك ، إلا من
كان منهم يأوي الغيران والكهوف ، وزؤوس الجبال ، وبطون الأودية ،
والجزائر في البحار ، وتكون كيفية هلاكهم ، بفساد الحال بين الملوك ،
وطمع بعضهم في بعض ، وطلب بعضهم ما في يد بعض ، فيكفر العالم

١ فصل : سقطت في ص .

٢ سورة ٦ : ١٥٨ .

٣ فصل : فيما قيل من نهاية العالم : سقطت في ص .

٤ وستون : وثلاثون في ص .

بعضه بعضاً ، ويكون سبب ذلك بموجبات أحكام النجوم ، وما سبق من حكمة الله لسقوط الهيبة ، لفقد الملك الأعظم ، الذي في يده زمام الشريعة ، فعند ذلك يتطلع سائر الملوك إلى موضعه ، ويطمعون في مكانه ، ويقصدونه من جميع النواحي ، ويهلك بعضهم بعضاً ، وذلك مثل الشمس مع الكواكب ، إذا غابت وخبث أنوارها ، وابتدأ القمر في خلافتها^١ ، بكونه في مكانها محاكياً لها في حالها ، وتشرق الكواكب ، وترمي بأنوارها من أفلاكها إلى موضع مرور الشمس ، [١٦٥] ولا يكون للقمر من القوة في ضيائه ، وكما أن أنواره ما يغطي به على أنوار الكواكب ، فلا يظهر له فيه كما كان نور الشمس ، إلى أن تطلع الشمس ، ويغيب القمر والكواكب ، ذلك تقدير العزيز العليم .

وقيل إنه في هذا الحد تهلك السباع كلها الضارية المؤذية ، والحيات ، والهوام المسمومة ، حتى لا يبقى على وجه الأرض منها شيء . وذلك أنه كان ظهورها في هزارج السرطان ، وتهلك في العقرب ، مثلثة السرطان ، وبصير الحكم والأمر إلى القوس^٢ بيت المشتري ، ومثلثة الشمس ، فتظهر في عالم السعادة ، ويستقيم أمر الدين ، وينتظم أمر العالم ، على كلمة واحدة ، ويجتمع بعد الشتات ، وتظهر دولة إخوان الصفا ، وتكون مدة هذا الحكم مائة وتسعاً وخمسين سنة ، على مقدار دوران النير الأعظم مرتين ، من أجل أن القوس ذو جسدين ، وتكون أمور عجيبة ، وتقرب من العالم أحكام أمور الآخرة ، [١٦٦] وأشراط الساعة ، ويبدأ حال الدور العاشر ، في حد الجدي ، بيت زحل ، وتأتي فيه أحكامه ، مما لا ينبغي لنا القول فيه ، والحكم عليه ، وهو موجود في كتب الحكماء ، الذين تكلموا على الأمور

١ خلافتها : خلافتها في ب .

٢ القوس : القوم في ب .

الآتية ، في الأوقات المستأنفة ، والقرانات الكاثنة . وإذا بلغ الدور إلى الدلو ظهرت أحكامه ، إلى أن يتم تمامه وتنقضي أيامه ، ثم يكون الدور الثاني عشر ، وهو الحشر^١ ، والنشر^٢ ، والقيامة الكبرى ، إلى أن تعود البداية ، والجمع ، إذا شاء الباري سبحانه وتعالى ، إلى أول درجة من برج الحمل ، ابتداء الخلق الثاني والنشأة الآخرة ، كما كان أول مرة ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، كذلك يفعل الله ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لامعقب لحكمه . وهذا قول أهل العلم بأحكام النجوم ، حكينا منه ما لاق بهذا الموضع لإقامة الدليل والبرهان ، على أن أمور الدنيا مبنية على أمور الدين ، وأن جميع ما فيها مثالات ، وعلامات ، ودلالات تنطق بتوحيد الله تعالى ، [١٦٧] وقدرته وسلطانه .

فصل

[في معرفة ما يحدث عند اجتماع المدبرات إلى آخر البروج]^٣ :
ولما كان أمر الفلك يتم باثني عشر برجاً ، مقسوماً بهذه القسمة ، تحل فيها سبعة كواكب نيرة^٤ ، وأن هذه البروج كالأجسام ، والكواكب كالأرواح ، وانها إذا اجتمعت هذه السبعة الكواكب في آخر البروج ، يكون سبباً لأمر عظيم ، وخطب جسيم يحدث في العالم . واعلم يا أخي [أيدك الله وإيانا بروح منه]^٥ أن الحكماء من أهل الهند ضربوا لهذا مثلاً يقرب مأخذ ما أشاروا إليه ، ودلوا عليه ، وقد ذكرناه في رسالة السماء والعالم ،

١ الحشر : المحشر في ص .

٢ النشر : النشر في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ نيرة : سقطت في ص .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

ونريد أن نذكره في هذا الموضع ، ونزيد في الإبانة عنه ، والكشف لما
خفي من سره ، وانغلق من أمره .

فصل

ذكروا أن ملكاً من الملوك بنى مدينة ، دورها ستون فرسخاً ، وأرسل
سبعة [١٦٨] نفر يدورون حولها بمسير مختلف ، يدور أحدهم كل يوم فرسخاً ،
والآخر كل يوم فرسخين ، والثالث كل يوم ثلاثة فراسخ ، والرابع كل
يوم أربعة فراسخ ، والخامس كل يوم خمسة فراسخ ، والسادس كل
يوم ستة فراسخ ، والسابع كل يوم سبعة فراسخ ، وقال لهم دوروا حول
هذه المدينة ، وليكن ابتداءؤكم من عند الباب ، فإذا اجتمعتم عند الباب بعد
دورانكم ، فأتوا إليّ فعرّفوني كم دار كل واحد منكم ، لأستأنف بكم
أمراً جديداً . فمن فهم حساب دوران هؤلاء نفر حول تلك المدينة ،
وتصوره ، أمكنه أن يفهم دوران هذه الكواكب حول الأرض بعد كم
دورة تجتمع^١ في أول برج الحمل من حيث كان ابتداء دورانها .

[فصل]^٢

فأما حساب أولئك نفر ، فيما زعموا مما ضربوه مثلاً للكواكب السبعة ،
فإنهم ، بعد ستين يوماً ، يجتمع فيه ستة نفر منهم عند باب المدينة وقد
دار الأول دورة واحدة ، [١٦٩] والثاني دورتين ، والثالث ثلاث دورات ،
والرابع أربع دورات ، والخامس خمس دورات ، والسادس ست دورات ،

١ تجتمع : يجتمعون في ب .

٢ فصل : سقطت في ص .

وأما السابع^١ الذي يدور كل يوم سبعة فراسخ فقد دار ثمانية أدوار [وأربعة وثلاثين وسبعة فراسخ]^٢ فيحتاج هؤلاء نفر أن يستأنفوا الدور، فبعد مائة وعشرين يوماً يجتمعون مرة أخرى عند الباب، وقد دار كل واحد حسابه الأول مرة ثانية، ولكن السابع قد دار سبع عشرة دورة^٣، وزاد فرسخاً واحداً، فيحتاجون إلى أن يستأنفوا الدور، وبعد مائة وثمانين يوماً، يجتمع الستة نفر مرة ثالثة، وقد دار كل واحد منهم حسابه الأول مرة ثالثة، ولكن صاحب السبعة قد دار خمساً وعشرين دورة، وزاد خمسة فراسخ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور، فبعد مائتين وأربعين يوماً يجتمعون مرة رابعة، وقد دار كل واحد منهم حسابه الأول مرة رابعة، ولكن صاحب السبعة قد دار أربعة وثلاثين دورة، وزاد [١٧٠] فرسخين، فيحتاجون إلى أن يستأنفوا الدور، وبعد ثلاثمائة يوم يجتمعون مرة خامسة، وقد دار كل واحد منهم حسابه الأول مرة خامسة، ولكن صاحب السبعة قد دار اثنتين وأربعين دورة وزاد ستة فراسخ، فيحتاجون إلى أن يستأنفوا الدور. فبعد ثلاثمائة وستين يوماً يجتمعون مرة سادسة [وقد دار كل واحد منهم حسابه الأول مرة سادسة]^٤ ولكن صاحب السبعة قد دار إحدى وخمسين دورة، وزاد ثلاثة فراسخ، فيحتاجون إلى أن يستأنفوا الدور، فبعد أربعماية وعشرين يوماً يجتمعون كلهم عند الباب باب المدينة، وقد دار الأول سبعة أدوار، والثاني أربع عشرة دورة، والثالث إحدى وعشرين دورة، والرابع ثمانين وعشرين دورة، والخامس

١ السابع : سقطت في ب .

٢ وأربعة وثلاثين وسبعة فراسخ : أربعة فراسخ في ص .

٣ دورة : سقطت في ب .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

خمساً وثلاثين دورة ، والسادس اثنتين وأربعين دورة ، والسابع قد دار ستين دورة ، فيكون ما يوجبه ذلك الاجتماع مما هو مذكور في كتب الأحكام .

فصل

واعلم يا أخي [١٧١] أيدك الله وإيانا بروح منه ، أنه لما كان أمر الفلك مقسوماً بهذه القسمة ، ونسبة حركاته على هذه النسبة ، كان بذلك صحة النظام ، واعتدال الأقسام ، والوجود على ما هو به من التمام ، وأنه غير متغير بطول الزمان ، ولا مستحيل على مرّ الأيام ، فهو في كل يوم جديد يبيد كل جبار عنيد ويدحض كل شيطان مريد ، ممن يسترق السمع ، بالشهب المحرقة ، والصواعق المبرقة ، بما جعل الله فيه من القوة الكلية ، بالمشيئة الإلهية ، والعناية الربانية ، ووجب بالحكمة أن يكون في عالم الإنسان ، الذي هو أجل موجودات الحيوان ، مثل ما هو موجود في عالم الأفلاك ، وسكان السموات من هذه الحركات ، وأن يكونها ودوامها يكون التسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، بأصوات مرتفعة طيبة ، ونغمات لذيذة ، وألحان بديعة ، بأصناف اللغات ، كل سماء يسبح أهلها بحركات لا تشبه أهل سماء أخرى ، وهم [١٧٢] أصحاب مقامات معلومة^٢ ، ومنازل مقسومة ، كل يسبح خالقه ، ويتزهد مبدعه ، ويقرب بتوحيد ربه ، في مكانه ومقامه ، بلغته ولسانه : كما قال : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾^٣ وكذلك فإن الزمان الكائن من هذه الحركات يجري أمره على مثال هذه

١ مر : مر في ب .

٢ معلومة : معلومات في ب .

٣ سورة ٣٧ : ١٦٥ ، ١٦٦ .

القسمة ، ويكون الأشخاص الموجودة فيه القابلين آثار النفس ، ومواد العقل ، يتم أمرهم في إقرارهم لمبدعهم ، وتسبيحهم لخالقهم ، بحركات سبعة أشخاص فاضلة ، مناسبة للسبعة الكواكب ، التي بها حركات الفلك وأدواره ، ما يكون من كرور أزمانه وأعصاره وما يبدو عنه من إشراقات أنواره .

فصل

في معرفة الأشخاص السبعة الفاضلة :
اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الله سبحانه وتقدسست
أسمائه ، جعل خلقه دالاً على دينه ، ودينه مشيراً إلى توحيده ، وجعل
الأشياء مزدوجة ، مرتبطاً بعضها ببعض ، ارتباط [١٧٣] علة بمعلولها ،
معتدل الأقسام ، مستوي النظام ، على النسبة الفاضلة بموجب الحكمة ،
ومقتضى العدل ، فجعل الروحاني والجسماني ، وربط بعضهم ببعض ،
وأحوج بعضهم إلى بعض ، وخلق الأرواح اللطيفة ، وقرنها^١ بالهياكل
الكثيفة ، لما له في ذلك من المشيئة ، وكان من ذلك الذي هو بداية الحلقة ،
وأول الفطرة ، الإبداع الأول التام ، المعطي صورة التمام والكمال ،
مجموعة فيه الأشياء بالقوة ، وبه تم إذا صارت في حد الفعل ، يعطيها التمام
والكمال . وهو التام الكامل بأمر مبدعه سبحانه ، ولا إله إلا هو ، وهو
الروح القدس ، ثم كانت النفس بأمر الله ، فكانت بالنسبة إلى العقل الأول ،
دونه في الرتبة ، والمنزلة ، في القرب من الله سبحانه ، فكان العقل واسطة
بين الله سبحانه وبين النفس ، وصار العقل روحاً لها ، وصارت له بمنزلة الجسد ،

١ وقرنها : سقطت في ص .

وارتبطت [١٧٤] ارتباط العلة بمعلولها ، وقبلت منه آثاره ، واتحدت بها أنواره ممددة لها ، وكانت الهيولى الأولى منبعثة من النفس ، وكانت دون النفس وكانت جسماً^١ للنفس ، وكانت الهيولى أبسط من الطبيعة والطف ، لقرب نسبتها من النفس ، وهي أصل تراكيب الأفلاك العالية ، والسموات السامية ، وما فيها من الملأ الأعلى ، ولذلك قيل إن الفلك ، بما فيه ، طبيعة خامسة ، وكانت الطبيعة ، التي هي سبب مواليد الكائنات ، وأصل تراكيب أجساد الحيوان والنبات ، أشد كثافة ، وكانت الهيولى الأولى روحاً لها ، ونفساً تمدّها بقوى روحانياتها ، السارية فيها ، المرقية لها من حال النقص^٢ إلى حال التمام والكمال ، بمواد النفس الكلية ، واتصالها بها على الدوام بتأييد العقل بأمر الله ، فارتبطت^٣ الأشياء بعضها ببعض ، وصار الأول للثاني [١٧٥] كالنفس ، لسبقه إياه بقرب النسبة من الخالق جل جلاله ، والثاني كالجسم له لتأخره عنه ، فلذلك قيل بهذا البرهان إن جوهر النفس متقدم الوجود على جوهر الجسم وإنما^٤ وجبت لها التقدمة بقرب النسبة من الله تعالى والعقل ، وبعد الجسم وجب لها الفضل وإذا اعتبرنا حال فضلها على الجسم ، [وجدناها]^٥ معطية للجسم صورة التمام ، وبكونها معه يلزمه اسم الحياة ، والحركة ، والانبعاث ، بظهور الفعل ، وبعدها يلزمه اسم الموت والنقص ، والكون في المحل الناقص . ولما كانت هذه الموجودات عن البارئ سبحانه ، وجل جلاله مرتبة على هذا الترتيب الذي ذكرناه ، من الحال الذي وصفناه ،

١ جسماً : حبها في ب .

٢ النقص : سقطت في ب .

٣ فارتبطت : سقطت في ب .

٤ وإنما : وإذا في ب .

٥ وجدناها : وجدنا أنها في ص .

مقدرة بتقدير الحكمة ، موزونة بميزان العدل والحق ، كان الأمر الذي يعملها كلها ، الذي من أجله خلقت : وبه كانت ، وكان الغرض [١٧٦] الأقصى ، والمنزلة العليا ، هو عبادة الله عز وجل ، والإقرار بتوحيده وتثنيته عن جميع ما في مبدعاته ، وصفات مخلوقاته ، كما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾^١ فأوجب العبادة [على خلقه]^٢ لنفسه ، سبحانه ، من جميع خلقه ، وتثنيهم عما هم محتاجون إليه به ، إذ هو رازقهم ومطعمهم ، ولا وصول إلى معرفته ، جل اسمه ، وعبادته ، وطاعته ، إلا بالدين ، وكان الدين أمره ونهيه ، وكان القائم بأمره ونهيه أشخاصاً إنسانية ، وصوراً آدمية ، وكانوا يأتون الواحد بعد الواحد ، في زمان بعد زمان ، فكان أولهم آدم ، وكان مثله مثل العقل ، إذ كان أول البداية الجسمانية ، والخلقة التركيبية الإنسانية ، وأول من نطق بأوامر الناموس ، وأقام الشريعة ، واتحدت به أنوار العقل [ولطائف النفس]^٣ وتأيد الباري ، عز وجل ، [بوساطة النفس]^٤ بأمره ونهيه ، ولذلك وجب أن تكون صورته صورة كل من أتى من ولده وجاء من بعده من نسله ، وكانوا مجموعين [١٧٧] فيه بالقوة ، ولذلك دعي باسمه كل من جاء من بعده به ، ونسب إليه ، وانتسب إليه بالولادة الجسمانية ، والشريعة الناموسية ، وكانت له درجة السبق والقرب من أمر الله ، ولذلك قال إنه خلقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، في جواره الأمين ، وقراره المكين ، ولما كان آدم أولاً بالقوة ، وأنه البداية

١ سورة ٥١ : ٥٦ ، ٥٧ في ص جاءت الآية هكذا (وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون) .

٢ على خلقه : سقطت في ص .

٣ ولطائف النفس : سقطت في ب .

٤ بوساطة النفس : سقطت في ص .

بعد دور الكشف الأول ، وأول الدور الثاني المخالف حكمه لحكم الأول ،
 إذ كان هو النشأة الثانية عند أوان زوال دور السر ، وقدم أشرط العرض
 الثاني ، كان العقل المؤيد له بالقوة ، هو قوة متحدة بالنفس ، والنفس قابلة
 لها قبولاً يبعثها به إلى حد تنزه^١ به عن التركيب والتأليف وجمع الكثيف
 باللطيف ، ويأتي ذلك لميلها إلى الطبيعة وحبها للشهوات الجسمانية ، [١٧٨]
 واللذات ، الموجودة في المكان ، والزمان الموجب لها ما هي عليه ، ولذلك
 اشتاقت نفس آدم إلى ما اشتاقت إليه من حب الرياسة ، والاطلاع على
 ما نهي عنه . وإنما أراد بذلك أن يصير له في الدرجة الرفيعة ، التي هي درجة
 العالين ، منزلة ومكان ، كما قال له عدوه لما غره واستفزه : ﴿ مَا نَهَاكُمَا
 رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ
 الْخَالِدِينَ ﴾^٢ ولما كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون ذا شريعة ضيقة
 العلم ، حرجة التكليف ، قليلة الخيرات ، عقوبة لآدم لما كان منه من
 الخطيئة ، وخروجه من الجنة ، وبعده عن دار الكرامة ، ومقارنته بعدوه ،
 وهبوطهما جميعاً معاً ، وما كان بينهما من العداوة والبغضاء ، فكان العيش
 والفوائد قليلة ، وإن الأشياء كانت في البداية في حال القوة ، ولأن حكمة
 الله سبحانه اقتضت أن يكون دور السر قليل الفوائد ، إذ كانت أموره [١٧٩]
 جارية على العداوة والخلاف والمنازعة ، وكان الأمر على ذلك مدة دور
 آدم ، إلى أن أعقبه الشخص الثاني ، وزادت القوة ، وظهرت إلى حد الفعل ،
 وعطف الأول على الثاني ، عطفة الأمر ، فأشرقت النفس ، وامتدت القوى ،
 فانبعث الملائكة بالوحي من السماء ، فاتصلت بالشخص الفاضل نوح ،

١ تنزه به : تنفرد به في ص .

٢ سورة ٧ : ٢٠ .

وقام بالأمر والنهي الجديد الثاني ، وجاء وقت القران المائي ، وأوحى الله سبحانه إليه أن ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾^١ . وكان من أمره ما ذكره جل اسمه في كتابه ، وأغرق وجه الأرض وما كان عليها ، ولم يبق من الخلق إلا من كان في السفينة وأراد الله بها السلامة ، وانقضى حال القران ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغَبَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلظَّالِمِينَ﴾^٢ ودام أمر نوح ، وقام بأمر الله مادة ما قدر الله سبحانه ، ودار الدور الثالث ، وزادت القوة ، وظهرت إلى حد الفعل ، وعطف الأول على [١٨٠] الثاني فكان الأمر الثالث المتصل بإبراهيم ، وأوحى الله إليه أن طهر بيتي للطائفين والعاكفين ، والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج ، وكان من أمره ما قصه الكتاب ، واتسع الزمان ، وكثر الحرث والنسل ، وصار أصل النبوة ، ومقر الكلمة ، وكان منه ما قدر له من الولادة الطاهرة ، والنسل المبارك ، وجمع الله شمله ، وجعل الكلمة باقية في عقبه ، والنبوة والإمامة ، وميراث الملك والحكمة ، ثم مضى دوره . ثم دار الدور الرابع واتصل الأمر من الأول بالثاني ، وأمهده بالأمر ، فنطق بالقول ، فوصل إلى الحد المتحد بدرجة الأنبياء ، فهبط الروح الأمين بالوحي ، واستخلص الشخص الطاهر ، فقام الجسد الطاهر ، في البقعة المباركة عند جانب الطور الأيمن ، في الوادي المقدس ، فنودي من الشجرة المباركة ، وجاءه النداء من العلي الأعلى : ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾^٣ . فقال بذلك المتزلة العلية ، والرتبة السنية ، واصطفاه الله بكلامه [١٨١] ورسالاته ، وأرسله وأخاه إلى فرعون وملاؤه وأهل ذلك الزمان ،

١ سورة ١١ : ٣٧ .

٢ سورة ١١ : ٤٤ .

٣ سورة ٢٨ : ٣٠ .

فكان هذا الأمر إشارة إلى صاحب درجة^١ النهاية الذي به تكون القيامة .
كذلك يكون اتصال الأمر إذا صار هو في ذاته مقام الحد المؤيد به الأنبياء
والمرسلون بتأييد الله عز وجل ، واتصال الأمر به بلا واسطة ، ولذلك
صارت الأنبياء كلهم يبشرون به ويذكرونه ، ويشيرون إليه ، ويدلون
عليه ، فهو في حال غيبته يمدهم بالقوة ، فإذا ظهر قام بالأمور المتقدمة
بين يديه بالفعل ، ووفى كل ذي حق حقه ، ونحن نذكره إذا انتهى
بنا القول إليه^٢ إن شاء الله تعالى ، ثم كان من موسى ما كان مع فرعون
وملاؤه ، وأورث الله سبحانه الأرض المقدسة لبني إسرائيل من بعده ،
وكان من أمره ما قصه الكتاب ، ثم كانت الدورة الخامسة فبعث إليهم
عيسى المسيح [اليسوع]^٣ ، المؤيد بروح القدس ، فكلم الناس في المهد ،
وكانت له من [١٨٢] الآيات والمعجزات ما ذكره الله عز وجل في كتابه
ونزل به خطابه وكان من أمره ما كان ، ثم دارت الدورة السادسة ،
فكان الأمر القريب من النهاية المتقدمة بين يدي الساعة ، السابق لها ،
بالإنذار منها ، والبشارة بها ، والتحذير منها ، ولا يزال أمره متصلاً
بعضه ببعض ، حتى تدور الدورة السابعة ، ويستأنف دور الآخرة ،
وتجتمع الستة مع السابع في درجة واحدة ، كاجتماع الكواكب الستة
مع الكوكب السابع في أول درجة من برج الحمل ، كاجتماع النفر الستة^٤
الذين داروا حول المدينة سبع دورات عند الباب من حيث داروا في
ابتداء الأمر ، فعند ذلك تظهر أحوال القيامة ، وتتغير أمور الدنيا ،

١ درجة : سقطت في ب .

٢ إليه : سقطت في ب .

٣ اليسوع : الأيسوع في ب .

٤ الستة : سقطت في ب .

ويأتي الله سبحانه باليوم الجديد ، ويكون ما ذكره من الجزاء والثواب والعقاب ، وما هو مذكور في الكتب النبوية ، والإشارات الفلسفية من القول على ما يكون في ذلك اليوم ، ويتجلى الرب سبحانه لفصل القضاء ، [١٨٣] وتبدل الأرض غير الأرض ، ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^١ ووجدت ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^٢ وقيل إن من أشرط الساعة طوفان النار ، وذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ . يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٣ وقال : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^٤ وقيل إن ذلك كائن ، إذا استولت الكواكب النارية ، كما كان حدوث طوفان الماء في زمان نوح باستيلاء الكواكب المائية ، والله سبحانه أعلم بغيبه ، وما أوتينا من العلم إلا قليلاً ، فلما كان انتظام أمر الأفلاك وعالم السموات ، وما فيها من الملائكة ، وما يحدث من الأمر فيهم ، وما يكون منهم من العبادة والتسبيح والتقديس ، والتهليل والتكبير ، بحركة هذه الكواكب السبعة في البروج الاثني عشر ، كذلك كان أمر العالم السفلي ، والخلق البشري ، وما يكون منهم من العبادات ، والطهارات ، [١٨٤] والصلاة ، والتسبيح والتقديس ، معرفة الله بمجيء هؤلاء الرؤساء السبعة ، ومن صحبهم ، ونال من خيراتهم ، وخلفهم من بعدهم من أهل بيوتاتهم ، الذين ورثوا حكمهم ، وفازوا بنعمهم . فبهذا البرهان قد صح ، أن أمور الدين موافقة لأمر الخلق ، ولما كانت الأشياء مزدوجة ،

١ سورة ١٤ : ٤٨ .

٢ سورة ٣ : ٣٠ .

٣ سورة ٤٤ : ١٠ ، ١١ .

٤ سورة ١٩ : ٧١ .

كثيف ولطيف ، كان دور آدم واشخاصه ، من بدايته إلى نهايته ، كالجسم للدور المتقدم عليه ، الكائن بعده عند ذهاب أحكامه ، وزوال سته ، كالروح اللطيف ، فالأمر فيه متعاقب كتعاقب الليل والنهار ، مرة بالكشف ومرة بالستر ، ذلك تقدير العزيز العليم . وإنما قيل إن الحركة لا تزال حتى تبلغ الغرض الأقصى ، فيكون السكون والهدوء ، عند بلوغ النفس غرضها . وقال بعض الحكماء ؛ ولوح في كلامه ، لمن فهم عنه ، وعرف معنى ما أشار إليه ، أن دوران الأفلاك إنما هو لغرض سبق إليه الوهم ، فإذا بلغ المحرك إلى ذلك الغرض يوشك أن يقطع الحركة ، [١٨٥] ويقطع الحركة زوال الفعل ، وبزوال الفعل عدم الموجودات وفساد الكائنات ، وانقراض أمر الدنيا ، وظهور أمر الآخرة ، والأمر صحيح ، كما قال ، لا يشك فيه من وقف على معانيه ، وعرف الغرض المقصود إليه منه .

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن وجود النهار هو سبب لكون حركة العالم ، وحركة العالم إنما سببها ، الداعي لهم إليها ، طلب الراحة ، واللذة ، والدعة ، والسكون ، وانتظار الليل ليسكنوا فيه ، ويزول عنهم ما وجدوه من ألم الحركة ، والتعب ، والنصب ، والمشقة من الأعمال ، والحركات المختلفة ، المتباينة بحسب مآرب البشر ، وأعمالهم ، وصنائعهم . وأنه لا يتحرك متحرك في يومه ذلك إلا لغرض يقوم في وهمه من لذة تميل إليها نفسه ، يدركها في ليلة يومه ذلك في حركته ، ويجتهد في سعيه ومعيشتة ، وهو مع ذلك يدبر أمر حاله ، في ليلته التي هو مستقبلها ، وما يكون به بلوغ غرضه [١٨٦] فيها من السكون ، والهدوء ، واللذة والسرور ، وهدوء حواسه ، وتسكين وسواسه ، فإذا جاء الليل سكنت تلك الحركة ، كذلك الحركة في دور الستر ، بالأمر والنهي ،

والقيام ، والقعود ، وما يحدث من الأمور الناموسية ، والأحكام الشرعية والتكليفات الشاقة ، والعبادات المتعبة ، والمجاهدة للعدو ، والحج إلى البيت الحرام ، وقطع المنافز والمخاوف ، وما شاكل ذلك ، فإنما المراد بهذه الحركة في هذه الأمور بلوغ^١ الغرض من الفوز بالجنة ، والهدوء والطمأنينة ، والحركة^٢ والفوز باللذة ، والرضوان والروح ، والريحان ، مع الجوارى الحسان ، والولدان ، وما هو مذكور من صفة الجنة في القرآن ، وفي كتب الأنبياء كلها ، مما هو كائن لا محالة في زمان الآخرة ، ووقت القيامة ، إذا وفيت كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ، وبزوال هذه الحركة يكون زوال أمر^٣ الدنيا ، وما هي موجودة به ، إلا من الأفعال ، والأوامر ، والنواهي ، [١٨٧] وعند ذلك تكون أحكام عقلية مركوزة في الطباع ويكون رؤساء ذلك العالم في الجنة [كمثل رؤساء]^٤ الملائكة في عالم الأفلاك ، وأطباق السموات ، ليس لهم شغل ولا عمل إلا التسبيح ، والتقديس ، والتحميد ، والتمجيد ، ولذلك قيل إن نهاية الإنسان ، إذا أطاع باريه ، وأقر بمبدعه ، واتبع الرسل ، والأئمة ، وما جاؤوا به من الأمر والنهي ، أن يكون في حد الملائكة ، وهي الصورة التامة والنعمة العامة ، ولذلك قيل إن الأرض تبدل ، وإن الملائكة تنزل ، إذا كان وقت ليلة القدر ، وانشقاق القمر^٥ ، واقترب الساعة ، وجمع الشمس والقمر . وكل ذلك يا أخي إنما هي إشارات خفية ومرام بعيدة البيان ،

١ بلوغ : ابلاغ في ب .

٢ والحركة : سقطت في ص .

٣ أمر : أوامر في ب .

٤ كمثل رؤساء : سقطت في ب .

٥ القمر : السماء في ص .

لا يكاد يعلمها إلا من وفقه الله ، وهداه إليها ، وأعانه عليها إذا انتبهت
نفسه من رقدة الجهالة ، وحييت بروح المعارف من موت الخطيئة ،
وقد بينا منها بحسب ما أمدنا الله به من فضله ، وألقيناه إليك ، لتعلمه ،
[١٨٨] وتعلمه لمن وثقت به واطمأنت إليه. وكل ما أخبرناك به ودللناك
عليه من هذه الأمور الخفية ، فهي وإن كانت بعيدة المرامي ، صعبة
الإشارات ، منغلقة التلويحات ، في غير هذه الرسالة فلإنا قد بيناها لك
وسهلناها عليك ، بالكشف والبيان ، وإقامة^١ الأدلة والبرهان ، فليس
لك عذر عن القيام بواجبها ، وأخذ نفسك بمعرفتها من أهلها ، حتى لا
يخفى عليك منها شيء ، مما ألقيناه إليك ، لعلك تفوز به مع الفائزين ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

[في ذكر الرسالة السادسة]^٢ : الرسالة السادسة رسالة في العشق
ومحبة النفوس ، ونزوعها وشوقها إلى الاتحاد والرضى الإلهي ، وما حقيقته ،
ومن أين مبدؤه ، وكيفية انبعاث القوى المحركة له وإلى كم قسم ينقسم ،
وما حقيقته ، وما كليته ، وما جزئيته ، وعلته ومعلوله ، والغرض
المقصود إليه من هذه الرسالة هو البيان [١٨٩] بأن العاشق المعشوق ، المطاع
المحبوب ، المراد والمطلوب ، على الحقيقة ، هو الباري عز وجل وأن
الحلائق كلها^٣ وجملة العالم بأسرها مشتاقة إليه ، مريدة له ، ومتحركة

١ وإقامة : سقطت في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ كلها : سقطت في ب .

نحو الكمال ، باستتمام الصورة ، وعاشقة لمصورها ، المعطي لها صورة التمام والكمال ، ولذلك صارت النفس ، كلما لحظت صورة حسنة عجيبة^١ بهية جميلة ، مالت إليها ، وأرادت الاتحاد بها ، والقرب منها ، لجمالها ، وحسنها ، وانها لا تميل إلى الصور الوحشة ، والأشخاص القبيحة كميلها للصور الحسنة ، والأجسام المليحة ، ذوات البنية المعتدلة ، والأقسام المتساوية ، والجواهر الصافية ، والأنوار المشرقة ، والحدائق المونقة ، والمياه الجارية ، والأشجار المثمرة ، والرياض الناضرة ، والسموات العالية ، ذوات الكواكب الزاهرة ، فإن الأبصار تتزهر في محاسن هذه الأشياء ، وتشتاق إلى الكون بحيث هي ، والمجاورة لها ، بحيث لا زوال يكون لها منها ، ولا حائل [١٩٠] يمنع فيما بينها وبينها ، وكميل الإنسان إلى معشوقه ، وشوقه إلى مطلوبه ، وتمنيه قرب داره ، ودنو مزاره ، والسعي إليه ، والقدوم عليه ، كذلك الأشياء كلها تطلب الترقى ، من الحال الأدنى الأرذل ، إلى الحال الأعلى الأكمل ، والعمر الأتم الأطول ، والبقاء على أحسن الأحوال ، وبلوغ معالي الآمال ، والوصول إلى عالم الروح والريحان ، ومجاورة الرحمن ، ذي الجلال والإكرام . وهي الأشياء^٢ التي قال فيها سبحانه : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^٣ والتسبيح بحمده هو المسارعة إلى امتثال أمره ونهيه ، والقرب إليه ، والدنو منه . فاحذر يا أخي أن تعمل عملاً يبعدك من رحمته ، ويحول بينك وبين رحمته ، فتخرج من حزبه ، وأهل مودته ، ومحبته ، وتكون من الباغضين له ، والناصبين العداوة لأهل وداده وطاعته ، نجاك الله من

١ عجيبة : سقطت في ص .

٢ الأشياء : الأسماء في ص .

٣ سورة ١٧ : ٤٤ .

هذه الصفة المتحدة بعالم النار ، ومأوى الأشرار ، الذين انقطعوا عن
الاحرق بأولياء الله ، ولحقوا [١٩١] بأعدائه شياطين الإنس والجن ،
﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^١ .

فصل

اعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن الحكماء المتقدمين من
العلماء ، من أهل الطب قد أكثروا القيل والقال ، في العشق والمحبة^٢ ،
وبحثوا عنه بصفاء الذهن ، وجودة التمييز ، وكثرة الفكر ، ودقة النظر ،
فمنهم من قال إن العشق مرض نفساني ، وقالوا هو هوى غالب ، وقالوا
هو جنون إلهي ، وإنما قالوا ذلك من أجل أنهم رأوا ما يعرض للعشاق
من شدة الذل ونحول الجسم ، وغور العيون ، وتواتر النبض ، والأنفاس
الصعداء . مثل ما يعرض للمريض ، فظنوا أنه مرض نفساني . وأما الذين
زعموا أنه جنون إلهي فإنما قالوه من أجل أنهم لم يجدوا لهم دواء يعالجونهم
به ، ولا شربة يسقونها فيزول عنهم ما يجدونه من ألمه ، وقد ذكرنا هذا
الفصل وما قيل فيه من الأشعار في الدلالة عليه ، بما لا يخفاء به [١٩٢] عن
تأمل هذه العلة ، ولا بد أن يعرض لجميع الناس ضرب منها ، ولكننا
نريد أن نبين الصواب من القول ، وما قرب من الحق من هذا المعنى ،
لتعرفه إن شاء الله تعالى ، ولا بد لنا من إعادة بعض ما قدمنا ذكره في
الرسالة الموضوعه له ، وفيه ، ونبين هاهنا معانيه ، ونكشف حقائق
مراميّه ، ونشرحه شرحاً شافياً نبين لك مستوره ، بعون الله وتوفيقه .

١ سورة ٦ : ١١٢ .

٢ المحبة : محبة النفوس في ص .

فصل

اعلم يا أخي [أيديك الله وإيانا بروح منه] ^١ أن النفوس المتجسدة ،
لما كانت ثلاثة أنواع ، فمنها النفس النباتية الشهوانية ، وعشقها يكون
نحو المأكولات ، والمشروبات ، والمناكح ، ومنها النفس الغضبية الحيوانية
وعشقها يكون نحو القهر والغلبة وحب ^٢ الرياسة ، [وطلب العز والتجدة ،
وحب السلاح ، والخيل ، وآلة الحرب ، والفتنة] ^٣ ومنها النفس الناطقة ،
وعشقها يكون نحو [طلب العلم] ^٤ والمعارف ، [والبلوغ إلى علم
الحقائق ونحو ذلك من] ^٥ اكتساب الفضائل . [١٩٣] وليس أحد من
الناس يخلو من نوع من هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرناها ، فأما النفس
النباتية فإن هذا العشق ملازم لها ، لا تخلو منه طريقة عين ، وهو موكل
بها ، وشوقها إليه لا يهدأ ولا يفتر ، بل يوجد فيها دائماً ، وبذلك يكون
نمو الجسد ، وبقاؤه ، وكماله ، وتمامه ، فهذه قوة متصلة بها ، موجودة
في جبلتها ، مركوزة في طبيعتها ، إذ به قوامها ودوامها ، فمتى أفرطت
في ذلك كان به أيضاً هلاكها ، وذهاب جسدها ، وعدم وجودها ،
وهذا عشق لازم لهذه النفس غير مفارق لها . وصح بهذا الاعتبار من هذا
الوجه قول من قال : إن العشق مرض نفسياني ، وهو محبة الأشخاص
الحسنة من الولدان والجواري ، وما كان يجري مجرى ما يراد للنكاح

١ أيديك الله وإيانا بروح منه : سقطت في ص .

٢ وحب : سقطت في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ طلب العلم : سقطت في ص .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وشهوة المآكل الطيبة ، والمشارب ، اللذيذة ، والملابس الحسنة ، والروائح الطيبة ، وكل ما كان من ذلك فمن نوع هذه [١٩٤] النفس ، فإذا قدرت على ذلك ونالته ، فرحت ، وانبسطت ، وسرت ، وابتهجت ، وأخصب بدنها ، وعبل جسمها ، وسرت قواها نحو تناول اللذات ، واتبعتها النفس الغضبية ، وساعدتها ، وآلفتها على ذلك ، وقويت بقوتها ، فإن مالت إليهما القوة الناطقة ، وخالطتهما^١ في أفعالهما ، وصارت شيئاً واحداً ، ودخل الفساد عليهما ، ووصل العذاب إليهما ، وأظلمت على الناطقة سبلها وعوقتاها بأفعالها عن اللحوق بعالمها ، وبقيت مفارقة لها في عالم الكون والفساد . فهذا العشق هو المرض النفساني ، والمرض سبب الموت ، والموت سبب العدم ، والبوار ، وتفرق الأجزاء ، فمتى وصل هذا المرض إلى النفس الناطقة ، أماتها إذا غلب عليها ، وموتها هو انقطاعها عن اللحوق بعالمها ، وأشد ما يكون من العشق [من هذا النوع]^٢ محبة الأشخاص ، والميل إلى الأجسام المراد بها المنكح^٣ ، وذلك سبب مجيء الأشخاص ، وعمارة الدار ، ولأنها شهوة تظهر عن [١٩٥] قوة هي ملكة^٤ الجسم المحركة له إلى الفعل بأجمعه ، ليكون بتلك الحركة خروج صورة مثله ، تخرج من القوة إلى الفعل ، وهي تختلف بحسب اختلاف المواليد وما في الطباع من محبة الجوارح الحسان . وقوم يحبون المتوسط من ذلك ودونه ، وقوم يغلب عليهم محبة الغلمان والأحداث ، وضروب من هذا الفن ، توجبها لهم مواليدهم ،

١ وخالطتهما : سقطت في ب .

٢ من هذا النوع : سقطت في ب .

٣ المنكح : النكح في ب .

٤ ملكة : ملا في ب .

وما يتولاهم من الكواكب في أوقات مساقط نطقهم ، وأوقات مواليدهم ،
وتزيد وتنقص بحسب أشكال الكواكب ، وما يحدث عنها ، ويكون عنها ،
وهذا كله مرض نفسي .

فصل

وأما العشق المتحد بالنفس الغضبية من محبة القهر ، والغلبة والعلو ،
والرياسة ، والغضب^١ ، والتعدي ، والمنافسة ، والحمية والجهالة ، والإقدام ،
واللجاجة ، والجور ، والجرأة ، والحرد ، والنخوة ، والميل نحو المذاهب
الفاسدة ، والآراء العادلة عن الحق ، والمخاصمة عليها ، والمجادلة ، [١٩٦]
والمقاتلة ، وإقامة الحروب ، والفتن ، فإن هذه الأمور وما شاكلها هي
قوى موجودة في النفس الغضبية ، وخلق من أخلاقها ، ملازم لها ، موجود
فيها ، وتزيد وتنقص بحسب اتفاق المواليد ، وأشكال الفلك ، وهذا الفن
هو الهوى الغالب . فصيح بهذا الاعتبار قول من قال إنه هوى غالب على
النفس ، يغطي عليها حقائق الأمور ويعدل بها عن الحق إلى الباطل . وأضر
ما يكون منه على النفس الناطقة اعتقاد المذاهب الفاسدة ، وجذب من قدر
عليه من مذاهب الحق إلى ما هو عليه من الباطل ، وهذا موافق للعشق الموجود
في قوة النفس النباتية الشهوانية ، بمساعدة الحيوانية مثل محبة منكح الغلمان ،
الذي هو اللواط ، وهو عدول بالفرج عما هي^٢ له ، والزنا ، وهو العدول
عما أبيح له إلى ما حرم عليه ، ومنع من الوصول إليه ، إلا من حله ،
وكذلك الخروج من مذهب الحق إلى الباطل ، وهذه هي ولادة [١٩٧] الزنا

.....
١ الغضب : النصب في ص .

٢ هي : هو في ب .

في الدين ، والنسل الفاسد ، والنطفة المذرة ، وحدوثه عن هذا العشق ،
وهو الهوى الغالب ، إذا مالت النفس الناطقة إليه ، وعطفت نحوه .

فصل

وأما العشق المنسوب إلى النفس الناطقة ، الموجود فيها ، اللائق بها ،
فهو محبة العلوم الشريفة ، والحكم اللطيفة ، والنظر إلى الكواكب العالية ،
والسماوات السامية ، والافتكار في خلق السموات والأرض ، وما فيها من
الآيات : وإجالة الفكر ، وإعمال الروية في كون الخلقة ، وابتداء الفطرة ،
والاطلاع على الغاية ، والبلوغ إلى النهاية ، والحيرة في إدراك المبدع سبحانه
بالحواس ، ورجوع البصر عنه وهو حسير ، ووقوف العقل عن البلوغ
إلى كنه معرفته وهو كليل ، وتردد النفس في هذه الأمور ، واتباع المرسلين ،
والإصغاء إلى قول المنذرين ، والتشوق إلى معرفة الحق ، والسلوك إليه في
أقرب الطرق ، والترقي في معالي الدرجات ، [١٩٨] والبلوغ إلى أتم السعادات ،
والسعي في مصالح الأعمال ، والتخلق بأحسن الأخلاق والنتزه عن الأحوال
الذميمة ، والأفعال القبيحة ، والتبرؤ^١ من أفعال النفس الشهوانية ، والبعد
عن أفعال^٢ النفس الغضبية ، والميل إلى الأمور الطبيعية^٣ وتلقي^٤ التأييدات
الإلهية ، والأوامر الناموسية ، والحقائق الفلسفية ، فهذا الفن هو العشق
الذي تسميه الحكماء جنوناً إلهياً ، للحيرة التي تدخل على النفس والعقل ،
إذا وقفا عن إدراك المبدع ، إلا بما دلهم عليه ، وهداهم إليه . فبهذا الاعتبار

١ والتبرؤ : سقطت في ب .

٢ أفعال : أفعال في ص .

٣ الطبيعة : العقلية في ص .

صبح قول من قال : إنه جنون إلهي . واعلم يا أخي أن لكل فن من هذه الأجناس الثلاثة قنية تختص بها ، وتوافقها ، وتشاكلها .

فصل^١

وأما قنية النفس الشهوانية لهذا النوع الموافق لها ، فهي آلة المأكل والمشروب وبهذه القوة يكون الحرث ، والنسل^٢ وعمل الصنائع ، المستعان بها على ما يؤكل ، ويشرب ، ويلبس ، وتكون [١٩٩] به الزينة ، والجمال ، والمحاسن الدنيوية ، واتخاذ ما يصلح لهذه الأمور وتزوج النساء ، وشراء الجوارى ، واتخاذ الغلمان ، والدواب ، والمراكب ، وبحسب وصولها إلى هذه القنية ، وقدرتها عليها يكون فرحها وسرورها . وبعدم ذلك يكون حزنها وذلها ، وفقدان لذاتها ، وقلة مسراتها ، وذبول الجسم ، وذل النفس ، إذا وافقتها النفس الناطقة في الحزن ، والندامة ، والأسف على ما فاتها من هذه القنية في الحياة الدنيا .

فصل

وأما قنية النفس الغضبية الموافقة لها في أفعالها ، المعينة لها على أعمالها ، فهو ما يتخذ من السلاح : مثل السيوف والرماح ، والقسي ، والسهام ، وما به يكون تلف الأجسام ، وحدث الآلام ، ونزول المصائب والنكبات ، والحروب ، والغارات ، والعساكر ، والكبسات ، والهجمات ، ومحاربة

١ فصل : سقطت في ص .

٢ والنسل : سقطت في ب .

الأعداء ، وإقامة الحدود ، والتشفي من العدو ، [٢٠٠] واتخاذ الخيل ، وما شاكل ذلك ، فكل هذه الأشياء من القنية الطالب لها ، والساعي في جمعها هي القوة الموجودة في النفس الغضبية .

فصل

وأما قنية النفس الناطقة فهي محبة العلوم ، والحكم ، وجمع الكتب والصحائف ، والوقوف عليها ، والنظر إليها ، والتفكر فيها ، وما يكون به الوصول إلى السعادة الدائمة ، ومنها قنية أخبار الأولين ، وأشعار المتقدمين ، وأحاديث القرون الأول الماضية ، والأيام الحالية ، وما كان فيها ، وعلم ما هو في زمانه وما هو مستقبل كائن في الأيام الآتية بأحكام النجوم ، وما أخبرت به الأنبياء ، وتكلمت على كونه الحكماء ، فكل هذه الأمور الموجودة في الكتب المؤلفة ، والرسائل المصنفة ، هي قنية النفس الناطقة ، وهي الطالبة لها الساعية في جمعها ، المجتهدة في الوصول إليها ، والوقوف عليها .

فصل

واعلم يا أخي أن عشق النفس الشهوانية الذي سماه الحكماء مرضاً [٢٠١] نفسانياً فهو ينقسم قسمين : محمود ومذموم ، فالمحمود منه ما قدر عليه علاجه ، ويرجى برؤه وشفائه ، بمساعدة النفس الناطقة ، والقوة العاقلة ، إذا عطفت نحو ذلك بلطف التقدير ، وسياسة التدبير ، وهو ما كان من تناول الغذاء من المطعم والمشرّب بحسب الحاجة إليه ، من المشرّب ما أروى الظمأ ،

ومن المطعم ما سد الجوع ، ومن الملبس^١ ما ستر العورة ، وكان [سبباً لزوال
أذية]^٢ الحر والبرد إذا قدر عليه ، ووصل إليه ، والصبر ، والاحتساب ،
والشكر لله عز وجل إذا فاته شيء من ذلك ، وتعذر عليه وجوده ، ومن
المنكح ما كان حلالاً له من أزواجه أو ما ملكت يمينه ، ومن القنية ما كان
يصلح لذلك بحسب [ما من الله به عليه]^٣ وأوصله بالتوفيق إليه ، كما قال
الله عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^٤ . [تم الجزء
الثالث من الرسالة وتم بتمامه رابعها الثالث وبتلوه في الجزء الرابع]^٥
﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾^٦ والحمد لله رب العالمين وصلى
الله على محمد النبي وأصحابه ، وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهي
[خاتمة لرسائل إخوان الصفا وخلان الوفا الاثنى والحمسين]^٧ .

[بسم الله الرحمن الرحيم وقال]^٨ : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ وقال : ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ إذا كان ذلك كله من
حله ، فهو محمود ، وإن هو أفرط في تناول ما لا يحتاج إليه من المأكول
والمشروب والمنكوح ، أداه ذلك إلى مرض الجسد ، وعلة الجسم ، وغلبة

١ الملبس : اللبس في ب .

٢ سبباً لزوال أذية : وكان به التوقي من أذية في ص .

٣ ما من الله به عليه : ما أقدره الله عليه في ص .

٤ سورة ٧ : ٣٢ .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٦ سورة ٤ : ٣ .

٧ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٨ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الأخلاق . فإن هذا مرض يشفى وعلة يوجد لها الدواء ، وتزول إذا رجع المرء إلى عادته ، إلا أن يكون قد فرغ أجله ، واستوفى مهله ، واستنفد رزقه ، فيصير إلى مرضاة الله ، ودار كرامته ، مأجوراً ، محموداً قد عاش سعيداً ، ومات شهيداً ، إذا كان عارفاً بباريه حسن الأفعال ، مليح الأعمال ، فهذا هو القسم المحمود من [٢٠٣] العشق .

فصل

وأما المذموم ، فهو ما كان من هذه الأمور بالعكس مما وصفناه ، وضد ما ذكرناه ، من الإقبال على الأمور القبيحة ، والأفعال الذميمة ، وتناول هذه الأشياء من غير حلها ، ووضعها في غير موضعها ، والعدول عن الحقائق ، وما شاكل ذلك ، فهو القسم المذموم الذي لا يرجى شفاؤه ، ولا يوجد دواؤه ، وصاحبه هالك في الدنيا والآخرة ، [إلا من يتوب] ^١ .

فصل^٢

وأما العشق المنسوب إلى النفس الغضبية ، الذي هو الهوى الغالب ، فإنه أيضاً ينقسم قسمين : محمود ومذموم ، فأما المحمود من ذلك فهو ما كان من الجهاد في سبيل الله ومحاربة الأعداء ، والعصية في دين الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ ^٣ وقال لنبیه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

١ إلا من يتوب : إلا أن يتوب في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ سورة ٨ : ٦٠ .

وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴿١﴾ وما شاكل هذه الأمور من هذا الفن ، وما يستعان عليه من هذه القنية وجمعها ، فهو القسم المحمود المثاب عليه صاحبه . [٢٠٤] وإذا مات في هذا الأمر ، وعلى هذا السبيل ، كان شهيداً عظيم المنزلة عند الله ، رفيع الدرجات ، كما قال الله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ٢ .

فصل ٣

وأما المذموم من هذا الأمر فهو ما كان بالعكس من ذلك في صرف الحمية والعصبية على دين الله وأوليائه ، وقتلهم ، وتفريق جمعهم ، وتشيت شملهم ، وغصبهم حقهم ، وتناول المحرمات ، وارتكاب المحظورات ، والخروج عن طاعتهم ، واتباع الشياطين ، والسلوك في سبيل المفسدين كما قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ ٣ وقال : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ٤ فهذه الأمور وما شاكلها هي أمهات المعاصي ، وكبائر الذنوب ، من قتل النفس التي حرم الله ، والشرك ، وعق الوالدين ، والتكبر على الرسول في وقته ، والخليفة من بعده وأولي الأمر ، في كل زمان . وهذا المرض لا يرجى [٢٠٥] شفاؤه ولا يوصل إلى

١ سورة ٩ : ٧٤ .

٢ سورة ٣ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

٣ فصل : سقطت في ص .

٤ سورة ٤٨ : ٢٦ .

٥ سورة ٦١ : ٨ .

علاجه . وإذا مات به صاحبه كان من أصحاب السعير . نجانا الله وإياك أيها الأخ من هذا المرض وهذه القنية ، وهذا العشق برحمته ، إنه أرحم الراحمين .

فصل

وأما العشق المنسوب إلى النفس الناطقة ، فهو أيضاً ينقسم قسمين ، والناس فيه على طبقتين ، ونازلون مترلّتين : محمود ومذموم ، وأما المحمود فهو الإقبال على العلوم الحقيقية ، وقبول الأوامر الإلهية ، والتكليفات الشرعية ، ومعرفة حقائقها ، والسلوك في موضحات طرائقها ، وإقامة البراهين على صحتها ، والبحث والسؤال عن تأويلاتها ، حتى يقف الطالب لها على علومها ، فينجو بمعرفتها ، وما يتخذ من القنية لذلك من الكتب المضمنة هذه المعاني ، وحفظها ، والحرص على جمعها وادخارها ، وصيانتها عن^١ لا يستحقها ، فهذه الأمور وما يصلح لها من القنية ، ومن اكتساب المال من أجله ، وما يكون به الوصول إليها ، والقدرة عليها ، هو المحمود ، وصاحبه [٢٠٦] قد استعجل روح الجنة وربحانها ، وفاز بنعيمها ورضوانها ، وهم العلماء الذين وصفهم في كتابه ، وأثنى عليهم بخطابه ، وذكر أنهم يخشونه حق خشيته ، ويعرفونه حق معرفته ، المتفكرون في آياته ، وخلق سمواته وأرضه ، وما أوجده من رفعه وخفضه ، وبسطه وقبضه ، ويقولون : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^٢ وهذا هو الجنون الإلهي والعشق الحقيقي .

١ عن : عل من في ب .

٢ سورة ٣ : ١٩١ .

فصل ١

وأما المذموم من هذا العشق المنسوب إلى النفس الناطقة والقنية التي له
ومن أجله ، فهو ما بالعكس مما وصفناه ، وبالعكس مما ذكرناه من قراءة
الأشعار ، والكتب^٢ ، ورواية الأخبار المزخرفة ، والحكايات المؤلفة ،
والأسماء المصنفة ، العادة بالنفس عن طرق الهدى إلى طريق الضلال ،
والعمى ، وقبيح الأفعال ، وسيئات الأعمال . وربما وجد شفاؤه ، ورجي
برؤه ودواؤه ، إذا كان لطيف المأخذ ، إذا تذكرت النفس أمر عالمها ، وأفادت
من سكرتها ، وانتبهت من نوم [٢٠٧] غفلتها ، وندمت ، وتابت ، وأنابت ،
ورجعت إلى ما هو لها أصلح ، وبها أليق ، مما قدمنا ذكره . وإنما يرجي
صلاح هذا المرض ، والإفاقة من صرعة هذا الجنون ، إذا كان لطيفاً متحداً
بلطيف ، إذ كانت النفس الناطقة جوهرة سماوية ، وقريبة النسبة من علتها ،
مشتاقة إليها ، والمواد بها متصلة ، وإن هي تبادت في جهالتها ، وقويت
عليها أمراضها ، وأعلاها ، وتزايدت عليها أسقامها هلكت ، وانقطعت
عن اللحق بعالمها ، وأثقلتها أعمالها القبيحة ، وأحاطت بها سيئات ما عملت ،
وقبائح ما ارتكبت ، وصارت شيطاناً مريداً ، وانقلبت في أسوأ منقلب ،
وعادت أقبح معاد ، وقارنت عالم الكون والفساد ، والاتحاد بالأجساد في
عالم الآلام ، ومحل المصائب والأسقام ، كما قال الله تعالى : ﴿ كَلَّمَا نَضَجَتْ
جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَسْتَذِقُوا الْعَذَابَ ﴾^٣ وقال : ﴿ اخْسِئُوا
فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوا ﴾^٤ . نجانا الله وإياك أيها الأخ من هذا [٢٠٨] الجنون

١ فصل : سقطت في ص .

٢ والكتب : والكذب في ب .

٣ سورة ٤ : ٥٦ .

٤ سورة ٢٣ : ١٠٨ .

المهلك ، وهو الجنون الذي يتخبط صاحبه من ^١ الشيطان ، وتغويه ^٢ جنود إبليس اللعين ، ولا يكاد يزول إلا بالعزائم الصعبة ، والرقى المنبعثة من السماء بالشهب المحرقة حتى يفارقه شيطانه ، ويتخلى عنه هامانه ؛ إذا وفق له الطبيب العالم ، والكاهن العارف بحقيقة الرقى والعزائم ، وقل ما يوجد ذلك ، ويتفق ، إلا لمن أراد الله به السعادة والنجاة من العذاب الأليم ، والهوان المقيم . وكما أن المجنون يتخبط في قيوده ، وأغلاله ، وسلاسله ، ويتلطح بأقذاره ، وما يبدو منه وعنه من انتهاك سواته ، وتخريق أطماره ، وهتك أستاره ، كذلك النفس إذا أحاطت بها شياطينها ، وحزبها ، وهوت بها ، وخبطتها ، وتراءت لها الأشخاص القبيحة والصور المشوهة التي اكتسبتها بأعمالها الرديئة ، وأفعالها القبيحة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ^٣ . فهذا هو [٢٠٩] الجنون المذموم والعشق غير المحمود . ومثله كمثل من يعشق السودان ، وقبيح المنظر من الولدان ، ومن يريد الفحول من الذكران ، ليداوي بهم ما يعرض به من البغاء ، والداء العضال ، ويضع نفسه لقبيح الأعمال ، فهو مذموم في العالمين ، مهتوك السر بين الناس أجمعين . ومن يعشق الكهولة من النساء ، وأصحاب الصور القبيحة ، والخلق المشوهة ، ويختار السودان من الجوارى ، على من عنده من النساء الحسان ، والصبايا ، والولدان ، كما قال القائلون :

ماذا تقول هداك الله في رجل يهوى عجوز أناس بنت تسعين
يبكي عليها لقد أودى بمهجته حب العجوز وترك الخرد العين

١ من : سقطت في ب .

٢ وتغويه : وتغريه في ب .

٣ سورة ١٦ : ٢٤ .

فهذا القسم من الناس ، إذا عشقوا على هذه الصفة ، ومالوا إلى هذه الأشياء ، وإنما هو ضرب من الجنون ، ومفارقة العقل ، ومقارنة الجهل ، وهوان النفس . وكذلك في الاعتقادات الرديئة والمذاهب المخالفة [٢١٠] لقبول^١ الحق ، ومذاهب أهل الصدق ، التي بها يكون الدمار ، والبوار ، وسوء المنقلب في الدار الآخرة ، نجاك الله وإيانا من هذا الجنس ، وأنواعه ، وأشخاصه ، بمنه ورحمته . فهذا تمام القول ، وإيضاح الشرح^٢ ، وإقامة البرهان على ما قيل في العشق ، [من أنه]^٣ مرض نفسي وهوى غالب ، وجنون إلهي ، وحقيقة المطلوب به ، والغرض المقصود من هذه الفصول هو أن حقيقة العشق الفاضل ، والود الكامل ، هو الشوق إلى الاتحاد ، والقرب من العلة الأولى ، وكل يشاق إليها ، ويطلب القدوم عليها ، والقرب منها ، فاعرف ذلك ، وتحققه ، واحتفظ به إن شاء الله تعالى [ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]^٤ .

فصل^٥

في رسالة البعث ، والقيامة ، والنشر ، والحشر ، والحساب وكيفية المعراج .
وعلمها هو الغرض الأقصى من رسائلنا كلها ، وإليها المنتهى ، وهي الغاية القصوى ، والمنزلة العليا ، وهو الماء المعين ، والعلم اليقين ، والحق المبين ،

١ لقبول : لقول في ص .

٢ الشرح : الشرع في ب .

٣ من أنه : سقطت في ب .

٤ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم : سقطت في ص .

٥ فصل : سقطت في ص .

والصراط [٢١١] المستقيم ، وحبل الله المتين ، وإليه أشار بقوله سبحانه : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾^١ .

ولما رمزنا بهذا العلم الجليل في هذه الرسالة ، ولوحنا به ، وذكرنا طرفاً منه ، لم نورد به بأجمعه وما وقفنا عليه ، ووصلنا بتوفيق الله وقدرته إليه ، وادّخرناه لهذا المكان من هذه الرسالة الجامعة ، لنورده فيها بإيضاح البيان ، وحقائق البرهان ، لما قدمناه من الشرط لها ، بتمام القول فيها ، وإن ما بين يديها من الرسائل مقدمات ، تشير إليها ، وتدل عليها . فإذا وقفت أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، على هذا العلم ، فصنه كل الصيانة واعمل فيه بموجب العلم وحق الأمانة ، وإياك والحياة ، بدفعه إلى من لا يستحقه ، ووضع في غير موضعه ، وبذله إلى من لا يرغب فيه ، ولا يطلبه فيكون خارجاً من جملة العلماء ، الذين ينخشون الله حق خشيته ، [٢١٢]

ويلزمون طاعته ، ويعبدونه حق عبادته ، بوضعهم الأشياء في مواضعها الثلاثة بكونها فيها ، ونزولها عليها ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن هذا العلم هو الغاية ، وبمعرفته يكون الوصول إلى النهاية ، إذ هو علم البدء . والمعاد ، والرجوع والمنقلب ، والدنيا ، والآخرة ، والنشوء^٢ والبلى والحشر والنشر ، والعقاب والثواب ، والصراط والميزان ، والجنة والنار ، والملائكة المقربين ، والشياطين

١ سورة ٧٠ : ٤ .

٢ النشوء : النشور في ب .

وجنود إبليس اللعين ، أجمعين ، والحق والباطل ، والعالم والجاهل ، والتاقص
والكامل ، والفاضل والمفضول ، [والفائت والحاصل]^١ والغائب والحاضر ،
والربيع والخسارة ، [والصناعة والتجارة]^٢ والقبض والبسط ، والخفض
والرفع ، والظلمة والنور ، والظل والحرور ، والليل والنهار ، وعالم السموات
العلی ، وسكان الأرضین السفلی ، وكتاب الأبرار الذي في [٢١٣] أعلى عليين ،
وكتاب الفجار الذي في سجين ، وجنة الفردوس^٣ ، وشجرة طوبى ، وسدرة
المنتهى ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، والملك الذي لا يبلى ، ومعرفة الهاوية
وجهم الثاوية ، والجحيم ، وشرب الماء الحميم ، وأكل الزقوم ، والأجسام
المحترقة ، والأرواح المغرقة ، والخلود المجددة ، والنفوس المعذبة ، مع
العفاريت المردة ، ومالك الغضبان ، وزبانية النيران ، والعذاب المقيم ، ومعرفة
الأيام الموصوفة ، ذات الأسماء المختلفة ، والأوصاف المؤتلفة ، في الحقائق
المتباينة في موضوعات الطرائف ، مثل الآزفة ، والحاقة ، والطامة ، والواقعة
والقارعة ، والصاخة ، والساعة ، والقيامة ، ويوم البعث والنشور ، وبعثرة
ما في القبور ، وتحصيل ما في الصدور ، ويوم التناد ، ووقت المعاد ، ويوم
الجزاء ، وبروز الرب لفصل القضاء ، وليلة القدر ، واقتراب الساعة ،
وانشقاق القمر ، وتبديل الأرض وطى السماء ، والحشر ، [٢١٤] وتساقط
الكواكب ، وتواتر المصائب ، وغيبة الشمس ، وحيرة النفس ، ومرور
الجبال كمر السحاب ، وطى السماء^٤ كطي الكتب ، وتفجير البحار ،
وغرور ماء العيون والأنهار ، والنفخ في الصور ، ونشر الصور البالية ،

١ والفائت والحاصل : سقطت في ص .

٢ والصناعة والتجارة : سقطت في ص .

٣ الفردوس : الفردوس الأعلى في ص .

٤ السماء : السحاب في ب .

[وحشر العظام البالية] ^١ وقيام الأجساد الثاوية ، وجمع الشتات ، وقيام
الأموات ، وحياة العظام والرفات ، والانتباه من طول الرقاد ليوم المعاد ،
وحضور الشهداء والنبين ، والمبلغين رسالات ربهم ، والمنذرين ﴿ وَيَوْمَ
تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ ^٢ وبرزت الجحيم للغاوين ، وقيام الملائكة
والروح صفاء لا يتكلمون ، ويوم الحق ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، ويوم
الفصل ، ويوم كآلف سنة مما تعدون ، ويوم يقول : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي
الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِثِينَ ﴾ ^٣
ويوم البعث ، والموتة الأولى ، والموتة الثانية ، والحياة الأولى ، والحياة
الثانية ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا [٢١٥] اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ^٤ وشهدت عليهم الشهداء ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ ^٥ ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ
يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتِي لَمَّ اتَّخَذْتُ
فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّتْنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ ^٦ ويوم ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ
فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ
لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^٧ ويوم ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي

١ وحشر العظام البالية : سقطت في ص .

٢ سورة ٤٤ : ١٠ .

٣ سورة ٢٣ : ١١٢ ، ١١٣ .

٤ سورة ٤٠ : ١١ ،

٥ سورة ٥٠ : ٢١ .

٦ سورة ٢٥ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

٧ سورة ٣٩ : ٥٦ ، ٥٨ .

كُنْتُ تُرَابًا ۝^١ وَيَوْمَ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ۝^٢ وَيَوْمَ ۞ يَأْتِيهِمْ
 اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ۝^٣ وَحُضُورُ الشَّهَدَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ ۝ وَيَوْمَ
 تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ۝ وَيَوْمَ يُقَالُ لِلنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ وَالرُّوحِ
 الْمَطْمَئِنَّةِ ۝ ارجعي إلى ربِّكِ راضيةً مَرْضِيَّةً . فادْخُلِي فِي عِبَادِي . وادْخُلِي
 جَنَّتِي ۝ وَيَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لِلْمَسِيحِ : ۝ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي
 آلِهَتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ [٢١٦] سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا
 لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا
 أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝^٤ وَيَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
 بِشَهِيدٍ ، وَيَوْمَ يَدْعُو كُلُّ إِنْسَانٍ بِإِمَامِهِمْ ، وَيَوْمَ يَقُومُ الْوِزْنُ بِالْقِسْطِ ، وَيَوْمَ
 تَعْرَضُ الْأَعْمَالُ وَتُخْبَرُ الْأَخْبَارُ ، وَتُنْشَرُ الْكُتُبُ ، وَيُقَالُ لِلْمَرْءِ ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ
 كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝^٥ ۝ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ .
 وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ .
 وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ .
 وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ .
 وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ .
 عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُحْضِرَتْ ۝^٦ الْآيَةُ . وَيَوْمَ يَعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى

١ سورة ٧٨ : ٤٠ .

٢ سورة ١٦ : ١١١ .

٣ سورة ٢ : ٢١٠ .

٤ سورة ١٦ : ١١١ .

٥ سورة ٨٩ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

٦ سورة ٥ : ١١٦ .

٧ سورة ١٧ : ١٤ .

٨ سورة ٨١ : ١ إلى ١٤ .

النار ويوم تعرضون لا تخفى منكم خافية واليوم المعلوم والأجل المحتوم وفك الكتاب المحتوم ويوم يساق الذين آمنوا إلى [٢١٧] الجنة زمراً والذين كفروا إلى جهنم زمراً ويوم يعرضون على النار ، ويوم يوقفون ، ويوم يبعثون ، ويوم يفتنون ، ويوم يسألون ، ويوم تشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون ، ويوم يرجعون فيه إلى الله ، ويوم ينقلبون ، ويوم يقول الله لهم : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾^١ ويوم يشهدون على أنفسهم أنهم كانوا ظالمين ، ويوم يدعون بالويل والثبور ، ويوم ينادون ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ ﴾^٢ ويوم يضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ويوم يقول الشيطان ربنا ما اطعته ، ولكن كان في ضلال بعيد ، ويوم يقول : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾^٣ ويوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ، ويوم يكون وقودها الناس والحجارة . وهي مثنى للكافرين والمتكبرين ويوم لا يغني [٢١٨] والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه ، وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، ويوم يقول الشيطان لما قضي الأمر لحزبه وأتباعه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾^٤ ويوم يأتي الذين ظلموا فرادى ، وما معهم من شافع يشفع لهم ، فيقال لهم : ﴿ وَلَقَدْ

١ سورة ٢٣ : ١٠٥ .

٢ سورة ٥٧ : ١٤ .

٣ سورة ٥٠ : ٢٢ .

٤ سورة ١٤ : ٢٢ .

جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُتُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ
 وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿١﴾ وَ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ
 خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^٢
 وَيَوْمَ تَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ . سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ
 وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٣﴾ وَيَوْمَ لَا تَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَيَوْمَ
 لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴿٤﴾
 ﴿الْأَخْيَالُ﴾ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ ﴿فَلَا
 أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾^٦ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ [٢١٩] وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ
 وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^٧ وَيَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ﴿سَمْعُهُمْ
 وَأَبْصَارُهُمْ﴾ . وَقَالُوا لِيَجْزُو دِيْعِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ
 الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٨﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ ، وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ
 مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ، فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ، وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ
 الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَيَوْمَ تَحِيَّةُ الَّذِينَ يَلْقَوْنَهُمْ سَلَامٌ ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ
 أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَكُلُّ هَذِهِ الْإِشَارَاتُ وَالصِّفَاتُ ، إِنَّمَا أَطْلَنَّا الْقَوْلَ
 بِذِكْرِهَا ، وَالتَّعْدَادَ لَهَا ، بِمَا هُوَ مَوْصُوفٌ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ ، لِيَعْلَمَ مَنْ كَانَ لَهُ

.....

١ سورة ٦ : ٩٤ .

٢ سورة ٣ : ٣٠ .

٣ سورة ١٤ : ٤٩ ، ٥٠ .

٤ سورة ٦ : ١٥٨ .

٥ سورة ٤٣ : ٦٧ .

٦ سورة ٢٣ : ١٠١ .

٧ سورة ٣٦ : ٦٥ .

٨ سورة ٤١ : ٢٠ ، ٢١ ،

عقل أن هذا الأمر أمر عظيم وخطب جسيم ، وأن بالوقوف عليه ، والوصول إليه ، تكون الإحاطة بأجل العلوم ، والكون في الجنة بالقوة ، وإذا فارقت النفس الجسد ، ارتقت إليها ، وجعلت فيها في جوار الرحمن ، ومرافقة الحور الحسان ، مع الملائكة المقربين ، [٢٢٠] والأنبياء المرسلين ، وعباد الله الصالحين ، الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون .

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن الذين أنكروا أمر البعث ، والقيامة ، والنشر ، والحشر ، والمحاسبة ، وما تقدم ذكره من وصف ما قدمناه من هذه الأمور ، فإنما أنكروها وكذبوا بها لشكوك في نفوسهم ، وحيرة في قلوبهم ، والعلة في ذلك طلبهم حقيقة معرفتها ، وكيفيتها ، وأينيتها ، وماهيتها ، وكميتها ، قبل معرفة أنفسهم ، وحقيقة جوهرها ، وكيفية كونها مع الجسد ، ولم تربط به وقتاً ما ، ولم تفارقه وقتاً آخر ، ومن أين كان مبدؤها ، وإلى أين يكون معادها بعد مفارقتها جسدها ، وهذه المباحث علم غامض وسر لطيف ، ليس لها وصول ولا طريق إلا [للمهتدين]^١ بالعلوم ، والإيمان ، والتصديق لقول المخبرين الصادقين عن الله عز وجل ، الذين أخذوا هذا العلم عن الملائكة وحياً وإلهاماً بتأييد من الله عز وجل. وأما الذين لا يرضون [٢٢١] أن يأخذوا هذا العلم تسليماً ، وإيماناً ، وتصديقاً ، ويريدون براهين عقلية ، وحججاً فلسفية ، فيحتاجون أن تكون لهم نفوس زكية ، وأرواح زكية ، وقلوب صافية ، وآذان واعية ، وأخلاق طاهرة ، وأن يكونوا قد ارتاضوا بالعلوم ، الموجبة لهم الوقوف على صحة هذا الأمر ،

١ المهتدين : المهتدين في ص .

وحقيقة هذا السر ، ولذلك بسطنا ما بسطناه ، وقدمنا ما ألقيناه من الرسائل ،
المضمنة ما يجب للناظرين والمطلعين عليها ، من العلوم الرياضية التعليمية ،
والجسمانية الطبيعية ، والعقلية النفسانية ، لينتبهوا بذلك ، إذا وقفوا عليه
ووصلوا بحميد^١ السعي إليه ، من حقائق الكتب النبوية ، والتزييلات السماوية ،
وتركنا القول بالتصريح بهذا الأمر ، ليكون مذكوراً في هذه الرسالة ، بقيام
البرهان والدلالة ، وهو وإن كان واضح البرهان ، لائح البيان ، فإنه لا
يصل إليه ، ولا يعرف كيفية الاطلاع عليه ، إلا من كان من أهله ، ووفقه
الله [٢٢٢] بعلمه . ومن كان من غير أهله ، فإنه لا يعلمه ، ولا يقف عليه ،
ولا يهتدي إليه . فعند ذلك يرجع بالطعن على صاحبه ، وتكفير واضعه .
وينسب إليه الكفر والإلحاد ، ويرميه بالبهتان والعناد ، كذلك يلعنه الله ، ويخزيه ،
ويجعله من الذين ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾^٢ ولهم الويل وسوء العذاب ،
ممن يقال لهم : ﴿ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾^٣ وهم أوراق الشجرة
الخبيثة ، الملعونة ، المجتثة من فوق الأرض ، ما لها من قرار ، أولئك ، حطب
جهنم ، وهم لها واردون .

فصل

[ونريد يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن نتكلم على حقائق ما وصفناه
وبيان ما شرحناه وتفصيل ما أجمالناه بالبيان الشافي والقول الكافي والله يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم]^٤ .

١ بحميد : بحميد في ص .

٢ سورة ١٦ : ٢٢ .

٣ سورة ٢٣ : ١٠٨ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

في معرفة البعث :

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن لفظة البعث لفظة تدل على معنيين في هذا الأمر : أحدهما بعث إيراد ، وبعث إصدار بمعنى [٢٢٣] المبدأ ، والمعاد . وأما المبدأ فهو انبعاث النفس من العقل ، ثم كذلك انبعاث الأشياء بعضها من بعض ، وبدؤها من العقل ، وكلها من الله عز وجل . وبعث الابتداء هو البعث من حد القوة إلى حد الفعل ، وهو إيراد الأشياء من العدم إلى الوجود بالصور ، وكونها في الهيولى . والبعث الذي هو بمعنى الإصدار والعود هو مفارقة النفس الجسد بعد اتحادها به ، وكونها معه مقارنة لما عملت ، حاملة لما كسبت ، إما إلى عذاب مقيم ، وإما إلى سرور ونعيم . فهذه معرفة البعث بالوجيز من القول ، الدال على المبدأ والمعاد في هذا المعنى . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾^١ ومنه بعث الأنبياء ، لمن يقوم مقامهم في تبليغ رسالاتهم في الأمة ، لتعم البركة وتشمل النعمة ، والبعث الكائن في الدنيا جزئي ، والبعث المؤدي إلى الآخرة كلي .

فصل

وأما تسمية هذا [٢٢٤] اليوم بالحاقة ، فإنما هو إشارة إلى تحقيق علم الله الذي أخبرت به الأنبياء ، ودلت عليه الحكماء ، وصدقت به العلماء المؤمنون ، وكذب به الجاهل والمنافقون^٢ . وأما قوله الواقعة ، فإنما عني به أن

١ سورة ٢ : ٢١٥ .

٢ المنافقون : الكافرون في ص .

في ذلك اليوم يقع القول عليهم بالتكذيب لهم ، وفساد ما كانوا يعتقدونه من الآراء السخيفة ، والمذاهب المخالفة لقول الحق ، العادلين بزخارفهم عن طريق أهل الصدق . وأما قوله الآزفة ، عني به أن في ذلك اليوم يكون لحوق كل نفس بما عملت ، وتحيط بها سيئات ما كسبت ، والأزوف في لغة العرب هو الرواح ، والزوال من مكان إلى مكان . كما يقال أزفت الشمس للغروب ، وأزف الوقت ، كذلك الآزفة رفع شيء ووضع شيء غيره في موضعه ، والرواح به ، كذلك يكون الأمر في ذلك اليوم إزالة المذاهب السخيفة ، والاعتقادات الرديئة ، والأهوية الضالة ، المضلة ، ونقل أهلها إلى العذاب المهين ، والذل المقيم ، ولذلك قال : [٢٢٥] ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ ۱ فاقتراب الساعة هو المسارعة بمجازاة الأنفس ، وانشقاق القمر زوال أمر الدنيا ، إذ كان القمر هو المتولي تدبير عالم الكون والفساد ، وبانشقاقه تبطل هذه الحركة . وأما قوله يوم التناد ، فإنه في ذلك اليوم يكون النداء ، كما قال سبحانه : ﴿ يَنَادُوا وَنَهُمُ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ۚ ۲ ومناداة أصحاب الأعراف ، ومناداة الذين آمنوا يومئذ بعضهم لبعض بالبشرى ، والهناء ، والفرح ، والسرور ، ومناداة الذين كفروا بعضهم لبعض بالويل والثبور ، وقولهم : ﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ۚ ۳ ونداؤهم بالشهادة على أنفسهم أنهم كانوا هم الظالمين ، وأما قوله يوم النشور ، فهو يوم نشر الأعمال ، وظهورها ، ليراها الفريقان ، ويقف عليها أهل الجمع ، وذلك أن المؤمنين يعرفون أعمال الذين كفروا وتعرض عليهم ، ويقال لهم : أليس هذا بالحق ؟ قالوا بلى ، فيقال لهم :

١ سورة ٥٤ : ١ .

٢ أمر : نور في ص .

٣ سورة ٥٧ : ١٤ .

٤ سورة ٢١ : ٩٧ .

أليست هذه أعمالكم فيعرفون بها ، وتحيط بهم سيئاتهم ، وتعرض أفعال المؤمنين الزكية ، وأعمالهم [٢٢٦] المرضية ، على الكافرين ، فيقال لهم : ألم تكونوا تدعون إلى هذا العمل بمثل هذه الأعمال ، وكنتم تستكبرون ؟ فيقولون نعم ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾^١ ﴿ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾^٢ .

واعلم يا أخي أن العرض إنما هو عرض أعمال العباد ، في ذلك اليوم ، بعضهم على بعض ، ليعرف كل منهم بسيماهم ، وسيماهم ، أعمالهم . والشهداء هم رؤساء المؤمنين ، وهم الأئمة المهديون والخلفاء الراشدون . وأما من توهم أن أعمال العباد تعرض على الله في ذلك اليوم ، حتى يعرفها ، ويقف عليها ويأمر وينهى ، فحاشا الله ، وكيف يعرض عليه ما هو محيط به ، وغير خفي عنه ، وإنما يكون العرض على من يحتاج أن يعرف بالعرض ما يعرض عليه ، وهذه صفة لا يليق أن يوصف بها الله سبحانه ، وإنما العرض في ذلك العرض عرض الأعمال على الخلق : أعمال أهل الطاعة ، وأعمال أهل المعصية ، حتى يقوم بذلك العدل عليهم منهم ، والوزن بالقسط ، فيحيط يومئذ [٢٢٧] بكل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون ، ويعرفون أعمالهم ، ولا يغيب عنهم شيء منها ، ولا ينكرونها ، فتكون أعمال الذين آمنوا جنات لهم ، وغرفاً وقصوراً ذات روائح طيبة ، ومراءٍ حسنة ، وروح وريحان ، وما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت . وكذلك يرى الذين كفروا ﴿ أَعْمَالَهُمْ ﴾ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ^٣ وأما بعثرة القبور ، في ذلك اليوم ، فهي ظهور ما كان مكمناً في قبره ، مغطى بستره ، فعند

١ سورة ٧ : ٤٣ .

٢ سورة ٦٧ : ٩ .

٣ سورة ٢ : ١٦٧ .

ذلك يبدو كل مستور . وأما تحصيل ما في الصدور ، فهو خروج ما كانت
تجنه صدور المؤمنين ، وتحتوي عليه قلوبهم ، من المعارف الحقيقية ، ولا
يقدرّون على إظهارها ، وإقامة الحجج بها ، لما كانوا يخشونه على أنفسهم من
مهانة الكافرين لهم ، وقدرتهم عليهم في دار الدنيا ، فعند ذلك يتحصل ما
في صدورهم لهم ومعهم ، وتترأى^١ لهم في نفوسهم الزكية أنوار تسعى^٢
بين أيديهم وبإيمانهم . وكذلك يحصل للذين [٢٢٨] كفروا أيضاً ما كان في
صدورهم من التخيلات الفاسدة ، والأوهام الرديئة ، والاعتقادات المضلة ،
التي اطمأنت بها نفوسهم ، وسكنت إليها أرواحهم ، فتصير ظلمة على
ظلمتهم ، وأوزاراً على ظهورهم ، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^٣ ولذلك قال الله تعالى : أولئك ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^٤ وقال :
﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصَلِّي نَاراً حَامِيَةً﴾^٥ . وأما ليلة القدر ، فهو ما يقدر
في ليلة ذلك اليوم من أمور الآخرة ، ووضع الأشياء في مواضعها . وأما
انشقاق السماء ، فهو انشقاق ظواهر الأمور ، بحقائق ما كان مخفياً فيها ،
وتنزل به ملائكتها ، ويفرق كل أمر حكيم ، كما قال الله عز وجل :
﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^٦ ففي يوم القيامة تنشق السماء ،
وتفاض الأرزاق على أهلها دفعة واحدة ، بعد أن كانت تنزل بها الملائكة من

١ وتترأى : وترى في ب .

٢ تسعى : سقطت في ب .

٣ سورة ١٦ : ٢٥ .

٤ سورة ١٨ : ١٠٤ .

٥ سورة ٨٨ : ٤ ، ٣ .

٦ سورة ٥١ : ٢٢ .

أبوابها بقدر معلوم ، ورزق مقسوم . وفي يوم القيامة يكون [٢٢٩] العطاء الكلي ، وفيض الخيرات والنعم على أهلها ، والبلايا والعقوبات على مستحقها دفعة واحدة . وأما طي السماء في ذلك اليوم كطي الكتاب ، فهو ما يكون في ذلك اليوم من طي الأوامر ، والنواهي ، التي كانت في حال قيام الدنيا ، لأن القيامة لا يكون فيها أمر ولا نهي ، إنما هو يوم الجزاء والعطايا ، بما كان من الأوامر والنواهي . وكذلك يقال للكتاب إذا قرئ ، وفرغ قارئه من قراءته ، وفهم ما فيه ، قد طوي ، أي زالت أحكامه ، فلا يحتاج إليه ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾^١ عود النشأة الأولى . وأما قوله يوم الحشر ، فإن العالم في ذلك اليوم يحشرون ، والحشر هو حشر النفوس الجزئية إلى النفس الكلية . وأما غيبة الشمس ، فإن ذلك يكون متقدماً على^٢ الساعة وهو من أشراطها ، وعلاماتها ، تغيب من مشرقها وتطلع من مغربها . وأما مرور الجبال كمر السحاب ، فهو مرور الرؤساء بالعلم والحكمة ، [٢٣٠] كالسحاب المار بالغيث ، والماء الذي به حياة الأرض . وأما تفجير البحار ، فهو ظهور علم الرؤساء السبعة وما كان مستوراً في شرائعهم ونواميسهم ، ولذلك قيل : إن البحار السبعة ، وإن البحر السابع هو البحر الواسع^٣ المحيط ، وهو مثل^٤ لخاتم الرؤساء . وأما النفخ في الصور ، فهو انبعاث الروح الطاهرة ، في الأشخاص المستعملة ، في الأزمان الحالية ، لتحضر وقت يوم القيامة ، وتشاهد الأفعال بالحقيقة ، وظهورها إلى الفعل ، بعد أن كانت تشاهدها بالقوة . والنفخة الأولى قيام السادس بالبشارة والإعذار ، والإنذار . والنفخة الثانية التي بها يكون العالم

١ سورة ٢١ : ١٠٤ .

٢ عل : سقطت في ب .

٣ الواسع : سقطت في ص .

٤ مثل : سقطت في ب .

قياماً ينتظرون ظهور السابع . فالسادس أول بالقوة ، والسابع ثانٍ بالفعل ،
وبهذه النفخة أيضاً يكون قيام الصور البالية ، والأجساد الثاوية ، في عالم
الجهالة ، ومذهب الضلالة ، لتجازى بما كسبت . وأما [٢٣١] حياة الأموات ،
وجمع الشتات ، فهو حياة من كان مات من المؤمنين ، وعباد الله الصالحين ، بغلبة
السياطين ، وقهر الظالمين ، وجمع شتاتهم بعد التفريق ، بالقتل والتفريق والتخريق ،
والرمي بالكفر والفسوق ، وقولهم عنهم ما حكاه الله سبحانه بقوله : ﴿ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾^١
وقوله ﴿ فَفَرِّقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِّقًا تَفْتُلُونَ ﴾^٢ فالفرق المكذب هم الأنبياء ،
والفرق المقتول هم أتباعهم وأصحابهم . وأما حضور الشهداء في ذلك اليوم ،
فهو جمع الرسل لقيام الحجة على الذين كفروا ، إذ رأوهم بأشخاصهم
التي يعرفونها ، واستكبروا عليها ، ووصلوا بالأذية إليها ، فعند ذلك يبلس
المجرمون ، أي يتحIRON ، وينقطعون عن إقامة الحجة لأنفسهم بما ينجيهم
من سوء ما أحاط [٢٣٢] بهم . وأما قوله جل اسمه : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
بِدُخَانٍ مُّبِينٍ . يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^٣ فهو ما يكون
قبل قيام القيامة من الفتنة التي تغشى الناس ، والظلام الذي يقع بهم ، وعليهم ،
إذا أظلمت سماء الحكمة ، وتناثرت كواكبها ، وغابت شمسها ، وأظلم
قمرها ، يغشى الناس ، هذا عذاب أليم ، وهو اليوم الذي ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى

١ سورة ٤ : ٥١ .

٢ سورة ٢ : ٨٧ .

٣ سورة ٤٤ : ١٠ ، ١١ .

النَّاسَ سُّكَارَى وَمَا هُمْ بِسُّكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١﴾
ويومئذ يتبرأ ﴿٢﴾ الذين اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ
بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٣﴾ ويوم الجمع هو اجتماع الفريقين ، حتى لا يغادر منهم أحد ،
فريق الحق وفريق الباطل ، ويوم التغابن هو يوم يحشر فيه الذين ظلموا ، ما كانوا
يعملون ﴿٤﴾ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٥﴾ والغبن هو الخسارة ، وأخذ
الشيء بغير تعويض [٢٣٣] يقوم مقامه ، ولذلك ظن الذين كفروا أنهم يجازون
بأعمالهم ، حتى يكون يوم القيامة فيخسرونها ، ولا ينفعهم قليل ولا كثير ،
وتعير سيئاتهم بحسناتهم فلا تنفي بها ، وتعير حسنات الذين آمنوا بسيئاتهم ،
فلا تضرهم ، ولا يؤخذون بها ، إذا كان رأس حسنات الذين آمنوا معرفة
الله سبحانه ، ومعرفة أوليائه وطاعتهم ، ولا معصية تضرهم بعد ذلك ،
إذ قد أدوا ما يجب عليهم ، وما تكاد تزل بهم القدمان جميعاً ، وإن زلت
بأحدهم قدم اعتمد على الأخرى ، ورأس معاصي الذين كفروا الشرك بالله ،
وجحد منازل أوليائه ، والتكبر عليهم ، والخروج عن طاعتهم ، فلا حسنة
تنفعهم بعد ذلك من صلاة ولا صيام ، ولا عمل كما قال الله عز وجل :
﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا ﴾ ﴿٦﴾
فهذه معرفة حقيقة يوم التغابن . وقوله : ﴿ وَبُرُزَّتِ [٢٣٤] الْجَحِيمُ
لِلْغَاوِينَ ﴾ ﴿٧﴾ فالجحيم هي الدار الواصل فيها البلاء إلى مستحقه ، مكان

١ سورة ٢٢ : ٢ .

٢ سورة ٢ : ١٦٦ .

٣ سورة ١٨ : ١٠٤ .

٤ تعير : تنفي في ص .

٥ تعير : تنفي في ص .

٦ سورة ٢٥ : ٢٣ .

٧ سورة ٢٦ : ٩١ .

لهوان المقيم ، والعذاب الأليم . وقيام ﴿الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾^١
هو قيام رؤساء المؤمنين ، الذين أرواحهم طاهرة ، ونفوسهم زكية ، والملائكة
هي منازلهم التي ملكوها ، وعلومهم التي تلقوها من الملائكة ، فهم لا ينطقون
بشيء منها يومئذ ﴿إِلَّا مَن أَمَرَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^٢ وهو
رحمان ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾^٣ وأما
قوله : ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^٤ فهو مدة
قيام أمر السادس ، ولذلك قال (صلعم) : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، بعثت
إني آخرها ألفاً . وأما قوله : ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^٥
وهو دور الآخرة . وأما قوله : ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ .
قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^٦ إنما يقال لهم كم كان مقدار مدة ما
متعتم به من حياتكم ولبوئكم في الأرض إلى وقت حشركم ، وقيام قيامتكم ،
من أول دور الستر إلى هذا الوقت ، قالوا ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاثِلٌ﴾ [٢٣٥]
العادين ﴿يَعْنُونَ الرُّؤَسَاءَ أَصْحَابَ الْعَدَدِ قَالَ بَلْ لَّبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ
إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٧
لما يلحقهم من الغفلة ، وعظيم المصيبة إذا عاينوا ما كانوا يوعدون . وأما
الموتة الأولى ، فهي موتة الجسد ، ومفارقة النفس إياه وانقطاعها منه ،
والإحالة بينها وبينه . وأما الموتة الثانية ، فهي بأسها من الثواب على ما كانت

١ سورة ٧٨ : ٢٨ .

٢ سورة ٧٨ : ٢٨ .

٣ سورة ٧٨ : ٢٩ .

٤ سورة ٣٢ : ٥ .

٥ سورة ٧٠ : ٤ .

٦ سورة ٢٣ : ١١٢ ، ١١٣ .

٧ سورة ٣٠ : ٥٦ .

تظن أنها تثاب في الدار الآخرة ، فعند ذلك يخيب سعيها ، ويكذب ظنها
فتموت موت الحسرة ، والندامة . وأما الحياة الأولى فهي حياة النفس بالبعث
الأول إلى دار الدنيا ، وحياتها الثانية بالبعث الثاني ليوم القيامة ، واعتراف
الكافرين بذنوبهم وأعمالهم ، إذا رأوها ، وعرضت عليهم ، وقوله ﴿ وَجَاءَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾^١ فالسائق عملها ، والشهيد رئيس
زمانها الذي أمرت بطاعته ، الشاهد عليها ، ولها ، وهو رقيبها المعرف لها
بما كسبت [٢٣٦] من خير أو شر ، والشهداء هم أصحاب الأعراف ،
﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ
الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾^٢ فهو
كل من جلس غير مجلسه ، وأخذ غير حقه ، ولم يتخذ مع الرسول سبيلاً
فيما أمر به ، وخالف وصيه من بعده ، وفلان هو الذي سول له سوء عمله ،
ونخله وجراه بقبيح ما أشار به عليه ، كل ذلك ليرث مقامه ، ويكون له
أسوة به ، حتى تم دعوة إبليس ، وتكون منزلته محفوظة إلى يوم الوقت
المعلوم . وأما قول النفس يومئذ ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ
اللَّهِ ﴾^٣ فهي النفس الظالمة ، العادلة عن جنب الله ، وهو وجهه ، ويده المبسوطة
بالنعمة في ماله ، وعدوها عنه إلى غيره بالسخرية ، والتمويه ، والباطل .
وأما قول الكافر ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾^٤ [يعني يا ليتني كنت]^٥
عدماً ، لا وجود في هذا اليوم ، حتى لا أجازي بما عملت ، إذا رأى

١ سورة ٥٠ : ٢١ .

٢ سورة ٢٥ : ٢٧ ، ٢٨ .

٣ سورة ٣٩ : ٥٦ .

٤ سورة ٧٨ : ٤٠ .

٥ يعني يا ليتني كنت : سقطت في ب .

العذاب، وتقطعت به الأسباب . وأما قوله : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ [٢٣٧] مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^١ فهو معروف . وأما قوله : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^٢ فهذا يا أخي يختص به رؤساء المؤمنين إذا انقطع المؤمن عن الكلام ، بإقامة الحجة على الكافرين ، بين يدي الله في ذلك اليوم ، تكلمت عنهم بالحجج رؤساؤهم المعلمون لهم ، كما قال الله حكاية عن الكفار، لما قالوا لنوح : ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَآكْرَتَ جِدَّالَنَا﴾^٣ . وأما النفس المطمئنة الراجعة إلى ربها راضية مرضية ، فهي النفس المنبعثة من عند باريها إلى النفس الجزئية ، لتهدبها ، وتنبيهها من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، فيومئذ ترجع هي ومن استجاب إليها ، وقبل منها ، إلى باريها راضية مرضية ، وتدخل الجنة ومن معها من عباد الله الصالحين ، عز وجل . وأما قوله يوم يأتي الله في ظلل من الغمام ، فهو أمر الله [٢٣٨] الذي قال فيه ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^٤ وأما الغمام فهو أنه لا يراه إلا الذين آمنوا ، ويحجب عن رؤيته الكافرون ، كما يحجب الغمام الشمس عن أبصار المخلوقين ، كما قال عز وجل عن الكافرين ﴿لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾^٥ والغمام هو الحجب الحائلة بين الذين كفروا ، وبين النظر إلى ربهم يوم القيامة ، والملائكة هم سكان السموات ، وعالم الأفلاك . وأما قول الله في ذلك اليوم للمسيح :

١ سورة ٣ : ٣٠ .

٢ سورة ١٦ : ١١١ .

٣ سورة ١١ : ٣٢ .

٤ سورة ١٦ : ١ .

٥ سورة ٨٣ : ١٥ .

﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^١ الآية . فإنما هو إشارة من الله إلى تكذيب من غلا في المسيح ،
 ممن اتبعه من النصارى ، الذين قالوا إنه إله ، وإنه صاحب القيامة ،
 وإنه يتولى حساب الخلائق ، ونخلوه منزلة السابع ، وقالوا إنه هو الذي
 أمرهم بذلك أن يتخذوه فيه ويعرفوه به ، وإنه راجع إليهم بعد غيبته ،
 وقادم عليهم من بعد نقلته ، وإنه حي لا يموت ، وإنه هو عائد إلى العالم
 ليأخذ بثأره ، وبه يقوم قائم القيامة ، [٢٣٩] فكذبهم^٢ الله بهذا القول
 على لسان السادس من أنبيائه ، وخاتم ، رسله ، فأعلمهم أن المسيح لم يدع
 ذلك لنفسه ، ولا أمرهم به وأنه إذا سئل يوم القيامة عما قاله فيه المشركون ،
 وانتحله المبطلون ، فإنه يقول ما حكاه عنه ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
 أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا
 أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾^٣ يعني أنك أنت العالم بما أمددني به ، وخصصني بدرجة ،
 فأنت عالم به ، إذ هو منك بدا ، ولذلك قال : ﴿ فَتَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوْحِنَا ﴾^٤
 وإنما أراد بقوله ﴿ تعلم ما في نفسي ﴾ يعني نفسه التي وهبت له وأيد بها ، تكلم
 الناس ، وتنفس عنهم ما يغشاهم من الكرب ، ويحييهم بها من موت الخطيئة ،
 ولا أعلم ما في نفسك التي تؤيد بها السابع ، إذا أقمته وبعثته ، فإني لا أعلم
 ذلك ولا أطلع عليه إلا بما أطلعتني أنت عليه ، وعرفتني به ، في حدي البشارة به ،
 والإنذار بوقته ، والإقرار بكونه . فأما ادعائي منزله ووضع [٢٤٠]
 نفسي في موضعه ، فإني لا أستحق ذلك ، وليس هو لي بحق ، فلا تأخذني

١ سورة ٥ : ١١٦ .

٢ فكذبهم : فأكذبهم في ب .

٣ سورة ٥ : ١١٦ .

٤ سورة ٦٦ : ١٢ .

بما كذبوا به علي ، وقالوا في ما لم أقله ، ثم عطف على الذين كذبوا عليه ، ونسبوا هذا القول إليه ، فقال : ﴿ إِن تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^١ ما قلت لهم إلا ما أمرني به ، أن اعبدوا الله قال : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾^٢ يعني أن المسيح عيسى بن مريم من الصادقين الذين ينفعهم صدقهم ، وأنه لم يقل إلا الحق وأنه لم يتعد ما جعله الله له ، وأقامه من مقامه . وأما قوله يوم يأتي ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾^٣ فهو الشاهد عليهم ، وقد قدمنا ذكره ، وشرحه وأما قوله ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾^٤ فهو مؤدبهم ، ومعلمهم علوماً نفسانية ، وحكماً عقلية [وأما قوله ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^٥ وقد تقدم بيان ذلك وشرحه]^٦ وأما قوله ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً^٧ ، فهو أن حجة كل امرئ منهم يومئذ [٢٤١] تقوم عليه من نفسه ، وكتابه هو هيكله المبني بالحكمة ، المجموع له فيه من آثار الصنعة ما يدل على معرفة بارئه ، وعبادته ، وأن له في العالم رؤساء بهم حياة العالم ، كما أن في جسده أعضاء هي رؤساؤه ، وبها تم الحياة وقوام أمر الجسد .

وأما قوله : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ فهو ما يكون من حدوث

١ سورة ٥ : ١١٨ .

٢ سورة ٥ : ١١٩ .

٣ سورة ٤ : ٤١ .

٤ سورة ١٧ : ٧١ .

٥ سورة ٢١ : ٤٧ .

٦ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٧ سورة ١٧ : ١٤ .

الكرة . والتكوير بمعنى التدوير والتيسير ، وبمعنى السر والتغطية ، والغيبة ، وهذا معروف في لغة العرب . وفي الحقيقة أن شمس العالم لا تسير ، وتدوره بأسره ، وتقطعه بالذهاب والمجيء فيه ، والإحاطة به على صفة غير الأولى . وانكدار النجوم لغيبتها ، وتعطيل العشار التي كانت عامرة بظهورها . وحشر الوحوش هو أن الأعداء يجتمعون من كل موضع ، كاجتماع الوحوش ، إذا غابت الشمس ، وبروزها في وقت تأمن فيه على نفوسها للفساد في العالم ، وهم الشياطين والأبالسة ، وما يعاونه وما يظهرونه في [٢٤٢] ذلك الوقت . ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سَجَرَتْ ﴾^١ إذا انقبضت العلوم ، وانحصرت ، وانضمت ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾^١ أي إذا قرن بكل نفس ما كسبت ، وألزمت ما عملت . ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾^١ أي إذا جاء صاحب السؤال . ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾^١ إذا نشرت الحكمة لقدم صاحب النعمة ، والنقمة . ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾^١ إذا كشطت الظلمة عن سماء الأمة ، كما يكشط الكاتب ما لا يريده من كتابه ، ويزيل عن البياض سواده ، ويمحو ما كان عليه قد غشاه حبره ومداده . ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴾^١ لأهلها ، وحصلت لهم ، وحصلوا بها ، بأعمالهم وقبيح أفعالهم ، ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾^١ أي قربت من المؤمنين ، واستحققوها بصبرهم ، وفازوا بها بأعمالهم ، فعند ذلك ﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا أُحْضِرْتَ ﴾^١ من خير وشر ، يومئذ يعرضون بعضهم على بعض ، لا تخفى منهم خافية ، ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَخْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾^٢ وهم رؤساء

١ سورة ٨١ : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

٢ سورة ٦٩ : ١٧ .

الملائكة ، حملة العرش الواسع ، [٢٤٣] عند ذلك يضرب بين الذين آمنوا وبين الذين كفروا بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ويومئذ يقول الشيطان : ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾^١ فالشيطان في هذا الموضع مخصوص به شخص من أشخاص العالم الإنساني ، والخلق البشري ، والآخر صاحبه ، وقربنه ، فيومئذ يلقي كل واحد منهما هذا الأثم على صاحبه ، وينسب كل واحد منهما الظلم إلى صاحبه ، والطغيان إلى قربنه ، فيقال لهم : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾^٢ وهذا قول من عهد إليهما بوصيته وأمره ونهيه ، فخالفاه ، وارتكبا ما كانا نهيا عنه . كما قال جل اسمه : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾^٣ فافهم يا أخي هذا المعنى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾^٤ عالم الكون والفساد ، [٢٤٤] وما كان من ظواهر الأجسام ، التي لا أرواح فيها ظاهرة ، ولا أنوار منها ظاهرة ، مثلها كمثل قشور الثمار ، التي إذا أكلت ، ورمي بها ، فإكائها من لا عقل له ، مثل الدواب والمجانين من الناس ، ويومئذ ، إذا قضي الأمر ، قال الشيطان لأتباعه وحزبه ﴿ إِنْ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا

١ سورة ٥٠ : ٢٧ .

٢ سورة ٥٠ : ٢٨ .

٣ سورة ٦٦ : ٤ .

٤ سورة ٥٠ : ٣٠ .

أَنْتُمْ بِمَصْرِخِي ۝^١ وهذا ما لا خفاء به على من أنصف من نفسه ، واختبر هذا الأمر بصحة عقله . وإن سفهاء الأمة يتبعون أصحاب الدنيا ، ويتقطعون عن أهل الدين . ويتبعون إبليس اللعين ، وقد علموا أن أمور الدنيا فانية منقضية ، وأن الشيطان يمنيهم أمورها ، ويحضهم على جمعها وطلبها ، ويزهدهم في الآخرة ونعيمها ، التي هي وعد الله وهو الحق ، فإذا خرجوا من الدنيا ، ورأوا ما كانوا يوعدون ، وضل عنهم ما كان [٢٤٥] الشيطان يعدهم به ، ألبسوا وانقطعوا عن الرحمة ، وبعدوا عن النعمة ، فصاروا شياطين ، ويوم القيامة هم في العذاب مشركون . وأما قوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝^٢ فَهُوَ اشْتَغَالَ كُلُّ نَفْسٌ يَوْمَئِذٍ بِمَا عَمِلَتْ ، إِذَا أَحَاطَتْ بِهَا سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبَتْ ، وَأما قوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۝^٣ يَعْنِي جِئْتُمُونَا أَرْوَاحًا بِلا أَجْسَامٍ ۝ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ ۝^٤ أَي لَيْسَ مَعَكُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ ، ۝ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۝^٥ يَعْنِي مَا خَوَّلَهُمْ مِنَ الْجَسَمِ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ فِيهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، الْمُتَقَنِّ بِصِنْعَتِهِ ۝ صِبْغَةً ۝^٦ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ۝^٧ وَهِيَ السَّفِينَةُ الَّتِي آوَتْ النَّفْسَ إِلَيْهَا ، لَمَّا غَرِقَتْ فِي بَحْرِ الْخَطِيئَةِ ، لَمَّا حُلَّ بِهَا طُوفَانُ الْعَذَابِ ، لَمَّا جَحَدَتْ ، وَتَكَبَّرَتْ ، وَنَسِيتَ مَا كَانَتْ بِهِ أُمِرَتْ ، فَمَنْ تَيْقِظْ ، وَانْتَبِهْ ، وَعَرَفَ الْمَحَلَّ الَّذِي فَارَقَهُ ، وَالْمَحَلَّ الَّذِي هُوَ [٢٤٦] فِيهِ ، وَاغْتَنَمَ الْفُرْصَةَ ، وَعَمِلَ الْأَعْمَالَ الَّتِي بِهَا تَكُونُ

١ سورة ١٤ : ٢٢ .

٢ سورة ٨٠ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

٣ سورة ٦ : ٩٤ .

٤ بصنعتة : بصنعتة في ص .

٥ سورة ٢ : ١٢٨ .

عودته إلى بارئته سبحانه ، مطهراً [من الذنوب]^١ بماء التوبة ، عاد وهو مستريح إلى روح وريحان ، [ورب غير غضبان]^٢ ومن عاد وقد زادت معاصيه على ما كانت ، واكتسب أوزاراً فوق أوزاره ، فهو صائر إلى العذاب الأليم ، والهوان المقيم ، مع الشياطين ، والكافرين ، الذين هم ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ . سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^٣ ﴿فَبِئْسَ يَوْمًا لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ﴾^٤ ، ومأواهم النار وبئس المصير ، وإذا كان الوقت قيام السابع بالأمر بالحديد، ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾^٥ والخير هو المعرفة به قبل قيامه . وأما قوله : ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^٦ فهم أصحاب الخلعة والمحبة في الدنيا ، في غير الله ، المجتمعون على معاصيه ، وإذا كان يوم القيامة صارت تلك الصداقة عداوة ، وتلك الخلعة قطيعة ، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، إِلَّا [٢٤٧] المتقين الذين محبتهم خالصة في الله ، فهم يومئذ إخوان على سرر متقابلين ، وأما قوله : يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم ، وجلودهم ، منهم رؤساؤهم كما قدمنا القول في شرح ما ذكرناه أن العالم كله إنسان واحد ، إذا شمله دين واحد وشريعة واحدة ، فرؤساء الضلال هم سمع الذين أضلّوهم وأبصارهم ، وأفئدتهم ، وأمثال الأعضاء التي في أجسامهم ، وهم جلودهم ، وكذلك

١ من الذنوب : سقطت في ص .

٢ ورب غير غضبان : سقطت في ص .

٣ سورة ١٤ : ٤٩ ، ٥٠ .

٤ سورة ٣٠ : ٥٧ .

٥ سورة ٦ : ١٥٨ .

٦ سورة ٤٣ : ٦٧ .

رؤساء الذين آمنوا واتقوا أيضاً سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم ، وأمثال رؤساء أعضاء أجسامهم الطاهرة ، ولذلك قيل إن في الأجسام أجساماً طاهرة بالطاعة ، ونجسة بالمعصية . وأما قولهم : ﴿ لِيَجْلُو دِهِيْمٌ لِّمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^١ أي شهدنا عليكم وعلى أنفسنا بالحق ، إذ الأشياء كلها قد بان لنا في هذا اليوم إنها ناطقة بتوحيد الله ، وكنا عن هذا غافلين ، وبهذا الحق مكذبين ، فيومئذ يورث الله [٢٤٨] الأرض للذين آمنوا يتبوؤون من الجنة حيث يشاؤون ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾^٢ وهو عرش الملكوت ، الذي لا يدرك صفته مخلوق ، وعلمه المحيط بالمخلوقات كلها ، وهو الإبداع الأول التام ، عرش الله ذي الجلال والإكرام . والملائكة الثمانية ، رؤساء الملائكة ، وهم العالون الفائزون البارزون يوم القيامة ، وفاز الذين آمنوا بالجنة ، لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، والذين كفروا بالنار^٣ يسمع لهم فيها شهيق وزفير ، وهم فيها مبلسون ، خالدون فيها ، ما دامت السموات والأرض ، إلا ما شاء الله ، واستقر أهل الجنة في كرامته عز وجل ، تحيتهم يوم يلقونه [سلام]^٤ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . فهذه معرفة القيامة بالوجيز من القول ، قد ألقيناه إليك : ولا حول ولا قوة [في شيء مما وصفناه وذكرناه]^٥ إلا بالله العلي العظيم [والحمد لله رب العالمين]^٦ .

١ سورة ٤١ : ٢١ .

٢ سورة ٣٩ : ٧٤ ، ٧٥ .

٣ بالنار : سقطت في ب .

٤ سلام : سقطت في ب .

٥ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٦ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

الرسالة الثامنة [٢٤٩] [من القسم الثالث]^١ :

في معرفة كمية الحركات وكيفية اختلافها ومبادئها وغاياتها ، والغرض منها هو البيان عن كيفية وجود العالم عن الباري جل جلاله ، وكيفية حركات الطبائع إلى استكمالها ، وقبولها صورها الخاصة في كل واحد منها ، لصورته الخاصة به ، إذ بالصورة يصير الشيء هو ما هو ، وبها يحصل في الوجود ، ويتميز ، ويتحيز ، ويصير شيئاً معلوماً مشاراً إليه .

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الحركة نوعان : جسماني وروحاني ، ومقدم الحركات الجسمانية ستة أنواع ، وهي : الكون ، والفساد ، والزيادة ، والنقصان ، والتغير ، والنقلة . فأما حركة النقلة فتقسم^٢ ثلاثة أقسام : مستقيمة ، ومستديرة ، ومركبة منهما . فالحركة المستقيمة منها نوعان : إما أن تكون من المركز نحو المحيط ، وإما من المحيط نحو المركز ، يعني مركز العالم ، ومحيط العالم ، وبين ذلك . وأما المستديرة فهي التي تكون حول المركز . [٢٥٠]

١ من القسم الثالث : سقطت في ص .

٢ فتقسم : سقطت في ب .

فصل

واعلم يا أخي بأن المتحركات كلها اثنا عشر نوعاً ، لا أقل من ذلك ، ولا أكثر : منها حركات الأفلاك السبعة بكواكبها ، ومنها حركات الكواكب السيارة ، ومنها حركات الكواكب ذوات الأذنان ، ومنها حركات الشهب ، ومنها حركات الهواء ، والرياح ، وحوادث الجو ، ومنها حركات مياه البحار والأنهار ، والأمطار ، ومنها حركات بواطن^١ الأرض من الزلازل والحسوف ، وما أشبه ذلك ، ومنها حركات الكائنات من النبات والأشجار على وجه الأرض [والجواهر المعدنية في باطن الأرض]^٢ ومنها حركات الحيوانات في الجهات الست من دواب البر والبحر والهواء . وأما جهات الحركات ، فهي كثيرة ، مختلفة الصور ، ولكن لا تخلو كلها من أن تكون من مركز العالم نحو المحيط ، أو من محيط العالم نحو المركز ، أو حول المركز ، أو بين ذلك .

فصل

اعلم يا أخي [أبدك الله وإيانا بروح منه]^٣ أن هذه الحركات الموجودة في [٢٥١] العالم كلها ، كما ذكرنا فإنها ثابتة بالبرهان الصادق ، لأنها ظاهرة للحس ، وهي تنقسم قسمين : قسم يدرك باللمس والتناول باليدين ، ومنها ما تراه العينان ويبعد مأخذه ، كالنظر إلى حركات الكواكب السيارة والنيرين

١ بواطن : بطن في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الشمس والقمر ، فإنه يتعذر الوصول إليها باللمس والتناول بالأيدي ، بل بالنظر . وما يبدو منها من الحر والبرد ، والنور والظلمة ، وما توجبه أحكامها . ولما كانت الحركات [أجمع بأسرها]^١ داخلة تحت هذين القسمين ، موجودة على هاتين المنزلتين وجب أن يكون ما دنا من حركات الأمهات من النار ، والماء ، والهواء ، والتراب ، من عالم الإنسان . وقدر عليه ، ووصل إليه ، وصول اللمس ، كتناول الماء ، واستقباله بجسمه حركة الهواء ، واحتراقه بالنار ، وتناوله للتراب ، وتملكه إياه ، وما يكون منه ، ويبدو عنه من الأشياء المتولدة من الأرض بالحركة الباعثة لها من العدم إلى [٢٥٢] حركة جسمانية كثيفة ، والحركة المرئية بالعين ، [المدركة بها]^٢ دون سائر الحواس ، مثل حركات الأنوار ، وظلمة الليل ، وضوء النهار ، فإنها حركة لطيفة روحانية . وكذلك يوجد في الإنسان الذي هو عالم صغير أيضاً حركتان تبدوان منه ، وتظهران عنه : حركة يدركها اللمس والنظر ، وحركة يدركها النظر ، ولا يدركها اللمس ، فأما الحركة التي يدركها من ذاته بنظره ويديه ، فيما يظهر منه من الأعمال والصنائع المنبعثة منه بالحركة ، من حال العدم إلى حال الوجود والتحيز ، ووقوع الأسماء والصفات عليها . وأما ما يظهر عنه من الحركة ، التي ينظرها بالعين ، ويتعذر عليه حوزها ، أو لمسها باليدين ، فهي ما يبدو عن نفسه إذا كانت حية بالمعارف الحقيقية من الآراء الحميدة ، والمذاهب الجمليلة ، والاعتقادات الفاضلة ، والعلوم الجليلة . فأما حركاته الموجودة عنه ، القادر عليها ، بعد [٢٥٣] انبعاثها منه ، [بحسه]^٣ اللطيف ولمسه الكثيف ، فهي مماثلة لحركات الأمهات ، وما يتكون عنها ، ويبدو منها . وأما حركاته

١ أجمع بأسرها : سقطت في ص .

٢ المدركة بها : سقطت في ب .

٣ بحسه : سقطت في ب .

بنفسه ، وما يبدو منها ، مما يتعذر وجوده^١ باللمس ، وكونه مكان غيره من موجودات الحس ، فهي حركة مماثلة لحركات الأفلاك العالية ، والكواكب السيارة ، والنيرين الشمس والقمر ، وما يكون واصلاً إلى العالم من خيراتها ، وبركاتها ، وغير ذلك مما توجبه أحكامها . فبالبرهان قد صح أن هاتين الحركتين ، إذا اعتبرنا بهذا الاعتبار ، كان ما كشف كالجسم ، وما لطف كالروح . فقد صح أن الموجودات كلها ما بين كثيف جسماني ، ولطيف روحاني ، وأن ما كشف كان عالم السفلى أولى به ، وما لطف كان عالم العلو أولى به ، ولذلك صار الحجر يتحرك إلى السفلى بالطبع ، والنار تتحرك إلى العلو بالطبع . ولما كان ذلك كذلك ، وجب أن تكون حركة الجسم أرضية ، وحركة النفس حركة سماوية . [٢٥٤] فإذاً للنفس ، عند مفارقتها للجسد ، حركة تبعثها إلى عالمها ، إما مثابة بعملها ، أو معذبة بفعلها . والجسم عائد [إلى حركته]^٢ ، وهي الواقعة إلى أصله ، والراجعة إلى ما بدا منه ، وهذا معاده ، وأيضاً رجعة الجسم بعد مفارقة النفس إياه وعودته إلى ما بدا منه وكان عنه . وحركة النفس هي قيامها وانتباهها من رقدة جهالتها ، وتخلصها من بحر الهيولى ، وعالم المحنة ، إلى مكان النعمة التي كانت أولاً فيها ، ثم فارقتها ، بما اكتسبته من الخطيئة ، وأحاط بها من موبقات الزلة . وليس لأحد في هذا البرهان مطعن يفسده ، إلاّ مكابرة العيان ودفع حجة السمع ، والبصر ، اللذين احتج الله بهما على عباده ، [وذكر أنه جل اسمه يسأل خلقه عنهما]^٣ فقال : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

١ وجوده : أخذه في ص .

٢ إلى حركته : سقطت في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أَوْلَيْتُكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا^١ يعني من^٢ أنكر حكمته ،
الموجودة في صفة الله الدالة على توحيده ، لا شريك له .

فصل

وأما [٢٥٥] وجود هذه الحركات في العالم الإنساني بجمليته ، وكلية الجامعة
له ، كاجتماع الجسم الواحد ، لسريان النفس الواحدة فيه ، فهي الحركات
الدينية الربانية الإلهية الداعية للعالم إلى عبادة الله عز وجل ، ومعرفته ، والوصول
إليه ، والقدوم عليه ، إذا تحركت النفس حركة الحقائق ، وسلكت في
أقرب الطرائق ، بالشوق^٣ القائد لها إلى ربها . فعند ذلك يكون مرجعها إلى
ربها راضية مرضية ، وبخلاف ذلك من كانت حركته باعثة له إلى البعد عن
ربه ، والقرب من الشيطان وحزبه . وأصل هذه الحركة في العالم هي حركة
واحدة ، انقسمت به قسمين ، كما أن أصل الموجودات في العالم هو واحد ،
انبعثت منه قوتان . فمن الحكماء من قال : إن أصل الموجودات هو العقل ،
انبعثت منه النفس والهيولى . ومنهم من قال إن أصل الموجودات الباري ،
سبحانه ، الخالق للنفس والعقل . وإنما ذهب أصحاب [٢٥٦] القول الأول إلى
| تنزيه الباري سبحانه ، [الخالق للنفس والعقل جل جلاله]^٤ وتعظيمه عن
الحد والوصف . والقولان قد قال بهما العلماء الإلهيون . وهما في طريق الحق ،
ما لم يذهب قائلهما إلى تعطيل أو تشبيه . فلما كان الباري سبحانه مبدع أصل

١ سورة ١٧ : ٣٦ .

٢ من : سقطت في ب .

٣ بالشوق : بالثائق في ب .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

العالم ، وعلته ، وأيسه ، وبأمره كانت الكائنات كلها ، عقلاً ونفساً ، وهيولى ، وصورة ، وطبيعة ، وسماء ، وأرضاً ، كل ذلك قائم بحكمته ، متقن بصنعه ، كان أصل ذلك كله ، القريب السبب من بارئه ، وهو الإبداع الأول ، والمنبعث منه . فالنفس بالنسبة إلى العقل كالجسم ، وهو لها كالروح ، لسكونها إليه ، وقبولها آثاره ، كقبول الجسم آثار الحياة من النفس ، وكما أن الجسم إذا نقصت^١ قواه عن قبول آثار النفس ، ضعف ، وهان ، وقرب منه التلف ، وحل به الفساد ، ونقص عن التمام ، والبلوغ إلى درجة الكمال ، [٢٥٧] كذلك النفس ، إذا غفلت^٢ عن أنوار العقل وفيضانه ، وخيراته ، وقع بها النقص ، واكتسبت الخطايا والذنوب ، ووقعت في المحن ، وحيل بينها وبين الخلاص منها ، والبعد عنها ، فبهذا البرهان قد صح أن النفس للعقل بمنزلة الجسم للنفس ، كما أن الحركات المنبعثة من قوة النفس ، إذا سرت في الجسم ، أظهرت منه وبه الصنائع المتقنة ، والأفعال المحكمة بالكائنات ، لصالح العالم ، وما فيه من البركة العامة ، والنعمة التامة ، وهي حركة الحرث ، والنسل ، والبيع ، والشراء ، والعبادات ، وما به قوام أمر الدنيا والدين ، كذلك بقبول النفس الكلية قوى العقل الكلي ، التي يؤيدها به ، وهي الفيوضات المتصلة بجوهريتها على التمام والكمال . وتحركها إلى ذلك الأثر كتتحرك فرخ الطائر إلى ما يأتيه به أبوه ، وأمه ، من الرزق ، والغذاء ، المكتسب به القوة ، [٢٥٨] والنشاط ، وما يلحقه عند ذلك ، إذا تناوله ، من الفرح والسرور والاضطراب ، والحركة بجميع حواسه ، كذلك حركة النفس الكلية لتلقي خيرات العقل الكلي ، وخضوعها له ، وكونها بين يديه . ومثل هذا الخضوع ، والخشوع ،

١ نقصت : قصرت في ص .

٢ غفلت : عطفت في ص .

وأعظم وأجل ، وأكثر ، من خضوع العقل لبارئه ، وهو المعلم للنفس هذه الخشية والخضوع . ولذلك قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^١ والعلماء هم أعظم الناس درجة من العقل ، وبالعقل صاروا علماء . ولما بعدت النفوس الجزئية عن مثل هذه الخشية ، وحل بها النسيان ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾^٢ أهبطت من دار الكرامة إلى مقر المحنة ، لتجازى بما كسبت .

فصل

ولما كانت جميع الموجودات في العالم، كلها ما بين كثيف جسماني ، ولطيف روحاني ، والدارين : الأرض والسماء ، والجنة [٢٥٩] والنار [كلها من أصل واحد وهو العقل]^٣ كانت الحركات الباعثة للعالم إلى العلم ، والمعرفة بالله ، والعبادة له ، كلها من أصل واحد ، يقوم في ذلك مقام العقل الأول ، الذي هو أول المبدعات ، المتحركات عن بارئه بأمره . ولذلك قيل في الخير : إن أول ما خلق الله تعالى العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، وقال له : أدبر فأدبر . فقال : وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أحب إلي منك ، بك آخذ ، وبك أعطي . وبك أثيب وبك أعاقب . وإنما قال هذا القول من قاله ، عن الله ، إنما عني بذلك قول الله الذي هو أمره ، وكان العقل هو أول القابلين لأمر الله ، ونهيه المستقيم ، الذي لا عوج فيه ، ولا يضل ، ولا يشقى^٤ ، ولا ينسى ، وكذلك

١ سورة ٣٥ : ٢٨ .

٢ سورة ٢٠ : ١١٥ .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ب .

٤ ولا يشقى : سقطت في ص .

قال الله عز وجل لنبيه : ﴿قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^١ والأصل الذي بدت منه الحركة ، المنبعثة [في العالم]^٢ التي بها عرفت [٢٦٠] الأديان ، وعبد الرحمن ، هو الرسول الناطق ، القائم في العالم الجسماني ، والخلق الإنساني ، مقام العقل في عالم الأرواح ، ومحل السموات . ثم ينبعث منه ، بهذه الحركة ، المؤيد بها ، من تلقاء أمر الله بتزول الملائكة ، بالوحي إليه ، والنهي والأمر ، ووضع النواميس والشرائع ، أول القابلين منه ، المصدقين له من العالم ، الذي أرسل إليه ، وبعث بالوعظة والتذكيرة فيه ، فما كان من هذه الحركة مفعولاً بالجسم ، ومشاعر الحس ، من العبادات الواقعة بظواهر الأجساد ، فهو حركة كثيفة تقوم بها ، وتنوء بحملها مثلها ، وهي الموضوعة لها ، وهي أجساد العالم ، وما كان من الحركة المنبعثة من هذا الأصل وفرعه لطيفاً ومكمناً تحت هذه الحركة الكثيفة ، فهو ما كان من الأوامر ، والنواهي ، الواقعة على النفس الناطقة ، من الأمر لها بمجاهدة النفس الشهوانية ، وترك الميل إلى اللذات الطبيعية . وهذه حركة روحانية لطيفة ، والهيولى الموضوعة لها هي نفس^٣ [٢٦١] العالم الناطق . فإذا تصورت فيها هذه الحركة صورة عقلية ، قدرت بها على المتحرك^٤ الباعث لها إلى عالمها فرحانة مسرورة . ومتى غفلت عن ذلك ، وعطفت على الحركة الكثيفة الموضوعة على الجسم ، تصورت فيها صورة ثقيلة كثيفة لا تقدر بها على الخلاص منها ، والبعد عنها ، وتبقى في عالم الكون والفساد مقيدة بأعمالها القبيحة ، وأفعالها السيئة . والحركة الأولى المفروضة على أجسام العالم الإنساني

١ سورة ٢٠ : ٥٢ .

٢ في العالم : سقطت في ب .

٣ نفس : أنفس في ب .

٤ المتحرك : التحرك في ب .

والخلق الآدمي ما منهم إلا واردها ، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها
جثياً ، يعني في جهنم عالم الكون والفساد . فبهذا البرهان ، صح^١ أن ظواهر
أمر الشرائع أجسام ، وعلومها وتأويلاتها أرواح ، وانه لا قوام للأرواح
إلا بالأجساد ، ولا قوام للأجساد إلا بالأرواح ، وانه متى عطفت النفس
على محبة الجسم ، حشرت معه ، وبقيت حيث هو لا تفارقه ، ومتى أقبلت
النفس على محبة شهوات [٢٦٢] من هي إليه بالنسبة أقرب ، وهي باللحوق
به أحق وأوجب ، كانت معه حيث كان ، كما قال رسول الله : المرء يحشر
مع من أحب . فاحرص يا أخي أن تكون محبتك روحانية ، عقلية^٢ ، خالصة
لله عز وجل ، كما قال لنبيه ، لما أمره أن يدعو عباده إليه : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^٣ واتباع الرسول لا يكون إلا بهدى ،
والهدى هو النور ، والنور هو الروح الذي من أمر الله ، وهو النفس الزكية
الكريمة ، والروح القدسية ، كما قال الله جل اسمه : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾^٤ فقد صح بهذا الاعتبار
أن حركات دين الله ، الداعية إلى عبادته ، ومعرفته حق معرفته ،
مبنية على مثل ما أبدعه من موجوداته ، واخترعه من مصنوعاته ، ولذلك
قال جل اسمه : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^٥ يعني دينه الذي أقامه ، وشرعه الذي شرعه لعباده .
ولما كان جل اسمه متزهياً [٢٦٣] عن صفات الجسمانيين والنفسانيين ،

١ صح : سقطت في ص .

٢ عقلية : سقطت في ص .

٣ سورة ٣ : ٣١ .

٤ سورة ٢٦ : ١٩٣ ، ١٩٤ .

٥ سورة ٤١ : ٥٣ .

وجب على الموصوفين بهذه الصفات تنزيه مبدعهم عما يحدونه فيهم ، فلذلك استحق العبادة من عالم السموات والأرض ، والجن ، والإنس ، والعقل ، والنفس ، فكلهم عباد مربوبون ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^١ فكل منهم في مقام معلوم .

فصل

ولما كانت الحركات الجسمانية ستة أنواع ، والسابعة حركة خفيفة ، تبدو بالفعل من هذه الحركات ، بعد وجودها فيها بالقوة ، كذلك كانت حركات الدين موجودة في عالم الإنسان من ستة أشخاص ، هم أصحاب الشرائع ، منهم خمسة أولو العزم من الرسل وآدم السادس ، والسابع يبدو عنهم ، وهو موجود في شرائعهم بالقوة ، إذ كانوا يذكرونه ويبشرون به ، ويدعون إليه ، ويحذرون منه . ثم يقوم بعدهم بالفعل ، وهي حركة جسمانية بوجه ، روحانية بوجه ، وهي كالحل المتناخم للحدين ، والواسطة بين [٢٦٤] الطرفين ، وكصلاة الفجر القائمة عند آخر ساعات^٢ الليل ، وأول ساعات النهار . وهي أيضاً حركة النقلة . وبها يكون الموت . وذلك أن حركة الموت ، هي حركة متوسطة بين عالم الدنيا ، وعالم الآخرة [وهي كائنة في آخر أوقات الدنيا ، وأول أوقات الآخرة]^٣ فكذا تكون النشأة الثانية صورة بين الجسماني والروحاني فحدها الجسماني ما يكون في ذلك الوقت من الأمر للنفس ، بموجب معرفة^٤

١ سورة ٢١ : ٢٧ .

٢ ساعات : الساعة من في ب .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ معرفة : سقطت في ص .

العقل ، من الأمر والنهي ، وكونها بحد الروحاني ، فهو ما يتجلى فيها من صورة العقل ، والنفس بمجردهما .

فصل^١

وكذلك حركات الكواكب الستة ، وحركة الشمس هي الحركة السابعة ، وهي موجودة في حركات الكواكب الستة بالقوة ، ولها فعل يختص بها ، ولا يشاركها واحد منها في حركاتها ، والحركة المختصة بها هي حياة العالم ، لأنها هي الباعثة في العالم روح الحياة ، كما ذكرنا ذلك في رسالة مسقط [٢٦٥] النطفة ، كذلك الرئيس السابع هو الباعث في العالم روح الحياة العلمية . ولما كانت الشمس في الفلك المتوسط بين أفلاك الكواكب ، فهي بوجه ناظرة إلى ما فوقها ، وبآخر ناظرة إلى ما دونها ، ولها حركتان : حركة منبعثة منها إلى ما فوقها بالقوة ، وهي معرفة من فوقها بمكانها ، ونظرهم إليها ، واطلاعهم عليها ، وحركة إلى ما دونها تبعث فيهم روح الحياة ، كذلك الرئيس السابع متوسط بين عالمي دور السر ، ودور الكشف ، فأهل دور السر هم [أهل دور المتقدمين]^٢ بين يديه ، فحركته فيهم بالقوة هو علمهم بكونه ، ومعرفتهم بقدومه ، وأنخبارهم لأصحاب أوامرهم بعظيم منزلته ، ورفيع درجته فهم مطلعون عليه كاطلاع ما فوق الشمس من الكواكب عليها . وأما حركته الباعثة إلى من دونه روح الحياة ، فهي ما يكون منه عن قيامه في من يحضر زمانه ، ويفوز بالقرب منه من المؤمنين ، العارفين به حق [٢٦٦] معرفته ، والهالكين ، من المكذبين به ، إذا حلت بهم نقمته ، وذلك كحركة الشمس

١ فصل : سقطت في ص .

٢ أهل دور المتقدمين : هم أمم المتقدمين في ص .

بالقوة الباعثة روح الحياة في من دونها من الكواكب والأفلاك ، حتى يتصل ذلك بمن دون فلك القمر من العالم ، وموضعها من الجسم الإنساني القلب ، وكذلك موضع ^١ منزلة السابع من دين الله منزلة قلبه ، الذي هو مجموع فيه معرفة الله جل اسمه وتوحيده . ولما كان ما يضمه القلب ، وتحويه الصدور من كلام الله ، وما يحفظه الإنسان العاقل من أمر الله بسيطاً ، لا تركيب فيه ، ولا موصوف بكثيف ^٢ ، كذلك يكون أمر السابع لطيفاً محضاً لا تركيب فيه ، ولا يدعو باختلافه إلى بعض ، أو تفضيل بعض على بعض منسوب إليه ، ولا يختلف عليه ، بل قول حق صادق ، ولسان بتمام الوعد ناطق ، وهو خلق الرحمن الذي لا تفاوت فيه ولا زيادة ، ولا نقصان ، كما قال جل اسمه : ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ ﴾ ^٣ كذلك نور [٢٦٧] الشمس ، لا اختلاف فيه إذا بدا منها ، وأشرق عنها ، فمنه ما يكون به بعض الأجسام التي بها من الحاجة إليه ما يكون به صلاحها ، وتمامها ، وكما لها ، ومنه ما يكون به هلاك بعض الأجسام التي لا تقبله ، كذلك يكون أمر السابع حياة لقوم ، وهلاكاً لآخرين . ولما كان المراد من نور الشمس المجمعول فيها بأمر الباري سبحانه ، موضوعاً للصلاح برئاً من الفساد ، وإنما حدث الفساد في الأجسام ، التي هلكت بطلوع الشمس عليها ، ووصول أنوارها إليها . كذلك الرئيس السابع إنما يأتي بالرحمة للخلق ، والنقلة لهم من الحال الأدنى إلى الحال الأفضل ، وإنما يهلك بمجيئه من العالم من خالف السعادة الآتية إليه ، واختار الشقاوة ، وخالف أمر القائد له إلى جنة النعيم ، جنة الله وجواره ،

١ موضع : منزلة في ص .

٢ بكثيف : كيف في ص .

٣ سورة ٦٧ : ٣ .

وكرم داره ، وقرب مزاره ، واختار الكون [والفساد]^١ مع الشياطين ، ومرافقة الظالمين ، والقرب من إبليس اللعين . [٢٦٨] فقد صح بهذا البرهان ظهور حركات أمر الله ، ونهيه ، الموجودة في خلقه الدالة على عبادته ، وطاعته ، من هؤلاء السبعة ، كما أن ظهور جميع الموجودات ، والكائنات بحركات الكواكب السبعة ، وأن أصل التراكيب كلها ، وعلتها وموجدتها ، هو الباري سبحانه ، وأول [خلق خلقه]^٢ هو العقل ، وما انبعث منه من النفس وما دونها ، وأن أصل الحركات الدينية الرسول الناطق بأمر الله إما بوحيه إليه ، وإما بكلامه ، كما قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾^٣ فالوحي الإلهام ، والتأييد من وراء حجاب اللاهوت ثم نور الملكوت ، وعزة الجبروت ، وما يبدو من ذلك المبشر^٤ الكريم ، والشخص العظيم ، الذي هو ترجمان الوحي ، ولسان الرب بالأمر والنهي ، والقول والفعل ، والعلم والعمل ، فهذه هي الحركات الفاضلة المؤدية لمن قبلها ، وسارع إليها ، وتحرك نحوها ، إلى درجة الكمال ، والسعادة والفوز في [٢٦٩] الدنيا ، والآخرة .

فصل

وأما الحركات الاثنتا عشرة ، وهي كما قدمنا ذكرها في أول الشرح ، فنريد أن نذكر أمثالها في الدين ، حتى يصح في صادق اليقين ، بإقامة الأدلة والبراهين . فمنها حركات الأفلاك السبعة ، التي في كل فلك منها

١ الفساد : سقطت في ص .

٢ خلق خلقه : ما خلق في ص .

٣ سورة ٤٢ : ٥١ .

٤ المبشر : البشر في ص .

كوكب [به يكون إشراقه وأنواره]^١ وما يبدو عنه في كل فلك منها من الحوادث والكائنات ، فأمثالها في دين الله ، أمثال الشرائع ، والنواميس الستة ، في كل شريعة منها ، وناموس رئيس واحد ، وجميع ما فيها من الأوامر والنواهي ، منه أخذت ، وعنه صدرت ، وما يحدث في تلك الشريعة من الفرائض ، والسنن ، وأحوال العبادات ، والحركة السابعة آخر الحركات ، إذا طال بها الزمان ، ومرت عليها الأيام .

فصل^٢

وأما أمثال حركات الكواكب السيارة ، فهي حركات رسل الأنبياء ، إذا سيروهم في الأرض ولكل رسول اثنا عشر رسولاً^٣ يبتهم^٤ في اثني عشرة [٢٧٠] جزيرة من جزائر الأرض [للبلاغ منهم ، والأداء عنهم ، إلى الأمم في أطراف الأرض]^٥ ، لتعم العالم بركته ، وتبلغهم دعوته ، وتقوم الحجة لله سبحانه عليهم بذلك ، لئلا يقولوا : ما جاءنا [من بشير ولا نذير]^٥ .

فصل

وأما أمثال حركات الشهب ، التي تبدو عن بعض الكواكب ، فهي حركات أولياء الله بالعلوم ، والحجج ، والبراهين المزهقة لباطل أعداء الله

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ يبتهم : سقطت في ص .

٤ وردت هذه الكلمات المحصورة في النسخة ص قبل هذا المكان بمقدار سطر ونصف .

٥ من بشير ولا نذير : من رسول في ص .

سبحانه ، المحرقة لهم ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : بهر توري
نيرانهم ، يعني علمه ، الذي أزهق به باطل أهل الخلاف عليه ، لما بدا منه
مثل ما يبدو من سم الحياط ، لضيق^١ الزمان وتعذر الإمكان .

فصل^٢

وأما أمثال حركات الكواكب ذوات الأذئاب ، الظاهرة في أوقات
القرانات ، وعند العظام النازلات ، التي لا تظهر إلا لأمر عظيم ، وحال
جسيم ، وهي من أشراط الساعة ، وتغير الملل ، ونقص الدول ، فهو ما
يظهر من حركات علوم أولياء الله بما يكون في الأوقات المستقبلية [٢٧١] من
الزمان ، وحوادث الأيام ، ولا يظهر من يعلم ذلك العلم ، ويلقيه إلى العالم ، إلا
في أوقات موجبة لذلك بعناية إلهية ، وحكمة ربانية . وإن كانت هذه الطائفة
من أولياء الله في العالم ككون الكواكب ذات الأذئاب الباهرة ، غير الظاهرة
في الأفلاك ، وانها لا تظهر إلا لأمر حادث ، يظهر منها الواحد بعد الواحد
في الزمان بعد الزمان ، كذلك يكون لظهور أحد أولياء الله بإخباره للعالم
بما يكون ، قبل أن يكون في الزمان بعد الزمان والقران بعد القران ، وذلك
لطف من الله سبحانه ، بخلقه ليكون المؤمنون متهيئين لقبول ما يأتيهم من
أمر الله عز وجل ، وتقوم الحجة لله على الكافرين الجاهلين إذا خالفوا أمر
الله ، وعدلوا عنه إلى ما نهاهم عنه .

١ لضيق : لفسق في ب .

٢ فصل : سقطت في ص .

فصل

فأما حركات الهواء والرياح ، [فإن هذه الحركات ^١ تنقسم قسمين :
حركة تكون بها حياة العالم ، وحركة يكون بها هلاكهم . فأما حركات الحياة ،
فما يهب [٢٧٢] من نسيم الهواء ، الذي يتصل بالمنفس ، فتبرد به الحرارة
الغريزية ، ويطفأ لهيب الحرارة التي في الكبد والأمعاء ؛ وبهذه الحركة الهوائية
تكون حركة حياة العالم ، ومثلها في دين الله مثل حركة الصادقين عن الله ،
المؤدين رسالاته إلى العالم ؛ وبذلك تكون حياة أهل زمانهم ، إذا قبلوا عنهم
ما جاؤوا به عن الله إليهم من العلوم والحكمة . وأما حركات الرياح ، المهلكة ، فهي
كالحركة المسخرة على الذين أهلكهم الله عز وجل بالريح العقيم ، الذي سخرها
عليهم بالحركة سبع ليال ، وثمانية أيام حسوماً ، ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ ﴾ ^٢ . وأمثالها في دين الله أمثال الثمانية ،
الذين هم أصحاب الأيام الكائنة قبل قيام الساعة ، [المبشرون] ^٣ بمجيء
الرئيس السابع . وأهل زمان كل واحد من هؤلاء الثمانية هم قومه ، والناس
المصروعون فيهم هم أهل الخلاف والباطل ، إذا بهرتهم علوم هؤلاء الثمانية ،
وحججهم اللامعة ، [٢٧٣] بالبراهين القاطعة ، فهي كالصواعق الواقعة
عليهم وعند ذلك ينخر السقف عليهم من فوقهم .

١ فإن هذه الحركات : سقطت في ص .

٢ - سورة ٦٩ : ٧ .

٣ المبشرون : سقطت في ب .

فصل ١

وأما حركات البحار ، والأنهار ، والأمطار ، فهي كأمثال حركات
القائمين بظواهر أمور الشرائع ، العاملين بها ، وهي البحار المالحة ، وفي
جوفها السمك الحلال أكله ، الطيب لحمه ، الذي ستره قشره ، وحسن لونه ،
والدرّ في صدفه ، والمرجان في مكانه ، فهو ما هو مستور في تلك الظواهر من
الحكم الخفية ، والفوائد اللطيفة ، والذخائر النفيسة ، وكذلك البحر بحركته
يكون ظهور ما استجن فيه من هذه الأمور الكائنة فيه . وأما حركات الأنهار ،
والأمطار ، والمياه الحلوة ، فهي حركات أولياء الله ، القائمين بأمور^٢ الدين ،
ولطائف الحكم ، التي بها حياة الأرواح ، وعمارة دار الآخرة ، كما يكون ،
بالماء النازل من السماء عمارة دار الدنيا ، وما يخرج به من الثمرات ، والنخيل ،
والأعشاب ، [٢٧٤] والزرع ، والزيتون ، وحياة العالم بأسره .

فصل ٣

وأما حركات باطن الأرض ، وما يكون من هذه الحركات من الزلازل ،
والخسوف ، وما أشبه ذلك ، فإن هذه الحركة مشاكلة لحركة الرسول الآتي
بنسخ شريعة من تقدمه ، وما يبدو عن هذه الحركة من الفتن ، ومجاهدة الأعداء ،
واختلاف الأمة ، والأحوال المكروهة ، فيسلم قوم ، ويهلك بها آخرون .

١ فصل : سقطت في ص .

٢ بأمور : بأسرار في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

فصل ١

وأما حركات الكائنات من النبات والأشجار ، على وجه الأرض ، فإن مثل هذه الحركة هو مثل حركة من يعمل في الشرائع للأنبياء ، ويخدم في نوااميسهم ، ويقيم أحكامها ، وفروضها ، وسنتها ، فهم أمثال نباتها ، وشجرها ، ما تفاضلوا في ذلك ، وتنافسوا كتفاضل الشجر والنبات على وجه الأرض .

فصل ٢

وأما حركات الجواهر المعدنية في باطن الأرض ، فهي ما يودعه الحكماء في الصحائف والدفاتر ، ويطون الطوامير ، من العلوم والحكمة في كل شريعة ، ودين ، وملة . وكما أن الجواهر المعدنية إذا استخرجت من معادنها من [٢٧٥] الذهب والفضة ، وعملت على ما ينبغي ، انتفع الناس بها ، وأنفقوها ، وكان بها صلاح لمعيشة الدنيا ، كذلك إذا انتشرت هذه العلوم ، ودرست الحكم ، عرف بها الحلال ، والحرام ، والقضايا ، وكان بها الوصول إلى الجنة ، وعمارة دار الآخرة .

فصل ٣

وأما حركات الحيوانات في الجهات الست من البر ، والبحر ، والهواء ، والماء ، والنار ، والأرض ، دون فلك القمر ، في مثل حركات أهل كل شريعة

١ فصل : سقطت في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

ودين فيها ، مما هو منسوب إليهم ، وكل قوم مخصوصون بحركة تليق بهم كحركة حيوان الماء وحيوان التراب ، وغيرهما . فإن كل جنس من هذه الأجناس لهم حركة تختص بهم ؛ وكذلك أهل كل شريعة ودين هم متحركون فيها بحسب الأمر والنهي ؛ الذي شملهم منه ، كما قال جل اسمه : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾^١ فمنهم شقي ومنهم سعيد ، كما كان موجوداً في حيوان البر والبحر ، ما بين هالك بحركته ، وذو حياة بحركة أخرى ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^٢ [٢٧٦]. وقد ذكرنا هذه الحركات في الرسالة الموضوعية لها بمثل ما قدمنا من ذلك بالجملة ، وفصلناه تفصيلاً هو غير هذا التفصيل ، على ما ذكرته [الحكماء]^٣ وهم أهل الصنعة النجومية وغيرهم ، وذكرناه ههنا ، وفصلناه على ما ذكره علماء الصناعة الدينية ، وهم إخوان الصفا ، وخلان الوفا ، الناظرون في أفلاك الدين ، وحقائق اليقين ، بقلوب صافية ، وأبصار سالمة ، وأذهان صحيحة ، وآذان واعية ، وألسن بتوحيد ربها ناطقة . وإنما جعلنا ما قدمناه من الرسائل المقدمة على هذه الرسالة كالأجساد ، وهي كالروح ، وبالروح قوام أمر الأجساد ، وكذلك بهذه الرسالة تمام الرسائل ، فاعلم ذلك ، ولا تضيع كلمة الله ، فتكون من الخاسرين . [والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين]^٤ .

١ سورة ٢٣ : ٥٣ .

٢ سورة ٦ : ٩٦ .

٣ الحكماء : سقطت في ص .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

[فصل

في ذكر الرسالة التاسعة ^١ : الرسالة التاسعة : رسالة العلل والمعلولات .
وكيف رجوع أوائلها على أواخرها ، [٢٧٧] وأواخرها على أوائلها . والغرض
المطلوب من هذه الرسالة هو معرفة أصول العلوم ، ومبادئها ، وأسبابها ،
وقوانينها ، ورسومها ، وكيفياتها على الحقيقة .

فصل ^٢

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن نعم الله عز وجل ، التي أنعم
الله بها على عباده كثيرة ، لا يحصي عددها إلاّ هو جل ذكره ، وتقدس اسمه ،
ومن أعظمها عليهم ، وأفضلها لديهم ، ما منّ به عليهم من الهداية إلى معرفته ،
وتعليمهم عبادته وأمرهم بطاعته ، وإرساله إليهم النبيين ، والمرسلين ،
أصحاب الشرائع الدينية ، والنواميس الحكيمة ، بالعناية الربانية ، فصارت
نعمة الله بخلقه متصلة على أيديهم ، بما جاؤوا به من عنده من الكتب المنزلة ،
والآيات المفصلة ، والعبادات المفروضة ، والشرائع الموضوعة ، هدى ورحمة
للعالمين ^٣ ، فهؤلاء الوسائط بين الله وبين خلقه هم نعم الله على عباده ،
وأيديه المبسوطة بالرحمة والبركة في [٢٧٨] كل دور وزمان ، وعصر وقران ،
ومن استخلفوهم من بعدهم للقيام بأحكام شرائعهم ، فهم يقومون في الأمة
من بعدهم مقامهم . وهؤلاء المستخلفون من بعد الأنبياء ينقسمون قسمين :

١ فصل : في ذكر الرسالة التاسعة : سقطت في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ العالمين : للتقين في ص .

فمنهم أئمة يهدون بأمر الله عز وجل ، وبما أوحاه إليهم على السنة
 أنبيائه ، بما أوصلوه من كلام الله تعالى إليهم ، وعلموهم به ،
 من فعل الخيرات ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وما يوجد في الشرائع
 من الحكم المنزلة ، والآيات المفصلة . ومنهم ظالم لنفسه مبین بجلوسه في
 غير مجلسه ، وأخذ ما لا يستحقه ، وهم أئمة يدعون^١ إلى النار . والحكمة
 الموجودة بعد النبي في شريعته توجد على معنيين في معدنين مختلفين ، ولذلك
 وقع الاختلاف في الأمة بعد ذهاب صاحب الشريعة ، وذلك أنه أقام فرائض
 شريعته ، وأحكام دعوته ظاهرة مكشوفة ، وجعل تحت أوامر ظواهرها
 أموراً خفية ، باطنة مستورة ، لطيفة ، لا يمسها إلا المطهرون [٢٧٩] من العيوب
 والذنوب ، كما قال عز اسمه : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾^٢ وقال :
 ﴿ وَمَا يَتْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا
 بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾^٣ وهذا قول العلماء الربانيين من أهل بيت
 النبوة ، ومعدن الرسالة . وهم أصحاب الحكمة الخفية ، اللطيفة ، الظاهرة ،
 المطهرة . وهم المطهرون من أدناس الجاهلية ، والحكمة المجازية ، الموجودة
 بالاسم دون المعنى والحقيقة . وهي الموجودة عند الأئمة ، الذين يدعون إلى
 النار . وهم أعداء أئمة أهل الحق من بعد نبينهم وهم بقايا الشياطين الكائنين
 في الجاهلية ، الذين يريدون إطفاء ﴿ نُورِ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ ﴾ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ
 وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^٤ فلهذه العلة ، ومن أجلها ، وقع الاختلاف في
 أهل الشرائع ، بعد ذهاب أنبيائهم ، وبهذه العلة إذا غلب أهل الباطل على

١ يدعون : يهدون في ص .

٢ سورة ٥٦ : ٧٩ سقطت الآية في ص .

٣ سورة ٣ : ٧ .

٤ سورة ٦١ : ٨ .

أهل الحق، استر أهل الحق، وإذا غلب أهل الحق يكون ظهور أمر الله،
وعود الحق إلى أهله، كما قال عز وجل: [٢٨٠] ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى
الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ .
وَتُكَنَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ
مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ .

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه، أن الفلسفة تسمى الحكمة في لسان
اليونانية، فالفيلسوف هو الحكيم، والحكيم هو الذي أفعاله محكمة، وصنائه
متقنة، وأقاويله صادقة، وأخلاقه جميلة، وآراؤه صحيحة، وأعماله زكية،
وعلموه حقيقية. وهي معرفة حقائق الأشياء، وكية أجناس وأنواع تلك
الأجناس، وخواص تلك الأنواع واحداً واحداً، والبحث عن عللها، بما
هي، ولم هي، وكم هي، وأي هي، وكيف هي، وأين هي، ومتى هي،
ومتى كان، ولم كان. والحكيم المستحق اسم الحكمة والفلسفة، من كان
يحسن أن يجيب عن هذه المسائل، إذا سئل عنها بما هي به، بلا زيادة في
علمها، ولا نقصان فيه، ويقيم عليها الأدلة، والبراهين [٢٨١] الشاهدة على
صحتها منها. والتلميذ المتعلم، التابع للفيلسوف، المستحق الإفادة والتعليم،
هو الذي يحسن أن يسأل عن هذه المسائل، إذا سئل عنها، ويفهم الأجوبة
التي تلقى إليه عنها، ويبحث عن حقائقها، ويسبق فهمه إلى معانيها، فيلوح
للحكيم فيه آثار قبول التعليم، فيزيده مما عنده الشيء بعد الشيء على التدرج،
حتى يصير يوماً مثله، ويبلغ إلى درجته. ومن المتعلمين من هو دون ذلك،

فلهذه العلة وقع التفاضل بين الناس ، وصار بعضهم أعلم من بعض ، وبعضهم يحسن السؤال ، وبعضهم لا يحسن أن يسمع ما يجري بين السائل والمسؤول ، وهم رعاع الأمة ، وأصحاب الجهالات المتركمة . والعلة في جهلهم ، هي اشتغالهم بأمور الدنيا ، وتكالبهم على ما يقوم بحال أجسادهم فيها ، فإذا سمعوا الحكمة تتلى ، والقرآن يقرأ ، اتخذوها هزواً ولعباً . ومنهم من يستمع [٢٨٢] إليها ، حتى إذا فارقتها قال : ﴿ مَاذَا قَالَ آتِيفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾^١ ﴿ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾^٢ وهم لا يهتدون إلى معرفة أنفسهم ، ولا لماذا خلقوا ، ولا كيف كان بدوهم ، ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾^٣ سبيلاً أتباع الشياطين ، وأعوان الظالمين ، وخيل إبليس اللعين ، ورجله الملاحين .

فصل^٤

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن من الناس من يتعاطى علم الفلسفة ، ويتسمى بالحكمة ، وهو غير مستحق لذلك ، وهذا يكون مثل من جلس بعد النبي في غير مجلسه ، وأخذ غير حقه ، فإذا سئل عن السؤالات الدقيقة ، الحقيقية الخفية ، الصعبة ، وقف ، وتلبذ وتخير ، وانقطع .

واعلم يا أخي بأن أصعب الأجوبة عن هذه السؤالات التسعة ، جواب اللمية ، لأنه سؤال يبحث عن العلل ، والعلل كثيرة ، مفننة ، وعلمها غامض دقيق ،

١ سورة ٤٧ : ١٦ .

٢ سورة ٢ : ٧ .

٣ سورة ٧ : ١٧٩ .

٤ فصل : سقطت في ص .

يحتاج إلى بحث شديد ، وفهم صادق ، ونفس زكية ، [٢٨٣] ونظر دقيق .
واعلم بأن المباحث ، والمطالب في معرفة حقائق الأشياء ، تسعة أنواع ،
والسؤالات عنها أيضاً تسعة أنواع : أولها هل هو ، وما هو ، وكم هو ، وأي
شيء هو ، وكيف هو ، وأين هو ، ومتى هو ، ولمّ هو ، ومن هو ، ولكل
سؤال جواب خاص به لا يشبه الآخر ، فمن تعاطى معرفة حقائق الأشياء ،
وأنه يخبر عن عللها وأسبابها ، فيحتاج أن يكون قد عرف هذه المباحث
التسعة ، والجواب عن هذه السؤالات واحدة بعد واحدة ، بحقها وصدقها .

فصل ١

وكذلك الجالس بعد النبي مجلسه ، والقائم في الأمة ، من بعده مقامه ،
يجب أن يكون يعرف جوابات عما يسأل عنه من أمور الدين ، ومعاني مرموزاته ،
ومرامي إشاراته ، وخفيات معانيه ، وبواطن ظواهره ، وتأويل تنزيله ،
وما يجب على من تعدى حدود الله من الواجبات ، من آداب الله ، وإقامة
أحكامه في خلقه ، وإرشاد الأمة ، وتقويم [٢٨٤] اعوجاج المعوج ، وإصلاح
الفاسد ، ولم الشعث ، فمن وجدت فيه هذه الخصال ، مضافة إلى ما يليق به
من حسن الأخلاق الموجودة فيه ، كوجودها في النبي ، والرسول في وقته ،
وما كان يتميز [به من هذه الخصال]^٢ ما خلا الخصال ، التي كان يتلقى بها
الوحي ، فإنها لا توجد فيمن تقيمه الأمة من بعده ، لأنه ينقطع الوحي بذهاب
الأنبياء أصحاب الشرائع ، وإنما يبقى فيمن يخلفونهم من بعدهم ما أودعوه

١ فصل : سقطت في ص .

٢ به من هذه الخصال : سقطت في ص .

إياه وأسرّوه إليهم وعهدوا إليهم فيه ، وبذلك يكونون أعلم الأمة من بعدهم
و [يجب على الأمة]^١ الطاعة لهم ، والالتقياد إليهم .

فصل^٢

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن تلميذ الحكيم الذي رافقه
في حياته ، وخدمه في طول مدته ، وتعلم منه ما علمه ، وأودعه حكمته ،
هو الذي يجب عما يسأل عنه من السؤالات الحكيمة ، كما كان معلمه يجب
في وقته من يسأله عن مثل ما قدمنا ذكره ، كذلك المستحق للمنزلة الرفيعة بعد
النبي ، من بعده ، هو الذي [٢٨٥] يحسن ويجب عما يسأل عنه من مشكلات
أمور الشريعة ، ومعضلات أمور الأحكام ، ومن كان بالضد من ذلك ، فلا
يستحق اسم الإمامة بعد النبي من كان لا يحسن القيام بما تحتاج إليه الأمة ، وما
هو إلا كما قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾^٣
بالجهل ، وكما كانوا قبل قيام الشريعة في جاهليتهم أئمة في الضلال .

فصل

ولما كانت معرفة علل الأشياء ، ومعلولاتها ، علماً غامضاً صعباً ، لا
يكاد يصل إليه ، ولا يطلع عليه ، إلا المرتاضون بالعلوم الإلهية ، والحكمة
الربانية ، المأخوذة عن تلامذة الحكماء الإلهيين ، وخلفاء الأنبياء والمرسلين ،
تقليداً وإيماناً وتسليماً ، وقد ألقينا إليك يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ،

١ يجب على الأمة : وتجب عليهم في ب .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ سورة ٢٨ : ٤١ .

في هذا الفصل ، معرفة العلل والمعلولات ، على ما حكته العلماء ، وأنخبرت به الحكماء ، من أهل الفلسفة الحكمية ، والشريعة الدينية ، المتفقين في جواباتهم في المعاني الحقيقية. فأعظم المطلوبات من الوقوف على العلل والمعلولات ، هو كيفية [٢٨٦] الوقوف على معرفة علة العالم التي حدث عنها ، وكانت سبب وجوده عنها ، وكيف كان هذا الوجود عن العلة الأولى وظهور الأشياء بعضها من بعض .

واعلم يا أخي بأن كثيراً ممن ينظرون في مبادئ الأمور ، يظنون ويتوهمون بأن صور المعلومات في علم الباريء جل ثناؤه لم تنزل مثل صور المصنوعات في أنفس الصانع قبل إخراجها لها ، ووضعها في الهيولى المعروفة في صنائعهم ، وأمثلة صور المعقولات في أنفس العقلاء ، وتصورهم لها ، وليس الأمر كما ظنوا وتوهموا .

فصل ١

وأما الحق من القول في هذا المعنى ، فهو قول من قال : إنما ذلك ككون العدد في الواحد ، لأن صور المصنوعات حصلت في أنفس الصانع ، بعد النظر منهم في مصنوعات من تقدمهم وسبقهم إلى وصفها ، وعلمها . والسابقون لهم ، المخترعون ، فإنما أخذوا ذلك بذكاء نفوسهم ، ولطافة أذهانهم من مفعولات الطبيعة ، وبدائع صناعة النفس الكلية ، بالتأمل ، والتفكر فيها . وهكذا حكم صور المعقولات ، [٢٨٧] في أنفس العقلاء ، حصلت فيها بعد نظرهم إلى المحسوسات ، وتأملهم لها ، فتصورت في عقولهم صور الاكتساب ، بالنظر إلى موجودات تقدمت لاكتسابهم إياها ، والباري سبحانه يتتره عن هذا القياس ، ويتعالى عن

هذا المثال ، بل علمه من ذاته ، كما أن العدد من ذات الواحد ، والمثال ينبغي أن يكون مطابقاً لما يمثل به في أكثر المعاني وأعمها ، لا أقلها ولا أنقصها ، فمثاله سبحانه الواحد ، والمبروات^١ كالأعداد . وهذا المثال أكثر مطابقة للحق من غيره من المثالات .

واعلم أن كل موجود^٢ تام هو علة لما دونه ، وذلك أن كل موجود تام ، فإنه يفيض عنه على ما دونه فيضاً تاماً ، وأن ذلك الفيض هو من جوهره ، أعني صورته المقدمة التي هي ذاته ، والمثال في ذلك النار ، وما يفيض منها ، على ما حولها ، من الحرارة ، والتسخين للأجسام القريبة منها ، قرب الحاجة إليها ، وهكذا أيضاً يفيض من الماء الترطيب ، والبلل ، على الأجسام [القريبة منه قرب ٢٨٨] الحاجة إليه^٣ والمجاورة له . والرطوبة هي جوهرية الماء ، وهي صورته المقومة لها ، ومثل ما يفيض عن الشمس ، من النور والضياء . وهو صورتها ، المقومة لذاتها . وهكذا تفيض من النفس الحياة على الأجسام ، لأن الحياة جوهرية لها ، وهي الصورة المقومة لذاتها .

واعلم أنه ما دام الفيض على المفاض عليه ، متواتراً متصلاً ، فإنه باق على ما هو به ، فإن قصر^٤ عنه بطل وجوده ، كذلك وجود الأشياء ، عن موجدتها متواترة ، خارجة من العدم ، إلى الوجود بجموده وفضله ، فلو قبض ذلك الجود لبطل الوجود . والمثال في ذلك تواتر اتصال الأنوار بالهواء ، ما دام متصلاً به ، متواتر القدوم عليه ، يضيء ويشرق ، وإذا انقبض النور والضياء عنه ، أظلم كما يمنع ضوء

١ المبروات : المبررات في ب .

٢ موجود : سقطت في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ قصر : قبض في ص .

الشمس الغمام الذي يحول بينها وبين الهواء ، فيعدم النور ، وتحل الظلمة بغيبة الشمس ، كذلك فيض العقل على النفس ، وفيض النفس على الأجسام ، والمادة^١ متصلة بالأول ، فالأول من الباري [٢٨٩] سبحانه . وكما أن النفس إذا فارقت الجسد ، عدم الحياة ، ووقع به الموت^٢ ، وبطلت حركته ، كذلك الأشياء كلها ، لو عدمت فيض باريها عليها ، ونظره إليها ، نظرة الإرادة الملكوية المكونة لها ، على ما هي كائنة ، جارية على مراده ، ومشيتته ، وقدرته ، سبحانه لا شريك له [لبطل وجودها ، وهوت في هاوية العدم]^٣ .

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن إبداع الباري سبحانه ، ليس بتركيب ، ولا تأليف ، بل إبداع واختراع ، وإخراج من العدم إلى الوجود ، والمثال في ذلك كلام المتكلم ، وكتابة الكاتب ، فإن أحدهما يشبه الإبداع ، وهو الكلام ، والآخر يشبه التركيب ، وهو الكتابة ، فمن أجل هذا إذا سكت المتكلم ، بطل وجدان الكلام ، وإذا أمسك الكاتب لا يبطل وجدان الكتابة ، فكذلك إذا قبض الباري جوده ، بطلت الموجودات دفعة واحدة ، وبهذا البرهان ، صح أن خلق الخالق المخلوقات ، إبداع واختراع ، وليس [٢٩٠] بتركيب ولا تأليف ، إذ التركيب والتأليف باق إن أمسك المؤلف عن تأليفه ، ويقطع المركب بعد تركيبه ، كما يمسك الكاتب عن كتابته ، وتبقى صورة حروفه ، والدليل على صحة ما قلناه وحقيقة ما وصفناه قول الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ﴾^٤ . وقوله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ

١ والمادة : وجعلتها في ص .

٢ الموت : الوقت في ص .

٣ سقطت الكلمات المعصورة في ص .

٤ سورة ٣٥ : ٤١ .

هُوَ فِي شَأْنٍ ^١ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ، فَبِهَذَا الْاِعْتِبَارِ تَكُونُ مَعْرِفَةُ الْعَالِ وَالْمَعْلُولَاتِ .

فصل

فِي الْعِلَّةِ الْمَوْجِبَةِ لِاِخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي اِبْدَاعِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ الْعَالَمِ : فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : أَنَّ الْبَارِي سُبْحَانَهُ اَبْدَعَ الْعَالَمَ بِمَا هُوَ بِهِ ، مِنْ اَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ، وَلَطِيفِهِ وَكَثِيفِهِ ، دَفْعَةً وَاحِدَةً ، اَخْرَجَهُ مِنَ الْعَدَمِ اِلَى الْوُجُودِ ، عَلَى مَا هُوَ بِهِ ، بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : عَلَى التَّدْرِيجِ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : عَلَى تَرْتِيبِ اللَّطَائِفِ مِنْ اَوَّلِهَا اِلَى آخِرِ الْكُثَائِفِ ، وَهِيَ اَثْقَلُهَا ، مُتَّصِلٌ ذَلِكَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، بِغَيْرِ اِنْفِصَالٍ ، [٢٩١] بَلْ بِالسَّبْقِ ، وَالْقُرْبِ مِنْ عِلَّتِهِ الَّتِي فَوْقَهُ . وَلَيْسَ فِي الْقِسْمَةِ الْعَقْلِيَّةِ غَيْرُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْاَقْسَامِ . فَاَمَّا بَرَهَانُ مَنْ قَالَ اِنَّهَا عَلَى التَّدْرِيجِ ، فَمَوْجُودٌ بِمَا يَكُونُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْجُزْئِيَّةِ بِاسْتِخْرَاجِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَكَوْنِ بَعْضِهَا مُتَقَدِّمًا بِالْوُجُودِ عَلَى بَعْضٍ ، كَتَقَدُّمِ الْاَبِّ عَلَى ابْنِهِ ، وَالِدِ الْجَاذِبَةِ عَلَى الْبَيْضَةِ ، وَالْبَيْضَةِ عَلَى الْفُرُوحِ ، وَكَتَقَدُّمِ اَدْوَاتِ الصَّنَاعِ عَلَى صَنَائِعِهِمُ الْمَصْنُوعَةِ بِالْاِِرَادَةِ ^٢ ، وَمَا يَكُونُ مِنْهُمْ . وَيَبْدُو عَنْهُمْ . وَاَمَّا بَرَهَانُ مَنْ قَالَ : اِنَّ بَعْضَهَا اَبْدَعَ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَهِيَ الْجَوَاهِرُ اللَّطِيفَةُ ، وَبَعْضُهَا عَلَى التَّدْرِيجِ ، وَمَمَرُ الدَّهْرِ وَالْاَزْمَانِ ، اِلَى اَنْ يَتَمَخَّضَ ^٣ وَيَتَمَيَّزُ الْكَثِيفُ مِنْهَا وَاللَّطِيفُ ، وَاِلَى اَنْ تَقْبَلَ الْاَشْكَالُ الْفَلَكيَّةُ ، وَيَتَرَكَّبُ بَعْضُهَا فَوْقَ ^٤ بَعْضٍ ، وَاِنْ مَا تَقْدُمُ

١ سورة ٥٥ : ٢٩ .

٢ بِالْاِِرَادَةِ : بِالْاَدْوَاتِ فِي ص .

٣ يَتَمَخَّضُ : يَتَمَحَّضُ فِي ص .

٤ فَوْقَ : جَوْفَ فِي ب .

بالوجود كان ما دونه لاحقاً به ، تابعاً له ، اتباع المفضول لفاضله ، والمعلول لعلته ، إلى أن استدارت أجرام الكواكب النيرة ، وركزت في [٢٩٢] مراكزها الثلاثة بها ، وإلى أن تميزت الأركان الأربعة ، وترتبت في مراتبها ، وانتظمت الطبائع في نظامها ، والدليل على ذلك قول الله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾^١ . قال بعض العلماء : أراد الله سبحانه بهذا القول كونه على التدرج ، الشيء ، بعد الشيء ، كعدة الستة التي أولها سابق لثانيها ، حتى ينتهي إلى آخرها ، وليس المراد بذلك ، أنها أيام كمثل هذه الأيام ، الموجودة في الزمان ، بوجود الشمس والقمر ، والليل والنهار . فأما الأمور الإلهية المحضة ، اللطيفة ، الشفافة ، الشريفة ، الدراكة ، الحقيقية ، البسيطة ، النورانية ، فحدوثها كان عن بارئها دفعة واحدة ، مرتبة^٢ ، منتظمة^٣ ، بلا زمان ، ولا مكان ، ولا هيولى ، ولا أركان ، بل بقوله كن فكان ، وهي العقل الكلي ، والنفس الكلية ، والهيولى الأولى ، والصورة المجردة . فالعقل الأول ، نور الباري جل جلاله ، الفائض منه ، والنفس نور^٤ العقل ، وفيضه [٢٩٣] الذي أفاضه الباري منه ، والهيولى هو ظل^٥ النفس ، وفيئها^٦ ، والصور المجردة هي النقوش^٧ ، والأصباغ ، والأشكال التي عملتها النفس في الهيولى ، بإذن الله تعالى . وهذه الأمور كلها بلا زمان ، والمثل في ذلك ، كمثل إشراق نور^٨

١ سورة ٥٧ : ٤ .

٢ مرتبة : مرتبطة في ص .

٣ منتظمة : منبسطة في ص .

٤ نور : بعد في ص .

٥ ظل : ضد في ص .

٦ فيئها : وفيضه في ص .

٧ النقوش : النفوس في ص .

٨ نور : سقطت في ص .

الشمس ، على ضياء فلك الزهرة ، واتصال النور بفلك عطارد ، ونفاذه إلى فلك القمر ، واتصاله بما دونه من عالم الحلائق ، الذين هم أمثال النقوش^١ والأصباغ ، والتصاوير العلوية . ولذلك قال سبحانه : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾^٢ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، سر^٣ الله في خلقه ، وحكمته في صناعته ، وقدرته في إبداعه ومشئته في اختراعه ، ولا يعلم ذلك [٢٩٤] إلا العلماء ، بما أعلمهم من ذلك ، فقال جل اسمه : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^٤ . فأما قوله مثل نوره ، يعني العقل الأول ، الذي هو أول مبدع أبدعه كمشكاة ، النفس الكلية ، المنبعثة منه ، المضيئة بنور العقل ، كما تضيء المشكاة بنور المصباح المشرق بنور الله ، والزجاجة الهيولى الأولى ، الشفافة ، المضيئة بما يسري فيها من فيض النفس عليها ، كفيض العقل على النفس ، كأنها كوكب دري الصورة المجردة ، المكوكبة بالأنوار الذاتية ، يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة ، لا شرقية ، ولا غربية ، النفس الكلية ، ذات الفروع الثلاثة ، معطية الحياة ، والحركة ، لجميع الموجودات ، كوقود المصابيح ، والقناديل بالزيت المستخرج من شجرة الزيتون ، لا شرقية ولا غربية ، بل مبدعة بأمر الله ، لا مركبة ، ولا مؤلفة ، يكاد زيتها يضيء ولو

١ النقوش : النفوس في ص .

٢ سورة ٢٤ : ٣٥ .

٣ سر : سنن في ص .

٤ سورة ٣٠ : ٢٧ .

لم تمسه نار، نور على نور، تكاد للطافتها، وشرفها، تكون عقلاً [٢٩٥]
لو لم يتصل بها، فلما أمدّها بخيراته، فكان نور على نور، كذلك نور
العقل، فوق نور النفس، ويضرب الله الأمثال للناس، ولذلك كانت النار
أجل الأشكال، وأعظم الأمثال، متصلة بالنور، ولذلك افتخر^١ بها إبليس،
لما قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهِ مِن طِينٍ﴾^٢ وذلك أن النار تتحرك
إلى العلو بالطبع، وهذا الجحاد التراب، يتحرك إلى أسفل بالطبع.

فصل

في معرفة العلل والمعلولات التي هي الأصول وتقدم بعضها على بعض،
كتقدم الواحد على الاثنين والاثنان متقدم الوجود على الثلاثة، كتقدم النفس
على الهوى، والثلاثة متقدم الوجود على الأربعة، كتقدم الهوى على الطبيعة،
والأربعة متقدم الوجود على الخمسة، كتقدم الطبيعة على [٢٩٦] الصورة،
وكون اللطائف البسيطة عن الباري سبحانه دفعة واحدة، بلا زمان، ولا
مكان، وشرف بعضها على بعض، بقرب النسبة إليه والقرب منه. فالباري
سبحانه، علة العقل، والعقل علة النفس، والنفس علة الهوى، والهوى علة
الصورة المجردة.

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه، بأن الأفلاك متقدمة الوجود
على الأركان الأربعة، التي تحتها بالآزمان، والأدوار، والقرانات. وعالم

١ افتخر بها : امتحن في ص .

٢ سورة ٢٨ : ٧٦ .

الأرواح اللطيفة ، والأنفس الشريفة ، متقدمة الوجود على الأفلاك ، بالدهور الطوال ، الموجودة في القوى النفسانية ، بالدورات المتوهمية ، البعيدة عن الدخول تحت الإحاطة ، والانحصار ، كالإحاطة بالأدوار والأعصار ، الموجودة بظلمة الليل ، وضوء النهار . والزمان داخل في الدهور ، والدهر حائط بالزمان ، والزمان بدء حركة الفلك ، والدهر بدء حركة النفس [٢٩٧] الكلية ، والزمان لا يبلغ درك الدهر ، والدهر متقدم الوجود على الزمان .

واعلم يا أخي ، أن النفس ، قد أتى عليها دهر طويل ، قبل تعلقها بالجسم ، وذلك أنها تحركت حركة طويلة غير متوهمية^١ ، كتوهم الحركات المحسوسات ، الكائنة في الزمان الفلكي ، وكانت في عالمها الروحاني ، ومحلها النوراني ، ومركزها العقلي ، ودارها الحيواني ، مقبلة على علتها : العقل الفعال ، تقبل منه الفيض ، والفضائل ، والخبرات وتترأى^٢ فيها المثالات العقلية أنواراً ذاتية ، وأشباحاً^٣ نورانية ، ملكية ، كلها حركتها بالتسبيح والتقديس ، والتهليل ، والتكبير ، بأصوات مرتفعة ، وأنوار ساطعة ، لامعة بإشراف العقل ، وتأيد الرب ، تسمع كلامه . وكانت منعمة ، ملتذة ، مستريحة ، مسرورة ، فرحانة ، فلما أقامت على ذلك ، في تلك الحركة الفاضلة ، والنعمة الكاملة ، والبركة الشاملة ، ما لا يوصل إلى تصورها ، بالوهم [٢٩٨] الجزئي ، والتخيل الحسي ، فلما امتلأت من تلك الفضائل ، والخبرات ، أرادت التشبه بعلتها ، وأن تكون مفيدة ، وأن

١ متوهمية : متوهم في ب .

٢ تترأى : تترى في ب .

٣ وأشباحاً : سقطت في ص .

تكون ذاتاً منه وجودها ، فلما رأى الباري سبحانه ذلك منها ، مكنها من
عالم الجسم ، وهياً^١ لها ، وخلق من ذلك الجسم ، عالم الأفلاك ، وأطباق
السماوات ، من لدن فلك المحيط ، إلى منتهى مركز الأرض ، وركب الأفلاك
بعضها فوق بعض ، فتحركت النفس فيها حركة اختيار ، فوجدت في الأشياء
المخلوقة لها ، قوة لقبول آثارها منها ، وصورت فيها صورة ما في ذاتها ،
وجعلتها مثالات ، ونقشتها ، وصبغتها ، وأكسبتها الحركة ، فكانت الأشياء
كثيفة بالجسم ، لطيفة بالنفس ، متحركة بالقوة الباعثة لها من العدم إلى الوجود ،
بالعناية الربانية ، والإفاضة العقلية ، والإرادة النفسانية . فلما سرت القوى الفاضلة ،
والحركات الكاملة ، في عالم الأفلاك ، وجعلتها أنواراً شفافة ، [٢٩٩] ذات
أجرام لطيفة ، خفيفة ، ونقشت فيها^٢ أمثال الصور . المجردة ، المعرأة من
الأجرام التي فيها ، فصارت الملائكة ، الذين هم أهل الأفلاك ، مثالات لمن
فوقهم ، من الملائكة المقربين ، ثم كذلك أهل كل سماء ، من لدن فلك
المحيط ، إلى فلك القمر ، وأقام أمر النفس جارية على هذه الحال ، مدة ما
شاء الله الباري عز وجل ، على أحسن النظام ، وأكمل التمام ، إلى أن كان
من آدم ما كان ، فأهبطت النفس الجزئية ، إلى مركز الأرض ، واتحدت
بالأجسام ، وفارقت الأجرام ، من استحق العذاب ، بما كان منه من النسيان ،
والخطأ ، وتقطعت ثلاث فرق : فرقة اتحدت بجوهرية المعادن ، وفرقة اتحدت
بجوهرية النبات ، وفرقة اتحدت بجوهرية الحيوان ، الذي أفضله عالم الإنسان ،
ثم عطفت النفس الكلية ، بعد ذلك ، راجعة إلى قبول الفيض العقلي بالتوبة ،
[٣٠٠] والإنابة ، والاستغفار ، لمن في الأرض ، وطلب الرحمة والرضوان لهم ،

١ وهياً : وهيت في ب .

٢ فيها : عليها في ص .

من ربهم . كما قال الله عز وجل : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾^١
﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا
سَبِيلَكَ ﴾^٢ ، وبعث الله النبيين ، والمرسلين ، والمبلغين ، رسالات ربهم ،
وعمر^٣ عالم الكون والفساد ، وامتألت جهنم من الجن ، والإنس ، وقالت :
﴿ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴾^٤ ومن أساء وأخطأ . ثم تذكر واعتبر ، واتبع المرسلين ،
فاز ونجا ، ومن تخلف هلك وهوى ، والدليل على ذلك قول الله عز وجل :
﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾^٥
أي لم تكن النفس متحدة بجسم طبيعي يحتاج أن تذكره بما منه بدأت ﴿ إِنَّا
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً
بَصِيراً . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾^٦ يعني هداه
السبيل إلى جنته ، والطريق إلى رحمته ، فإما شاكراً لأنعمه ، إذ هداه وأرشده
وإما كفوراً بنعمته ، منهمكاً في رقدة جهالته ، [٣٠١] تائهاً في ضلالته .
﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً ﴾^٧ يعني عالم
الكون والفساد ، ولا تزال الأشياء موجودة على ما هي به ، من اجتماع
الكثيف باللطيف ، ما دامت النفوس الجزئية متحركة بالنشوء والبلى ، والكون
والفساد ، والترقي من الحال الأدنى ، إلى الحال الأعلى ، حتى ترقى كلها ،
وتصعد بأجمعها ، كما تتصاعد المياه من البخارات ، وتصير في الغمام ، ولا

١ سورة ٤٢ : ٥ .

٢ سورة ٤٠ : ٧ .

٣ وعمر : سقطت في ص .

٤ سورة ٥٠ : ٣٠ .

٥ سورة ٧٦ : ١ .

٦ سورة ٧٦ : ٢ ، ٣٠ .

٧ سورة ٧٦ : ٤ .

تبقى في الأواني إلا تفالاتها ، فيرمى بها ، إذ لا حاجة إليها .
واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأنه سترجع النفوس الجزئية ،
إلى النفس الكلية ، بأجمعها ، وتصير في عالمها الروحاني ، ومحلها النوراني ،
وحالها الأزلي ، ووقتها الدهري ، الأبدى ، السرمدي ، الذي لا نهاية لطوله ،
الذي كانت فيه قبل تعلقها بالجسم ، كما قال الله عز وجل : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ ﴾^١ ولكن بعد مضي الدهور والأزمنة الطوال ، والأكوار ،
والأدوار ، والأعصار ، وسيخرب العالم [٣٠٢] الأرضي ، والمركز السفلي ،
إذا فارقت النفس ، وسكن الفلك عن الدوران ، والكواكب عن المسير ، والأركان
عن الإختلاط ، والامتزاج ، وبلي النبات ، والحيوان ، والمعادن ، وتخلع
النفس الصور والأشكال والنقوش ، ويبقى الجسم فارغاً ، كما كان في البداية^٢ ،
إذا أعرضت عنه النفس ، وأقبلت نحو عالمها ، ولحقت بعلتها ، وصارت
عندها ، واتحدت بها ، كإقبال التلميذ على معلمه ، وأستاذه ، المتعلم الحكمة
منه ، والآخذ لها عنه ، بعد أن كان مشغولاً بصبوته ، منهمكاً في تناول لذته ،
مقبلاً على بلوغ شهوته ، فلما كبر وعقل ، واعتبر وتذكر ، وأقبل على محبة
مفيده ، ومعلمه ، صار مثله ، كذلك النفس : إذا لحقت بالعقل وأقبل عليها
دفعة واحدة ، تخلت عن الجسم دفعة واحدة . فعند ذلك تبطل الحركات
الدنياوية . فافهم يا أخي هذا القول ، وتدبر هذا المعنى ، وقف على هذا السر ،
وفقك الله وأعانك وإيانا ، وجميع إخواننا بمنه ورحمته^٣ .

الرسالة [٣٠٣] العاشرة : من الرسائل النفسانية العقلية وهي آخرها
موضوعة في الحدود والرسوم .

١ سورة ٢١ : ١٠٤ .

٢ البداية : بدأ في ص .

٣ ورحته : ويمنه في ص .

وكان المراد المطلوب ، من هذه الرسالة الموجودة بهذه الدلالة معرفة حقائق الأشياء ، وماهياتها ، وأجناسها ، وأنواعها المركبة ، والبسيطة ، بماهية كل واحد منها ، وبمعرفتها يكون الوقوف على ذوات الأشياء ، وكيفياتها ، وأصولها ، ولمياتها ، التي هي منتهى غاياتها .

فصل^١

والغرض المطلوب من هذه الرسالة ، المبنية عليها هو معرفة الجواب ، عن السؤال من عساه يقول : مَنْ باريء البرايا ؟ فيقال له : أول كل شيء ، وسبب كل موجود ، مبدع المبدعات ، ومخترع المخترعات ، وسبب كون الكائنات ، رب كل شيء ، وخالقه ، ومتممه ، ومكمله ، ومبلغه إلى أفضل أحواله ؛ فإن قال قائل له : لم وصف بالقدرة ؟ فيقال له : لإخراج الأشياء من العدم إلى الوجود . فإن قيل : فلم قيل له صانع ؟ فيقال له : لوضعه الصورة [٣٠٤] في الهيولى .

فصل^٢

فإن قال قائل : ما العقل الفعال ؟ فيقال له : أول مبدع أبدعه الباري سبحانه وتعالى ، وهو جوهر بسيط نوراني ، فيه صورة كل شيء . فإن قال له : لم سمي عقلاً ؟ فيقال له : لأنه عقل الأشياء عن الخروج عنه ، عقل إحصاء وعدد . كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ ﴾

١ فصل : سقطت في ص .

٢ فصل : سقطت في ص .

عَدَّ أَكْه١ . فإن قال : ما النفس؟ فيقال له : هي جوهرة بسيطة ، روحانية ، حية بالذات ، علامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، وهي صورة من صور العقل الفعال . فإن قال : لم وصفت بالحياة ؟ فيقال له : لتأتي الأشياء منها ، وبتحريكها للجسم حركة تؤديه بها إلى الصلاح العام ، والنفع التام ، فإن قال : ما الهيولى ؟ فيقال له : جوهر بسيط ، قابل للصورة ، فإن قال : فلم قيل هيولى ؟ فيقال : لأنه مهياً لقبول ما يتحد به ، كقبول الشمع أثر النقش والتصوير ، إذا لصق به .

فصل ٢

فإن قال : ما حقيقة الجوهر ، وما هو ؟ فيقال له : هو القائم بنفسه ، القابل للصفات ، والصفة [٣٠٥] عرض حال في الجوهر ، وكل ما بخلاف ذلك من الصفات فهي الأعراض ، وكل عرض يحل بالجوهر من حيث هو فمنه ثابت ، كسواد الأسود ، وبياض الأبيض ، ومنه زائل كحمرة الحجل ، وصفرة الوجمل .

فصل ٣

فإن قال : ما العلة ؟ فيقال : هو الذي يكون سبباً لكون شيء آخر ، وقيل له علة لا اعتلال ما يكون به . ويبدو عنه ، وكونه علة أخرى لكون شيء آخر ، كذلك حتى ينتهي الاعتلال بحيث يقف عنده ، ممسكاً عن الفعل .

١ سورة ١٩ : ٩٤ .

٢ فصل : سقطت في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

فصل^١

فإن قال : ما المعلول ؟ فيقال : هو الذي لوجوده سبب من الأسباب متقدم بالوجود عليه [بالكون . وقيل له معلول ، لأنه مفعول]^٢ .

فصل^٢

فإن قال : ما القديم ؟ فيقال : هو الذي لم يسبقه شيء ، لا يبلغه الوهم ، ولا يتصوره العقل ، ولا يحويه المكان ، ولا يدخل تحت الزمان ، والباري سبحانه ، قديم ، والعقل محدث ، والعقل قديم ، والنفس [٣٠٦] محدثة ، والعقل لا يبلغ معرفة قدم باريه ، والنفس لا تبلغ معرفة الإحاطة [بما في هوية]^٤ العقل ، والباري ، قديم بتقدم وجوده على العقل والنفس ، ورجوع العقل عن الإحاطة بما عند باريه بالشهادة له أن لا إله إلا هو ، والنفس غير محيط بما عند العقل دفعة واحدة ، بل الشيء بعد الشيء ، واتصال فوائد العقل بالنفس ، اتصال تبليغ عن الباري سبحانه ، لأنه يفيد النفس بما يستفيده^٥ من الباري جل اسمه ، والباري يفيد العقل ، ويفيض عليه من وجوده الذاتي ، فجود العقل على النفس مكتسب من باريه سبحانه ، وجود باريه عليه من ذاته ، بلا اكتساب ، ولا احتياج إلى أحد ، سبحانه لا شريك له . وهذه الأصول الكبار التي تفرعت منها الأصول الصغار ، وقد ذكرنا جميع ذلك

.....
١ فصل : سقطت في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

٤ بما في هوية : بماية في ص .

٥ يستفيده : يفيد في ص .

في هذه الرسالة الموسومة بالحدود ، وهي علم جليل ، فأدم^١ النظر فيها ،
والتصفح لها ، تنتفع به ، إن شاء الله تعالى .

فصل

اعلم ، يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الناموس أمر إلهي ،
إذ كان هو الدين الداعي إلى توحيد الله ، الدال على معرفته ، وهو الأمر
الذي به قامت السموات ، والأرض وما بينهما ، ولأجله خلق العالم الناطق ،
وهو الصراط النوراني المستقيم^٢ ، الموضوع لخلاص الأنفس اللطيفة ، من
دركات الهاوية ، وجهنم الثاوية ، التي هي عالم الكون والفساد . واعلم يا
أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أنا إذا قلنا الكون والفساد ، فلنما نشير
به إلى معنيين ، أحدهما كون النفس مع الجسد وقتاً ما ، فيقال لذلك الاجتماع
كون ، والفساد مفارقة النفس إياه ، وتخليها منه ، وبعدها عنه ، وبذلك يكون
فساده ، وهو النشوء والبلى أيضاً ، والنشوء والبلى ، يعمان كل ما نشأ ونما ،
ثم يضمحل ويبلى ، من الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، وكل ما ارتفع
فوق [٣٠٨] الأرض ، ثم انخفض ، وكل ما زاد ونقص ، ووجد وعدم ،
ومثل ذلك يكون ، في الحقيقة ، نشوءاً وبلى ، وكوناً وفساداً ، ووجوداً
وعدماً وروحاً وجسداً . فأما معرفة كون ذلك بالحقيقة ، وفساده ، فتتقسم
قسمين ، أحدهما كون النفس الزكية الطاهرة ، المضيفة ، حية بالعلم ،
موجودة . وحقيقة وجودها معرفتها بربها ، وعبادتها لخالقها ، وفساد ما
سوى ذلك عندها من المذاهب السخيفة ، والأعمال القبيحة ، فهي بصفاء

١ فأدم : قاده في ب .

٢ المستقيم : سقطت في ص .

جواهرها ، وشدة إشراق نورها تفسد الاعتقادات الرديئة ، على معتقديها ، وتوقع الشكوك في نفوسهم فيها ، وبفساد ذلك عندهم ، يصيرون إلى حد النشوء الثاني ، كما أن الجنة إذا فسدت صورتها التي هي بها تكون في باطن الأرض ، وتعفت بالنداوات المائية ، والرطوبات الطبيعية ، فيكون ذلك سبباً لإنشاء صورة النخلة^١ والشجرة ، وهي بخلاف ما كانت به ، وكذلك النشوء [٣٠٩] يجري مجرى هذا ، فهو هو في المعنى ، ومثل ذلك الوجود والعدم ، وبالناموس يكون نشوء الأديان ، ووجود المذاهب ، فما كان منها مأخوذاً عن رئيس الدين وصاحب الشرع^٢ ، ومن بعده ، من الثقات الصادقين عنه ، فإن نشوء ذلك وكونه يبقى بلا فساد ، ويمتد مع الزمان إلى أن يكون منه نشوء ثانٍ ، ويكون الثاني في الأول بالقوة ، ككون صورة الشجرة ، في حبة الثمرة ، كائنة بالقوة . ولما كان الناموس أمراً إلهياً وجب أن يكون الحامل له الأشخاص الناطقة بقوة النفس المؤيدة ، بخيرات العقل ، [وكان الناموس ، أمراً يختص بالقوى النفسانية ، المنبعثة من النفس الكلية]^٣ وكان العقل المرتب لها مراتب الرؤساء ، ومنازلهم ، ليكون ظهور تلك المراتب عن النفس ، على النظام الموجود في العقل ، كما رتبها بارئها فيه ، وأمدّها به ، وهي القوة المختصة بالكمال ، والتمام ، بريئة من النقصان ، والاستحالة ، [٣١٠] والتغير ، والبطلان ، وبمعرفة بارئه حق معرفته ، بما أطلعه عليه ، وجعله فيه ، وصار وجهه الذي قال فيه : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾^٤ وهو الحافظ على سائر أشخاص نوع الإنسان كمال الأديان ، والعبادات ،

١ النخلة : المنحلة في ب .

٢ الشرع : الشر في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٤ سورة ٥٥ : ٢٧ .

والمان عليهم ب بروز الصور النورانية : والقوى السارية في العالم ، لصلاحه ،
وكماله ، إذا اتحد بمحدوده ، وقام بذاته في موجوده . ذاتاً محاطة محيطية ،
فالأفلاك العالية بيوتها ، والأشباح النورانية مقاماته ، والأشخاص الناطقة
آلاته ، وجزئياته ، السارية في جميعها ، بالنوع الذي يجوز لمثله السريان ،
لا يفرق بين الذات وبينه ، ولا يمايز بينهما ، إلا من جهة قيامه به ، وإلا
فليس هو غيره ، وهو نعت^١ العوالم الثلاثة : فالأول هو وما بدا عنه ، والمكون
عن الثاني بالحركة المنبعثة منه ، عالم العقل ، وعالم النفس ، وعالم الطبيعة ،
فالأول كاملة أنواره ، ومستقر قراره ، منفي عنه ما هو موجود في النفس ،
والقول عليها ، [٣١١] إنها صاعدة ونازلة ، وذات طرفين ، وثلاثة أسماء ،
وليس الأول كذلك ، فإنما هو واحد بالذات ، غير موجود بالصفات التي
بها تتميز الموجودات في الأماكن المختلفة ، والتركيبات المؤتلفة ، وهو ذو
القوة الواحدة ، ذات التمام ، والكمال ، لا تباين فيه ، ولا اختلاف ،
كاختلاف ما يبدو عن النفس ، ويظهر بالحس ، ويكون موجوداً باللمس ،
ولا يتصل إلا بما قرب منه بالقبول عنه ، وهي القوة الناطقة ، الراجعة إليه
بالرغبة ، وقبول الفيض ، والقوى الباقية بعيدة عنه ، لا صلة بينه وبينها .
متزه عن الاتحاد بها ، والدنو إليها ، والنزول عليها ، إلا بالإحاطة بجميعها ،
وتحريك القوى المعدة لها بالصلاح ، لترقيتها إليه ، وتقديم بها عليه ، إذا بلغت
إلى الحد الذي يترأى لها صورة البلاغ عند الصفاء ، وزوال الكدر ، وتوسط
القوة الصافية ، التي هي كالمرآة ، المتوسطة بين الشخص^٢ يترأى [٣١٢] له
فيها من خياله ، وصورته ومثاله ، فبقدر صفاء جوهره وجوهرها ، يكون

١ نعت : بعينه في ص .

٢ الشخص : سقطت في ب .

وصوله إليها ، وإطلاعه عليها ، ووقوفه^١ عندها ، وقربه منها . ولما كانت المرأة النقية الصافية ، إذا توسطت بين الشخص ومثاله ، أدت إليه صورته على الحقيقة ، وعرفته به حق معرفته ، إذا صح البصر ، وصدق النظر ، [والأول بريئاً من الوصف ، بمثل ذلك ، إذ كان صورة الكمال والتمام ، ولذلك يشار إلى ذاته باسم الفعل الصادر عنه ، وهو العقل العاقل^٢ لسائر الموجودات المعقولات ، إذ فعله ذاته وأنيته صفاته ، من قبل أن الشيء إذا كان في غاية البساطة ونهاية التجريد ، والشياعة لا تركيب فيه بوجه من الوجوه ، فليس فعله غيره ، ولا يوجد فيه خلاء .

فصل^٣

ولا يتراءى كالمرآة ، بل فعله ذاته ، وأنيته صفاته ، ولا فرق بينهما إلا من جهة التمييز النطقي ، والتعبير اللفظي ، [٣١٣] وعن هذه القوة تظهر حقيقة الوجود ، [وهي سبب كون الوجود]^٤ ومنها وعنهما بدأت القوة [تظهر حقيقة الوجود]^٥ الثانية بالأمر الأول ، ويشار إليها أيضاً باسم الفعل الصادر عنها ، الذي تجدد الأجساد به أفضل صورها ، وأجل أحوالها ، وهو التنفس والحياة . فهذه القوة شائعة في موجودات العالم ، إلا أنها في السموات العالية ، والأفلاك السامية وعالم العلويين والملائكة المقربين ، الحافين من حول العرش ، أظهر وأصفى ، وأبين وأدنى ، لأنها أحاطت بجميع

١ ووقوفه : ووقوعه في ص .

٢ العاقل : الفاعل في ص .

٣ فصل : سقطت في ص .

٤ وهي سبب كون الوجود : سقطت في ص .

٥ تظهر حقيقة الوجود : سقطت في ص .

أشخاصها ، فتناهت فيها ، ثم استقرت فيها ، وعمتها ، واستوعبتها ،
بحيث لا ينحل منها شيء ، ولا ينسل جزء من ذاتها ، عنه ، إلا بالاتحاد
ومجاورة الأجساد ، حافة بعرش ربها ، لا يسأمون عن عبادته ، ولا يملون
طاعته ، وهو العالم الظاهر ، ذو الطبيعة الواحدة ، الذي لا تضاد فيه ، ولا
أمر بعاديه ، ولا ضد ينافيه ، ولا فساد [٣١٤] يدخل عليه ، ولا فناء يصل إليه ،
مؤيد بمعرفة باريه ، متمسك بحبال التأييد الملكوتية ، مشرق بالأنوار الجبروتية
مسكنهم حظيرة القدس ، وروضة النفس ، في ظل العرش ، لا يستفرغ
بعضهم ما عند بعض ، ولا يتبدل عندهم ما يلقي إليهم ، ويفاض عليهم ،
فهم أصحاب الوحي ، والتأييد ، النازلين بالخيرات إلى عالم الأرض ، وتتحد
بعالم الوضع ، فتختلط بكثافة التركيب ونظام التأليف ، وتقرن بعالم الأجساد ،
فتفرق في الأجساد ، المختلفة الإنسانية ، والصور الناطقة البشرية ، فيأخذ
كل واحد منهم بقدر وسعه ، ثم تبدو عنه مخلوطة بهواه ، كتزول الماء من
السماء ، واختلاطه بنبات الأرض ، وما يبدو عن كل نبات من حبه وثمره ،
بحسب قوته من طبيعته ، ولذلك يصير الماء ، إذا نزل من السماء ، إلى النقاد ،
فيحتاج إلى أن يخلف بدله ، ويجدد مثله ، كذلك القوى النازلة بالوحي من
السماء إلى الأنبياء ، الساكنين في محل البلاء ، إذا اتحدت [٣١٥] بعالم الشقاء ، اختلطت
بشبهات الظالمين ، وتخيلات المبطلين ، فيبعد^١ تصور الوحي^١ بحقيقته على المبتدئين ،
فيحتاج إلى تجديده كرة أخرى ، ونزول ثان ، ليميز^٢ الله الحبيث من الطيب ،
وإذا قبلت الذوات خاص فعلها ، وتصورت نجاحي صورها ، وانطبقت
بالحياة والنفس ، وتصورت فيها صور موجوداتها ، بحقائق هيولاتها القائمة

١ الوحي : سقطت في ب .

٢ ليميز : ليهز في ب .

بها وفيها ، البادية عنها ومنها ، لما كانت لها كالأداة^١ ، وصارت بدئية من الاختلاف المؤدي إلى التضاد والفساد ، ومعراة من الهيولى ، تشخصت بأشخاص فلكية ، وصارت لها رتب سماوية ، واتحدت بها قوى روحانية ، جارية إليها من النفس الكلية ، مؤيدة بتأييدات عقلية ، وإفاضات إلهية ، وقف كل واحد منها في مكانه اللائق به ، وهي من القرب من الدرجة العالية على قدر منازلها [٣١٦] المعلومة ، وحفظوها المقسومة ، وعلى قدر موضع أسمائها المكتوبة في اللوح المحفوظ ، منها ما هو في السطر الأول ، ومنها ما هو في السطر الثاني ، والثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع ، ونهايتها السابع ، والأسماء الموضوعة في السطر الأول هي حروف الأسماء التي في السطر السابع^٢ ، توجد بالفعل ، لا بالذات ، وتلقى عليها الأسماء ، وتشاركها في الإشارة ، بالعبارة المنطقية ، والقوة الوهمية ، ما دامت في عالم النطق بآلات الأجسام ، إلى أن تعود إلى ما منه بدأت ، وعنه صدرت ، ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^٣ من عالم التدبير الأرضي ، ويثبت في عالم التقدير السماوي ، وعنده أم الكتاب ، في كل يوم هو في شأن . يرفع ، ويضع ، ويورد ، ويصدر ، وكل له عابدون ، وآخر الأسماء المثبتة في آخر السطر السابع المثبت في اللوح هو النهاية ، والأول هو البداية ، والكل مجموع في لوح الجلالة ، اللائحة فيه أوامر [٣١٧] المشيئة الإلهية ، ولا يقرؤها أحد ممن دون الملائكة الموكلة بقراءتها ، ولا يقفون عليها ، إلا بما علمهم الله سبحانه منها ، وهي الأسماء العظام ، التي تلقاها آدم ، وتوصل بها ، وكانت الوسيلة بينه وبين الله في التوبة عليه . وهذه السبعة المسطورة حاوية لجميع الحلقة ، وبحسب

١ كالأداة : كأدوات في ب .

٢ السابع : الرابع في ب .

٣ سورة ١٣ : ٢٩ .

أماكنها في سطورها ، يكون بدؤها وظهورها ، والباري ، جل اسمه ،
يمحو ما يشاء منها ، ويثبت ، كل من عنده ، لا معقب لحكمه ، ولا راد
لقضائه . فما زالت أحكامه ، وتعطلت معلوماته ، وبادت موجوداته ،
فقد محاه الله عز وجل ، وما تجدد فقد أثبت له الخلق ، والأمر ، تعالى الله
[عما يقول الظالمون علواً كبيراً]^١ .

فصل

والقوة الثالثة يشار إليها أيضاً باسم الفعل الصادر عنها ، لأنها أيضاً من البسائط
وهي الطبيعة . كعليل بمعنى معلول ، وفعيلة بمعنى مفعولة ، طبعت فانطبعت ،
[٣١٨] ورتبت فترتبت ، وقابلت فقبلت ، وجعلت قوالب مهياة لما يصاغ بها ،
ويقلب عليها ، ويساق إليها ، وبها يكون التجلي ، والبروز ، والظهور ، والتحيز ،
والإثارة بالوجود ، وكل أداة من الأدوات المسخرة ، للطبيعة ، وهي الأمهات ،
مهما انحل منها شيء من المواد استخلفته ، واسترجعته بالصورة مادة أخرى
من الأغذية . فلذلك صار هذا العالم عالم النشوء والبلى ، ولأن قوة النفس في
هذا العالم ، دون قوتها في العالم العلوي ، لا بمعنى يرجع إلى ذات النفس ،
بل بقصور في المواد الطبيعية ، والقوة الأرضية [وتخلفها عن القبول ، فلم
تكن مستيقظة فلذلك اقترن بها البلاء والفساد ، والفناء ، والنفاد ، فعند ذلك
ينحفي أمر النفس ويظهر أمر الطبيعة]^٢ وكذلك بغلبة أهل الباطل ينحفي أهل
الحق ، وينحفي الأمر ، ويوضع دور السر ، والكون والفساد موجودان في
الأسطقسات ، [٣١٩] ومقرونان بالجزئيات ، ويتعذر كون مثلهما في الأمهات ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

والبسائط الكليات ، والطبيعة مبدأ الحركات التأليفية ، والاضطرابات التركيبية ، وكذلك ما يبدو في دور السر من مثل هذه الحركة ، وبها يقترن الزوال .
والتغير ، والانتقال ، من حال إلى حال ، بالتمام موجود في البسائط الكليات ، وهو السكون عند البلاغ ، كذلك يكون السكون بعد نحو آثار الحركة الطبيعية ، ولذلك قيل لكل أمر مدى ، ولكل نشوء بلى ، ولكل كون فساد ، ولكل نفس معاد ، ولكل عقل انفراد ، ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾^١ ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾^٢ .

وأما الصورة المجردة من المواد ، البريئة من الفساد ، الواردة بالانقياد ، فليست إلا الصورة العقلية ، وهي الصورة المحضة على الحقيقة ، مثل الملا الأعلى ، وهي ذات الأسماء المكتوبة في السطر الأول ، والباري أوجدها بما كتبه في لوحه ، وسطره [٣٢٠] بقلمه ، بقوله : [كن فكان] وهو سبحانه المتفرد باستيفاء هذه الصورة ، ثم بواسطتها تبقى الصورة اللاحقة بها ، أعني عالم الأفلاك ، وسكان السماوات ، ثم بواسطة الصورة العلوية ، تبقى صور الجواهر السفلية ، وبمواد هذه الأجرام العالية ، يكون انبعاث موجودات أشخاص مواليد الطبيعة ، بحيث تحتفظ^٣ بموادها تحت تلك المواد المحتفظة بها ، فعند ذلك تصير محلاً لقوام الأعراض الطارئة عليها ، لأنه بالأعراض تصير الصورة ظاهرة الشاعر لحواسنا ، وبهذا الطريق تصير حاصلة لنا ، والصورة هي الحافظة للمواد ، إذ كل ما انحل واستفرغ منها ، استخلف^٤ واستمد بدلها ، فالمواد تتبدل ، والصورة واحدة ، كذلك الأوامر والنواهي في الشرائع

١ سورة ٢ : ٢١٠ .

٢ سورة ٢٣ : ١٤ .

٣ تحتفظ : تستحفظ في ب .

٤ استخلف : سقطت في ب .

تتغير ، وصورة الدين واحدة كما قال جل اسمه : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ [٣٢١] أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ^١ .

فصورة الدين معهم واحدة ، والأوامر والنواهي مختلفة ، وصورة الدين بسيطة سارية ، وما يتركب من الأوامر والنواهي مختلفة تتبدل وتتغير ، بمعنى الكون والفساد ، ولذلك جاز أن يكون في الموجودات صورة مجردة من المواد فلا يلحقها البلى والفساد ، كالضوء الساطع من الشمس وغيرها .

وأما وجود المادة بلا صورة فممتنع ، وكيف يكون موجود بلا صورة .

وسبب وجوده صورته ، وبها يصير الشيء هو ما هو ، والجواهر على الحقيقة ، هي الصور دون المواد ، لأن الأفعال عنها تصدر ، وكذلك أن الصور المتوسطة ، بغيرها عن المادة اختصت بالتمام ، ولا يتطرق إليها النقص ، ولا ^٢ يتوهم فيه النقصان ، بل ذاتها فعلها ، وفعلها ذاتها ، فلذلك لا توجد مواد أمر الدين بتزول الوحي ، إلا بصورة الناطق ، المتوسط بين [٣٢٢] الأمر والمأمورين ، بما يكون به صلاحهم ، إذا قباوا منه ، وتلقوا ذلك عنه . وبحسب قبولهم ، تكون البركات والخيرات العامة لهم . وما كان من الخلاف ^٣ الواقع بينهم ، المؤدي لهم إلى البوار والهلاك ، فغير منسوب إلى القوة المؤيد بها الصورة الفاضلة ، وإنما وردت للصلاح لا للفساد . وإنما سبب ذلك اختلاف القابلين ، وما هم مجبولون عليه ، من الأمور المتضادة المعادية بعضها لبعض ، ووصول الهلاك إليهم ، وأذية بعضهم لبعض ، كوصول الفساد إلى الأجسام ، والصورة الفاضلة المؤدية للأمر ، عن الباري ، إلى العالم الجسماني ، بوجه جسماني

١ سورة ٤٢ : ١٣ .

٢ ولا : وما لم في ب .

٣ الخلاف : الخلف في ب .

ويتلقى الأمر بوجه روحاني ، بحيث لا يلحظ إلا على العقل ، وهو كمالها ، وبه يكون ما يصدر عنها ويظهر في العالم منها . إذ ليس هو أمراً آخر غيره ، فحيث وجهه فعله ، وتمت^١ ذاته بالنوع ، الذي جاز أن [٣٢٣] تضاف إليه تلك الألفاظ ، والشيء الذي لا يكون قط إلا كاملاً ، أو فعله أبداً في ذاته ، من غير أن يستعين بشيء خارج عنه ، فبلا شك فعله ذاته ، وذاته خالصة له ، وإنما يصعب تصور هذه الأمور ، وإن كانت البراهين موجبة لها . لأن الإنسان في القالب الوهمي قد [استمرت على ذلك عادته ، وتوجهت نحوه فكرته ، في ملاحظة]^٢ الأمور الحسية الطبيعية ، ذات المواد المستخلقة بها ، مثل ما ينحل^٣ من الأجساد بالبلى والفساد . والأمور في النفوس من حيث وقعت عليها الأسماء بتوسط الخيالات المتصورة في النفوس ، والأمور التعليمية ، التي هي المقادير ، والأعلام ، والأبعاد ، المختصة بالنسب والإفاضات . وأما الأمور الإلهية ، فإن ملاحظتها لن تكون إلا مجردة ، بانفرادها على التحقيق ، كلية ، عامة لسائر ما تحته من الخواص ، والجزئيات ، ولا يلاحظ من يعرف [٣٢٤] ذلك منها ، إلا هي ، ولا يسمع إلا منها ، ولا يأخذ إلا عنها ، فلذلك قيل فيها : إن فعلها ذاتها ، وذاتها فعلها ، وهذا يدل على أنه لا يتأتى للإنسان معرفة ذلك ، إلا بعد رياضة كثيرة ، وتهذيب نظره بالتخريج والتدريج ، فإذا نال الأمور العقلية ، عامة كلية ، كما قلنا ، فتكون في غابة التمام والكمال ، ولذلك قيل إن الأمور الإلهية غير متناولة بالألفاظ المنطقية ، والأشخاص المراتبية ، والمقادير الجسمانية ، والمواد الطبيعية ، والأوقات الزمانية ، والجواهر الحاملة للأعراض ، الحاصلة الظاهرة للناظرين بطريق

١ وتمت : وثم في ب .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ ما ينحل : ما تنحل في ص .

الحواس ، والأشخاص الجزئية ، الحاصلة تحت الكون والفساد ، وأما الصورة العقلية فهي قائمة بوجودها ، لا بطريق الكون ، المتوسط بالزمان والمكان ، والمقدار ، والانحصار ، كالأثار المرتسمة^١ في النفوس ، المدركة بطريق الحواس ، الظاهرة في الأجسام ، بطريق [٣٢٥] الألوان ، والأصباغ ، بل مجردة كما بيناه ، لأن الصور من حيث هي صور لا لون لها ولا عيان بالصبغ ، بل بالخاص^٢ مجردة على ما هي به عند العارفين بها ، فيتحقق وجودها ، كما هي ، من غير أن يقع فيها سهو ، ولا زلل . لأن فعلها حاصل معها ، لا يتميز عنها . فذاتها هو ، وهو ذاته ، لا كما يقع في الصور الحسية ، والأشخاص الطبيعية ، التي تلاحظ فيها أمور غير ذاتها . ولذلك نسبت إليها الحركة المؤدية لها إلى التمام والفعل ، ولو تأملت يا أخي ما قلناه ، لوجدته ظاهراً في الأمور البسيطة ، وحين تراه أيضاً في العقول^٣ الجزئية ، كيف هو بين في فعلها ، وأطوالها ، وأعراضها ، في تصاريف الزمان ، واستحالة الأركان ، وفنون الكائنات من الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والجملادات ، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر ، كل هذه ، صور كائنات ، دالات على مبادئ لطيفة دينية ، وأسرار [٣٢٦] دقيقة ، علمية ، وحكمية . يرى الناس ظاهرها مكشوفاً ولا يعرفون معانيها ، ولا الأسرار المضمنة فيها ، من لطيف حكمة الباري جل جلاله ، وآياته ، ومعجزاته ، وتفصيل بيناته التي تولى إثباتها في لوحه وحده ، ولا يقدر عليها غيره ، أوجدتها بكلمته على أكمل النظام ، وأتم التمام ، ثم أبقاها ، وكان جريانها مستمراً على الدوام ، ما أراد

١ المرتسمة : المتسمة في ب .

٢ بالخاص : تلاحظ في ص .

٣ العقول : الصور في ص .

٤ تولى : سقطت في ص .

أن يدوم، ممداً له ما شاء أن يقوم ﴿١﴾ إن تلكُ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴿٢﴾
في مجراها ومرساها ، حتى تصل إلى أقصى متنهاها ، أوجبها الكمال ،
واقترضها ، والنوع المطلوب من بين هذه الأنواع الظاهرة المكشوفة هي أسرار
الكتب العلمية المصونة المخزونة التي كتبها الله بيده ، وسطرها بخطه ، التي من
تأملها بعين الحقيقة ، أيقن أنها من عند الله . لا يقدر على مثلها سواه ، ولا يأتي
بمثلها إلا هو ، ولا يقرؤها إلا الصديقون ، ولا [٣٢٧] يحسها إلا المطهرون ،
والموفقون ، المؤيدون ، المتخلون عن الدنيا ، المحبورون بسعادة العقبى .
وهي الآيات التي أثبتتها الله في العالمين ، الصغير والكبير ، وجعل أحدهما
مختصراً من الآخر ، وجمع في الصغير ما جعله ^٢ في الكبير ، ليكون الناطق
الذي يدلنا عليه ، ووكّل أمور عالمه إليه . فمن تلا ^٣ آيات الله المثبتة في هذين
العالمين ، وما أحاط به مما أثبت في الجهتين ، فلا يزال يسمع كلام الله
حتى لا يرى غير الله . ولا يسمع إلا منه ، ولا يأخذ إلا عنه ، مما هو
مكتوب ﴿٤﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ .
كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿٥﴾ وهي جواهر النفوس وأجناسها ، وأنواعها ، وأشخاصها ،
وكلياتها ، وجزئياتها ، وتصريفها للأجسام بحيث مرادها ، ووضعها ، إياها
في مواضعها ، وتديرها بحكمها عليها ، وإظهار أفعالها بها ، ومنها ، حالاً
بعد حال على ممر الزمان ، وأوقات القرانات ، والأكوار ، [٣٢٨] والأدوار ،
وتعاقب الليل والنهار ، وانحطاط بعضها إلى قعر بعض الأجسام ، وارتفاع

١ سورة ٣١ : ١٦ .

٢ جعله : خطه في ص .

٣ تلا : قال في ب .

٤ سورة ٨٠ : ١٣ - ١٦ .

بعضها تارة من ظلمات الأجسام ، وبقيامها ، وانبعاثها في الإنسان ، وانتباهها من نوم الغفلة والنسيان ، ورقدة الجهالة والطفيان ، ونجاتها من غرور الشيطان ، وخروجها من سلطان فرعون وهامان ، وخلاصها من جهنم ، والنيران ، وجوازها على الصراط ، ودخولها فسحة الجنان ، والتمتع بالروح والريحان ، والظفر بالفوز والرضوان ، ومرافقة الحور الحسن والولدان ، ومجاورة الرحمن ، ذي الجلال والإكرام ، وحطها من الدرجات العالية ، والمراتب السامية ، وحبسها في دركات^١ الهاوية ، وجهنم الثاوية ، ومقارنة الأجسام البالية ، والأجساد الخاوية ، وأطباق التراب ، ولع السراب ، وأمثال الكلاب ، وشرب بئس الشراب ، [وسوء العذاب ، ومنازل الفجار : ومرافقة الأشرار]^٢ ومكثها في البرزخ إلى يوم البعث والنشور ، وتحصيل ما في الصدور ، والانحياز عن المصاف^٣ ، [٣٢٩] والوقوف في الأطواف ، ومناداة أصحاب الأعراف ، كما قال الله عز وجل : ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^٤ وقال : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^٥ وقال جل ثناؤه : ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾^٦ .
واعلم يا أخي ، بأن هذا الفصل الموضوع^٧ بين الرسائل الناموسية ،

١ دركات : درجات في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ المصاف : المصائب في ص .

٤ سورة ٥٥ : ٤١ .

٥ سورة ٢٣ : ١٠٠ .

٦ سورة ٧ : ٤٦ .

٧ الموضوع : سقطت في ص .

في هذه الرسالة ، قد ألقينا إليك فيه ، من المعارف أمور الكليات ، فإن كنت تحسن قراءتها ، والنظر إلى آياتها ، فقد وفقت لدرك الحقائق من الأمور الإلهيات ، وأنت بتوفيق الله ، تقف على ما نختم به هذه الرسالة ، من ذكر شرح ما ضمنناه في الرسائل الإلهية ، الدينية ، الناموسية ، الشرعية ، إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وبه المستعان وعليه التوكل .

فصل

[بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين]^١ في التتميم ، الأولي من الرسائل الناموسية الإلهية ، رسالة الأراء ، [٣٣٠] والمذاهب ، والديانات ، الشرعية الناموسية والفلسفية الحكمية .

والمقصود إليه فيها ، والمطلوب منها بيان اختلاف العلماء في أقاويلهم ، وما أدى إليه اجتهداهم من البحث ، والنظر والكشف عن الأصول والحقائق ، بموضحات الطرائق وإقامة الأدلة ، والبراهين على صحة أمور الدين ، وكمية مبادئ الاعتقادات ، وأعداد المقالات ، واختراق العبادات ، واختلاف الموضوعات ، واتفاق المعاني في العبادة ، والعود بالأوامر والنواهي إلى الطاعة ، واتباع الفاضل ، وقصد الكامل ، ومعرفة الأسباب والعلل ، والخطأ والزلل ، والحق من الباطل ، والمفضل من الفاضل ، وحاجة الناقص إلى الكامل ، وما من العلم فائت ، وما فيه حاصل ، وما يصلح للجميع ، وما يصلح للخاص ، والغرض من هذه الرسالة كلها هو البيان بأن المذاهب والديانات كلها وضعت كأدوية والشرابات المزيلة لما يعترى النفوس من الشبهات ، كما بذلك يزول ما يعرض للأجسام من [٣٣١] الآفات والعلل المهلكات ،

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

وأن أصحاب الشرائع وواضعي النواميس بأمر الله أطباء النفوس ، وأن
أرواح النطقاء والأنبياء ملكوتية ، نزلت من عالم السموات ، ومحل الأفلاك ،
لخلاص النفوس الجزئية من بحر الهيولى ، وأسر الطبيعة ، وقيد الإلف والعادة ،
تعريفهم^١ بطريق الآخرة ، ليسلكوا فيها إذا انتبهوا من نوم الغفلة ورقدة
الجهالة ، والعمى والضلالة ، وكيفية النجاة في المعاد والخلاص من عالم الكون
والفساد ، والراحة من الهبوط ، والاتحاد بعالم النشوء والبلى ، والآلام والأسقام ،
والراحة^٢ من محل الهوان ، والوصول إلى الجنان والفردوس من عالم الأفلاك ،
وسعة السموات . وأن أكثر هذه الديانات قد انتحلها قوم ذهب بهم أوهامهم
إلى وضعها في غير مواضعها . فقد انحرفوا عن طريق الرشاد ، وانحازوا عن
الوقوف على حقيقة أمر المعاد ، واستولى عليهم الميل ، [٣٣٢] والعصبية ،
والحمية الجاهلية ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۚ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفَتِيدَةِ ۚ إِنَّهَا
عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۚ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ ﴾^٣ فضلوا وأضلوا ضلالاً بعيداً .

فصل^٤

في معرفة سبيل النجاة : واعلم يا أخي أبديك الله وإيانا بروح منه ، أن سبيل
النجاة موجودة ، لا تكاد تخفى على من تأملها ، منصفاً لنفسه ، حائداً بها
عن الهوى والعصبية ، متبعاً آثار العقل ، القائد له إلى معالي الدرجات ، وذخائر
الخيرات ، وكوامل السعادات . واعلم يا أخي أبديك الله وإيانا بروح منه ،

١ تعريفهم : معرفتهم في ب .

٢ والراحة : والانصراف في ص .

٣ سورة ١٠٤ : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .

٤ فصل : سقطت في ب .

أن الوصول إلى النجاة هو موجود باقتصاد النفس في الأشياء الموضوعة لها من أمور الديانات ، بوزن ما في وسعها ، بمقدار طاقتها ، وبلوغ استطاعتها . قال الله سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^١ فمن عرف هذه الرتبة من الدين وجعل لها من نفسه بمقدار ما استطاعه من الأعمال التي يصلح لها ويليق بها ، وجعل ما سوى ذلك من أمر نفسه وقواها ، منبثة^٢ فيما يصلح [٣٣٣] له من أمور الدنيا ، فهذا على سبيل النجاة . ومن بذل وسعه وجهده في ترك أمور الدنيا ، ولذاتها ، وأقبل على الآخرة بقوته كلها ، فهو من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^٣ [فالقسم الأول تابع للقسم الثاني والطائفة الأولى معتقدة ، والثانية سابقة في الخيرات مجاهدة لأعداء الله عز وجل ، والطائفة الثالثة هي المتخلفة عن مثل ذلك]^٤ فهم الظالمون لأنفسهم . تركهم استعماها ، فيما يرضي الله ، ويوصل إلى جنته ودار كرامته .

فصل

واعلم ، يا أخي ، أن سبيل الضلال كذلك أن يكون قوم مقتصدين في الحمية والعصبية والتمسك بالضلال ، فهم في الشبهة واقعون ، مرة يقعدون بها ، ومرة هم بها قائمون ، وفوقهم طائفة أخرى يجاهدون في معصية

١ سورة ٢ : ٢٨٦ .

٢ منبثة : مستعملة في ص .

٣ سورة ٢٩ : ٦٩ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص وأورد في مكانها : ومن أقبل على الدنيا ، واغتر بزخارفها ، واطرح أمر الآخرة ، ولها عن التزود والاستعداد ، وضع أيام عمره في الأمان ، وقضى الأوطار العاجلة .

الله سبحانه لأهل طاعته ، وهم الأبالسة والشياطين ، وقوم آخرون لهم تابعون .
فهذه يا [٣٣٤] أخي معرفة سبيل النجاة ، وسبيل الهلاك ، قد ألقيناها إليك
بالوجيز من القول ، والمختصر من الكلام .

فصل

في معرفة طريق الحق :

الحق جهة واحدة ، يسلك إليه من طريق قاصده ، تؤدي إلى أحسن العاقبة ،
وجميل الفائدة ، وهو اتباع ما جاء به صاحب الناموس من الأمر والنهي ،
والعمل بظاهره ، والتصديق بباطنه ، والتسليم لأمره ، والرضى بما قسمه ،
كما أوصى الله عباده المؤمنين بقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^١ واتباع من خلفه النبي فيهم ، وأولي الأمر
منهم ، ما استقامت بهم طريقة الحق ، وبدا منهم قول الصدق ، وترك العصبية ،
والميل والمحبة لقوم آخرين ، لم يجعل لهم في الدين من نصيب ، آخذين ما
ليس لهم بحق .

فصل

في معرفة طريق الباطل :

والباطل هو خلاف الحق ، ووجوده يكون بالعكس مما وصفناه ،
وهو مخالفة الرسول ، وترك ما جاء به ، والعدول عنه إلى ما سواه ، وارتكاب
[٣٣٥] محارمه ، وتبديل كتاب الله ونبذه ، كما قال الله عز وجل : ﴿ يُحَرِّفُونَ

الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴿١﴾ الآية . ويحرمون ما أحل الله ، ويتعصبون لمن لم يؤمروا بالعصية له ، ويجاهدون معه ، كل ذلك محبة للدنيا وقنيتها . فهذا طريق الباطل وحزبه ، فاعرف يا أخي هذا السبيل والطريق ، وتوقها تكفها ، إن شاء الله تعالى .

فصل

في معرفة أقسام الدين :

اعلم [يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه] ^٢ أن الدين ينقسم ثلاثة أقسام ، كل قسم منها يصلح لطائفة من الناس ، الطالبين للهداية . القسم الأول يصلح للخواص من الناس ، والثاني للمتوسطين [الطالبين للهداية] ^٣ والثالث للنسوان والصبيان ، يتربون ويساسون عليه ، فالقسم الأول المخصوص به خواص الناس العلم والعمل ، بعد التصديق بالرسول ، والأئمة ، وولاية أولياء الأمر من بعدهم . والقسم الثاني ، المختص بالمتوسطين من الناس ، فالعمل بظاهر [٣٣٦] الشريعة ، والإقرار بعلم باطنها ، وأنه الحق ، وترك التكذيب والإنكار له أو لشيء منه . والقسم الثالث الذي يصلح للنساء والصبيان واللاحقين بهم في العقول من الرجال ، التصديق بالرسول وما جاء به ، والعمل من ذلك بقدر ما في وسعهم ، وما هو أصلح لهم وذكر النار وعذابها ، والتخويف من الفساد والظلم ، وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة . ولكل قسم من هذه الأقسام آداب تصلح لها ، وعلوم تختص بها وأنت بتوفيق الله قد وقفت عليها ، ووصلت إليها .

١ سورة ٤ : ٤٦ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ الطالبين للهداية : سقطت في ص .

فصل

الثانية رسالة في ماهية الطريق إلى الله عز وجل ، وكيفية قراءة كتابه الذي كتبه بيده في عالميه الكبير والصغير ، وتدبر آياته في الآفاق والأنفس من التنبيه عليه والوصول إليه .

وكان الغرض المقصود إليه في وضع هذه الرسالة هو الحث للنفوس على إصلاح أخلاقها ، وتنزيهها من عاداتها الرديئة وأعمالها المردية ، وانتباهها من [٣٣٧] نوم الغفلة ، وموت جهالتها ، وتنبيه النفوس الساهية ، والأرواح اللاهية ، على ما يكون بعد الموت ، من أهوال المعاد والمنقلب ، إما إلى نعيم وإما إلى عذاب مقيم ، وكيفية وصول الأعمال إلى النفوس بعد مفارقتها الأجساد ، وكيف تكون مرتبة بها ، ومجازاة عليها ، وما الحشر والنشر ، والعرض على جهنم ، والورود إليها ، والتطلع فيها ، وحقائق معانيها ، وكشف أسرارها .

فصل

اعلم يا أخي [أبدك الله وإيانا بروح منه] ^١ أن حقيقة الطريق إلى الله هي معرفة الطريق التي الأدلاء عليها أولياء الله . والمطايا السارية بالنفوس إلى باريها ، حتى تصل بها إليه ، وتقدم بها عليه ، هي الأعمال الصالحة ، والأخلاق الحميدة ، والمذاهب الصحيحة . والرفقاء في هذه الطريقة الأنبياء ، والمرسلون ، والأئمة المهديون ، والمؤمنون العارفون .
واعلم يا أخي أن سر هذه الطريقة لا [٣٣٨] يسلكها إلا من خف ظهره

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

من أوزاره، وحسنت أعماله من بر سعيه، فعند ذلك يتهيأ له السلوك في هذه الطريقة التي لا يضل من سلكها، ولا يهلك من قصدها . وأما من ثقل ظهره من أوزاره وأوزار من كان يضل به غير علم، فإنه لا يمكنه السلوك في هذه الطريقة، ولا يصل إليها ، ولا يعرف الأدلاء الذين فيها ؛ لأنه لا تنهياً له معرفتهم ، ولا الكون معهم ، إذ ليس هو منهم ، ولا داخل في جملتهم . فعند ذلك ينقطع من رحمة الله ، ويخسر آخرته ودنياه ، فيحرص عند ذلك على البقاء في الدنيا ، يتمنى الخلود فيها ، ويرضى بها ، ويطمئن إليها ، وييأس من الآخرة، وينسى أمر المعاد ، كما ذكر الله فقال : ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا فِيهَا ﴾^١ وقال : ﴿ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾^٢ فإذا جاءت سكرة الموت التي هي مفارقة النفس^٣ الجسد ، وترك استعمال الجسم ، وفارقته [٣٣٩] على كره منه ، بقيت عند ذلك فارغة ، فراجعت إلى ذاتها لتنهض بها إلى عالمها ، فلا يمكنها النهوض من ثقل أوزارها ، من أعمالها السيئة ، وعاداتها الرديئة ، فعند ذلك يتبين لها أنها قد فاتتها اللذات المحسوسات، التي كانت تنالها بتوسط الآلات ، ولم تحصل لها اللذات المعقولات التي في عالمها ، فعند ذلك توقن بخسارة الدنيا والآخرة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾^٤ .

١ سورة ١٠ : ٧ .

٢ سورة ٦٠ : ١٣ .

٣ النفس : سقطت في ص .

٤ سورة ٣٩ : ١٥ .

فصل

واعلم [يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه]^١ أن أقرب الطرق إلى الله تعالى ، التي تؤدي إلى رضوان الله ، ويقصد سالكها إلى غفرانه ، هو اتباع الأدلة العارفين بطريق الآخرة ، واقتفاء آثارهم ، والسعي فيما أمروا بالسعي فيه ، والاقتداء بهم بعد تصفية نفوسهم .

واعلم يا أخي أنه متى عدم راكب الطريق التي يجوزها ثلاثة أشياء : الدليل ، والزاد ، والراحلة . [فالطريق إلى الله هو ما شرعه لعباده من شرعه ومنهاجه . والراحلة]^٢ عمله الصالح ، وعلمه الحقيقي هو زاده ، [٣٤٠] به يغذي نفسه الزكية ، وروحه الطاهرة الرضية ، ودليله مؤدبه ومعلمه العلوم الحقيقية ، ورائضه الرياضة الدينية . فهذه يا أخي معرفة الطريق إلى الله تعالى وما يستعد به المرء للقاءه والقدوم به عليه فهو الدليل الواضح ، والعمل الصالح .

والعلم والمعرفة^٣ هما الزاد وقوت النفس ، وبلوغها لذاتها ، ووصولها إلى أمنيتها ، من جنة الله ، ودار كرامته ، ورحمته ، وفقك الله أيها الأخ ، للسلوك في الطريق القاصدة بك إلى ربك ، مع أوليائه وأصفياؤه من الأنبياء ، والمرسلين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾^٤ .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ فالطريق إلى الله ما شرعه لعباده من شرعه ومنهاجه . والراحلة : سقطت في ب .

٣ والمعرفة : سقطت في ب .

٤ سورة ٤ : ٦٩ .

فصل

الثالثة : رسالة اعتقاد إخوان الصفا وخلان الوفا ، وصدق الخلة وتمام المودة ، وخالص المحبة ، وهذا هو مذهب الربانيين الإلهيين الذين محبتهم في الله سبحانه ، خالصة ، لا يشوبها كدر إخوانا على سرر متقابلين .

وكان الغرض المقصود إليه من هذه الرسالة القول على بقاء النفس بعد [٣٤١] مفارقتها جسدها ، الذي يسمى الموت ، وكشف الشبهة الحائلة بين النفوس وبين الوقوف على هذا السر وحقيقة هذا الأمر ، واجتماع الأنبياء ، والمرسلين ، والأئمة المهديين ، والمؤمنين ، والفلاسفة الإلهيين ، والعلماء الأقدمين ، على هذا الرأي ، وتصديق هذا القول اليقين ، وأنهم لم يجتمعوا إلا على الحق الصادق الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرِيلٌ ﴾ ^١ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^٢ .

فصل

قد ذكرنا في أول هذه الرسالة الموسومة برسالة اعتقاد إخوان الصفا ، حال الرجل الحكيم الصادق ، والطبيب الحاذق ، صاحب الدواء النافع ، وما عمله بأهل المدينة ، حتى شفاهم من علتهم ، وأزال عنهم ما كان لحقهم من مصيبتهم ، وما كان من أمره معهم ، حتى عمتهم بركته ، وشملتهم نعمته ، وعمتهم ^٣ دعوته ، وبيان [٣٤٢] ذلك وتأويله ، هو ما ذكرناه

١ سورة ٤١ : ٤٢ .

٢ سورة ٢٦ : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

٣ وعمتهم : واكتفتهم في ص .

وقدمناه فيما وصفناه مثل من ورد من عالم السموات ، ومحل الأفلاك من النفوس الطاهرة ، والأرواح الزكية ، لخلاص النفوس الساهية ، والأرواح اللاهية ، الغريقة في بحر الهوى وقيد الطبيعة ، وأسر العادة^١ . والدواء الذي كان معه هو العلم الطاهر ، المؤدي إلى المحل الفاخر ، وكذلك الأئمة من بعد الأنبياء هم أطباء النفوس ، ومدادو الأرواح ، والطالبون لها النجاة من النيران ، والخلاص من عظيم الهوان. ولذلك قال الرسول الصادق، النبي الناطق : العلم علمان ، علم الأبدان ، وعلم الأديان . ولذلك أخبر الله سبحانه في كتابه ، [وبين لرسوله في خطابه]^٢ عن المسيح عيسى بن مريم أنه كان يحبي الموتى بإذن الله ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه ، فيكون طيراً بإذن الله [يعني يؤيده]^٣ ويرسله إلى حيث أحب ، [٣٤٣] بالتذكرة إليه ، والدلالة عليه ، كما أرسل سليمان الهدهد بكتابه ، لمن فهم خطابه ، وما كان من جوابه . واعلم يا أخي أن الأطباء إذا اجتمعت آراؤهم ، واتفقت علومهم على دواء العليل ، وسلكوا به في أقرب الطرق إلى سلامته ، والخروج من علته ، انتفع بدوائهم ، كذلك لما اتفقت آراء الأنبياء والمرسلين ، والأئمة المهديين ، على صلاح العالم بالدين ، والقول اليقين ، استقام أمر العالم ، وجرى عليه جميل العادة ، مستمراً على السلامة العميمة ، والطريقة المستقيمة . وإذا نصح الطبيب العليل وعرفه داءه ، وعلمه ما يستعمل من دوائه ، فقد بلغه الأمانة ، فلا ينسب إلى خيانة فيما علمه من أمره ، وعلمه من دوائه . وعرفه بشفائه ، فإذا لم يقبل العليل من الطبيب ما أمره به ، وعاد إلى ما نهاه عنه ، فأكله ، وحلل ما

١ العادة : الشهوة في ص .

٢ وبين لرسوله في خطابه : سقطت في ص .

٣ يعني يؤيده : سقطت في ص .

حرم عليه ، ولم يتناول ما رسمه له ، ومات : فلا عدوان على الطبيب ،
كذلك لم تقبل [٣٤٤] الأمم من الأنبياء التذكرة ، والموعظة ، وهلكوا ،
فلا لوم على الرسول ، إذا بلغ الرسالة . وأقام الدلالة ، ونصح الأمة ،
كما قال : ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِين ﴾^١ .

فصل

وقد أمرناك أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، وحشناك
في رسالة اعتقاد إخوان الصفا ، وقدمنا فيها إليك بأن تنهض ، وتبادر ،
وتركب معنا في سفينة النجاة ، التي بناها أبونا نوح^٢ فتنجو من نيران طوفان
الطبيعة ، قبل أن تأتي السماء بدخان مبين ، وتسلم من أمواج بحر الهيولى ،
ولا تكون من المغرقين . أو لعلك بأن ترفع رأسك إلى السماء ، فتعاين الملكوت
الأعلى ، وتشاهده ، وترى ، كما رأى أبونا إبراهيم ، لما جن عليه الليل ،
حتى تكون من المؤمنين . أو لعلك تجيء إلى الميعاد ، وتأتي إلى الميقات ،
عن الجانب الأيمن ، فيلقى إليك الأمر ، وتكون من الشاهدين ، أو لعلك
أن تصبغ فيما عمد القوم به ، [٣٤٥] فتنفخ فيك روح الحياة ، فيذهب عنك
النوم . أو لعلك أن تبقى إلى وقت قدوم الأيشوع عن ميمنة عرش الرب ،
وتراه وقد قرب مثواه ، فيا طوبى لعين تراه ، وهو ابن الأب المكرم ،
والسيد الأعظم ، وترى من حول العرش من الحافلين . أو لعلك تخرج من ظلمة
الزمهرير ، وحرارة وهج نيران الأثير . حتى تحصل في فسحة البردين^٣

١ سورة ٢٤ : ٥٤ .

٢ نوح : آدم في ص .

٣ البردين : اليزدان في ب .

ذات الروح والريحان ، وترى أنوار أهل الطاعة ، وقد أشرقت وتلاّأت . أو لعلك أن تدخل إلى الهياكل العامرة : وتعين الأفلاك الدائرة ، والكواكب السائرة . والأملاك القادرة : والأنوار الباهرة ، فتراها بعين الحقيقة وتصفها بصحة المعرفة كما عاينها هرمس الهرامسة ، ووصفها لتلاميذه ، لما رقي إليها ، واطلع بما وفقه الله من العلم المصون عليها ، وتدخل مدينة إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، مسورة [٣٤٦] بسبعة أسوار ، ولا يفتح بابها إلا بالسابع المنتظر ، البرقليط الأكبر . وأيقظناك ونبهناك وأمرناك لئلا ترقد ليلة القدر ، حتى تعين انشقاق القمر ، في وقت طلوع الفجر ، فعند ذلك ترى أحمد المبعوث ، في المقام المحمود ، ومن حوله من الحدود ، فعنده تسأل حاجتك فتقضى ، وتدعو بدعوتك فتجاب لا ممنوع ولا مدفوع ، وتكون من المقربين . وكل هذه الأمور يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، إشارات علمية ، وحقائق دينية ، وبيانات ، وعلامات لما يكون من أمر الآخرة ، وحال النشأة الثانية ، والقيام بالأمر الجديد ، فأحيا الله قلبك بنور اليقين ، حتى تشاهد هذه الأمور ، وتقف على هذه الأسرار ، [ولا تفرع من موت الجسد ، إذ كانت فيه حياة النفس]^١ فتكون من أولياء الله ، الذين يتمنون الموت ، أعانك الله وإيانا وجميع إخواننا ، على نيل ذلك بمنه ورحمته .

فصل

الرابعة : رسالة في ماهية الإيمان [٣٤٧] وخصال المؤمنين المتحققين ، ذوي البصائر الناظرين في الآيات المكتوبة ، والدلالات المنصوبة ، في الآفاق والأنفس .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

والغرض المقصود إليه فيها ، والمطلوب منها ، هو معرفة الإيمان بالحقيقة وهو الرضى ، والتسليم بقول المخبرين الصادقين عن الله ، كما قال سبحانه : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾^١ الآية . وما الجلالة الروحانية ، والرتبة السماوية ، والدرجة الإيمانية ، وما الإلهام ، وما الوحي ، وما الوسوسة ، وما التوفيق ، وما الخذلان ، والكفر والطغيان ، والهداية والإيمان . وقد قدمنا شرح هذه المعاني [كلها بجملتها]^٢ فيما شرحناه من غيرها ، إذ كانت المعاني متفقة بالإشارات . وحقيقة الإيمان الرضى ، والتسليم ، والتصديق ، واليقين . والمؤمنون هم أتباع المرسلين ، ورفقاء عباد الله الصالحين ، وأوليائه المكرمين ، [٣٤٨] والعهود والمواثيق المأخوذة عليهم ، وهي الأمر لهم بالوفاء والصفاء من دنس الشرك ، والذنب^٣ ، والشبهة ، وتجنب الحياة ، وأداء الأمانة ، ولزوم الطاعة ، والبعد عن المعصية ، وقول الحق ، ولزوم الصدق ، ومعرفة الله حق معرفته ، وطاعته ، وعبادته ، والتقرب إليه بما يرضيه من الأعمال الزكية ، والأخلاق الرضية ، والآراء الحميدة ، والاعتقادات الجيدة . فهذه صفة الإيمان والمؤمنين ، وخصالهم المعروفة ، وأعمالهم الموصوفة ، فاعرفها واعمل بها ، تكن منهم ، إن شاء الله تعالى .

١ سورة ٢ : ٢٨٥ .

٢ كلها بجملتها : سقطت في ص .

٣ الذنب : السريب في ب .

فصل

الخامسة : في ماهية الناموس الإلهي ، والدين الوضعي ، والمذهب الشرعي ،
وشرائط النبوة ، وكية خصالهم ، ومذاهب الربانيين .
والغرض المقصود إليه منها ، والمراد من الاطلاع عليها ، هو الوقوف بالحقيقة
على معاني إشارات الكتب النبوية ، والتزييلات السماوية ، وكيفية أوضاعهم
الناموسية ، وأوامرهم ، [٣٤٩] ونواهيهم ، واختلاف ذلك في شرائعهم ،
بحسب اختلاف لغات الأمم المبعوثين إليهم ، كما قال الله عز اسمه : ﴿ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^١ . وبالتهدي
إلى معرفة حقائق العبادات تخلص عبادة الله المحضة لله عز وجل ، ممن عبده
بها حق عبادته ، وتوجه إلى سبيل طاعته .

فصل

واعلم [يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه]^٢ أن الأشخاص الآتية بالأمر
والنهي إلى العالم ، من لدن آدم إلى سادسهم صلى الله عليهم أجمعين ، وهو
خاتمهم ، إنما جاؤوا ليقيموا في العالم صورة دينية تتصور في نفوس القابلين
لها ، إذا تأملوها واعتبروها ، وكانوا بمنزلة الجسد الذي تم صورة أعضائه ،
في بطن أمه ، قبل بروزه إلى دار الدنيا ، ويستنشق روح الحياة ، وبظهوره
يكون خروجه من الضيق إلى السعة ، ولذلك صار المولود إذا ولد لسبعة أشهر
عاش في السابع ، ولتسعة أشهر ، ويموت [٣٥٠] بين الحدين ، وربما جاوز

١ سورة ١٤ : ٤ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

الشهر السابع إلى التاسع . وربما جاوز التاسع إلى العاشر بحسب الأوقات : وما يتولى تلك النطفة من تدابير الأفلاك العالية . والكواكب السامية .

فصل

وكان آدم أول ما بدا من الصورة الدينية المركبة من الأمر والنهي ، تركيب هيولاه الموضوع له في نفوس العالم الناطق وأجسادهم . وكان أول ناطق نطق بأمر الله ووحيه ، وكان أبا البشر وأصله . ولذلك شملهم اسمه ، وامتد فيهم ذكره ، بالنسبة إليه ، والدلالة عليه ، وكان بمرتلة السلالة من طين ، كما قال إبليس اللعين : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾^١ ، وكان نوح ، صلعم . كمثل النطفة التي هي في قرار مكين ، متمكنة ، في أصلها ، ثابتة في فرعها ، قائمة بصورتها ، في القوة النبوية ، وهي القوة التي تناسلت منها الذرية الطاهرة من عقب نوح : ممن شملتهم دعوته ، وحملهم معه [٣٥١] في سفينته . فهم أولاده المخلوقون من تلك النطفة ، المستقرة فيه ، وهو المتمكن فيها ، الأمين عليها ، ومن بعده ، من ذريته المخلوقين منها . وهي معهم وفيهم ، تزيد وتنمو إلى إبراهيم ، وكان مثل العلقة لتعلقه بأمور الأصلين ، وما تعلق به من الفرعين الكائنين منه ، وهما إسماعيل وإسحاق ، عليهما السلام ، [وتفرد به منهما في رفع القواعد لإسماعيل]^٢ فقال جل اسمه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾^٣ وجرى الأمر في البيتين الطاهرين ، النيرين ، بيت النبوة ، والحكمة . وبيت الإمامة^٤

١ سورة ٣٨ : ٧٦ .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سورة ٢ : ١٢٧ .

٤ الإمامة : الأمانة في ص .

والرحمة . ومقر النعمة . التي أنعم الله سبحانه بها على إبراهيم ، وفضله على العالمين . بالمقدر له من الشرف العظيم ، والمقام الكريم .

فصل

ثم كان موسى ، فكان مثله مثل الحاملة للجنين ، لأنه الواسطة بين الطرفين كتوسط بطن الحامل للجنين بين القوة والفعل . فكون الجنين نطفة في [٣٥٢] ظهر أبيه وجوداً بالقوة ، وكونه في رحم الأم كوناً يؤدي إلى الفعل ، وظهوره عند الولادة ، أول الفعل . كذلك موسى حامل لأمر من تقدمه من الأنبياء الثلاثة بالقوة ، ومشير إلى كون من يأتي بعده من الثلاثة المستقبلية بالفعل ، ولذلك نسب تأييده إلى كلام الله ، وجاء في توراته ذكر من تقدمه ، ومن يأتي بعده ، ومن دعوته ظهر المسيح ، وعلى شريعته تكلم ، وهو في المهد الذي كلم الناس فيه ، وهو صبي لم يبلغ الحلم . فالثلاثة المتقدمة بمرتبة الكون بالقوة عند الذكر ، وهو الأول ، والثلاثة الآتية بعد موسى ، بمرتبة ظهور المولود ، بالفعل المقدر له ، وشريعة موسى مثلها كمثل الأم المربية للولد ، وهي أول كتاب ثبت فيه الأحكام ، وفيه حرم الحرام ، وحكم به النبيون ، وجاء فيه ذكر ما كان وما يكون ، وكان من أمره مشدود بأمر الله وكلامه [٣٥٣] والذين من قبله بروحي الله وإلهامه ، ما خلا موسى^١ فانه كلیم الله، وصفیه. وكذلك اصطفى الله موسى لنفسه ، كما خلق آدم بيده . وأسجد له ملائكته ، وكذلك يكون صاحب النهاية ، مثل صاحب البداية ، إلا أنه بريء من الزلة ، والخطيئة والنسيان . يؤيده الله بكلامه ، [وتسجد له ملائكته ، ويرفع درجته على

١ موسى : آدم في ب .

درجة من تقدمه ، ويملكه الأرض كلها ^١ ويستخلفه في أرضه ، كما استخلف آدم ، ويورثه الجنة ولزوجته ، وهي حجته ، المستخرجة منه ، كاستخراج حواء من آدم ، ويظهر نسله المبارك ، ويكثر أولاده ، ويخصب زرعه ، ويفتح الدور باسمه ، ويمتد في العالم ذكره ، وتقوم به القيامة الآتية ، وتكون منه النشأة الثانية ^٢ ، ثم كان المسيح عيسى ، كالمضغة ، بمعنى مضغة شرائع من تقدمه ، واعتصاره لبابها ، حتى صار غذاء له ، ومن اتبعه ، ممن استجاب إليه من آل إسرائيل ، وأقاموا [٣٥٤] على ما جاءهم به من الحق ، وكانت دعوته كدعوة آدم ، مستقرة حقائقها ، بضرب الأمثال ، والأمر بصالح الأعمال ، وكان ضعيف الجسم ، إذ المضغة هي أضعف ما يكون الجنين في حالها ، وأنه حتى حل بالحامل حال يؤلمها ، انفسدت المضغة ، وسقط الجنين ، ولا يبلغ الكمال . ولذلك قال الله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^٣ ثم كونه بمشيئته ، وتممه بقدرته ، بعد أن هم أعداؤه من اليهود الملاحين ، أن يفسدوا صورته ، ويسقطوا مضغته ، فلم يتم لهم ذلك ، وأكمل الله شريعته ، وتمم دعوته بمن استجاب إليه من حواريينه ، إلى أن جاء الرسول السادس محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان بمنزلة العظام ، وذلك لشدة فيما جاء به ، وقوته كقوة العظام ، وذلك لما هو مستجن في باطنها من المخ الذي به الحياة ، والقوة المكنة في بدن الإنسان . ولذلك قال الله [٣٥٥] سبحانه له لما حاجه من الكفار من دفع

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ جاء في النسخة ص ما يلي زيادة في النص : وبعد في الصالحين ذكره ، ويرفع في محل الروحانيين قدره ، ويكون أصلا للشرف الشامخ ، وذروة للملك الباذخ ، فالحق الله ، يا أخي ، بآدم السعيد في قرآنه المجيد .

٣ سورة ٣ : ٥٩ .

مترلته فقال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۚ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ ﴾^١ يعني بظهور أسرارها وبيان إشاراتها ، وإيضاح معانيها . وما هو مكن فيها ، عند كون النشأة الثانية ، في وقت الكرة الآتية ، يكشفه المهدي المنتظر ، والبرقليط الأكبر . ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ۖ ﴾^٢ بمن أعقبه من بعده من لحمته من طينته الذين هم أولاده في الحقيقة ، وهم لحمه ودمه ، ولا يزال أمره كذلك ، إلى وقت النشأة الأخرى بقيام السابع ، الذي به تم الصورة الدينية ، وينشأ فيها روح الحياة ، وينتقل العالم بها من دار الدنيا إلى دار الآخرة ، كخروج المولود إذا لحظته الشمس ، وسرت فيه قوة النفس ، وأكسبته روح الحياة ، من الرحم إلى دار الدنيا ، وكخروج المؤمن العارف من دار الدنيا إلى دار الآخرة [٣٥٦] بالموت ، ونشأته نشأة ثانية ، وهي الصورة الملكية ، صورة التمام والكمال ، الداخلة بها إلى الجنة ، والنشأة الثانية هي أمر السابع ، وهو الخلق الآخر ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۖ ﴾^٣ .

فصل

واعلم [يا أخي أيذك الله وإيانا بروح منه]^٤ أن المولود لا يتهيأ له الخروج من الرحم في الشهر السادس ، إلا بالسقوط ميتاً لا حياة فيه ، ويعيش إذا خرج في الشهر السابع ، ولا يعيش إذا خرج في الشهر الثامن ، ويعيش في حد التاسع ، وتحت هذه الحال سر عظيم ، ومعنى دقيق ، وفقك الله للوقوف

١ سورة ٣٦ : ٧٨ ، ٧٩ .

٢ سورة ٢٣ : ١٤ .

٣ سورة ٢٣ : ١٤ .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

عليه ، والوصول إليه ، ونحن نذكره لك بالتلويح القريب من التصريح ،
لئلا يخرج عن الحد الذي ضمنناه ، والوعد الذي شرطناه بتمام القول في
هذه [٣٥٧] الرسالة .

فصل

واعلم [يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه]^١ أن الله عز وجل لم يقدر
للسادس من رسله ، أن يكون له من عقبه ولد ذكر لصلبه ، يرث مقامه ،
وينوب في الأمة من بعده منابه ، ولم يكن له ولد يخلفه من بعده ، ومات
أولاده في حياته ، فسقطوا عن مرتبته ، وترقى إلى أمره بالموت الطبيعي ،
وكانت المنزلة مقدرة لمن قدرها الله سبحانه من أولاده في الدين الطاهر ، وهو
أول المسارعين في أولاده ودعوته ، وكانت له ابنة بقيت من بعده ، فيما جاء
من الخبر ، أربعين يوماً [حزينة باكية ، فلما كان بعد أربعين يوماً]^٢
انتقلت إلى ما أعده الله لها من الكرامة والمنزلة ، ولحقت بأبيها . كذلك السابع
قدر له أن يكون له ولد ، لكنه لا يبلغ منزلته ، ولا يرتقي إلى درجته ، وهو
ثامن ، فيكون المولود فيه ساقطاً عن مرتبة البلاغ ، كذلك ما دامت أيام
الشهر الثامن ، حتى يكون السابع في [٣٥٨] مكان التاسع ، فيكون الوضع ،
وتمام الحلقة ، وكون النشأة الثانية ، فتبين يا أخي هذا الأمر ، وقف على
حقيقة هذا السر . [وفقك الله وإيانا وجميع إخواننا بمنه وكرمه]^٣ .

١ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٢ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

٣ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

واعلم يا أخي أنه لما كانت الحركات من الأمهات لظهور العالم الناطق المكلف عبادة الله سبحانه وطاعته ، وكانت حركة الذكر والأنثى ليكون من بينهما صورة مثلهما ، كذلك كانت حركة الأنبياء والمرسلين ، لظهور النشأة الآخرة ، وظهور دين الله عز وجل بضيائه^١ ، ويجمع العالم عليه ، ويكون لله وحده لا شريك له ، خالصاً لوجهه ، سبحانه وتعالى ذكره ، عما يقول الظالمون علواً كبيراً . وهو الغرض في مجيء أصحاب الشرائع والنواميس ، وهذا الفصل هو المراد من هذه الرسالة الموضوعية في ذلك ، الموسومة برسالة الناموس ، وهذه جملة على معنى القول فيها .

فصل

السادسة : رسالة كيفية الدعوة إلى الله [٣٥٩] .
وصفاء الأخوة والوفاء ، ومحض المودة والصفاء ، وكيف يجب أن تكون الدعوة ، وحال من يدعو إليها ، وينادي إلى إقامتها والاستجابة إليها ، والاطلاع عليها ، وطبقات الداعين ، والمدعوين ، والتابعين ، والمتبوعين . ونريد أن نكشف لك عما ألقيناه إليك في هذه الرسالة مجملًا ، ونفصله هاهنا لتعرفه ، وتقف عليه ، إن شاء الله تعالى .

١ بضيائه : الذي يرضاه في ص .

فصل

قد قلنا لك في الرسالة ، رسالة كيفية الدعوة : إن لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ، ولا يطلع على حقائقها سوانا ، ولا يعلمها الناس إلا من قبلنا ، ولا يتعلم قراءتها إلا من علمناه ، ولا يعرف صور حروفها إلا من عرفناه ، وهي صورة الموجزات بما هي عليه الآن ظاهرة للحواس : مرئية للناس ، وهي آيات بينات ، هم عنها معرضون ، منها حركات الأفلاك الدائرات ، والكواكب السائرات^١ ، وأركان الأمهات ، وفنون أشكال النبات ، وعجائب [٣٦٠] هياكل الحيوانات . ولنا علم آخر لا يشاركنا فيه غيرنا ، ولا يفهمه سوانا ، وهو معرفة جواهر النشوس ، ومراتب انتقالاتها ، واستيلاء بعضها على بعض ، وسريان قوتها وتأثيرات أفعالها ، في الأجرام العالية السماوية والأجساد السفلية الأرضية ، والأركان ، والأمهات ، والحيوان ، والنبات ، وعالم الإنسانية ، أعني الأشخاص البشرية ، وما يوجد منهم من الطبقات ، وتباينهم في الدرجات من الأنبياء ، والحكماء ، وأتباعهم ، وغيرهم ممن دونهم ، حتى ينتهي إلى آخر طبقات الناس . وقد أقمنا لكل طبقة من طبقات طوائف الأمة ، الذين عمتهم دعوة الأنبياء ، قوماً يدعوهم إلينا ، ويدلونهم علينا ، ويعرفونهم بقدومنا ، ويعدونهم بظهور أمرنا ، وخروج مهدينا ، وقيام قائمنا^٢ ، وطلوع شمسنا ، وخروجنا من كهفنا ، فإذا كان ذلك كذلك ، فيجب لنا أن نبتدئ ونأخذ في بناء المدينة ، التي تضم شملنا ، [٣٦١] ونجمع جملتنا ، ونتخذها دارنا ، ونجعل فيها قرارنا ، ومن استجاب إلينا ، وطرا

١ السائرات : السيارات في ص .

٢ قائمنا : قيامتنا في ص .

بأمرنا علينا . وقد وصفناها لك ، وعرفناك كيفية بنائها ، ولكن نكشف لك ، ها هنا ، عن حقيقة ذلك ، لتعلمه مبيناً ، إن شاء الله تعالى .

فصل

ذكرنا أنا نبي مدينة روحانية ، فاضلة ، شريفة ، ويكون بناء هذه المدينة ، في مملكة صاحب التاموس الأكبر ، الذي يملك النفوس والأجساد ، وهو أمر السابع ، ويكون بناؤها لقرب حاله ، وبدو وقته ، لأنه هو المالك للنفوس ، في وقت مملكة السادس ، والسادس مالك الأجساد قبل مجيء السابع . وإذا جاء السابع ، ملك النفوس والأجساد ، لأن من ملك النفوس ، فقد ملك الأجساد ، ومن ملك الأجساد . فلا يملك النفوس ، إذ النفوس تحيا بها الأجساد ، وبمفارقتها يكون موتها . ويكون أهل هذه المدينة اختياراً ، فضلاء عارفين بأمور الأنفس ، وجواهرها ، وحالاتها ، [٣٦٢] وما يتبع ذلك من أمور الأجسام ، وأحوالها ، وما يكون به صلاحها ، وبقاؤها على الحالة الصالحة لها . وأن يكون لأهل هذه المدينة ، سنن كريمة ، يتعاملون بها فيما بينهم . ونريد أن لا يكون بناء هذه المدينة في الأرض ، لأن لا تزول إذا بدلت الأرض ، ولا على وجه البحر ، لئلا تصل إليها أمواجه ، وزفراته ، وملوحة أجاجه ، واضطرابه ، وتحوله ، وانقلابه ، وبخاراته ، ووهج حرارته . ولا يكون بناؤها معلقاً في الهواء ، بحيث لا ينالها دخان أهل الأرض ، وما يتصاعد من أحوالهم القبيحة ، وأفعالهم الرديئة السيئة . وينبغي أن تكون مرتفعة عالية ، بحيث لا تنالها الأبصار ، لتكون مشرفة على سائر المدن في دائم الأوقات . وينبغي^١ أن يكون أساس هذه المدينة على تقوى من الله ، وعلى الصدق في

١ وينبغي : سقطت في ص .

الأقاويل ، وتقويم أركانها على الوفاء ، والصفاء ، والصحة ، واليقين ، [٣٦٣] كما تدوم ، وتنصب دعائمها على أربع قواعد هي أسها : معرفة العقل وما يحيط به . والنفس وما تضمنته . والطبيعة وما أيدها . والهيولى وما تصور فيها . ويكون أهلها يحسنون قراءة الكتاب المبين ، الذي ﴿ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾^١ . ويكون كمالها ونهايتها هما الغاية القصوى ، وبلوغ النهاية العليا ، ومعرفة البقاء الدائم ، والنعيم الأبدي الخالد ، والنجاة من أليم^٢ العذاب ، وسوء المنقلب .

فصل

وقد ذكرنا ما المركب الذي نبنيه ، إذا فرغنا من بناء المدينة ، ليكون الوصول إليها فيه ، وهو سفينة النجاة ، لتكون السفينة سارية بأهلها إلى المدينة حد الطمأنينة . وهو المركب السائر بالأرواح ، من محل الأجساد ، إلى محل الأنفس ، عالم النور ، وموضع السرور ، والحبور ، فتكون المدينة روضة تسبح [٣٦٤] فيها الأرواح ، وتروح إليها ، كما يروح الطير إلى وكره ، وتنتقل منها إلى الملكوت ، فتكون عند ذلك حية لا تموت ، ونريد أن يكون أهل المدينة على أربع مراتب : المرتبة الأولى ذوو الصنائع العملية ، والعلمية ، والمرتبة الثانية الرؤساء ذوو السياسة ، والمرتبة الثالثة الملوك ، والمرتبة الرابعة الإلهية ذات المشيئة والإرادة .

١ سورة ١٨ : ٤٩ .

٢ اليم : سقطت في ص .

فصل

وأما أصحاب الصنائع العلمية ، وهي المتقنة المحكمة ، وأصحابها هم أهل التعليم ، والنقش ، ونقش الصور في الهيولى . ويكون بعثهم قومهم فيما يعملونه من صورهم ، ويمثلونه من أمورهم ، في من يدعونهم إليه ويريدونهم اسكنى مدينتهم ، كسريان الضوء في الهواء ، وكسريان القوة النامية في الأركان الأربعة ، وهي الماء ، والنار ، والأرض ، والهواء ، لبروز الصورة ، وكون الحلقة ، وكما يتكون الجنين في بطن أمه .

فصل

ويكون سريان قوة الرؤساء ذوي السياسة الدينية ، فيمن يلونهم من أصحاب السياسات الدنياوية ، [٣٦٥] كسريان الألوان في الضياء ، وكسريان القوة الحيوانية ، التي فوق أمر النامية . ويكون نفاذ أمر الملوك ، الذين هم بمنزلة الملائكة أصحاب التأييد ، فيمن يلونهم من ملوك الدنيا أصحاب السلطان ، كسريان القوة الناطقة في القوة الحيوانية ، الإنسانية ، وكسريان القوة الناطقة في إدراك الألوان .

فصل

ويكون سريان القوة الإلهية ، التي هي نهاية أهل المدينة ، والجلالة الروحانية واللطافة النفسانية ، ورأس الطبقة العالية ، المتحدة بها الإرادة والمشية ، في الملوك أصحاب التيجان ، والتأييد الفلكي ، كسريان العقل في العقول ، وكسريان القوة الملكية في القوة الناطقة .

فهذه جملة طبقات المدينة ، ومن يدعونهم إليها ، ويدلونهم عليها . جعلك الله من أهلها وممن استجاب إليها ، ودل عليها ، وإيانا ، وجميع إخواننا بمنه وكرمه .

فصل

واعلم يا أخي أن المراد من هذه الرسالة ، هو الاطلاع ، والبيان بأن دولة أهل الخير [٣٦٦] يبتدىء أولها من قوم أخيار ، فضلاء ، أبرار ، رحماء ، يتدبرون أسرار الحلقة ، وينظرون في آيات الآفاق ، والأنفس ، ويجمعون ويتفكرون على رأي واحد ، ومذهب واحد ، وسيرة عادلة ، وسنة فاضلة ، من غير تحاذل ، ولا تقاعد في نجاتهم ، ونجاة غيرهم ، ييسر الله ذلك بمشيئته وقدرته .

فصل

السابعة : رسالة أفعال الروحانيين ، من الملائكة المقربين ، ومن تبعهم من اللاحقين من النفسانيين ، والقوى السارية في الجسمانيين ، وما يكون منها ، ويبدو عنها ، والشياطين ، ومن تبعهم من العفاريت الملعونين ، وغيرهم من جنود إبليس اللعين ، ومن تبعهم من الغاوين .

فصل

والغرض المطلوب من هذه الرسالة هو معرفة الروحانيين الفاعلين ، والبيان بأنهم غير مرئيين ، كما يرى الجسمانيون ، ولا يتضابق بهم المكان ، ولا يحويهم الزمان ، ولا يتخلصون بمشاعر الحواس ، ومدارك العيان ، وأن ذواتهم بحيث أفعالهم ، وصورهم [٣٦٧] معروفة بآثارهم .

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن هذه المنازل التي ذكرناها ، وأهلها الذين هم أربابها وأصحابها ، هي سبع منازل ، يبدو منها في العالم سبع قوى ، بها يكون ظهور الأشياء كلها من العدم إلى الوجود . وهي مخفية لا يطلع عليها ، ولا يعرف كيفيتها إلا باريها ، وخالقها ، وهي الروحانيات السبع . وبهم يكون النشوء والبلى والحياة ، والممات والمعاد والمنقلب ، ولكل واحد أعوان وجنود ، لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه ، وهم ملائكة الله جل اسمه ، وهم سبعة رؤساء الملائكة ، وملوك الأفلاك ، في كل فلك ملك منهم موكل بهم ، ومعهم أعوان طائعون لله سبحانه ، لا يعصون الله ما أمرهم به ، ويفعلون ما يؤمرون به ، وهم أصحاب الرحمة ، وعلى أيديهم ينزل الوحي والتأييد ، حتى يتصل بأمثالهم في الجلالة من العالم الجسماني ، والخلق البشري ، وهم الرؤساء أصحاب التأييد ، الذين يلقي [٣٦٨] إليهم ، فيصبرون به مؤيدين ، قادرين على إظهار الآيات والمعجزات ، وتأليف الكتب المحكمات ، واستخراج السرائر والثاويلات ، وأفعالهم لطيفة ، وأجسامهم كثيفة ، وظلومهم روحانية ، وقواهم نفسانية ، وتأبيداتهم عقلية ، وعباداتهم إلهية ربانية . فهم عباد مربوبون ، يتصل بعضهم ببعض ، كحبل ممدود ، طرفه بيد الله عز وجل ، وطرفه الآخر بيد من تمسك به ، وتعلق بعروته ، واستجاب إليه ، وقدر عليه ، بتوفيق الله ، ورحمته ، وبركته ، ونعمته .

فصل

الثامنة : رسالة كيفية السياسات ، وأنواعها ، وكمياتها ، وكيفياتها ، ومراتب الموسسين ، وصفات المدبرين لما في العالم .
والغرض المطلوب منها هو البيان بأن مدبر العالم ، وسائس الكل ، الحكيم الأول ، البارئ المقصود ، جل جلاله ، وتعالى ذكره ، وتبارك اسمه ، وأنه من كان أحسن سياسة ، وأوفرهم علماً ، وأغزرهم فهماً ، وأذكى نفساً ، وأثبت حكمة ، وأسرع فطنة ، [٣٦٩] وأحسن تدبيراً لنفسه ، وسياسة لأهله ، وأعدل سيرة ، وأحسن عشرة ، وأنصف معاملة ، وأعدل حكومة : كان عند الله أعظم منزلة ، ولديه أقرب زلفة .

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن من كان بقدرة الله أبصر ، وبحكمة الله أعرف ، ولآياته أقرأ ، كان بسياسة خلقه أعلم . ومن كان بها أعلم ، فسياسته أحسن وأعدل . ومن كان كذلك ، فهو إليه أقرب ، ولديه أوجه .

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن من قام في العالم بأمر الله ، ونهيه ، ومراده من عباده ، وبلغهم رسالاته ، وصدق عنه في مقالاته ، فهو وجهه ، ولسانه ، ويده وجنبه ، في عالمه الأرضي ، وخلقه البشري ، إذ

كان هو المؤيد له بذلك ، من قوته ومشيبته ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ ١ 》 .

فصل

ومن كان لهذا الشخص مصداقاً ، ولقوله محققاً ، ولأمره متبعاً ، [٣٧٠] وعن نهيه مرتفعاً ، ولأمره خاضعاً ، ولديه واقعاً ، كان بالقرب منه أولى ، ولموضع حكمته أهلاً . فهو لا شك ، يرث مقامه من بعده ، ويتقلد أمانته وعهده ، في تبليغ رسالته ، وموعظته ، وإقامة دعوته ، وتكميل شريعته ، بمجاهدة أعدائها ، وإظهار تأويلها ، والقيام بما تحتاج إليه الأمة فيها ، مما تكون به حياتها ، ونجاتها ، وسلامتها .

فصل

ومن خالف أمر هذا الشخص ، وتكبر عليه ، وطلبه بالمكر ، والخديعة ، والرياء ، والنفاق ، والعصيان ، وإظهار المحبة له ، في ظاهر ما يبديه ، وإضمار خلافها ، فيما يخفيه ، كما قال عز وجل : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۚ ٢ 》， فلا شك أن هؤلاء هم الذين يريدون إطفاء نور الله ﴿ وَاللَّهُ مُمِّنُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۚ ٣ 》 . فهم جنود إبليس ، وخيله ، ورجله ، وإبليس كل من أخذ غير حقه واستكبر على رئيس زمانه ووقته ، [٣٧١] وخالف

١ سورة ٨ : ١٧ .

٢ سورة ٢ : ١٤ .

٣ سورة ٦١ : ٨ .

أمره ، كمخالفة إبليس أمر ربه ، وتكبره على آدم ، صفوة الله ، وخالصته ،
فاعرف هذا الأمر ، تسعد بمعرفته ، أنت ومن قبلك ، إن شاء الله تعالى .

فصل

التاسعة : رسالة كيفية نضد العالم بأسره .

وترتيب كون الموجودات ، ونظام الكائنات ، وامتزاج الأمهات ، وتركيب
الأسطقسات ، وبروز النبات ، وتكوين الحيوان ، وقيام الإنسان ، وأن أول
الأشياء منعطف على آخرها ، وأن آخرها متطلع إلى الارتقاء إلى أعلاها ، من
أعلى الفلك المحيط ، إلى منتهى مركز الأرض ، وأنها كلها عالم واحد ، أو
كمدينة واحدة ، أو كحيوان واحد ، أو كإنسان واحد . والغرض المطلوب
منها ، والمقصود إليه فيها ، هو الوقوف على معرفة حقائق الموجودات التي
وصفناها ، والكائنات التي ذكرناها ، والأسرار التي كشفناها ، والإرشادات
التي أشرنا بها إلى حقائقها ، وبيننا طرائقها ، بإقامة الأدلة [٣٧٢] والبراهين ،
والقول اليقين ، ومعرفة بواديها ، وتواليها ، وسوابقها ، ولواحقها . وقد
بيننا جميع ذلك فيما قدمناه ، بياناً شافياً ، مقنعاً كافياً ، بلا شك ولا شبهة ،
ولا ريب ، ولا مرية ، وقلنا فيما قدمناه إن مبدأها كلها صادر عن أمر الله ،
فعل الله الذي هو الإبداع المحض ، لا من موجود كان قبله فيه . وأولاهها
بالوجود ، وأحقها بإفاضة الجود ، إذ هو عين الحياة ، وحقيقة الوجود ،
وهو الأول الذي منه كون الله سائر الموجودات ، ومنه انبعثت القوى متكررة
نحو غايتها ، فهي إليه متصاعدة ، كما كانت عنها صادرة ، وإن إلى ربك
الرجعة ، وإلى الله ترجع الأمور ،

فصل

وهو السبب الأول ، الذي به يتعلق ما سواه من سائر الموجودات تعلق المعلول بالعلة ، مرتبة بعضها فوق بعض ، فاعلة ومنفصلة ، منتقلة من رتبة دنيا إلى رتبة عليا ، مرتبطة بعضها ببعض ، ارتباط [٣٧٣] معلول بعلة ، على حسب بواديه وتواليها ، إلى أن تتلاحق بأجمعها ، وتتوارد بأسرها إليه ، فيكون هو علة العال ، ومبدأ المبادئ الفائضة ، مما أفاض عليه الباري سبحانه جل جلاله . وبوجود هذه القوة تقبل كل ذات من الذوات بقدر ما تحمله منها من المواد اللائق بها في البقاء والدوام ، نور الله ورحمته وكلمته ، بها الله يهدي من يشاء ويثيب ، ويعاقب ، وإليه يرجع من ينب .

فصل

العاشرة : رسالة السحر والعزائم ، وماهية الكهانة والزجر ، والقال ، والغيب ، والوهم ، والرقى ، وكيفية أفعال سر الطلسمات الباقيات ، وما عمارة الأرض ، وما الجن ، والشياطين ، والملائكة الروحانيون ، وتأثيرات أفعالهم ، بعضهم في بعض .

والغرض المطلوب فيها ، هو ما ذكرناه ووصفناه ، فيما شرحناه ، من ذكر ما في الرسالة من الروحانيين ، وماهية الطبيعة . وكل [٣٧٤] هذه من أفعالهم ، وما جرى هذا المجرى ، وصح ممن يدعيه ، فإنما أعانه عليه ، وأوصله إليه ، معرفته بالأمور الروحانية ، ووصوله إلى أسرار الطبيعة ،

فإذا أراد فعل شيء من جميع هذه الأشياء ، سلط بعضها على بعض ، وأجرى بعضها في بعض ، ومزج بعضها في بعض ، فأنتج من بين ما يزوج ويمزجه ، ما يكون به بلوغه إلى إرادته من الشفاء ، والصلاح ، والنفع ، والضر ، بالرقى والسحر ، وإخباره بما يكون قبل أن يكون ، بالكهانة والزجر ، والقال ، ودفع الآفات ، وحسم المواد المضرات ، وهلاك الحيوانات المفسدات ، بما ينصبه من الطلسمات ، المربوطات بأفعال الروحانيات ، وما يقيمه من العلامات ، لمن يفضل في البحار الطاميات ، والقلوات الواسعات ، والجبال الشامخات ، ليكون بذلك التهدي إلى الطرق الواضحات ، المؤدية إلى المدن والعمارات ، والقرى والسوادات ، مثل [٣٧٥] نصب الخشبات بعبارات ، ومنارة الإسكندرية ونصبها على نسبة ثابتة ، وكالأهرام العادية ، والقباب الشدادية في البراري ، وعلامات الروابي ، وطلسمات المخابىء المدفونة ، والذخائر المكنونة ، والجواهر المصونة ، في باطن الأرض ، ذات الطول والعرض ، والرفع والخفض ، ومن يحرسها من العمار ، في اختلاف الليل والنهار ، وحرزها في مقرها ، وكونها في مستقرها ، بحيث لا يصل إليها إنسي ، ولا يطلع عليها جني ، إلى وقت قيام صاحبها ، الأمين المتمكن فيها . وكل هذه الأمور اللطيفة ، والأحوال الشريفة ، تبدو في العالم عن قوى أفعال سارية ، خفية ، روحانية شريفة ، وذوات خفايا ، غير مرئيين ، ولا محسوسين ، يسمون روحانيين ، أفعالهم ظاهرة ، وذواتهم باطنة ، منها ما تظهر أفعالها بوساطة الطبيعة ، ومنها [٣٧٦] بوساطة النفس ، ومنها بوساطة العقل ، وهو أجل منازل المخلوقين ، وأعلى مراتب الروحانيين .

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن الباري جل جلاله ، وتعالى ذكره ، خلق العقل ، وجعله سابقاً ، والنفس لاحقاً ، والطبيعة شائناً^١ ،

١ شائناً : لاحقة به في ص .

والهبولى باسقة^١ ، والعدم ماحقاً ، فالعقل هو المبدع^٢ الأول عن موجدته ،
بدوامه يدوم ويبقى على حالة التمام والكمال ، وكل ما دونه فمته بدأ ، وإليه
يعود .

فصل ٣

ولما انتهى القول بنا إلى هذا المكان ، من شرح الاثنتين والخمسين رسالة ،
في هذه الرسالة الجامعة ، ذات الفوائد النافعة ، فلنختتمها بشرح رسالة عشرة
إخوان الصفا ، وخلان الوفا ، وكيف تكون معاونة بعضهم لبعض ، وكيف
ينبغي أن يكونوا في اجتماعهم في أعيادهم ، وجماعاتهم ، ومواضع عباداتهم ،
وصلواتهم ، ومذاكراتهم في علومهم وحكمهم .

ونعرفك يا أخي ، كيفية ذلك ، لترتيبهم على [٣٧٧] هذه المراتب ،
وتسوسهم بهذه السياسة ، ليميزوا بالرتبة المخصوصة بهم دون غيرهم ،
ومن سواهم .

وموضع شرح هذه الرسالة من الرسالة الجامعة ، من فهرست رسائل إخوان
الصفا ، الذي ألفناه وألقيناه إليك ، لتعرف كل رسالة منها باسمها ، ولقبها ،
وذكرها . وهذه الرسالة الموضوعية في كيفية العشرة ، فيها مواضع
جليلة ، وحكم نفيسة ، ولذلك ختمنا بذكرها وشرحها . [والحمد لله رب
العالمين ، والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين . آخر الرسالة] ^٤ .

١ باسقة : سابقة في ص .

٢ المبدع : المبدأ في ص .

٣ فصل : جاء في النسخة من الرسالة الحادية عشرة : في عشرة إخوان الصفا وخلان الوفا .

٤ سقطت الكلمات المحصورة في ص .

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه، أن الذي يجب علينا أن نوصيك به،
ونلقيه إليك، ونبلغك إياه، ونعتمد فيه عليك، من مراعاة إخوانك، ومن
قبلك من أصحابك، ومن استجاب إليك، ويستجيب، إن شاء الله، أن
تجعل لهم مجلساً تجمع فيه جماعاتهم، في كل اثني عشر يوماً يوماً واحداً
يجمعون فيه حيث [٣٧٨] ما اتفق لهم من مواضعهم وأماكنهم، بحيث يأمنون
فيه على أنفسهم، ويكون اجتماعهم على تقوى من الله، وخيفة مراقبته،
ويتطهرون، من قبل حضورهم، ويتنظفون، ويأخذون زيتهم بأحسن ما
يقدرون عليه، فإذا اجتمعوا بحيث تراههم، وتعاينهم ولا يتمعد أحد منهم،
إلا لعذر يمنعه من القدوم عليك، والوصول إليك، فأبرز لهم وأخرج عليهم في
زيك وحللك، وجميل هيئتك، وجميل هيبتك، كبروز النفس الكلية للنفس الجزئية،
إذ هم لك كالأولاد، وأنت لهم كالوالد، وهم لك الأجساد، وأنت كالنفس،
وهم لك كالبیوت، وأنت فيهم كالساكن، إذ كانت حكمتك مودوعة فيهم،
وروحك نازلة عليهم، ويكون خروجك في سكية ووقار، في ليل كان
ذلك أو في نهار. فإذا رأيتهم بحيث يرونك، ويسمعون منك، ويفهمون
عنك، فاتل عليهم من حكمتك، وعظهم بتذكيرك، حسبما [٣٧٩] يحتمل
مكانهم، ويتسع لهم إمكانهم، وأعلمهم، وعرفهم، فيما تلقيه إليهم من
الموعظة، والتذكيرة، والحث على طلب العلم، أن تكون أكثر عنايتهم،
وقصدهم، وقصارى همتهم، وسعيهم في البحث عن الأمور الإلهية،
والأراء العقلية، التي هي الغرض الأقصى في اللذة، وغاية نعيم أهل الجنة،
وبه استكمال أهل الانس، والترقي عن عالم الحس، والتبرؤ من ظلمة الأجساد،
والنجاة من أسر الطبيعة، وقيد الشهوة، وبحر الهوى، وترادف النشوء،

والبلى . وعرفهم أن أصلح الأعمال ، وأجل الأفعال ، تفقد إخوانهم ،
وتدير أمورهم ، ومعرفة السياسات الدينية والدنيوية ، في معيشة الدنيا ،
وما يجب لهم وعليهم من أداء الأمانة ، وترك الحياة ، ومحبة بعضهم بعضاً في
الله عز وجل ، وأن يتواصلوا ويتهادوا ، ويتحابوا ، ويتناصفوا ، ويعظ
بعضهم بعضاً في الله ، [٣٨٠] ولا يتخاصموا ولا يتعادوا ، ولا يتقاطعوا .
وعرفهم بآداب الأنبياء ، وصفات الحكماء ، وأخلاق المؤمنين . واتل عليهم
هذه الرسائل من أولها إلى آخرها ، رسالة رسالة ، ومقالة مقالة ، وبينها لهم
بأوضح الدلالة ، ولا تنزل كذلك حتى تستخلص طائفة منهم لنفسك ، وترمقهم
بعينك . فإذا استخلصتهم ، ورضيت سعيهم ، بعد إيقاعك المحنة بهم ،
في أمور دنياهم ، ومواضع المحبوبات ، وأمانى المطلوبات ، إذا أمرتهم
ببعد الأقارب المحبوبين في الله ، وصلة الأبعد في الله ، فامثلوا ، ونفقة
الأموال في سبيل الله فأنفقوا ، والجهاد في سبيله بالأنفس فبذلوا ، والسعي
فيما يرضي الله . فسعوا ، والخروج من الأوطان في الله ، فخرجوا ،
وفارقوا الأحباب ، وأيتموا الأولاد ، وأرملوا النسوان ، وفارقوا
البلاد والأوطان ، فعند ذلك ، إذا صبروا على هذه المحن فهذبهم
بعملك : [٣٨١] واتل عليهم الكتب المصونة ، والأسرار المخزونة ، والعلوم
المكنونة . بشرح ما في هذه الرسالة الجامعة ، وما في غيرها من الكتب التي
ألقيناها إليك ، وأودعناها عندك ، لحياة من قبلك ، وهي المدارس الأربع ،
والكتب السبعة ، والجفران ، والرسائل الخمس والعشرون ، والرسائل
الاثنان والخمسون ، والرسالة الجامعة . فعرفهم جميع ذلك وأوقفهم على الأسرار ،
وعلى معاني الأخبار ، والروايات ، وأمثال الإشارات ، والعلامات . فإذا
قبلوا ذلك عنك ، ورأيتهم مصوراً فيهم ، ومستقراً عندهم ، فاجعل على كل
جيل منهم جزءاً ، ثم ادعهم يأتوك سعيّاً ، واعلم أن الله عزيز حكيم ، وعلى
كل شيء قدير .

وكذلك يجب عليك أن تكون عشرتك لهم، إذا عرفتهم بما يجب لك عليهم،
وبما يجب لهم عليك، وكن لهم أباً شقيقاً، وطيباً رفيقاً، ولا تكن نزقاً،
ولا خرقاً، ولا [٣٨٢] منحرفاً، ولا متجبراً، ولا متكبراً، ولا متعسراً،
ولا تحمل أحداً منهم فوق طاقته، ولا تكلفه فوق وسعه، فإن الله سبحانه
لا يكلف نفساً إلا وسعها، لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت. وهذه الاثنتان
والخمسون رسالة، وهذه الرسالة تقليدنا لك، وعهدنا إليك، فيما أمرناك
به، وأقمناك، فاعمل فيه بموجب الأمانة، وإياك والحياة، ولا تلقه إلا إلى من
أمرت بهديه وهداه، وإخراجه من عماه، وتعريفه ربه وأوليائه، بحسب
ما يجب له من ذلك بقدر احتماله، وما توجه أعماله، وما يبدو لك من أفعاله،
بعد إيقاعك المحنة به، فإن ثبت فرقه إلى العلى، فإن زلت به قدم اعتمد على
أخرى، وإن زلت به القدمان عدم المترلتين، فخله في مكانه، ولا تعباً بشأنه،
وأنسه ما كنت ذكرته، لئلا يحتج به عليك في باطله، وما يبديه من سوء
أعماله، إذا اتبع الشيطان، ورافق الظالمين. وأغلق دونه [٣٨٣] بابك، وأسبل
عليك فيما بينك وبينه حجابك، ولا توحشه، وقل له قولاً ليناً، وعظه عظة الميؤوس
منه، فإن تاب وأناب، فهو ما تريده، وإن أبى فما على الرسول إلا البلاغ
المبين، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، وما أنت عليهم بجبار،
فذكر بالقرآن من يخاف وعيداً، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، ولو
كنت فظاً غليظ القول لانفضوا من حولك، وانخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين.

اعلم يا أخي وحذر من قبلك من المؤمنين، وعباد الله الصالحين، من
معاداة العلوم، والحكمة، والحمية، والعصبية لطائفة من الطوائف، أو
معرفة من المعارف، مما عساهم يجهلون معناها، إذا تعصبوا لما سواها،
وآثروا غيرها عليها من قبل اعتبارهم معانيها، واطلاعهم على ما فيها،

وأمرهم أن لا يهجروا كتاباً من كتب الحكماء، ولا مذهباً من مذاهب [٣٨٤] الأنبياء ، ولا يبغضوا علماً من العلوم الحقيقية ، وإن بعدت معانيها ، وخفيت إشاراتنا من البلوغ إليها لبعدها مراميها ، فإن من بغض علماً من العلوم الحقيقية ، فقد جهله ، وإذا جهله ، عاداه ، وزيفه ، ونفاه ، فصار المرء إذا فعل ذلك ، عدواً للعلم الذي هو من أخص صفاته ، وهو المقوم لذاته ، فيكون سبباً للغبن والخسارة ، وجالباً للهلاك والبوار ، ويجب عليهم ألا يهجروا علماً من العلوم ، لأنها كما قلنا أغذية للنفس ، ومجلبة الأنس ، ومن خاصية نوع الأنس ، ومحيا الروح ، ومدعاة إلى الفضل والكمال ، والبلوغ إلى أجل الأحوال ، وأن يشتغلوا بما أهمهم من صلاح ذواتهم ، وما يؤدي بهم إلى غاياتهم ، ويسلك بهم في طريق نجاتهم ، وأن يرحموا الناس كافة ، ويسألوا الله سبحانه ، إذا دعوا لأنفسهم ، أن يهدي خلقه إلى مثل ما هداهم إليه [٣٨٥] ، فمثلهم كانوا حتى من الله عليهم ، وما منهم إلا من وردها ، والله ينجي الذين اتقوا منها ، ونذر الظالمين فيها جثياً .

فصل

والواجب عليك يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه ، أن تتقي الله ، فيما ألقيناه إليك من الكتب المصونة ، والعلوم المخزونة ، المستخرجة من كتاب الله تعالى ، المستور المخزون في بيته المعمور ، واعتن بها غاية العناية ، ولا تجهل هذه الوصايا ، وتلطف في استعمالها وإيصالها إلى مستحقها ، تلطف الأخ الشقيق ، والأب الشفيق ، والولد الصديق ، والطبيب الرفيق ، بعد بذل الوسع ، واستفراغ الجهد منك فيما أمرناك به ، وأقمناك له ، وقد أدينا إليك ما علمناه ، وأوقفناك عند ما رسمناه ، فاعمل عملاً يسرك أن تراه ولا تقل كما تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ، [٣٨٦] وإن كنت لمن الساخرين .

واعلم أن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى ، وهو الذي أعطى وأقنى ، عالم السر وأخفى ، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وآله الطاهرين أجمعين . قد وقع الفراغ من زبر هذا النصف الثاني من الرسالة الجامعة ذات الفوائد النافعة والحجج القاطعة والبراهين اللامعة يوم السبت الحادي والعشرين من شوال الحرام من سنة ١٢٣٧ هجرية المطابق للتاريخ التاسع عشر من شهر جولاى من سنة ١٨١٩ ميلادية كتبه الأقل الراجي رحمة ربه الأجل أمين ابن علي الكاتھياواري وطنا الكادهكروي مسكنا ثبته الله تعالى على طاعته وعلى طاعة جميع حدوده [٣٨٧] العلويين والسفليين الروحانيين والجسمانيين بحق سيدنا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين أمين يا رب العالمين .

فهرست

٥	مقدمة
١٥	النصف الأول من الرسالة الجامعة
٢٤	في الإبداع الأول والقول بأن علم العدد فيض العقل على النفس
٢٥	في نعت الله خلق الصورة الإنسانية وأنه خليفة الله في أرضه
٢٩	في تقدم وجود العدد على جميع العلوم كتقدم العقل على جميع الأشياء
٣١	في معرفة شكر المنعم بالعلم
٣١	في معرفة العقل الغريزي
٣٤	علم العدد موجود في قوة النفس
٣٥	في البيان عن العلم النظري
٣٦	علم الحكمة
٣٧	في كثرة افتنان العلم
٤٥	في معرفة القضاء والقدر
٤٩	في أن الشر لا أصل له في الإبداع الأول من جهة المبدع
٥١	في البيان عن الغرض في إدارة الأفلاك وما يليها
٥٣	في تلاشي الطبيعة
٥٧	في فضيلة العلم
٦٠	في ذكر الفلسفة ومنفعتيها
٦١	في معرفة دين الفلسفة وخصالها
٦١	في معرفة خصال الفلسفة

٦٥	في ذكر قصة آدم وحواء والشجرة المنهي عنها
٦٦	في ذكر آدم وحواء والشجرة المنهي عنها وحيلة إبليس عليهما
٧٢	في معرفة إبليس والشيطان والأبالسة والشياطين
٧٥	في معرفة إبليس الروحاني
٩١	في تسمية الجامعة
٩٣	في ذكر رسالة العدد
٩٥	في رسالة الهندسة والإبانة عنها
٩٧	في الرسالة الرابعة من الرياضيات التابعة لهذه الرسائل
١٠٠	في الخامسة من الرياضيات في جغرافيا
١٠٣	الرسالة السادسة رسالة في النسب العددية
١٠٧	رسالة في الصنائع العلمية النظرية
١١٦	في الرسالة الثامنة في الرياضيات
١١٨	في الرسالة التاسعة من الرياضيات
١٢٤	في نعت دعوة الطائعين
١٢٦	في ذكر كيفية آدم وإبليس
١٢٨	في معرفة إبليس
١٢٩	في ذكر الرسالة العاشرة
١٢٩	في ذكر الرسالة الحادية عشرة
١٣٠	في ذكر الرسالة الثانية عشرة
١٣١	في ذكر الرسالة الثالثة عشرة
١٣١	في ذكر الرسالة الرابعة عشرة
١٣٢	في معرفة الخلق الروحاني
١٣٤	في معرفة الخلق الجسماني

١٤٣	في ختم الرسالة الرياضية والابتداء بما يليها من الرسائل الجسمانية الطبيعية
١٤٤	في ذكر الرسالة الأولى
١٤٥	في ذكر الرسالة الثانية
١٤٧	من رسالة الكون والفساد
١٤٧	في ذكر الرسالة الثالثة من الطبيعيات
١٤٩	في ذكر الرسالة الرابعة
١٤٩	في ذكر الرسالة الخامسة
١٥١	في الرسالة السادسة
١٥٣	في ذكر الرسالة السابعة
١٥٥	في ذكر الرسالة الثامنة
١٦٠	في بيان انعقاد الجواهر وماهيتها وانبعث بعضها من بعض
١٦٢	في بيان تقدم الحيوان
١٦٤	في مرتبة ذلك بالأمر الإلهي
	في معرفة رتبة إبليس والشياطين ومواضعها من المعادن والنبات
١٦٦	والحيوان والإنسان
١٦٨	في ذكر المعادن
١٧٠	في ذكر أصناف الحيوان
١٧٢	في رتبة النفوس الطاهرة وآثارها
١٧٣	في انتقال القوة المعدنية إذا كملت في بقعتها
١٧٥	في نعت الهبوط
١٧٦	في تكوين الحيوانات
١٧٨	في فضل الحيوانات بعضها على بعض
١٩٠	في أن بعض ما يحدث من التفاوت في الحيوان من جهة الإنسان

٦٥	في ذكر قصة آدم وحواء والشجرة المنهي عنها
٦٦	في ذكر آدم وحواء والشجرة المنهي عنها وحيلة إبليس عليهما
٧٢	في معرفة إبليس والشيطان والأبالسة والشياطين
٧٥	في معرفة إبليس الروحاني
٩١	في تسمية الجامعة
٩٣	في ذكر رسالة العدد
٩٥	في رسالة الهندسة والإبانة عنها
٩٧	في الرسالة الرابعة من الرياضيات التابعة لهذه الرسائل
١٠٠	في الخامسة من الرياضيات في جغرافيا
١٠٣	الرسالة السادسة رسالة في النسب العددية
١٠٧	رسالة في الصنائع العلمية النظرية
١١٦	في الرسالة الثامنة في الرياضيات
١١٨	في الرسالة التاسعة من الرياضيات
١٢٤	في نعت دعوة الطائعين
١٢٦	في ذكر كيفية آدم وإبليس
١٢٨	في معرفة إبليس
١٢٩	في ذكر الرسالة العاشرة
١٢٩	في ذكر الرسالة الحادية عشرة
١٣٠	في ذكر الرسالة الثانية عشرة
١٣١	في ذكر الرسالة الثالثة عشرة
١٣١	في ذكر الرسالة الرابعة عشرة
١٣٢	في معرفة الخلق الروحاني
١٣٤	في معرفة الخلق الجسماني

١٤٣	في ختم الرسالة الرياضية والابتداء بما يليها من الرسائل الجسمانية الطبيعية
١٤٤	في ذكر الرسالة الأولى
١٤٥	في ذكر الرسالة الثانية
١٤٧	من رسالة الكون والفساد
١٤٧	في ذكر الرسالة الثالثة من الطبيعيات
١٤٩	في ذكر الرسالة الرابعة
١٤٩	في ذكر الرسالة الخامسة
١٥١	في الرسالة السادسة
١٥٣	في ذكر الرسالة السابعة
١٥٥	في ذكر الرسالة الثامنة
١٦٠	في بيان انعقاد الجواهر وماهيتها وانبعاث بعضها من بعض
١٦٢	في بيان تقدم الحيوان
١٦٤	في مرتبة ذلك بالأمر الإلهي
	في معرفة رتبة إبليس والشياطين ومواضعها من المعادن والنبات
١٦٦	والحيوان والإنسان
١٦٨	في ذكر المعادن
١٧٠	في ذكر أصناف الحيوان
١٧٢	في رتبة النفوس الطاهرة وآثارها
١٧٣	في انتقال القوة المعدنية إذا كملت في بقعتها
١٧٥	في نعت الهبوط
١٧٦	في تكوين الحيوانات
١٧٨	في فضل الحيوانات بعضها على بعض
١٩٠	في أن بعض ما يحدث من التفاوت في الحيوان من جهة الإنسان

١٩١	في تسخير الحيوان للإنسان
١٩٣	في معرفة الجن
١٩٤	في الإبانة عن حقيقة الجن
١٩٦	في معرفة المحمودين والمذمومين من الجن وكيف قدرتهم على الإنس
١٩٨	في ذكر الشياطين منهم
١٩٨	في القول في شكوى الحيوانات وما تقاسيه من جور الإنسان
١٩٩	في بيان معاداة المنافقين للمؤمنين
	في العداوة التي بين الجن والإنس والسبب فيها والعلة التي من أجلها
٢٠٤	كان ذلك
٢٠٥	في ذكر الإنس والجن
٢٠٨	في معرفة الجن
٢١١	في معرفة العداوة بين الجن والإنس
٢١٢	في معرفة الصداقة والمودة بين الجن والإنس
٢١٥	في أن جميع أجناس الحيوانات خمسة
٢١٨	في معرفة المحمود والمذموم من هذه الأقسام
٢٢٣	في بيان الدائرة
٢٢٥	في الرسالة التاسعة
٢٢٦	في بيان أن الجسد آلة النفس
٢٣٠	في ذكر الرسالة العاشرة الحاس والمحسوس
٢٣٢	في ذكر الرسالة الحادية عشرة
٢٣٣	في أن النفس الجزئية هبطت من العالم العلوي إلى العالم السفلي
	في ذكر الباب الذي هبطت منه النفوس الجزئية وارتبطت بالأجسام
٢٣٥	الطبيعية

٢٣٩	الطبيعية والصور الهيولانية
٢٤٨	في معرفة الطرف الأعلى والطرف الأدنى والقول بالبرهان عليهما .
٢٥١	في معرفة اليد الروحانية ذات النفس والتصوير
٢٥٢	في معرفة الولادة الروحانية التي بها الوصول إلى دار البقاء
٢٥٣	في معرفة الآباء والأمهات في الولادة الروحانية
٢٥٤	في الرسالة الثانية عشرة
٢٥٦	في أن الإنسان مختصر من العالمين الروحاني والجسماني
٢٥٧	في أن صورة الإنسان أفضل الصور التي تحت فلك القمر
٢٦٠	في قرب نسبة النفس من الله ومنزلتها عنده وكرامتها لديه
٢٦١	في معرفة العابد لله بعلم والجاهل بذلك
٢٧٢	في بيان قوى النفس الخمس الخاصة لها
٢٧٤	في ذكر القوة المتخيلة وما يليها من القوى إلى القوة الناطقة
٢٧٦	في معرفة الإنسان الكلي التام الذي من أجله خلق الإنسان الجزئي
٢٧٧	في الإنسان الكلي
٢٧٨	في معرفة الإنسان الجزئي
٢٧٩	في معرفة الإنسان العلمي والشخص الديني
٢٨١	في القول على معرفة الأصل الفاضل الجامع لجميع الفضائل
٢٨٢	في معرفة بنية العالم العلوي
٢٨٧	في أن العالم كله من لدن الفلك المحيط إلى منتهى الأرض جسم واحد
٢٩١	النصف الثاني من الرسالة الجامعة
	في الرسالة الثالثة عشرة في نشوء الأنفس الجزئية في الأجساد البشرية والأجسام الطبيعية ، وكيفية انبعاثها منها وارتفاعها إلى رتبة

٢٩٣	الملائكة المقربين
٣٠٠	في جهل المنكرين لبقاء النفوس بعد مفارقتها بالجسد
٣٠١	فيما يختص النفس من أعمالها والجسد من أفعاله
٣٠٥	في ذكر الرسالة الرابعة عشرة
٣٠٦	في بيان أن جميع أصول العلوم ثلاثة أقسام
٣٠٨	في ذكر الرسالة الخامسة عشرة
٣٠٩	في أن وجوب الموت حكمة
٣١٠	في ذكر الرسالة السادسة عشرة
	في بيان معرفة اللذات والآلام التي تنالها الأنفس الجزئية وهي مقترنة
٣١٢	بالأجسام الطبيعية
٣١٣	في معرفة الآلام واللذات المتصلة بالأنفس إذا فارقت الأجسام
٣١٦	في معرفة الباب الذي منه الدخول إلى جهنم الكبرى ذات العذاب
٣١٨	في معرفة اتصال اللذات بالأنفس الطائفة لربها
٣١٩	في معرفة الباب الذي تدخل منه النفوس الطائفة إلى الجنة
٣٢١	الرسالة السابعة عشرة
٣٢٢	في معرفة الإنسان الفاضل
٣٢٤	في ذكر اختتام الشرائع ونسخها وما يأتي بعدها
٣٣٤	في ذكر الرسائل العقلية والذخائر النفسانيات والإفاضات الإلهيات
٣٣٥	في ذكر السبق الأول وما يتلوه
٣٣٦	في ذكر العلماء الموحدين في ذكر الحلقة
٣٣٩	في مقابلة الأصلين المبدعين بالفرعين المخلوقين
٣٤١	فيما قرب من أفهام الخلق في ذكر الباري سبحانه
٣٤٥	في ذكر الرسالة الثانية

٣٤٦	في ذكر الرسالة الثالثة
٣٤٧	في بيان أن الإنسان عالم صغير
٣٤٩	في إيضاح أن النفس عالم واحد
٣٥١	في معرفة أقسام العالم بأسره وأنه داخل في أمر الله
٣٥٤	في بيان أن الأنفس الجزئية قوى النفس الكلية
٣٥٦	في أن جميع الموجودات في الدنيا أمثلة لما يكون في الآخرة
٣٥٨	في بيان بروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية
٣٦٠	في معرفة كيفية وزن الحسنات والسيئات
٣٦٣	في ذكر الرسالة الرابعة
٣٦٤	في بيان استنباط النفوس الجزئية لسائر العلوم
٣٦٨	في الوجود
٣٦٨	في العدم
٣٦٩	في النوع من تنزيه الباري سبحانه
٣٧٠	في علم الإنسان بالله
٣٧٠	في معرفة كون الموجودات بأسرها في العقل بالقوة
٣٧١	في معرفة خروج الأشياء من القوة إلى الفعل
٣٧٢	في معرفة الإشارات إلى الأشياء بالأسماء والألقاب والألفاظ
٣٧٣	في معرفة الموجودات
٣٧٤	في معرفة علل الموجودات
٣٧٥	فيما قيل في الموجودات والصواب فيه
٣٧٧	في بقاء النفس ووجودها بعد مفارقتها للجسم وقبل رباطها به
٣٧٩	فيما يختص بالنفس الناطقة من الفضائل
٣٨١	الخامسة رسالة الأكوار والأدوار واختلاف القرون والأعصار

٣٨٢	في علة كون الليل والنهار
٣٨٣	في وجود الحيوان بدوام الحركة الفلكية
٣٨٣	في بطلان الحركة
٣٨٤	في معرفة ما يكون عن حركة القمر
٣٨٥	في معرفة ما يحدث في هذه الحركة في العالم
٣٨٦	في معرفة مبلغ أعمار ما يحدث عن هذه الحركة من الحيوانات
٣٨٧	في القول على أعمار الصور الإنسانية واللاحقة بها من الصور الحيوانية
٣٨٨	في معرفة ما يحدث في العالم بحركة الشمس
٣٨٩	فيما يحدث في العالم إذا نزلت الشمس برج الحمل
٣٩٤	في وجود السعادات عند اعتدال المزاوجات
٣٩٦	في نزول الشمس برج الميزان
٣٩٧	في ذكر دخول الشتاء
٣٩٨	فيما قيل من نهاية العالم
٤٠٠	في معرفة ما يحدث عند اجتماع المدبرات
٤٠٤	في معرفة الأشخاص السبعة الفاضلة
٤١٣	في ذكر الرسالة السادسة
٤٢٨	في رسالة البعث والقيامة والنشر والحشر والحساب وكيفية المعراج
٤٣٧	في معرفة البعث
٤٥٤	الرسالة الثامنة من القسم الثالث
٤٧٣	في ذكر الرسالة التاسعة رسالة العلل والمعلولات
٤٨٢	في العلة الموجبة لاختلاف العلماء في إبداع الباري
٤٨٥	في معرفة العلل والمعلولات التي هي الأصول
٥٠٦	في التتميم الأولي من الرسائل الناموسية الإلهية

٥٠٧	في معرفة سبيل النجاة
٥٠٩	في معرفة طريق الحق
٥٠٩	في معرفة طريق الباطل
٥١٠	في معرفة أقسام الدين
٥١١	الثانية رسالة ماهية الطريق إلى الله
٥١٤	الثالثة رسالة اعتقاد إخوان الصفا وخلان الوفا
٥١٧	الرابعة رسالة في ماهية الإيمان وخصال المؤمنين
٥١٩	الخامسة في ماهية الناموس الإلهي
٥٢٥	رسالة كيفية الدعوة إلى الله
٥٣٠	السابعة رسالة أفعال الروحانيين
٥٣٢	الثامنة رسالة كيفية السياسات
٥٣٤	التاسعة رسالة كيفية نضد العالم بأسره
٥٣٥	العاشرة رسالة السحر والعزائم
٥٣٧	رسالة عشرة إخوان الصفا وخلان الوفا

